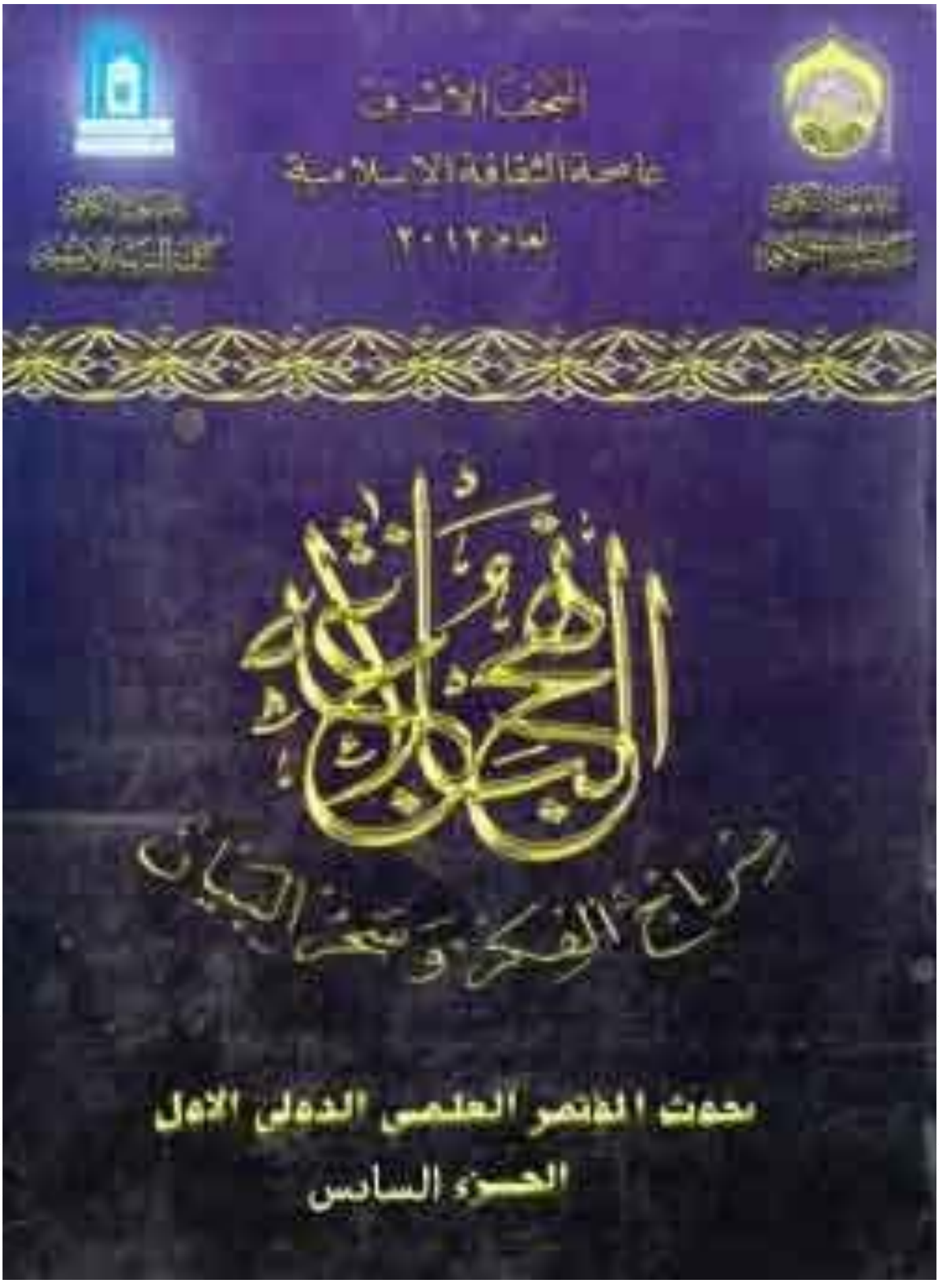
المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية
عاصمة الثقافة الإسلامية
لعام ٢٠١٢
البحث العلمي
سراج الفكر وسحاب البيان
بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول
الجزء السادس

أخلاقيات العدالة في عهد أميرالمؤمنين الأمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) للأشتر النخعي (رض)

الباحث: هاشم حسين ناصر المحنك (جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة)

المقدمة

تنبثق الرسالة الإنسانية من عظماء القادة، فلا يعرف البناء والعمران المادي والمعنوي والنفسي، إلاّ مَنْ يعرف مناهجه وأصوله والأسس التي يتوجب القيام عليه وتواصله وتلاحقه عِبر الأجيال..

فما يقوم على أقوم الأسس وأمتنها، يتلاحق علوّاً واستقامة وقوّة، ويكاد الضعف أن ينعدم في بنائه، وتتوسع فرص النجاح في تحقيق انسيابية مجريات الحياة السلمية والشروع للوصول إلى الأهداف والغايات، بتخطّي ما يواجهه من مخاطر، واستثمار الفرص المتوافرة، والنتيجة يأخذ العمق الاستراتيجي منحاه باستمرارية وثبات..

وهذا جانب مِمّا أراده أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من خلال كتاب أو عهد له (عليه السلام) كتبه لمَالِكَ بْنَ الحَارِثِ الأَشْتَرَ النخعي (رض) حينما ولاّه على مصر وأعمالها، بعد أنْ اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر (رض)، وهدفه (عليه السلام) حماية انسيابية حقوق كل ما تحتويه الدولة من الإنسان ونزولاً إلى ما يحيط به ويمتلكه، وبما يشغل الإنسان من مكانة، صعوداً حتى أعلى مستوى تنظيمي وقيادي في الدولة أو الإقليم أو الولاية أو حتى أصغر بلدة في الدولة الإسلامية، وبخُطى أخلاقية راسخة..

ومن العهد المبارك نستمد ما يرفد هذه الدراسة ومباحثها، لتسليط الضوء صوب ما يحقق سبل الإصلاح بكل أبعاده الإنسانية - الحضارية المواكب لكل عصر، وبما يناسبه من قدرات وثقافة تنظيمية، لرفع شأن الناس وتقدمهم وتنمية قدراتهم، بما فيه أنشطتهم أو مشاريعهم المختلفة، ليكون تكاملية (جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلادِهَا)..

والله المستعان به على أمور الدين والدنيا.

هاشم حسين ناصر المحنك

المبحث الأول

مدخل ومفاهيم

تبدأ الأعمال من مؤشر ومحور الأخلاق Ethics، حيث تدخل ضمن كل مفاصل الحياة، لكن المعضلة الوحيدة التي تواجه تطبيقها، هو ما يُوضع لها من مفاهيم وما يتعرف على استعمالها..

ونرى قد يختلف مضامين مفهوم الأخلاق زماناً ومكاناً وموقفاً، وبما تتعارف عليه الأديان وتفسيرات مجتهديه، وما تتعارف عليه الحضارات والثقافات والأيديولوجيات، وتطلعات ومبادئ وعقائد وأعراف وتقاليد ذلك المجتمع والبيئة، فيُستدرج المُشرِّع إلى حيث ما تعني بالظروف المواتية..

ومثلاً في الإسلام هناك مبدأ يقول؛ ما يقوم على باطل فهو باطل، أو ما يقوم على حرام فهو حرام في نشاطه ونتائجه، ويحدد ذلك الباطل والحرام، بما ورد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الأئمة (عليهم السلام)..

وقد يُخالف أو لا يطابق مفهوم الأخلاق في أدبيات وتطبيقات أيديولوجيات أخرى، كما هو عليه قيام مشاريع في البيئة الأوربية محرّمة في الإسلام، كصناعة الخمور وما يضعون لها من معايير الجودة، أو تنظيم عقود الربا والالتزام بها، أو بيع وشراء المحرمات بقوانين ولوائح معينة، ويُعد الأداء والالتزام بالجودة، هو جزء من الأخلاقية والعدالة..

ونرى الإسلام يرفضه جملة وتفصيلاً قبل الشروع فيه، والتعامل بمثل هذه الأنشطة خارج حدود الإسلام، بأعراف وما يُسن من لوائح وقوانين الدولة، ويتم تحديد ما يُنظِّم هذه الأنشطة، وتسمى في مختلف العلوم؛ أخلاقيات العمل work ethics..

وينطبق ما تقدّم من القول على مفهوم العدالة Justice، وينجر على تطبيقاتها،فنرى ما يعني في أيديولوجية ومبادئ النظام الرأسمالي يختلف عن النظام الاشتراكي أو النظام المختلط أو النظام الإسلامي، وأيضاً تطبيقات العدالة في استخدام الأسلوب الإداري للدولة أو المشاريع المختلفة، وكما هو عليه مثلاً بمنهج الأنظمة الدكتاتورية أو الديمقراطية..[1]

وعموماً يعني (العدل) في (لسان العرب)؛ ما قام في النفوس أنه مُسْتقيم، وهو ضِدُّ الجَوْر.

وعَدَل الحاكِمُ في الحكم يَعْدِلُ عَدْلاً وهو عادِلٌ من قوم عُدُولٍ وعَدْلٍ، وعَدَل عليه في القضيَّة، فهو عادِلٌ، وبَسَطَ الوالي عَدْله ومَعْدِلَته.

وفي أسماء الله سبحانه: العَدْل، هو الذي لا يَمِيلُ به الهوى فيَجورَ في الحكم، وهو في الأصل مصدر سُمِّي به فوُضِعَ مَوْضِعَ العادِل، وهو أبلغ منه لأنه جُعِلَ المُسَمَّى نفسُه عَدْلاً، وفلان من أهل المَعْدِلة أي من أهل العَدْل.

والعَدْلُ: الحُكْم بالحق، يقال: هو يَقْضي بالحق ويَعْدِلُ.

وهو حَكَمٌ عادِلٌ: ذو مَعْدَلة في حكمه.

ورَجُلٌ عَدْلٌ بيِّن العَدْل والعَدَالة: وُصِف بالمصدر، معناه ذو عَدْلٍ.

والعَدالة والعُدولة والمَعْدِلةُ والمَعْدَلةُ، كلُّه: العَدْل.

والعَدْلُ الذي لم تَظْهَر منه رِيبةٌ.

وكَتَب عبدُ الملك إلى سعيد بن جُبَير يسأله عن العَدْل فأجابه: إنَّ العَدْلَ على أربعة أنحاء: العَدْل في الحكم، قال الله تعالى: وإن حَكَمْتَ فاحْكُمْ بينهم بالعَدْل.

والعَدْلُ في القول، قال الله تعالى: وإذا قُلْتُم فاعْدِلوا: والعَدْل: الفِدْية، قال الله عز وجل: لا يُقْبَل منها عَدْلٌ.

والعَدْل في الإشْراك، قال الله عز وجل: ثم الذين كفروا برَبِّهم يَعْدِلون؛ أي يُشْرِكون.

وأما قوله تعالى: ولن تَسْتَطِيعوا أن تَعْدِلوا بين النساء ولو حَرَصْتُم؛ قال عبيدة السَّلماني والضَّحَّاك: في الحُبِّ والجِماع.

وفلان يَعْدِل فلاناً أي يُساويه. ويقال: ما يَعْدِلك عندنا شيءٌ أي ما يقَع عندنا شيءٌ مَوْقِعَك.

وعَدَّلَ المَوازينَ والمَكاييلَ: سَوَّاها.

وعَدَلَ الشيءَ يَعْدِلُه عَدْلاً وعادَله: وازَنَه.

وعادَلْتُ بين الشيئين، وعَدَلْت فلاناً بفلان إذا سَوَّيْت بينهما.

وتَعْدِيلُ الشيء: تقويمُه، وقيل: العَدْلُ تَقويمُك الشيءَ بالشيءِ من غير جنسه حتى تجعله له مِثْلاً.

والعَدْلُ والعِدْلُ والعَدِيلُ سَواءٌ أي النَّظِير والمَثِيل، وقيل: هو المِثْلُ وليس بالنَّظِير عَيْنه..[2]

والعدل لا يقوم بناءه إلاّ بإحقاق الحق، وهو من الفضائل الأربعة الرئيسية في الفلسفة اليونانية والمتكونة عند أفلاطون من؛ الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة.

وسئل (عليه السلام) : أيهما أفضل: العَدل، أو الجود ؟ فقال (عليه السلام) : العَدْلُ يَضَعُ الأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَالجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا، وَالعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَالجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا.

وأخلاقية العدالة تدخل في الإسلام ضمن كل أنشطة الحياة المنظورة وغير المنظورة، في النية والعمل والنتائج..

---

[1] - راجع على سبيل المثال : هاشم حسين ناصر المحنك / الإدارة والأسلوب القيادي في نهج البلاغة / دار أنباء للطباعة والنشر / النجف الأشرف / العراق .

[2] - راجع ؛ إبن منظور / لسان العرب / مج ١١ / دار صادر - دار الفكر / بيروت / لبنان / ط ٣ / ١٩٩٤.

ولذا يؤشر في أدبيات كل علم، أنّ الأخلاق والعدالة يأخذان خصوصياتهما في التطبيق والنتائج..

ومما يدخل ضمن العهد المبارك؛ الإدارة بشقيها: الإدارة العامة Public Administration التي هدفها يرتبط لتحقيق المصلحة العامة وارتباطها بعموم الناس وليس بالضرورة تحقق الربح، وتمويلها من ميزانية الدولة وتخضع للمحاسبة الحكومية، والكادر الوظيفي عمومي وتنطبق عليهم قوانين وقواعد ولوائح الخدمة الحكومية المدنية من الاختيار والاختبار والتعيين والفصل والتقاعد والعلاوة والترقية، وعددهم وتشكيلات كبيرة ومنها جانب التخصصات المالية والإيرادات، وحمايتهم أثناء القيام بواجباتهم ومهامهم وفق قوانين لتحقيق الأهداف والغايات العامة، وبشكل عام تتخصص هذه الأجهزة بالجانب الخدمي ويغلب هذا الطابع عليه، وتخضع لمختلف الرقابات وخصوصاً الرقابة الشعبية، وهي بهذا تمنح صلاحية محدودة ويؤدي إلى إنجاز أبطأ وروتين أكبر، ويختلف بالعموميات المتقدِّم الذكر عن إدارة الأعمال Business Administration حتى في طبيعة عمليتي صنع واتخاذ القرارات وما يترتب عليها من أدوار ومهام وأسلوب تحقيق الأهداف..[١]

المبحث الثاني

أخلاقية العدالة وبعدها السياسي والإداري

يبدأ عهد الإمام علي (عليه السلام) باسم الإشارة (هذا)، الذي سبق كلمة (أمر)، ويعني أنّ هناك جهة اختيار للوظائف العامة وشاغله وصنع واتخاذ القرار Decision Making & Taking من القيادة العليا المتمثلة بحكومة أمير المُؤْمِنِين الإمام علي (عليه السلام) ، وهي وحدة أوامر التي تتطلبها القيادة..

ووحدة الأوامر مبنية على خطة عمل واستراتيجيات Strategies، جميعها تنصب في بودقة العهد، والهدف والغاية تنصب في الرقعة الجغرافية الموجّه إليها وهي (مصر)، والزمن (حين) ولاّه (عليه السلام) الولاية، ويعني هناك مسؤوليات شاملة بشمول النشاط الذي سيقوم به الشخص المحدد المتمثل بالأشتر (رض)، والتي تبدأ المسؤوليات Responsibilities بالبعد السياسي والإداري، وما يرتبط عليها من تحديد الرقابة Control ومستوى المركزية Centralization واللامركزية Decentralization وما يتطلبه من التزام أمام اللوائح والقوانين المعمول وفقها ، وما يكون عليه من القانون الإداري Administration Law المتكون من مجموعة القواعد القانونية الحاكمة لإدارة الدولة، بما فيه عملية صنع واتخاذ القرارات والإلزام بالجزاء على مَنْ خالفتها، وتدخل موجه ومنظم للإدارة العامة، بما فيها من مختلف الوظائف لتأدية مهامها الموكلة إليها، وبالرقابة المحددة ومن ضمنها الرقابة القضائية وما تشرعه الدولة بخصوص ذلك، وقد يكون المنظم والمحدد ما يتضمنه القانون الدستوري Constitutional Law المتكون عموماً من مجموعة القواعد الأساسية المحدد لطبيعة ما تكون عليه الدولة وما ترسمه من قواعد الحكم فيها وما تحدده من الضمانات الأساسية لحقوق الإنسان وما تبين من سلطات الدولة وتنظيمها وتبيان الاختصاص لهذه السلطات، وقد يختلف عن مفهوم الدستور Constitution بتفاصيل ما يتضمنه القانون الدستوري من المبادئ، وإلزامية ذلك وطبيعة الآلية وما إليه..[٢]

---

[١] - راجع مثلاً :

- Dess , Gregory G. & Other " Strategic Management ; creating competitive advantages " ٣th Ed . , McGraw-Hill Companies, Inc., New York, Americas, ٢٠٠٧.

- Glueck, William F. & Jauch, Lawrence R., " Business Policy And Strategic Management " , ٤ed , Megraw- Hill International Book Co., Tokyo , ١٩٨٤ .

[٢] - ينظر مثلاً :

ومحاور تنفيذ الأمر الرئيسية التي تشمل عمومية مباحث الدراسة تتكون من:
جِبَايَة خَرَاجِهَا، وهي أقوى دعم للدولة وانطلاقها، سواء كان ذلك من أنشطة الدولة الاستثمارية، أو الضرائب المترتبة على أنشطة الناس الاقتصادية.. ولا يمكن أن يكون إلاّ بوجود دعامة الأمن من التهديدات الداخلية والخارجية، المتجسدة بجهاد العدو..
وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، مرتبط بمن يدعمه، ألا وهي القوى البشرية والآلة الحربية والاستقرار النفسي واستعمال الكلمة، ومستوى تبادل الثقة بين السلطة والناس.. ولا يكون ذلك إلاّ باستصلاح أهلها؛ نفسياً واقتصادياً واجتماعياً وتربوياً وثقافياً وتوعوياً.. إلخ.
وَاسْتِصْلاحَ أَهْلِهَا، لا يكون إلاّ بوجود الاستعدادات النفسية والرغبة والقدرة وتبادل الثقة بين الدولة والرعية، بتقديم أفضل الخدمات وتمهيد الأرضية المناسبة لأنشطتهم بحرية ما يتطلبه الظرف أو ما مهّدت له الشريعة الإسلامية.. ولا يكون ذلك إلاّ بعمارة البلاد وازدهارها وتطورها ونموها..
وَعِمَارَةَ بِلادِهَا، الثمرة الحقيقية والمؤشر الواضح لنجاح الحكومة في أي البلدان من العالم، وهو أساس الجباية والحماية والبناء الاجتماعي والاقتصادي والتربوي والثقافي والحضاري.. وما ينطوي عليه من فلسفة الدولة وأنشطتها المختلفة، وفي ضوء ذلك يمكن وضع المخطط التالي:

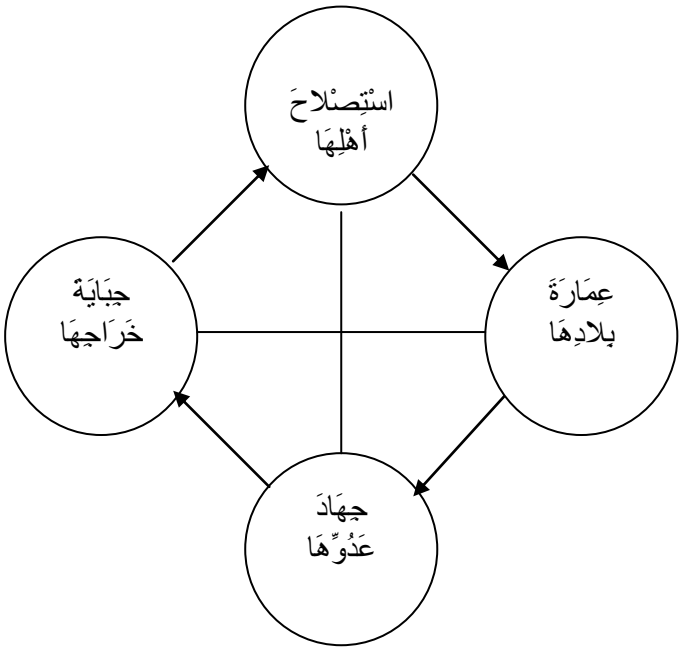

مخطط (١) يبين دورة تطور ونمو الحياة والحضارة

ولا بدّ من أرضية ينطلق منها القائد أو الحاكم العادل، ووفق عهد الإمام علي (عليه السلام) المبارك:
- بتَقْوَى اللهِ تعالى.. والتقوى في الطاعة تمثل الإخلاص لله عزّ وجل، وهو الاحتراز وصيانة النفس من العقوبة بطاعة الله، ليكون ميدانياً؛ التُّقَى رَئِيسُ الأَخْلاقِ؛ كما قال (عليه السلام).
- إيثَارِ طَاعَة الله عزَّ وجل، وهو ما يحقق الالتزام الأخلاقي في كل مناحي السلوك والأعمال والتعامل مع الطرف الآخر وفق ما أنزله ﷻ..

- د . عاصم الأعرجي / مبادئ الإدارة العامة ؛ منظور سلوكي معاصر / مطبعة شفيق / بغداد / العراق / ط١/ ١٩٩٠ .

- إتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ (القرآن الكريم): مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلا يَشْقَى إلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسانِهِ؛ فإنَّـهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.
ولا يحقق وجوده في ساحة أخلاقية العدل ويتلمس المناخ النقي للسياسة وتطبيقاتها الإدارية إلاّ؛ (أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الجَمَحَاتِ، فإنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بالسُّوءِ، إلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ).

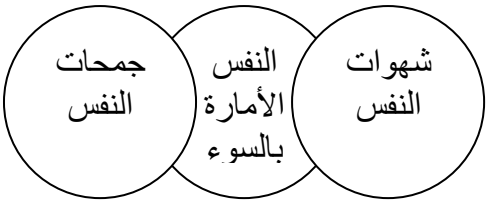

مخطط (٢) يبين منظومة القوّة النفسية التدميرية للإنسان

والسيطرة على النفس، بما يكفُّها عن شهواتها وما ترمي إليه من إشباع الغريزة الجامحة، والحيلولة دون تفعيل النفس الأمّارة بالسوء، تبنى منظومة القوّة البناءة للإنسان؛ بمكوناتها الفكرية والنفسية والسلوكية، ومرشحاتها المتمثلة في النفس اللوامة والنفس المطمئنة، وهي للشخص القيادي؛ منظومة قوّة متعاظمة، لتنفيذ المهام الموكلة إليه وفق الخطط المرسومة، بوساطة الآخرين مِمّن هم أهلاً بموضوعية ومؤتمنين على انسيابية العمل لتحقيق الأهداف والغايات، بما فيه خدمة الناس، وما يؤدي إلى انعكاسات مستقبلية لتواصل تنفيذ الخطط المرسومة، وتواصل النمو والتطور..
وللتاريخ السياسي أمرٌ فاعل وحاضر في فكر الناس وما جرى ويجري عليهم وما يترسب عنه من آثار على الوعي واللاوعي لديهم، مؤثراً في تجاوبهم وتعاونهم مع الشخص القيادي، لذا يسبقه بتطبيق أخلاقية العدل والرحمة، للوصول إلى تحقيق البعد الإنساني، وذلك بالقول:
(ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وجَّهْتُكَ إلى بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ).
والاستعدادات النفسية والرؤى تبادلية بين القائد والناس؛(وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُستَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ العَمَلِ الصَّالِحِ، فامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ).
والنص المبارك المتقدِّم يحمل في طياته الكثير من الجوانب منها ما يدخل ضمن:
علم النفس السياسي المتمثل بـ (بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ) والنتيجة (وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ)..
النظرة الأخلاقية لإدارة البلاد والعباد، يكون تقويم التطبيقات ونتائج أخلاقية العدل من خلال المعلومات المرتدة للرأي العام؛ (وَإِنَّمَا يُستَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ)، وهو ما تهتم به العلوم السياسية..
أمّا الجانب الآخر للسلوك القيادي المبني على الاستعداد وقوة الشخصية ومما يحمله من بُعد فكري تربوي قيادي، نابع من أَحَبَّ الذَّخَائِرِ ذَخِيرَةُ العَمَلِ الصَّالِحِ، ولا يكون ذلك إلاّ بأن تمْلِكْ أيها القيادي هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ، والسبب (فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ).
وما يدخل ضمن السلوكيات القيادية وعلم النفس التنظيمي والإداري وحتى السياسي، بشقيه النفسي والاجتماعي هو قوله (عليه السلام) :

(وَلا تَنْدَمَنَّ عَلى عَفْوٍ، وَلا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلا تُسْرِعَنَّ إلى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلا تَقُولَنَّ: إنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فأُطَاعُ، فَإنَّ ذلِكَ إدْغَالٌ فِي القَلْبِ، ومَنْهَكَةٌ للدِّينِ، وتَقَرُّبٌ مِنَ الغِيَرِ. وَإذَا أحْدَثَ لَكَ مَا أنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أوْ مَخِيلَةً، فانْظُرْ إلى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإنَّ ذلِكَ يُطَامِنُ إليكَ مِنْ طِمَاحِكَ، ويَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، ويَفِيءُ إلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ !).

فلو جزّئنا النص المتقدِّم لرأينا:

وَلا تَنْدَمَنَّ عَلى عَفْوٍ؛ وهو ما يدخل ضمن القدرة القيادية في دقة اتخاذ القرار، وإعطاء الفرصة المواتية لإصلاح النفس والإفادة من القدرات وبث الرغبات، ويشمل مضامينه علم النفس الإداري أو التنظيمي والقيادي، وما يحمله من قوّة شخصية القيادي..

وَلا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ؛ لكون العقوبة وجِدّت لتكون ردعية وإصلاحية وليست انتقامية، لكونها آخر الدواء الكَي والمتمثلة صورته بالعقوبة المناسبة بالتوقيت والموقع والموقف، وهو ما يتوجب أن يعرفه ويكون من مبادئ القيادي القوي الشخصية..

وَلا تُسْرِعَنَّ إلى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً؛ لكون الإسراع في كل شيء بدون رويّة وتخطيط، لا يأخذ مفعوله للتطوير والنمو في المشاريع المختلفة..

- وَلا تَقُولَنَّ: إنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فأُطَاعُ، - والسبب -؛ فَإنَّ ذلِكَ إدْغَالٌ فِي القَلْبِ، ومَنْهَكَةٌ للدِّينِ، وتَقَرُّبٌ مِنَ الغِيَرِ. وهو دليل ما يتطلبه الحكم والقيادة إلتفويض بالمسؤولية وتحمُّل المسؤولية ويكون الشخص المكلف بها أهلاً لها، وأيضاً يدل على ضرورة اللامركزية في الحكم أو القيادة، لكونها تحقق تنمية القدرات القيادية، وتبني الاستعدادات والقدرات والرغبات في النهوض في التنمية والتطوير وخدمة الناس تقرُّباً لله بذلك، وتسهِّل أمور كثيرة، بما فيها اختزال الوقت للبناء..

وَإذَا أحْدَثَ لَكَ مَا أنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أوْ مَخِيلَةً، فانْظُرْ إلى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، - والسبب - فَإنَّ ذلِكَ:

يُطَامِنُ إليكَ مِنْ طِمَاحِكَ.

ويَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ.

وَيَفِيءُ إلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ !

ولا يكون ذلك إلاّ وفق دراسة وتخطيط، لا يبتعد عنه الجانب الإنساني، ومنه العفو، وعدم التسرع في العقوبة، والمبدأ الإنساني النفسي الذي يحل مشكلة الخطأ، وبالخصوص الخطأ المتعمَّد، وما يقابله من عقوبة، والذي يُبني وفق معيار تشريعي محددة بمبدأ (ازْجُرِ المُسِيءَ بِثَوَابِ المُحْسِنِ)، ويضع مجالاً للجانب الاستشاري والتنفيذي، وقد يجمع بينهما، وخصوصاً في المواقف الخطرة، وهو أعلى مستوى متقدِّم لمراتب حقوق الإنسان ولأخلاقية العدالة، لهذا لا يكون في كل خطأ عقوبة، وخصوصاً لمَنْ هو متعمِّد وفي عطاء واستعداد للمزيد من العطاء..

وهو ما يؤكده نص آخر للإمام علي (عليه السلام) : (وَلا يَكُونَنَّ المُحْسِنُ وَالمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإحْسَانِ فِي الإحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لأَهْلِ الإسَاءَةِ عَلى الإسَاءَةِ ! وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ).

وهو أدق نظام إسلامي وإنساني حضاري للحوافز، لكونه لا يحمل إلاّ أدق وأعمق أخلاقية للعدالة، فالمحقق للنتاج الفكري والإنتاج المادي أخذ حقه الحقيقي وضمن منافسة لرفع معنوياته، وإصلاح شأن المسيء وتقويم سلوكياته والتأثير عليها وتوجيهها نحو البناء والعطاء والاستعداد لبذل المزيد من السعي والمثابرة، وتحسين أداءه ليصل إلى مستوى زميله المعطاء..

وأيضاً ومن أجل تنمية القدرات على العطاء والأداء العالي High Performance وتحقيق أدق أخلاقية العدالة، يتوجب السعي وأداء أفضل السلوك القيادي القويم، وذلك أن يضع الشخص القيادي نصب عينيه عِظَم الخالق وعِظم ملكه وعظيم قدرته عزّ وجل، وبها يرى صِغر حجمه

وحجم ملكه وقدرته، ويتمثل لأخلاقيات القيادة وعدالتها، وهو أسلوب للعلاج النفسي ووقايته من جموحها فتُهلكه وتُهلك ملكه مادياً أو معنوياً..[1]

ومنهج الشخص القيادي أن يتطلّع إلى ما يوحِّد كلمة معيّته ورعيته ويرعى مستقبلهم، ويحقق ما يصبو إليه العامة لا الخاصة، وهنا للرأي العام أمرٌ في غاية الحساسية والخطورة، وهو ما يؤثر وينعكس آنياً ومستقبلاً على السلوك الجمعي أو الجماعي، مع مراعاة الحق والعدالة وبأرفع مستوى من الأخلاقية، ولذا يقول الإمام علي (عليه السلام) :

(ولْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ:

أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ.

وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ.

وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ.

وفلسفة ذلك وإستراتيجيته القيادية وخصوصاً في ظل وعي الناس:

فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ).

ويواصل الإمام (عليه السلام) :

(وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي:

مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ.

وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاءِ.

وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ.

وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ.

وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ.

وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ.

وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ.

وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ؛ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ).

ويتمثل مما يُثقل على الوالي كما تم تجزئته من النص من أمور التعاون التبادلي بينه وبين الناس التي تكون ليس في أوانها.. وما يلحقها من مكانة العامة وبالخصوص الممتلكين الأدوات الموجهة بالوعي فيكونون كما يوضحه المخطط التالي:

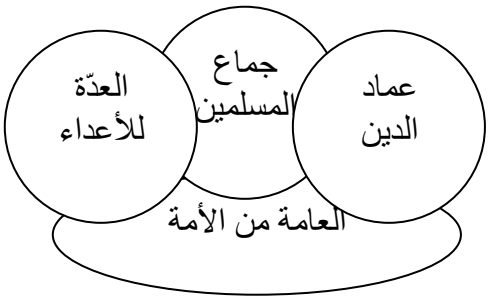

مخطط (٣) يبين مكانة العامة للدولة وأخلاقيات العدالة

[1] - راجع :

- Wran, Daniel A., & Dan Voich ,Jr. " Management : Process Structure And Behavior " , John Wiohn Wiley & Inc. , New York , ١٩٨٤ .

ويضيف (عليه السلام) مما له علاقة وثيقة بأخلاقيات العدالة من الزاويتين السياسية والإدارية، وجانب منه يتداخل فيه؛ علم الاجتماع السياسي وعلم الأخلاق السياسي وعلم النفس السياسي وعلم النفس الإداري أو التنظيمي:

(وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ).

ولجانب مسؤولية الرقابية وما يتطلبه من عيون للأمن والاستخبارات والمخابرات، هدفه وغايته تماسك المجتمع وحمايتهم التقويمية، لا الانتقام والتشبُّث التدميري بالسلطة، وبهذا الخصوص الأخلاقي للعدالة السياسية الإدارية، يقول (عليه السلام) :

(أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لا يَضِحُ لَكَ، وَلا تَعْجَلَنَّ إِلى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ).

ولا يقتصر رأي القائد على ما يُمليه رأيه، بمعنى آخر لا يستبد برأيه دون المشورة مِمّن هم أهلاً بالعلم والخبرة والدراية، وكل مَن يكون موضع ثقة وموضوعي في إبداء الآراء، وله المواصفات التي يوضحها أمير المؤمنين (عليه السلام) من خلال عهده للأشتر (رض) حيث يقول:

(وَلا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الفَقْرَ، وَلا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الأُمُورِ، وَلا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالجُورِ، فَإِنَّ البُخْلَ وَالجُبْنَ وَالحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ).

وجدير بالذكر بأنّ الاستشارة بطبيعتها غير ملزمة للجهة أو السلطة التنفيذية، غي إنها ضرورية لاستقامة الخطط والتنفيذ وما ينعكس أثناء أو بعد التنفيذ..

ومن أجل أن تتحقق بلورة الخطط أو القرارات الدقيقة، يتطلب أن يتم رعاية العلم والعلماء، والابتعاد عن أشباه العلماء.. وقوّته (وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ العُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ الحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ).

وهو بُعد آخر لدعم سياسة الدولة وإدارتها وفق استراتيجيات من شأنها أن ترفع من شأن البلاد، وتُبْعده عن مخاطر الفساد الفكري وانحرافه..

والخطوة الأخرى لحماية الدولة والحكومة ومستقبليهما، قيام المبدأ السياسي والإداري؛ (إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ فَلا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَئِمَّةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ: أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الحَقِّ لَكَ، وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. وَالْصَقْ بِأَهْلِ الوَرَعِ وَالصِّدْقِ؛ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلاَّ يُطْرُوكَ وَلا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ العِزَّةِ).

وكلما انطبق وصف الوظيفة على مواصفات شاغلها، تحقق تنفيذ المهام بأدق وأفضل نتاج، وكان الشخص المناسب في المكان والتوقيت المناسب، وابتعاد كل المستويات الوظيفية عن الفساد المالي والإداري مع مراعاة المصلحة العامة، وما يحقق التطور والنمو..

وقوة أخلاقية العدالة تولّد الثقة المتبادلة بين الراعي ورعيته أو الشخص القيادي ومعيّته من العاملين معه، ولذا يقول (عليه السلام) :

(وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ المَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ. فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً. وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ).

ويتطلب التغيير؛ الأرضية القوية والصالحة والمناسِبة بالتوقيت والمكان والموارد البشرية، في حالة اتجاه التغيير إلى الأحسن والأصلح، أمّا إذا كان التغيير خلاف ذلك، من شأنه أن يُربك الوضع الأمني والسياسي والإداري والاجتماعي، وقد لا يُحمد عُقباه، ولهذا يقول (عليه السلام): (وَلا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هذِهِ الأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ. وَلا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا).

والرادع العظيم للفساد الإداري والمالي، ما يحمله الشخص من قويم البيئة التربوية ومعايير السلوك التنظيمي والقانوني، وما يكون عليه الدور الأساسي للجهاز الحكومي، وبموجبه يكون من مؤهلات الاختيار؛ (ثُمَّ الصَقْ بِذَوِي المُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلُ البُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الحَسَنَةِ؛ ثُمَّ أَهْلُ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ العُرْفِ)، وبه تتقوّم سياسة الدولة وتتواصل في مسيرتها التنموية الحقيقية، وضمان اختيار المستويات الإدارية على شاكلته، فتستقيم الحياة..

وإذا لم يتم الاختيار على وفق معايير مدروسة ومتوافرة لدى الشخص، سيكون مجالاً لاستشراء الفساد الإداري الذي يتم استغلال موظف الدولة لصلاحياته ومسؤولياته وموقعه الوظيفي بشكل غير مشروع ليحصل على مكسب غير مشروع.. أو قد يكون أداء أو تنفيذ الأعمال المخالفة للقوانين أو اللوائح أو التشريعات أو التعليمات، بشتى الوسائل المادية وغير مادي، المباشرة وغير المباشرة أو باستغلال الثغرة أو الفجوة في تلك القوانين واللوائح..[1]

وقد يكون منفذ لفساد مالي بالاستغلال غير المشروع لكسب مادي.. وقد يشمل الجانبين فيكون الفساد الإداري والمالي، وربما يدخل كل الأنشطة فيدمِّر أهدافها وغاياتها، ويدخل هذا الفساد جانب من انحراف السلوك الإداري..

وأخلاقية العدالة تسهم بشكل فاعل في علاج هذا الجانب أو الوقاية منه بالاختيار الدقيق ووضع الشخص المناسب في المكان والتوقيت المناسبين، وهو ما أشار إليه النص التقدِّم المبارك..

وبُعد آخر يكون دعم وركيزة القدرات والرغبات والاستعدادات المادية والمعنوية؛ هي القوّة العسكرية التي تكون مبعث طمأنينة وسلام وحماية المنجزات المنفذة على أرض الواقع، ولذا يحتاج الشخص القيادي مبدأ؛ (فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً، مِمَّنْ يُبْطِيءُ عَنِ الغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلى العُذْرِ، ويَرْأَفُ بالضُّعَفاءِ، وَيَنْبُو عَلى الأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لا يُثِيرُهُ العُنْفُ، وَلا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ).

وهنا وصف الوظيفة تتوجّب أن تتطابق مع مواصفات شاغلها يكون:

أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلإِمَامِكَ،

وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً، أي لا يدخل مال الحرام في مورده المالي والمبتعد عن السلوك المنحرف، وبهم يحمي الدين والدولة..

وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً، لكون الحلم يحقق التأنّي في اتخاذ القرار في أمور قد تجرُّ البلاد والناس إلى هاوية الحرب أو التدمير أو العنف، أو على أقل تقدير، أن يتخذ قراره في الوقت والمكان المناسبين..

مِمَّنْ يُبْطِيءُ عَنِ الغَضَبِ، وهو يتقوّم بالحلم ويكمله..

وَيَسْتَرِيحُ إِلى العُذْرِ، لكون ليس كل ما يخطأ به المؤدي لمهامه، هو يستهدف التخريب أو الإخلال بالأمن والاستقرار..

ويَرْأَفُ بالضُّعَفاءِ، فليس وجود القوّة الأمنية هي للانتقام، وإنما لحماية كل ضعيف من الأقوياء، وخصوصاً مَنْ يُريد التعدّي على رقاب الناس وأموالهم، وبه يحقق أخلاقية العدالة..

وَيَنْبُو عَلى الأَقْوِيَاءِ، أي يتجافى عنهم ويبعد..

---

[1] - راجع : - د . عائشة راتب / التنظيم الدولي ؛ القواعد العامة – الأمم المتحدة / الكتاب الأول / دار النهضة العربية / القاهرة / مصر / ١٩٧٠ .

وَمِمَّنْ لا يُثِيرُهُ العُنْفُ..
وَلا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ..

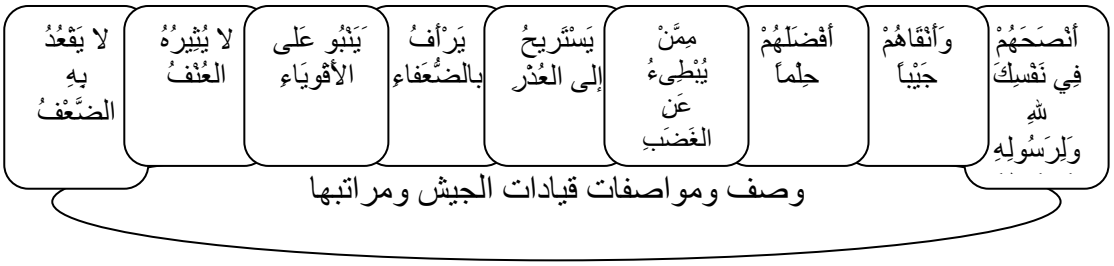

مخطط (٤) يبين ما يتطلبه قيادة ومراتب الجيش من وصف ومواصفات المهام العسكرية

وبذات الوقت؛ ما تقدّم ذكره يكون المناخ الوقائي المناسب في الاختيار الأخلاقي العادل، للابتعاد عن الفساد الإداري والمالي والأمني، أو على أقل تقدير، تحقيق هيبة الدولة، لتصبح دولة قانون، بحماية الجيش النزيه المستقل..

وتكامله (ثمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ:

مِمَّنْ لا تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ. (لِما يحمله من قابليات ومؤهلات تتعدى أو بمستوى المهام، مِمّا يؤهله لتنفيذ الأعمال وفق المرسوم لها)

ولا تُمَحِّكُهُ الخُصُومُ. (له بُعد الصبر على الملمات، وإمكانات واستعدادات لاحتواء المشكلة، ووضع الحلول المناسبة لها، وهو يحتاج إلى قدرة نفسية لسماع المشكلة مهما كانت من قوّة وخطورة، فلا يصرُّ على رأيه ولجوجاً..).

وَلا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ. (ولا يستمر ويسترسل في السقطة في الخطأ، بل يحسب عواقب الأمور والسيطرة عليها وعلى آثارها المستقبلية، فالانحراف أثناء التنفيذ لابدّ أن يكون لها علاجها المطلوب لئلا تتفاقم خطورة الانحرافات، وهو ما يُضعِف مكانة الشخص القيادي).

وَلا يَحْصَرُ مِنَ الفَيْءِ إلى الحَقِّ إذَا عَرَفَهُ. (فالفيء والحق متلازمان؛ في تقسيمه بين ما تحتاجه الدولة وما تحتاجه العامة، للوصول إلى أخلاقية العدالة في التوزيع).

وَلا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلى طَمَعٍ. (لأبعاد النفس وقوّة الإرادة لقويم السلوك، أمرٌ ضروري، للحيلولة دون انحرافها والسقوط في شرك الفساد الإداري والمالي، وما ينعكس على الرأي العام..).

وَلا يَكْتَفِي بِأدْنَى فَهْمٍ دُونَ أقْصَاهُ. (يعني لابدّ من الإحاطة بكل ملمات المشكلة وأسبابها وآثارها ومستوى تطورها الآني والمستقبلي، وكيفية السيطرة عليها وعلاجها، من أقربه إلى أبعده).

وَأوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ. (وللشبهات خطورتها وما يترتب عليها، لعدم وضوح الحكم فيه بالنص، لذا لابدّ من الحد منها لئلا يُرتكب الأخطر منها إعادته إلى الجهة المعنية به، وهنا لابدّ من تفعيل التخصص وتقسيم العمل، وهو مبدأ من مبادئ الإدارة في اتخاذ القرار).

وَآخَذَهُمْ بالحُجَجِ. (وتبادل الآراء أمرٌ لمنطلق البناء وفق الفكر الأرجح، والتي قد تدخل ضمن الاستشارة ووضع الخطط ومواكبة تنفيذها).

وَأقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الخَصْمِ. (فمن صفات الشخص القيادي لا يطرأ عليه الضجر والملل، وتدخل مضامينه ضمن علم النفس الإداري).

وَأصْبَرَهُمْ عَلى تَكَشُّفِ الأُمُورِ. (ومما تعني قدرة الشخص القيادي على السيطرة النفسية، فبلا صبر وتأنّي، قد ينحرف تنفيذ ما مخطط له، أو يكون صنع القرار واتخاذه في أي مجال ليس بمستوى المهام).

وَأصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الحُكْمِ. (منهج الحكم يحتاج إلى الحزم في اتخاذ القرار في الحكم دون تردد، وذلك عند وضوح الحكم المطلوب اتخاذه، والمطابق للشريعة، فيكون أقطعهم لخصومة وأمضاهم..).

مِمَّنْ لا يَزْدَهِيهِ إطْرَاءٌ. (وهنا تتجلى القدرة القيادية المستوعبة لكل ما يدور حولها، فلا يحمل الرجل القيادي الغرور عند زيادة الثناء، فينسى رسالته في أخلاقيات العدالة والتي يبدأ تطبيقها على القيادي، ثم الانطلاق في خدمة المهام الإنسانية.. وهو ما يأخذ بُعده النفسي والسياسي والإداري).
وَلا يَسْتَمِيلُهُ إغْرَاءٌ. (فالغور بالحكم والمسؤولية بلا إنسانية التطبيق الإداري والسياسي وأخلاقية العدالة الذي يحد من طغيان المنصب، ينحدر في خطورة الظلم ووخامته، فمراجعة النفس التقويمي يحقق صونها من الانحراف والتدمير..). وَأُولئِكَ قَلِيلٌ.
ولذا فإذا تعذّر مطابقة ما يوضع من وصف الوظائف أولاً، يمكن مؤقتاً أن نطابق أفضل مَنْ له المواصفات ضمن النسب المبني على التفاضل في الوصف الوظيفي، حتى يتسنّى تأهيل واختيار مَنْ ينطبق عليه الوصف الوظيفي..
والتشجيع على إسهام الأفراد في أخذ أدوارهم الحقيقية وفق ما يتم من كسب المهارات والكفاءات والمؤهلات؛ بالتعلم والتعليم والتدريب، وبطابعها المهني والتخصصي، والتحفيز بالمكافآت المادية وغير المادية، لتقديم أفضل الخدمات وتطوير أدورهم وبما يقتضيه طبيعة المؤسسة والمستويات والأنشطة الوظيفية، ويلعب الاختيار الدقيق والمناسب في تنمية وتطوير القابليات والإمكانيات، لتواكب كل تطور يحصل وفق التغيرات والتطورات الخارجية..
وتكاملاً لِما تقدّم، وبتقسيم وتوزيع المهام وتفعيل التخصص الوظيفي وبناء البعد اللا مركزي الملائم والمثمر في إدارة شؤون البلاد:
ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ
وَافْسَحْ لَهُ فِي البَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ.
وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إلى النَّاسِ.
وَأَعْطِهِ مِنَ المَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ.
فانْظُرْ فِي ذلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإنَّ هذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بالهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا).
وهكذا تكون العدالة الأخلاقية الذي يُطلب فيها الآخرة، فيجني كرامة الدنيا وحُسن ما بعدها، لتنطلق في منهج وصف ومواصفات الوظيفة، والداخلة ضمن تخصص إدارة الموارد البشرية، المرتبطة بالإدارة والنجاح السياسي الجماهيري أو الجماعي، وهو ما يدخل ضمن علم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الإداري وعلم النفس الإداري..
والاختيار والتعيين لكل المستويات الإدارية، أمرٌ يجمع بين السياسة والاجتماع والتربية وسلوك الإدارة القويم وربما الإقتصادي.. وتقويماً (ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الجَوْرِ وَالخِيَانَةِ)، ولكون الرشوة والمحسوبية والمحاباة والابتزاز وهدر المال العام وما شاكلها، تنبثق من الاختيار غير الصائب، وهي بطبيعة الحال أوجه متعددة للفساد الخطر، والمدمِّر لقويم النظام وانسيابيته وفاعليته..
والوقاية من الفساد والانحراف، هو ما يتوجب أن تبنى وفق السمات والرغبات والمؤهلات والاستعدادات والقدرات؛ (وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ البُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الإسْلامِ المُتَقَدِّمَةِ، فَإنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي المَطَامِعِ إشْرَاقاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراً).
ويأتي دور تقييم الوظائف المبني على سياسة العدالة والمساواة والتكافؤ؛ (ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ:
فَإنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلى اسْتِصْلاحِ أَنْفُسِهِمْ.
وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ.
وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ.
ومنطلقاً من فلسفة سبغ الأرزاق وما تقدّم ذكره من استصلاح النفس وضمان ماديات الحياة وفق تنمية الأمانة والامتثال لوحدة الأوامر واستيعاب حقيقة الدنيا وما هي آيلة إليه من زوال؛ (ثُمَّ

تَفَقَّدْ أعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ العُيُونَ مِنْ أهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بالرَّعِيَّةِ. وَتَحَفَّظْ مِنَ الأعْوَانِ؛ فَإنْ أحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إلى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ العُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأخَذْتَهُ بِمَا أصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ المَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بالخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ).

وكلما كان تحليل وتقييم الوظائف وتقويم الأداء يحمل أخلاقية العدالة، كلما ابتعد الفرد الشاغل للوظيفة عن مغريات الحياة، ويبتعد عن ارتكاب المفاسد وفي مقدمتها الفساد الإداري والمالي، وخصوصاً مَنْ تزلُّ الماديات قدميه، وهمومه الدنيوية أكبر من همومه الأخروية..

وبخصوص الاختيار وتولية المسؤولية لِخيرهم ومَنْ هو أهلاً لها، وخصوصاً ما يتعلق بالرسائل وأسرار الدولة.. يضيف (عليه السلام) :

(ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأسْرَارَكَ بأجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الأخْلاقِ مِمَّنْ:

لا تُبْطِرُهُ الكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِيءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلإٍ.

وَلا تَقْصُرُ بِهِ الغَفْلَةُ عَنْ إيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ.

وَلا يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ.

وَلا يَعْجِزُ عَنْ إطْلاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ.

وَلا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الأُمُورِ، فَإنَّ الجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أجْهَلَ).

ولمعرفة القدرات والاستعدادات وما يرتبط بذلك، والأعمال المتطلب إنجازها، يحقق أفضل ما مطلوب لوضع تخطيط الموارد البشرية Planning Human Resources..

وأيضاً يكون الاختيار بمطابقة وصف الوظيفة مع مواصفات شاغلها وعملية الاختيار Selection Process يبدأ من انتقاء الأفراد بموجب مبدأ الجدارة وبمنظور طبيعة العمل وما يطرأ عليه من تطور ونمو، وما يتطلبه من التحليل المسبق لأداء العمل أو الوظيفة؛ (ثُمَّ لا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الوُلاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالأَمَانَةِ شَيْءٌ. وَلَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فاعْمِدْ لأحْسَنِهِمْ كَانَ فِي العَامَّةِ أثَراً، وَأعْرَفِهِمْ بالأَمَانَةِ وَجْهاً، فَإنَّ ذلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ للهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أمْرَهُ. وَاجْعَلْ لِرَأسِ كُلِّ أمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رأساً مِنْهُمْ، لا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ).

وكأنّ النص المبارك اعتمدته أحدث أساليب إدارة الموارد البشرية في فلسفة الاختيار من النصيحة والأمانة، وما يلحقه من شروط الاختبار وعدم إغفال أهمية الخبرة المتراكمة في ظل الصالحين، وتحديد مهام أعمالهم ضمن الخريطة التنظيمية والهيكل التنظيمي، لتتحقق أخلاقيات العدل بالرقابة والإشراف، ليكون التقييم والتقويم؛ وفق موضوعية يدعمها فقه الأعمال، لإحقاق الحق دون ميول لا يوصَل بأخلاقيات الحق والعدل والمساواة..

والدعم الحكومي لتذليل الصعاب أمام منفذ المهام الموكلة إليه، بكل متطلباتها الإنسانية، ومعالجة ما تتطلبه حاجات الناس أولاً بأول مع صلاح النيّة وسلامة الناس، وبهذا يقول (عليه السلام) :

(ثُمَّ أمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أعْوَانِكَ. وَأمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ. وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ أفْضَلَ تِلْكَ المَوَاقِيتِ، وَأجْزَلَ تِلْكَ الأقْسَامِ، وَإنْ كَانَتْ كُلُّهَا للهِ إذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ).

ومواصلة لبناء الهيكل الإداري ووفق الدليل التنظيمي، وللتكامل ومعرفة كل صغيرة وكبيرة ودراية عينية بالبلاد والعباد ومطابقة السماع بالعيان، يُسترشد بمبدأ المنهجية القيادية التقويمية؛ (فَلا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإنَّ احْتِجَابَ الوُلاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ, وَقِلَّةُ عِلْمٍ بالأُمُورِ؛ وَالاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ

الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الحَسَنُ، وَيَحْسُنُ القَبِيحُ، وَيُشَابُ الحَقُّ بالبَاطِلِ. وَإِنَّمَا الوَالِي بَشَرٌ لا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلى الحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بالبَذْلِ فِي الحَقِّ، فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ ! أَوْ مُبْتَلًى بالمَنْعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لا مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيكَ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ).

وهو وجه آخر لأخلاقية العدالة التي تصون حقوق كل أطراف ذوو العلاقة على وفق قوله (عليه السلام) :

(ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً، فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ، فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ. وَلا تُقْطِعَنَّ لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً، وَلا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذلِكَ لَهُمْ دُنْكَ, وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ القَرِيبِ وَالبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذلِكَ مَحْمُودَةٌ).

وبهذا فعدالة القانون لا تحمي مَنْ يتجاوز القانون مهما كان، فليس هناك مَنْ هو فوق القانون، لكون الحق يأخذ مجراه في تنفيذ حكم القانون، ومن البديهي لا حكم للقانون من غير دولة قويّة بحكومتها، والمراعية لكامل حقوق الإنسان..

ولذا قوة أخلاقية العدالة كامنة في قوة البناء القيادي؛ كشخصية القيادة المتمثلة بأعلى مستوى إداري حتى أدناه، وبُعد وعمق شخصية القائد، ومن هذا يتولّد؛ (وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلى الحَقِّ)، وهو ما يهتم به علم النفس القيادي والإداري، وأدقها وأرقاها إنسانية حينما تكون رياضة النفس على كل ما يجري في الحكم، دون الضيق به وبمواقف الرعية التقويمي المتبادل، يعني بناء ثقة وتبادل شعوري وما يُعانيه القائد من جرّاء المسؤولية أمام الخالق ﷻ وأمام الناس، وما يُعانيه الناس من متطلبات الحياة وإشباع الحاجات، ومن هنا ينبثق الرفق الإنساني بالرعية، فربما لا يستوعب العامة من الناس، ما ينجزه القائم على الحكم، والمرتب عليه المصلحة العامة وصالح البلاد، حتى تتكشّف حقيقة الأمر لهم فينتفعوا بثمرات ما تم تنفيذه..

ودوام الحكم والحكومة، بقويم سيرتها وتخطي كل مسيرتها في تنفيذ ما مخطط له، بلا ضحايا مادية ومعنوية وبلا تصفيات جسدية، ودليل نجاح الحكم ليس بالسيطرة واستمرار الحكومة، وخصوصاً عند تداول السلطات بالقوّة وليس بمنهج تداول السلطة السلمي عبر التصويت والانتخاب، وما يتم من اتخاذ قرارات الحكم الخطرة، حينما يكون قيام كيان الدولة والحكم على سفك الدماء بغير حق، لذا يحذّر من ذلك الإمام (عليه السلام) :

(إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَى لِنِقْمَةٍ، وَلا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا. وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بالحُكْمِ بَيْنَ العِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فَلا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ. وَلا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلا عِنْدِي فِي قَتْلِ العَمْدِ، لأَنَّ فِيهِ قَوَدَ البَدَنِ. وَإِنْ ابْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بالعُقُوبَةِ؛ فَإِنَّ فِي الوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلى أَوْلِيَاءِ المَقْتُولِ حَقَّهُمْ).

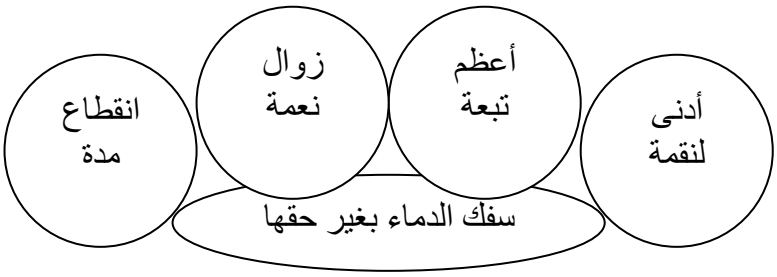

مخطط (٥) يبين نتائج عبثية سفك الدماء بغير حلها أو حقها في الحكم

فأولويات السخط الإلهي على الحكّام والناس، ما يتعلق بسفك الدماء بغير حقها، فلا تقادم في ارتكاب الجرائم عند الخالق ﷻ، لكون الظلم لا يدوم، ولا بدّ له من نهاية تسحق كل ظالم.. فنتائجه يكون منعكس على الحكم، المتمثلة بآلية النقمة الإلهية والتبعية الدنيوية في سخط الناس على جرائم الحكم، والأخروي في تبعية الحساب، والنعمة بالزوال، والمدة بالقصر لكون الظلم لا يدوم وامتدّ بسطوته..

وقد يتولّد ما تقدّم ذكره من الظلم وسفك الدماء والجبروت، الإعجاب بالسطوة وبالنفس، والغرق في إطراء المنافقين، الفجوة الخطرة الذي ينفذ منها كل ملوث فكري لينتج عنه تأثيرات نفسية وانعكاسها على السلوك والأعمال، والوقاية والعلاج النفسي لكل مستويات الحكم؛ (وَإِيَّاكَ وَالإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ).

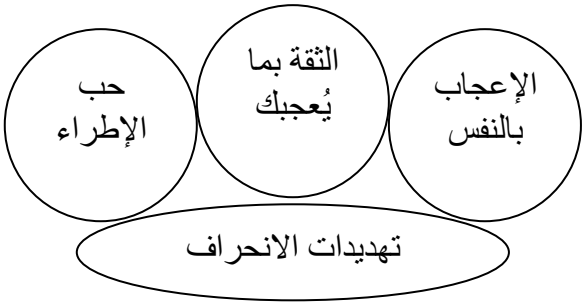

مخطط (٦) يبين الضعف وتهديدات الانحراف النفسي

وتهديدات الانحراف النفسي بتأثير الفجوة الناتجة عن الإعجاب والثقة في غير مواضعها وتوقيتها؛ وهي تختلف عن الثقة المبنية على البناء لا التهديم، وتواصله في حب الإطراء الناتج عنه ما يُحجب الحاكم عن الحقيقة..

(وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوْ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: " كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ").

ومن الخطورة والمقت، أن يكون منهجية الحاكم أو الإداري يقول ما لا يخطط وينفّذ، يعني توقُّف دورة الوظائف الإدارية؛ من تنبؤ Forecasting وتخطيط Planning وتنظيم Organization وتنسيق Coordination، والرقابة بالتقييم والتقويم والتوجيه، والإشراف على أجزاء التنفيذ ضمن كل وحدة داخل المؤسسات..[١]

[١] - راجع :

- Luthans , Fred " Organizatioal Behavior " ٣ed , McGrow – Hill , Inc. Tokyo , Japan , ١٩٨١ .

ولا بدّ من الإحاطة بكل مكونات الخطط ودراستها بدقة لتثمر؛ (وَإِيَّاكَ وَالعَجَلَةَ بالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوْ التَسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكانِهَا، أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إذا تَنَكَّرَتْ، أَوِ الوَهْنَ عَنْهَا إذا اسْتَوْضَحَتْ. فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ.
وَإِيَّاكَ الإِسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ، وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ. وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ. امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذلِكَ بِكَفٍّ البَادِرَةِ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الإِخْتِيَارَ: وَلَنْ تَحْكُمَ ذلكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ المَعَادِ إِلى رَبِّكَ.
وَالوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي إِتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هذا، وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلى هَوَاهَا. وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الإِقَامَةِ عَلى العُذْرِ الوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي العِبَادِ، وَجَمِيلِ الأَثَرِ فِي البِلادِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الكَرَامَةِ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، " إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ". وَالسَّلامُ عَلى رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً، وَالسَّلامُ).
ومن هنا تكاملية بناء البُعد السياسي والإداري، لبناء الإنسان؛ فكرياً ونفسياً وسلوكياً، وبالتوازي مع بناء مؤسسات الدولة، وبانسيابية ما تنفّذه حكومتها، وتواصل خططها المدروسة والتنموية، بمدياتها القصيرة والمتوسطة والطويلة..

المبحث الثالث

أخلاقية العدالة وبعدها الأمني

بعد أن تتوضّح الخريطة السياسية والإدارية وما يترتب عليهما، يظهر بُعد آخر، ومن أولويات قيام وقوّة الحكومات واستقرار البلاد والناس، ألا وهو البُعد الأمني الملازم للبنى التحتية وامتداده إلى الفوقية لتطور ونمو الحضارات..[1]
ولذا يقول (عليه السلام) :
(أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلى بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ)،والجور بحد ذاته مؤشر يخلق على عدم الثقة بالجانب الأمني للدولة..
(وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانْظُرْ إِلى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ..).
وللأبهة أو الخُيلاء مع السلطان، جموح يؤثر على الاستقرار النفسي، فيؤدي بخطورته المتعاظمة إلى التعدي على العدالة وما تفرضه من أخلاقية، لكون أخلاقية العدل من خلالها يتحقق الأمان والطمأنينة لدى كل الأطراف من أعلى سلطة في البلاد إلى أدناه، وفي كل المستويات الأفقية والعمودية، ومَنْ كان في خارج السلطة أو الوظيفة..
(ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ, وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالاً عَلى جَسِيمِهَا, فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ).

- هاشم حسين ناصر المحنك / فلسفة الإدارة المعاصرة والمجتمع / مطبعة القضاء / النجف الأشرف / العراق / ط١ / ١٩٩٠.

[1] - ينظر في :

- د . عائشة راتب / التنظيم الدولي ؛ القواعد العامة – الأمم المتحدة / الكتاب الأول / دار النهضة العربية / القاهرة / مصر / ١٩٧٠ .

وتفقُّد الرعية أحد أبواب أخلاقية العدالة التي يتبناها الشخص القيادي، ومتمم للاستقرار الأمني، وقيام كل ما يدعم أنشطة الدولة، وبناء الثقة والصلة المتينة الجامعة بين القائد ورعيته، والمنطلق من مبدأ؛ (وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ، بِما يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ العَدُوِّ؛ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الوُلاةِ اسْتِقَامَةُ العَدْلِ فِي البِلادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ).

وقد يكون العدو داخلي أو خارجي، ولكلٍ وسائله وأهدافه وغاياته، وما يحمله من خطط مدمرة، والجهاد في الكشف عن العدو وأساليبه وأهدافه وتحديده وتحديد قوّته والجهات الداعمة له، يكون الهم الموحد لحماية الدولة والناس وممتلكاتهم، حينما يواسيهم في معونته لهم ولممتلكاتهم وأهليهم، وهو من الأخلاقية التي تحملها العدالة ببعدها الأمني وفي جهاد العدو، المكمِّل لِما يترتب عليه من جانب إداري للاختيار والتعيين..

وبهذا (فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الوُلاةِ اسْتِقَامَةُ العَدْلِ فِي البِلادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ)، وهو ما يظهر أهمية علم النفس الاجتماعي الذي يدعم العدل المبني على أدق الأخلاقيات، فالعلاقات الإنسانية تبادلية بين الناس والمسؤول، ومنطلقها لثبات حسن النيّة تكون من المسؤول القيادي..

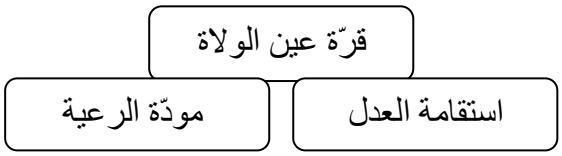

مخطط (٧) يبين فاعلية العدل والمودّة في استتباب الأمن والاقتصاد

وأخلاقية العدالة في بُعدها الأمني، مَنْ يتم اختيارهم للمسؤولية (وَأَعْطِهِ مِنَ المَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ)، ومن خلال هذا البناء الأمني، يُصان الحق أين ما كان، ليَصون حق الآخرين من سطوة الباطل والنزوات الفردية، أين ما كان، ومن أين يصدر، لتتحقق أخلاقية العدالة الفعلية والميدانية بكامل عافيتها وقوّتها..

ومن أخلاقيات العدالة أن تجعل الأمان والطمأنينة من بطش ذوي السطوة وأعوانهم القائمين على الأمن، ومنها ما يكون إنساني حتى في التعامل النفسي وما يوحي إلى الرعية أو بحمايتهم من تبعيّة ما سيكشفون عنه من الظلم المحيق بهم دون خوف أو وجل لإحقاق حقهم، ووضع الأمور في نصابها؛ حيث يقول (عليه السلام) :

(وَاجْعَلْ لِذَوِي الحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غيرَ مُتَتَعْتِعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ - يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: " لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ القَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ ". ثُمَّ احْتَمِلِ الخُرْقَ مِنْهُمْ وَالعِيَّ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالأَنَفَ يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ!).

والنص المبارك يوضح، ما أهمية الطمأنينة والاستقرار النفسي في طرح المشكلة، بلا خوف ولا وجل من تبعاتها، فإحقاق الحق، يقوّي من عزيمة العامة، في الالتحام مع قيادته أو حكومة، لتحقيق أخلاقية العدالة بشقها الأمني..

وأرقى مبدأ لحقوق الإنسان نادى به رسول الله " صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ " (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ القَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ)، والمتعتع المتردد المضطرب في طرح مشكلته أو ما يُعانيه من أمر، خوفاً من البطش، لذا يحثّ الولاة على التطبيق العادل، لاستقرار النفس، وما يحمله علم النفس لعلاج ذلك، ولا بدّ من كشف الحقائق من أجل إحقاق الحق..

(ثمَّ إنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً، فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ، فاحْسِمْ مَادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ. وَلا تُقْطِعَنَّ لأَحَدٍ مِنْ حاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعةً، وَلا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذلِكَ لَهُمْ دُنَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.
وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً, وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فإِنَّ مَغَبَّةَ ذلِكَ مَحْمُودَةٌ).
وهنا يتطلب من أجل الاستقرار الأمني، وعدم تذمُّر العامة مِمّن يُحيطون بالمسؤولين، ليكون إلزام الحق، والاستقرار الأمني سمة السلوك الإداري..
(وَلا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلله فِيهِ رِضًى، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْناً لِبِلادِكَ، ولكِنِ الحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ العَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ. فَخُذْ بالحَزْمِ، وَاتَّهِمْ فِي ذلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ. وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بالوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بالأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً، مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ، مِنْ تَعْظِيمِ الوَفَاءِ بالعُهُودِ. وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ المُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ المُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الغَدْرِ؛ فَلا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ، وَلا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لا يَجْتَرِئُ عَلَى اللهِ إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ العِبَادِ بِرَحْمَتِهِ, وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوارِهِ؛ فَلا إِدْغَالَ وَلا مُدَالَسَةَ وَلا خِدَاعَ فِيهِ، وَلا تَعْقِدْ عَقْداً تَجُوِّزُ فِيهِ العِلَلَ، وَلا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ. وَلا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ، لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللهِ، إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللهِ فِيهِ طِلْبَةٌ، لا تَسْتَقْبِلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلا آخِرَتَكَ).
الأمر الآخر من أخلاقية العدالة المتمثل بالبُعد الأمني، وقبول السلم والصلح لبناء الاستقرار الأمني للدولة والمجتمع، بحسن النيّة في أداء الالتزامات، وحل المنازعات بالطرق السلمية، وبناء ثقافة السلم والاستقرار لدى الناس، لأنّ الإسلام جاء من أجل الجهاد الأكبر؛ جهاد النفس لبناء كل ما هو قويم في دواخل الشخص وما يُحيط به، من أجل التقدُّم والنمو والتطور في كل مناحي الحياة، وبناء أرقى حضارة إنسانية واعدة، وهو لا يمنع من التحوط والحذر من العدو والدفاع عن سيادة الدولة وأمنها، عندما يطرأ أي طارئ..
ويمكن بيان محتوى النص المبارك، المتعلق بالصلح، بالمخطط الآتي:

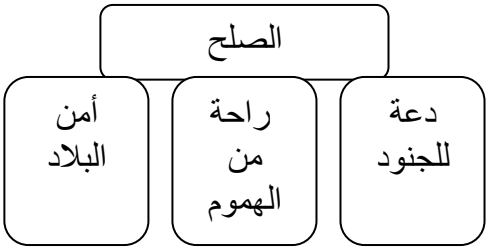

مخطط (٨) يبين الصلح والتأثيرات المنعكسة عنه

ويعني أنّ الأمن بالصلح؛ إعادة هندسة تنظيم الجيش على أساس مبدأ السلام.. وضع الخطط المستثمرة للطاقات البشرية والمادية وغير المادية، بما فيها رؤوس الأموال، وفي وقتنا المعاصر يجذب رؤوس الأموال والقدرات المختلفة والخبرات الأجنبية، لتطوير ونمو البلاد والناس.. وأمن البلاد يؤدي إلى الاستثمار السياحي في وقتنا الحاضر، والانفتاح العلمي على العالم، وقد يؤدي إلى عدم منع ما يطور البلاد من تكنولوجيا متطورة وتأهيل الكادر الوطني على كل ما يطور الحياة، بما فيه المشاريع المختلفة..
وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً:

فَحُطْ عَهْدَكَ بالوَفَاءِ.
وَارْعَ ذِمَّتَكَ بالأَمَانَةِ.
وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ.

وبشكل واضح، يلعب الأمن الجماعي وقواعده في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) للأشتر (رض)، الدور الكبير في بناء أخلاقية عدالة العهود؛ بشقي إجراءات المشكلة الأمنية العلاجية والوقائية، في الحرب والسلم، ووفق مبدأ المساواة القانونية، المنعكسة على كل العوامل المختلفة، (فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً، مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ، مِنْ تَعْظِيمِ الوَفَاءِ بالعُهُودِ)، وهو ما يشمل العهود على المستوى الفردي حتى تتعاظم وصولاً فيما بين الدول والأمم، وعلى مستوى عالمي..

ويحذِّر (عليه السلام) من فجوات العقود وتأويلاتها المتعددة التي تهدد أمن الدولة والناس والممتلكات..

ولذا لابدّ من أن تكون العهود وفق منهج؛ (وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ:
أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ العِبَادِ بِرَحْمَتِهِ.
وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلى مَنَعَتِهِ.
وَيَسْتَفِيضُونَ إِلى جِوارِهِ.
فَلا إِدْغَالَ وَلا مُدَالَسَةَ وَلا خِدَاعَ فِيهِ، وَلا تَعْقِدْ عَقْداً تَجوِّزُ فِيهِ العِلَلَ، وَلا تُعَوِّلَنَّ عَلى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ).

وهكذا يكون لأخلاقية العدالة صوتها الدولي، وحقوق الدول المتبادلة، بموجب العقود والعلاقات الدولية، من أجل الأمن الحقيقي الذي لا شائبة فيه ولا علل ولا تدليس..

المبحث الرابع

أخلاقية العدالة وبعدها الاجتماعي

ولأخلاقية العدالة، بُعدها الاجتماعي، الذي يجعل من الرئيس والمرؤوس، والقائد ومعيته، والقائد على مستوى البلاد ورعيته، كأنهم أسرة واحدة مهما توسعت وكبرت، فيكون تبادل الآراء وصنع القرار على مستوى جماهيري يتبنى نجاح تنفيذه، وتكون المسؤولية مسؤولية تضامنية جمعية أو جماهيرية، في صنع واتخاذ القرارات وما يتطلبه من الأداء والتقويم والحرص بكل ما يتطلبه الأمر، لئلا ينحرف تنفيذ الخطط المرسومة أو القرارات المتخذة، وهنا يلعب الدور الكبير في ترجمتها؛ علم الاجتماع السياسي..[1]

ولذا ترى أمير المؤمنين (عليه السلام) يحرص على إحياء روح التعاون الهادف، وتلمس المعاناة المتبادلة بين القائد ورعيته، ليرعى بعضهم البعض، على أساس وقائي علاجي، وهو ما يتطلب الوعي الجماهيري والقيادي المناسب، ونتلمسه ضمن مخاطبته (عليه السلام) للمسؤول: (وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الوُلاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ).

وما أعظم ما يجسده علم الاجتماع السياسي المبني على أخلاقية العدالة الإسلامية الإنسانية، وهو بعد حيوي من أبعاد قوله (عليه السلام) : (وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ للرَّعِيَّةِ، وَالمَحَبَّةَ لَهُمْ،

---

[1] - ينظر مثلاً في :

- د. محمد علي محمد / علم اجتماع التنظيم / دار المعرفة الجامعية / الإسكندرية / مصر / ١٩٨٩.

- نخبة من الأساتذة المصريين والعرب / معجم العلوم الاجتماعية / الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة / مصر / ١٩٧٥

- هاشم حسين ناصر المحنك / علم الاجتماع في نهج البلاغة / دار أنباء للطباعة والنشر / النجف الأشرف / العراق .

وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ العِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي العَمْدِ وَالْخَطَإِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلاكَ بِهِمْ).

ويمكن بيان جانب من النص المبارك كالآتي:

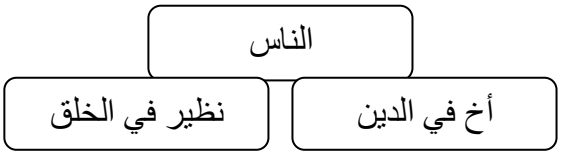

مخطط (٩) يبين إنسانية نظرة الشخص القيادي

ويمكن وضعها في معادلة وكالآتي:

الناس = أخ فِي الدِّين + نَظِير فِي الخَلْق

وأخلاقية العدل الاجتماعي مِمّا تقدّم وباختصار، الأخ في الدين (المسلم) والنظير في الخلق (الإنسان الذي هو على غير دين الإسلام)، فلكلٍّ منهم حقوقه وواجباته وما يحقق كرامته وإنسانيته المصانة، لكون (الرَّعِيَّة طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ بِبَعْضٍ، وَلا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ) ومضامينه يدخل في علمي الاجتماع والاقتصاد، وهناك إشارة أخرى مختصر وضمن البعد الاقتصادي سنتناوله في المبحث اللاحق إن شاء الله..

ومعرّضون الناس إلى أن:

يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ.

وَتَعْرِضُ لَهُمُ العِلَلُ.

وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي العَمْدِ وَالْخَطَإِ.

ولذا يحتاج الإسلوب القيادي المبني على الروح الإنسانية من الرحمة والمحبة واللطف، فلذا يتطلب من أجل استتباب الأمن الاجتماعي، ببعده الإنساني الكريم الهادف؛ (فأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلاكَ بِهِمْ).

وتواصلاً ومن أجل بناء المجتمع على أسس قويمة، يتطلب أن ينطلق الشخص القيادي من مبدأ؛ (ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إلى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ).

والنص المبارك المتقدِّم يحمل جوانب عديدة، ومنها أخلاقية العدالة ببُعده الاجتماعي والأبوي أو الأسري، الجامع المانع لانحراف المجتمع، وتقويمه ميدانياً، بحضور القائد أو المسؤول المباشر.. ومن الأبعاد الذي يتضمنه؛ هما علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع السياسي، وهي في الإدارة الأبوية رمز للرأفة على العاملين وبناء العلاقات الرسمية وغير الرسمية على أسس إنسانية، تسهم بانسيابية الاتصالات عبر كل الاتجاهات التنظيمية بتفاعلها الرسمي وغير الرسمي، واستثماره في قوة البناء الاجتماعي..

وما أعمق أخلاقية العدالة ببُعدها الاجتماعي الإصلاحي والتقويمي، والمرتبط بالبُعد الاقتصادي، فيكون الضمان الاجتماعي شاخص في الوقاية والعلاج، ويرتكز ضمن (وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الخَرَاجِ بِمَا

يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وَصَلاحِهِمْ صَلاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلا صَلاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ، لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلى الخَرَاجِ وَأَهْلِهِ)، فمحور الترابط الاجتماعي هو الصلاح، والصلاح لا يكون إلاّ من خلال تطبيق الأنظمة الأخلاقية للعدالة، والجانب المادي هنا له تأثير في الصلاح الاجتماعي، ويكون توزيع الخراج وفق ما يُصلح المجتمع أو الناس، ويلعب التوقيت والمكان والإنسان بما يصلح أهله وما يتواصل من انسيابية ذلك الصلاح وتعاظمه، فيكون يعضهم يصلح بعضاً بأداء الخراج، وما مطلوب من توزيعه العادل..

وانظر أخلاقات العدالة في استثمار الجانب الاقتصادي الإصلاحي والعمراني والإنساني العظيم، ليكون منهج الاستثمار في خدمة المجتمع؛ (وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلابِ الخَرَاجِ، لأَنَّ ذلِكَ لا يُدْرَكُ إلاَّ بالعِمَارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ الخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ البِلادَ، وَأَهْلَكَ العِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إلاَّ قَلِيلاً. فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً، أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ؛ وَلا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ المَؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلادِكَ، وتَزْيِينِ وِلايَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ باسْتِفَاضَةِ العَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، والثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ؛ فَإِنَّ العُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلَهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ الوُلاةِ على الجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بالبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بالعِبَرِ).

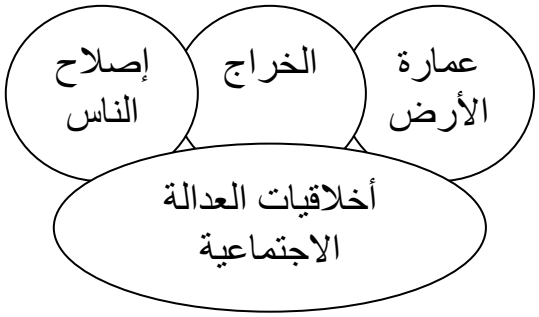

مخطط (١٠) يبين إستراتيجية عمارة الأرض لإصلاح الناس

فأخلاقيات العدالة لها البُعد الفلسفي – الاستراتيجي العظيم في ترجيح عمارة الأرض، لإصلاح حال الناس الاجتماعية – الاقتصادية، وإصلاحهم تربوياً وبناء ثقافة الإصلاح، فربما كان التدمير الاجتماعي يدخل من باب العامل الاقتصادي، (وَمَنْ طَلَبَ الخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ البِلادَ، وَأَهْلَكَ العِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إلاَّ قَلِيلاً)، وبهذا كلما اقتضت الحاجة إلى خفض الضرائب مثلاً لإصلاح حال المجتمع وحمايته من العوز والحرمان المؤدي بإهلاك العباد كما يفعله الانحراف السلوكي، تمّ تطبيق ذلك دون تردد، وذلك من أجل تماسك استراتيجي بين الدولة ومؤسساتها والناس، بحيث يصبح الناس بنتائج أخلاقية العدالة هذه، يتفانى من أجل وحدة البلاد والعباد وتماسك الحكومة ومؤسساتها.. (فَإِنَّ العُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلَهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ الوُلاةِ على الجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بالبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بالعِبَرِ)، وما أخطر حاجة الناس مع الجهل وتدنّي الوعي والتعاون والتضحية المادية والمعنوية وعدم الثقة المتبادلة بين القيادة والناس، وما أخطر البُعد النفسي حينما يتحكم في مقترات الشعوب واستشراء الفساد الإداري والمالي والاجتماعي بين الحكّام..

ولذا لا تقف التوصية الوقائية والعلاجية عند هذا الحد، بل يتعداه إلى أعمق بُعد إنساني لأخلاقية العدالة المتمثل بالرحمة المرسومة في الفقه الاجتماعي فتكون التوصية (ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ المَسَاكِينِ وَالمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ البُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرًّا، وَاحْفَظْ للهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ،

وقِسْماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي الإسْلامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإنَّ لِلأقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإنَّكَ لا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لإحْكَامِكَ الكَثِيرَ المُهِمَّ. فَلا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ العُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ؛ فَفَرِّغْ لأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أهْلِ الخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالإعْذَارِ إلى اللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإنَّ هؤُلاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أحْوَجُ إلى الإنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأعْذِرْ إلى اللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إلَيْهِ. وَتَعَهَّدْ أهْلَ اليُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لا حِيلَةَ لَهُ، وَلا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلى الوُلاةِ ثَقِيلٌ، وَالحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ؛ وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلى أقْوَامٍ طَلَبُوا العَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ).

وحينما يكون ميدانياً، من صلاحية ومسؤولية القيادي في حماية قاعدة الناس الواسعة، والدولة تضع الضمان الاجتماعي بقوّة (وَاحْفَظْ للهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ)، وأخلاقية العدالة والمساواة الاجتماعية، تأخذ بُعدها الاستراتيجي الإنساني (لِلأقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإنَّكَ لا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لإحْكَامِكَ الكَثِيرَ المُهِمَّ).

وكرامة الإنسان، الواجب المصون في كل الأحوال والمواقع الجغرافية والأزمان في البلاد الإسلامية، وقد يتحتم أن تكون المؤسسات السياسية جزء من البناء الاجتماعي بعناصره ومكوناته، وتتبلور العلاقات الرسمية وغير الرسمية وما يترتب عليها من تفاعلات اجتماعية بين القيادة والناس، وترجمة الأفكار والمبادئ وفق مبدأ (فَلا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ العُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ؛ فَفَرِّغْ لأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أهْلِ الخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالإعْذَارِ إلى اللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإنَّ هؤُلاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أحْوَجُ إلى الإنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأعْذِرْ إلى اللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إلَيْهِ).

وبه تشريع القوانين وتنفيذها، ليتم تشجيع شرائح المجتمع، لأخذ أدوارهم وحماية البنية الداخلية بكل مكوناتها من ما يُحيطهم من مخاطر، وبالخصوص ما يتطلبه من التفاعل والتماسك الاجتماعي الواعي..

وتمتد أخلاقيات العدالة ببُعدها الاجتماعي الاقتصادي التربوي المبني على الروح الإنسانية وحقوق الإنسان، بما فيه ما تتحمله الدولة وفق منهج الضمان الاجتماعي، وما تتطلبه قويم وتقويم إدارة الدولة والناس، (وَاجْعَلْ لِذَوِي الحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ للهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأعْوَانَكَ مِنْ أحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غيرَ مُتَتَعْتِعٍ، فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ - يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: " لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ القَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ ". ثُمَّ احْتَمِلِ الخُرْقَ مِنْهُمْ وَالعِيَّ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالأنَفَ يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأعْطِ مَا أعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إجْمَالٍ وَإعْذَارٍ !).

وهنا التوازن بين الدخل الوطني والتوزيع وما يترتب عليه من استهلاك وادخار واستثمار، (وَأعْطِ مَا أعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إجْمَالٍ وَإعْذَارٍ !)، وما يسبقه من سلوك ما يتطلبه التوزيع العقلاني المدروس والمخطط له، (ثُمَّ احْتَمِلِ الخُرْقَ مِنْهُمْ وَالعِيَّ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالأنَفَ يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ)، وكل ذلك يلعب فيه دور أخلاقية العدالة والمساواة الذي تتطلبها الأدوار الاجتماعية بالوظائف والواجبات والمواقف الإنسانية، وانعكاساتها الاجتماعية، وأيضاً في دور ونوع ونمط وأسلوب ووظيفة القوّة الرسمية وغير الرسمية في بناء العلاقات الاجتماعية، مؤثر التنظيمات المختلفة والمتكاملة، وما يُحيط بها..

المبحث الخامس

أخلاقية العدالة وبعدها الاقتصادي

الاقتصاد القويم قوّة الناس المادية وغير المادية، والرافد الداعم للاستثمار والنمو والتطور في الحضارات القويمة، وقيام الحضارات المادية والمعنوية وتقويمها بفكر رسالة الخالق عز وجل

وخاتمها الإسلام ودستوره القرآن الكريم؛ (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (١٥) سورة الملك، فبالأخلاق تتم المكارم والنعم، وبأخلاقيات العدالة يتم البناء الحضاري الإنساني المتواصل بتجدده..

ومنه ما كان العهد المبارك للأمم والشعوب البعيدة عن تعصُّبها للباطل وما يخلُّ بطبيعة النظام الإنساني، ومن المنطلق الإصلاحي ذاته، المبني على وحدة المجتمع التكاملي بالفكر والتطبيق، الهادف إلى التقارب والمحاورة، بأخلاقيات العدالة المبنية على البُعد الاقتصادي – الاجتماعي المتمثل في قوله (عليه السلام):

(وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ بِبَعْضٍ، وَلا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ العَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ الإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الجِزْيَةِ وَالخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الحَاجَةِ وَالمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ لَهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ - عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنا مَحْفُوظاً).

فلا يستغني الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي عن فئة ولا طبقة، ولا يقتصر على فئة أو طبقة، فلا يصلح بعضهم إلاّ ببعض، وذلك بأخذ الدور المطلوب والمناسب، فالإصلاح تكاملي هادف والأعمق حينما يكون مخطط له، وبعيد عن الصراعات التي تتبناه النظريات المُخِلّة بالأنظمة الطبيعية، ويكون التكامل الإصلاحي؛ (فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ)، الذين هم من مختلف الأوساط الطبقية، وبذات الوقت تخصصهم وعملهم حماية البلاد والعباد، بلا استثناء؛ (فَالجُنُودُ، بِإِذْنِ اللهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الوُلاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إلاَّ بِهِمْ. ثُمَّ لا قِوَامَ للجُنودِ إلاَّ بِمَا يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ. ثُمَّ لا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إلاَّ بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ القُضَاةِ وَالعُمَّالِ وَالكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ المَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ المَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وَعَوَامِّهَا)، وهكذا يكون الترابط المفصلي للبناء، إذا انهار جزءٌ منه، انهار بقيّة الأجزاء..

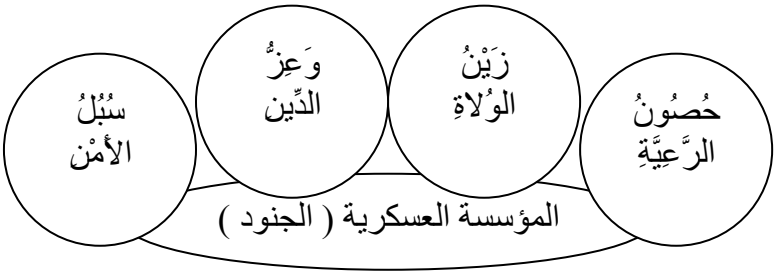

مخطط (١١) يبين نتائج أخلاقية عدالة المؤسسة العسكرية

وهو بدوره القويم يحقق البناء الاقتصادي والاجتماعي، والتوسع في الاستثمارات النافعة والاستراتيجية، وكما يقولون؛ رأس المال جبان، لكونه لا يُغامر في الأماكن التي لا أمان فيها، ولا تجذب البلدان غير المستقرة رؤوس الأموال، لكون الهدف من استثمار القطاع الخاص والمختلط، هو الربح وتعاظم هامش الربح..

وتتواصل مضامين عهد أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) :

وَمِنْهَا كُتَّابُ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ، وهم يقومون بالمهام التخصصية لخدمة كل الطبقات، وهم من هذا الوسط الإنساني..

وَمِنْهَا قُضَاةُ العَدْلِ، وهم أصل المسؤولية، لكون العدل بأخلاقية تطبيقه، يحقق عودة الحق إلى نصابه، وجانب من هذا الحق هو الفصل في الخلافات المختلفة بين المؤسسات الاقتصادية أو التجارية وبين أنشطة الأشخاص، وتطوير ونمو المشاريع وعائداتها وعدم تعدي أحدهم على

حقوق الآخر.. وهم (يُحْكِمُونَ مِنَ المَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ المَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وَعَوامِّهَا)..
وَمِنْهَا عُمَّالُ الإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وهم من يحقق انسيابية الأنشطة وتوازنها وفاعلية عملياتها ونتائجها..
وَمِنْهَا أَهْلُ الجِزْيَةِ وَالخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وهم بأنشطتهم الاستثمارية مَنْ يدعم الاقتصاد الوطني، ويدعم مسيرة الدولة بإيفاء الضرائب لمؤسساتها وما تدعم الخدمات المختلفة المقدّمة للناس، وتميل كل متطلبات قوّة الدولة، بما فيه الجنود في حماية الدولة من الاعتداء الخارجي واستتباب الأمن الداخلي، وبناء علاقات دولية قائمة على التعاون المثمر لمستقبل حضارة الشعوب الإنسانية..
وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، القائم عليهم الاقتصاد الوطني والمشاريع الخاصة والمختلطة، وبذات الوقت يدعمون بأنشطتهم ومشاريعهم، المجتمع والدولة والدخل الوطني ودخل الفرد، وتخفيض نسبة البطالة، ويخففون عبء الاستيرادات على الاقتصاد الوطني، وانعكاسات تبعاتها وتأثيراتها الخطرة المستوردة التضخم والعجز العالمي، بالإضافة إلى زيادة الكفاءات والخبرات الوطنية، وهو بدوره قد يحقق تنمية وتطوير القدرات على الإبداع والابتكار والاختراع، وتنمية رؤوس الأموال الوطنية، وأيضاً المنتوج الوطني من السلع والخدمات، يحقق بذاته قوّة الدولة أمام التأثيرات والضغوطات الخارجية..
(وَلا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إلاَّ بالتُّجَّارِ وَذَوي الصِّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بأَيْدِيهِمْ مَا لا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ)، وهذا يعني بالإضافة إلى ما تقدّم وما لا يسع الخوض فيه، ما لأهمية وطنية وولاء القطاع الخاص والمختلط، وما يتوجب دعمه بكل أشكال الدعم، حتى مدّه بالفقه الاقتصادي والتجاري وكل أبعاد الوعي والثقافة، حتى يكون في قويم سلوكه الاقتصادي والاجتماعي والولاء للحق وأخلاقية العدالة، ويضعها قبل مصالحه، لكونها استراتيجياً وتبادلياً تحقق النفع المتواصل والمثمر، له ولكل الأطراف من الدولة ومؤسساتها والناس وأنشطتهم المختلفة المتكاملة..
- وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوي الحَاجَةِ وَالمَسْكَنَةِ، الذين هم بحاجة إمّا إلى العمل، فبجهودهم المضنية، يحققون تقدّم المشاريع الإنتاجية من السلع والخدمات.. أو هم بحاجة إلى الدعم والرعاية، بما فيه؛ الضمان الاجتماعي والتكافل الاجتماعي، ولهم كل الحق فيه، والوجوب وفق كامل فرائضه الشرعية وبلا مِنّة ولا إذلال لذوي الحاجات، فإمّا أن تقوم الدولة بإعانتهم؛ وصورته الضمان الاجتماعي، أو إعانة الطبقة أصحاب رؤوس الأموال ومَنْ تمكّن وذو الحظ عظيم؛ وصورته متجسدة في التكافل الاجتماعي، (وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ لَهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ - عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنا مَحْفُوظاً). فهذا السهم المسمّى هو عهد لله عند الإنسان لأخيه الإنسان وفرض مفروض، فإن لم يكن وفق ما حدد الخالق عز وجل، سيكون هناك الخلل الاجتماعي والاقتصادي وعدم التوازن في الموازين الإنسانية، ومنه فريضة البعد الإقتصادي الواقي للإنسان من ذل الحاجة بأرفع مستوى حفظ للكرامة، بلا مِنّة ولا عالة بعضهم على بعض، فالحقوق في كل نعمة تكون قناة العطاء؛ الدولة والأغنياء، وفق ما حدده الشرع من الزكاة والخمس والخراج والصدقات وغيرها مِمّا مفروض على الأموال، وهو ما يدعم " الدورة الاقتصادية " التي هي بطبيعة الحال تدعم نفس الأغنياء ببيع ما تنتجه مشاريعهم ..
والدعامة الفقهية المتمثلة بالجعل التكويني والتشريعي؛ (وَفِي اللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى الوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ الوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أُلْزَمَهُ اللهُ مِنْ ذلِكَ إلاَّ بالاهْتِمَامِ وَالاسْتِعَانَةِ باللهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ).
فالتوازن بأخلاقية العدالة الإنسانية وإحقاق الحق والمساواة، ولكل مصطلح فاعليته ومكانه كمفهوم وطبيعة تشريعه وما يتم تطبيقه ميدانياً، ولكلٍّ له أسبابه ومسبباته وما يترتب من الآثار الآنية والمستقبلية، وما يترتب عليه من الجعل التكويني والتشريعي، والعمق الفلسفي والبناء

الاستراتيجي بالقوة والفرص، أو الضعف والمخاطر، وتأثيرها المتبادل على كل العوامل، ومنها ما يترتب على البناء الإصلاحي الضريبي.. والوقائي والعلاجي لبناء صلاح القوة وقوة الصلاح للدولة والناس، واستثمار الفرص لتقدُّم وتواصل مسيرة الدولة والمؤسسات والمشاريع الخاصة والمختلطة والعامة، ويكون حينما يبدأ من؛ (وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وَصَلاحِهِمْ صَلاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلا صَلاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ، لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الخَرَاجِ وَأَهْلِهِ).

ويبرز التفقُّد على اعتباره يضع الميزان والموازين والرحمة التي تشمل كل الأطراف بلا استثناء، المكمل له الإصلاح للإنسان والنفس والماديات وغير الماديات، ودورة الصلاح السوية المتقدِّمة إنسانياً؛ (فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وَصَلاحِهِمْ صَلاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ)، والتغذية العكسية في المضامين الإنسانية، (وَلا صَلاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ)، وما الجمع بين العيال والخراج وأهل الخراج، إلاّ الصدى الإنساني العظيم الذي لا يحده حدود ولا حواجز.. وامتداده المنطلق المبني على (وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلابِ الخَرَاجِ، لأَنَّ ذلِكَ لا يُدْرَكُ إِلاَّ بِالعِمَارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ الخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ البِلادَ، وَأَهْلَكَ العِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً.

فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً، أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ؛ وَلا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ المَؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلادِكَ، وتَزْيِينِ وَلايَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ باسْتِفَاضَةِ العَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، والثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ؛ فَإِنَّ العُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلَهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ الوُلاةِ على الجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بالبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بالعِبَرِ).

بالإضافة إلى ما تقدّم ذكره، وما ورد في المبحث السابق الخاص بالبُعد الاجتماعي، فإنّ البُعد الاقتصادي لأخلاقيات العدالة هو تقديم الخدمات والضمان الاجتماعي والدعم الحكومي لمؤسساتها والناس وإعمار الطرق والجسور والأمن وحماية البلاد والعباد.. وغيرها يعتمد على التحصيل أو جباية الضرائب والرسوم وغيرها مما يدخل ضمن واردات خزينة الدولة..

ومن أولويات الإسلام هو بناء الإنسان وإعمار البلاد بالإنسان ذلك البُعد الاستراتيجي المختلف والمحتوي لكل الاستراتيجيات، فقيامه بالأدوات والآليات المتوافرة لديه، قيام وعمارة كل الاستراتيجيات، لكون كل شيء يأتي بعد خط الشروع هذا؛ والدليل (وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلابِ الخَرَاجِ)، والسبب (لأَنَّ ذلِكَ لا يُدْرَكُ إِلاَّ بِالعِمَارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ الخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ البِلادَ، وَأَهْلَكَ العِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً)، فبناء القوّة الاقتصادية المتزامنة مع بناء القوّة الاجتماعية، وبكامل الانسيابية والفاعلية والمرونة، وبالتوازي مع أخلاقيات العدالة وبالدعم الحكومي، ستحقق تكامل الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية، وبنتائجها سيكون عاجلاً أم آجلاً قوة بناء والمستقبل المشرق للدولة ومؤسساتها وواردتها والثقة المتبادلة بين الدولة والناس، وبالطمأنينة النفسية، (والثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ)، وكأنه (عليه السلام) يخاطب كل حاكم ومسؤول وحتى مَنْ كان في كل المستويات الإدارية؛ إن عوّدت الناس على مناخ أخلاقيات العدالة النقي، تجني خيراً وأمناً للبلاد والعباد، وإن كان خلافه من الطغيان، فلا تلومنّ إلاّ نفسك أيها المتحكم برقاب الناس وممتلكاتهم، حينما لا تعودهم على العدل فسيخرجون من العدل ويقفزون على العدل، فتكون ويكونون فوق التشريع الإلهي، ومنه يتولد الصراع وهدم كل الطاقات وأركان الدولة والإنسانية..

وأخطر ما يطرأ من الخراب، خراب البلاد والعباد، بما فيه أحد عوامل قوّة الدولة، ألا وهو تدمير قوّة نظام أخلاقيات العدالة الاقتصادية، وخصوصاً حينما يتسلل الفكر الملوث لينعكس

آثاره على نفس المسؤول لتنحرف، وينبثق على أثرها الفساد الإداري والمالي فيكون؛ (وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلَهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ الوُلاةِ على الجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بالبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بالعِبَرِ).

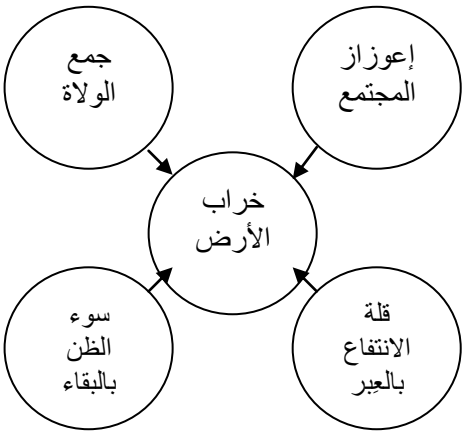

مخطط (١٢) يبين التهديدات والمخاطر المؤدية إلى خراب البلاد

ويحظى القطاع الخاص الحظوة والاهتمام في مضامين عهد أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) ، لتقسيم المهام بين الدولة والناس، لحماية وتنمية وتطوير اقتصاد البلاد، متزامناً مع تنمية وتطوير مشاريع الناس، والممتد حتى لتطوير وتنمية الجانب السياسي والاجتماعي والأمني والتربوي والخدمي، وبهدى الشريعة السمحاء وأصولها، فالفقه الاقتصادي له عمقه في كل نشاط وأداء عقلي وجسدي، وبهذا يقول (عليه السلام) :

(ثُمَّ اسْتَوْصِ بالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً: المُقِيمِ مِنْهُمْ وَالمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ المَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ المَرَافِقِ، وَجُلاَّبُهَا مِنَ المَبَاعِدِ وَالمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلا يَجْتَرِؤُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لا تُخَافُ بَائِقَتُهُ، وَصُلْحٌ لا تُخْشَى غائِلَتُهُ. وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلادِكَ).

ويُعكّر هذا المناخ التنظيمي الاقتصادي والتجاري الذي يتوجّب الاعتناء به وبمَنْ يسهم بقويم أنشطته، ومكافأته وتشجيعه وتحفيزه.. يُعكر صفوه مَنْ يقلب حركة وموازين أخلاقيات الأعمال والعدالة؛ وفي مقدمته البعد الاقتصادي؛ والتحذير منه متمثلاً بـ (وَاعْلَمْ - مَعَ ذلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً، وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي البِيَاعَاتِ، وَذلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الوُلاةِ.

فامْنَعْ مِنَ الاحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ - مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ البَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لا تُجْحِفُ بالفَرِيقَيْنِ مِنَ البَائِعِ وَالمُبْتَاعِ. فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ).

وهو ما يحمل أرقى بُعد إنساني ومنهج استراتيجي أخلاقي للعدالة، والذي يتكامل ميدانياً مع كل العوامل والأبعاد..

يعني أنّ هناك توجّه تنظيمي مدروس ومحدد لمعالمه، يقوم بتوجيه العلاقات الصناعية والتجارية ومختلف الأنشطة الاقتصادية مع القانون، وبانسيابية واستيعاب وأهلية وفاعلية ومرونة متناسبة ومسؤولة متواكبة مع كل ظرف وتغيير، وإحقاق حقوق شاغل أي وظيفة كانت في القطاع الخاص والمختلط، وصاحب النشاط أو المشروع، والمشار إليه؛ (ثُمَّ اسْتَوْصِ بالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً...)، ويتعدى ذلك إلى إحقاق حقوق الزبون والمستهلك النهائي، ومنه منع أنواع الاحتكارات، ومنها احتكار المنافع.. والأعظم دقة أنه (عليه السلام) قرن بين حقوق العامة المذكورين، والإخلال به يُعد في العرف السياسي المبني على أخلاقية العدالة، عيب أو وصمة أو شائنة على الوالي أو مَنْ هو شاغل المنصب والضامن لما تحمله من

مسؤولية، وهو ما ينضوي تحت الترابط بين المهنة والسلوك السياسي المؤثر على شكل ومكونات الحكومة السياسية المستقبلية ونظامها، وبدوره ينعكس على مختلف الأبعاد ومنها الاقتصادية والاجتماعية..

وللتكافل والضمان الاجتماعي الذي يأخذ بُعده الاقتصادي، أهمية للبناء الإنساني، وصيانة كرامة الإنسان أين ما كان ومَنْ كان من المساكين والمحتاجين وغيرهم، لذا فالتأكيد المؤثر بالوقع النفسي يأخذ مجاله حين يقول (عليه السلام) :

(ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ المَسَاكِينِ وَالمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ البُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرًّا، وَاحْفَظْ للهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وقِسْماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي الإسْلاَمِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإنَّكَ لا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لإحْكَامِكَ الكَثِيرَ المُهِمَّ. فَلا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ العُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ؛ فَفَرِّغْ لأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالإعْذَارِ إلى اللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإنَّ هؤُلاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إلى الإنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إلى اللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إلَيْهِ).

ولليتيم وكبار السن في أخلاقيات العدالة بالبعد الاجتماعي والبعد الاقتصادي التعهُّد لقيامه، ويبدأ الاهتمام بهم من أعلى رأس في السلطة التنفيذية، وبهذا الخصوص يقول (عليه السلام) :

(وَتَعَهَّدْ أَهْلَ اليُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لا حِيلَةَ لَهُ، وَلا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذلِكَ عَلى الوُلاةِ ثَقِيلٌ، وَالحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ؛ وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلى أَقْوَامٍ طَلَبُوا العَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ).

بالإضافة إلى ما يكامله؛ (وَاجْعَلْ لِذَوِي الحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ للهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غيرَ مُتَتَعْتِعٍ، فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ - يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: " لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ القَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ ". ثُمَّ احْتَمِلِ الخُرْقَ مِنْهُمْ وَالعِيَّ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالأَنَفَ يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إجْمَالٍ وَإعْذَارٍ !).

والنص المبارك المتقدِّم له ما يشخص من الجانب الاقتصادي الداعم لذوي الحاجات، بالإضافة إلى ما تناولنا اجتماعياً..

المبحث السادس

أخلاقية العدالة وبعدها التربوي

ولتربية العدالة وعدالة التربية أبعاد أخلاقية عظيمة، وهو ما تضمنه الفكر الإسلامي المستمد من أنقى نبع، المتمثل بالقرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، الذي ظهر جلياً فيما تضمنه عهد أمير العلم والعلماء والمؤمنين (عليه السلام) ، وفي مقدمة هذا الدرس التربوي العظيم، الذي يستقي منه كل شرائح ومستويات الناس، أينما كانوا في مهام الحياة، قوله المبارك الذي يهز عروش الجبابرة: (وَلا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ فإنَّهُ لا يَدَ لَكَ بِنَقْمَتِهِ، وَلا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ ورَحْمَتِهِ).

فأول الحرب هو البناء اللا أخلاقي للدولة وفي مقدمتها ما يعيق مسيرة العدالة، ومتطلبات البناء التربوي والثقة والعمل به، فيكون تدمير البلاد والعباد وأركان الدولة، وسقوط الحكم والحكومة..

ويُحذِّر من أن يفقد الحاكم توازنه، والذي يبدأ بخطورته، فقدان العدالة وأخلاقياتها، حتى يصل به الأمر إلى الغلوّ والعلوِّ، وهو بُعد من أحد الأبعاد الذي يُظهرُهُ قوله (عليه السلام) :

(إيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ).

وأعظم دروس تربوية للحكّام وكل المستويات الإدارية والتربوية، ما يوجِّه به أمير المؤمنين (عليه السلام) بالقول:

(وَلا تَنْدَمَنَّ عَلى عَفْوٍ، وَلا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلا تُسْرِعَنَّ إلى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلا تَقُولَنَّ: إنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فأُطَاعُ، فَإنَّ ذلِكَ إدْغَالٌ فِي القَلْبِ، ومَنْهَكَةٌ للدِّينِ، وتَقَرُّبٌ مِنَ الغِيَرِ. وَإذَا أحْدَثَ لَكَ مَا أنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أوْ مَخِيلَةً، فانْظُرْ إلى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإنَّ ذلِكَ يُطَامِنُ إليكَ مِنْ طِمَاحِكَ، ويَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، ويَفِيءُ إلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ !).

فالأشخاص في المجالات التعليمية، وطلبة العلم، يحتاجون إلى نظام حوافز خاص بهم، يحقق تنمية وتطوير الأساليب التعليمية ووسائلها المختلفة، ليمتد خط العدالة في احترام العلم والعلماء ومَنْ يعمل به، وإحقاق حق المبدع والمتميز في ظل الأستاذ التربوي البعيد عن حسد الجهلاء..

فأخلاقية العدالة تتوجب أن تظهر التربية على سلوك الشخصية التربوية، والمسيرة في ظلها بأمان، وخصوصاً حينما يكون المتعلم بمستوى علمي ينافس أستاذه، والأستاذ أيضاً يخاطبه الإمام علي (عليه السلام) بقوله (وَإذَا أحْدَثَ لَكَ مَا أنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أوْ مَخِيلَةً، فانْظُرْ إلى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ)، فالموعظة التربوية تحمل أخلاقية العدالة، وتشمل كل المستويات السياسية والاجتماعية والعلمية والمهنية..

فبناء تربية أخلاقية العدالة بالتزامن مع أخلاقية العدالة التربوية، يتوجب أن ينشد الشخص القيادي الناجح وكل المستويات الإدارية، ولذا تبدأ المخاطبة التربوية (أنْصِفِ اللهَ وَأنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خاصَّةِ أهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فإنَّكَ إلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ للهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أوْ يَتُوبَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أدْعَى إلى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إقامَةٍ عَلى ظُلْمٍ، فَإنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ المُضْطَهَدِينَ، وَهوَ لِلظَّالِمِينَ بالمِرْصَادِ).

وحينما يكون كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته في ظل تربية أخلاقية العدالة يتحقق البناء التربوي، وحينما تكون أخلاقية العدالة ثواب المحسن لردع المسيء عن غيِّه، تكون فلسفة نظام الحوافز وفق أعلى مستوى إنساني تربوي..

والبُعد التربوي لأخلاقية العدل المتمثل في النص المبارك (ولْيَكُنْ أحَبَّ الأُمُورِ إلَيْكَ أوْسَطُهَا فِي الحَقِّ، وَأعَمُّهَا فِي العَدْلِ، وَأجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإنَّ سُخْطَ العَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الخَاصَّةِ، وَإنَّ سُخْطَ الخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى العَامَّةِ).

وهو خير دليل على ما يتطلب من استيعاب مفهوم الأخلاق ومفهوم العدالة، وأخلاقية العدالة وعدالة الأخلاقية، فالوسطية في الحق والعمومية في العدل، وجمعهما على مبدأ الرسالة وما تحمل، ليحقق أرقى فلسفة واستراتيجية لأخلاقية العدالة؛ في النظرية والتطبيق..

فالنتيجة من فلسفة؛ (وَأجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ)، هو (فَإنَّ سُخْطَ العَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الخَاصَّةِ، وَإنَّ سُخْطَ الخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى العَامَّةِ)، وهي بدورها استراتيجية مفرداتها الإنسانية تحقق أعلى مراتب أخلاقية العدالة والتقرّب لله بأداء ما يتوجب لتقديم ما ينفع خلقه، والحصول على الرضى الجمعي الجامعة للرعية، مع مكوناتها ومع القائد لها.

وأمر ضروري آخر تتطلبه التنمية التربوية وبعدها الأخلاقي – الفكري، الجامع بين الثقافة التربوية والتربية الثقافية المنطلق من أرضية النور الإلهي العلمي، والمتمثل بقوله (عليه السلام) ؛ (وَأكْثِرْ مُدَارَسَةَ العُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ الحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أمْرُ بِلادِكَ، وَإقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ)، وما ينعكس ذلك على التعلم والتعليم، والمعلّم والمتعلم، والاستئناس بالأفكار وما يقوِّم إدارة الدولة والناس، ليكونوا وحدة واحدة، فيصلح بعضهم بعضاً تكاملياً وبلا غنى بعضهم عن بعض، ويبني بعضهم بعضاً؛ مادياً ومعنوياً، ويستمد البُعد التربوي من أخلاقية العدالة..

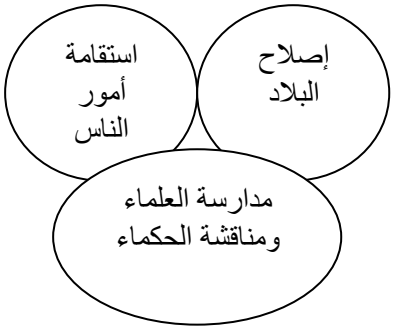

مخطط (١٣) يبين القاعدة المعلوماتية الاستشارية وعلاقتها بالدولة والناس

ويعني بذلك الأهمية الإستراتيجية للقاعدة المعلوماتية للبُعد التربوي، ودقة مصادرها ومدى الأهمية الاستشارية التربوية التقويمية من أعلى مستوى في الدولة إلى أدناه، ومدى انعكاساته الخطرة على الدولة ومكانتها وعلى الناس، وعلى إصلاح كل مكونات الدولة، واستقامة مسيرة الناس ومستقبلهم، بما فيه الجانب التربوي للبناء..

والبيئة التربوية والبُعد التربوي له مكانته الأخلاقية في اختيار الأشخاص لشغل الوظائف، وخطوته تظهر في (ثُمَّ الصَقْ بِذَوِي المُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلُ البُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الحَسَنَةِ؛ ثُمَّ أَهْلُ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ العُرْفِ).

فتمّ الجمع بين المروءة والحسب، والبيت والصلاح، والسوابق الحسنة، وملازمة النجدة بالشجاعة، وقد تكون الشجاعة متمثلة بجانب معنوي، فترى ضعيف البنية قد يسهم في نجدة المستغيث لرفيع تربيته وحبه للخير وتقديم المساعدة ونفع الآخرين، وكذلك يفعل السخاء كل ما تحمله الأخلاقية الكريمة..

والتربية المبنية على المودّة والمحبة، تنبثق من سلامة الفكر والابتعاد عن الحقد والضغينة التي تحمله الصدور.. ولذا يقول (عليه السلام) :

(وَإِنَّهُ لا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بِسَلامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاَّ بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاةِ الأُمُورِ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ، فافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو البَلاءِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللهُ).

واشتراط النظام التربوي؛ المودة بسلامة ما في الصدور، والنصيحة بالحفظ والصيانة، واهتمام علم الاجتماع التربوي..

ولأخلاقية العدالة، درس تربوي آخر للشخص القيادي، ألا وهو؛ (ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلا تَضُمَّنَّ بَلاءَ امْرِىءٍ إِلى غَيْرِهِ، وَلا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلائِهِ، وَلا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِىءٍ إِلى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلا ضَعَةُ امْرِىءٍ إِلى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً).

وأخلاقية العدالة التربوية الاستراتيجية؛ (وَارْدُدْ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِقَومٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ وَالرَّسُولِ " فالرَّدُّ إِلى اللهِ: الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلى الرَّسُولِ: الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الجامِعَةِ غَيْرِ المُفَرِّقَةِ).

ونَظْرَت علم الاجتماع التربوي إلى الوسائل التربوية المؤدية إلى أفضل نمو للشخصية، وهو جانب مما يحمله قوله (عليه السلام) :

(وَاجْعَلْ لِذَوي الحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ للهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غيرَ مُتَتَعْتِعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ - يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: " لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ القَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ ". ثُمَّ احْتَمِلِ الخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالأَنَفَ يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَآمْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ!).

والصورة التربوية الواضحة لمكانة الإنسان، وبناء كرامته، وبث الثقافة الفاعلة والوعي المناسب، لأخلاقية العدالة في إشباع الحاجات من خلال فسحة اهتمام الشخص القيادي لذوي الحاجات المادية والمعنوية، بما يحقق لهم، ابتعاد أسلوب الرهبة من قائدهم أو التهيُّب منه، والاستعمال النفسي لجلسة التواضع، يحقق بُعد تربوي للرعية، وبالخصوص أمام ذوي الحاجات والضعفاء..

وما أعظم قول الرسول الكريم " صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ " التربوي الضخم بمعانيه: " لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ القَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ " وهو يجمع بين حقوق الإنسان كفرد وحقوقه كأحد أفراد الأمّة، ومرتبط شرط تقديس الأمة بأخذ حق الضعيف من القوي..

وتتوالى الدروس التربوية، التي تكون الركن الأساس لأخلاقيات العدالة ومنها قوله (عليه السلام) :

(ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِها: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِها عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ. وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ،فَإِنَّ لِكُلِّ يَومٍ مَا فِيهِ. وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ المَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا للهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ).

وما يضيف (عليه السلام) إليها:

(وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ للهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً، فَأَعْطِ اللهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلى اللهِ مِنْ ذلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلا مَنْقُوصٍ، بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ. وَإِذا قُمْتَ فِي صَلاتِكَ لِلنَّاسِ، فَلا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلا مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ العِلَّةُ وَلَهُ الحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - حِينَ وَجَّهَنِي إِلى اليَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ ؟ فَقَالَ: " صَلِّ بِهِمْ كَصَلاةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالمُؤْمِنِينَ رَحِيماً").

وهذا الدليل التربوي التنظيمي الذي يرفع من شأن الإنسان وأعماله وآثاره العلمية والعملية، وما يُمهِّد له من مستقبل نافع، يبدأ من ذاته إلى أوسع نطاق ممكن أن يحققه عمله أو أثره، المادي والمعنوي، الرسمي وغير الرسمي، وأرفعه الإنساني، ولا يقتصر في انعكاساته على النطاق الدنيوي، وإنما في المفهوم العقائدي يصل به لرضى الخالق الكريم، وبالخصوص الأخروي..

ومن هذا الكيان التربوي يكون منعكسه على التوجيه التربوي في الحكم، فيكون مؤشره التقويمي؛ (ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً، فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ، فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ. وَلا تُقْطِعَنَّ لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً، وَلا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذلِكَ لَهُمْ دُونَكَ, وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ القَرِيبِ وَالبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذلِكَ مَحْمُودَةٌ).

فخاتمة الأمور حتى في أمور الدنيا والدين والدولة والحكم، منحى البُعد التربوي الذي يفعل فعلته الكبرى على النفس والسلوك بأفكاره وتطلعاته، بتعقيب خطى أخلاقية العدالة المؤنسة لمزاوليها فكرياً، وتدرُّجه ليشمل كل الطبقات بلا تفرقة حتى الوصول به إلى ميدان الحكم الخطر..

المبحث السابع

أخلاقية العدالة وبعدها الثقافي

وبالإضافة إلى ما تقدّم، وتكاملاً لِما وصلنا إليه لاستيعاب الآخر بأرفع مستوى للإنسانية، يتم من خلال القوّة المستمدة من البُعد الثقافي الذي تعرف شيء عن كل شيء، وبأنقى صوره لتحقيق أدق ما تعنيه أخلاقية العدالة، وتبدأ من معرفة الخالق ﷻ، ومعرفة حقيقة الخلق والتعامل معهم، أين ما كان الشخص من المستويات الرسمية وغير الرسمية، والسيطرة على الوعي واللاوعي، وذلك حينما يصل الوعي الفكري للإنسان إلى مستوى (أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الجَمَحَاتِ، فإنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بالسُّوءِ، إلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ)..

ولقوله (عليه السلام) : (وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ العُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ الحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ)، أيضاً له أخلاقية العدالة في إيصال المعلومة المنعكسة بشكل مباشر وغير مباشر على الثقافة الجمعية (الجماعية) أو الجماهيرية، وما يتطلبه من بناء ثقافي – تربوي، يكون دعامة للدولة والمجتمع أو الناس، وآثاره على فهم واستيعاب الآخر بكل أبعاده وأنشطته، وأين ما كان موقعه الرسمي وغير الرسمي، وبدوره قد يأخذ بُعده الحضاري المنفتح على المجتمعات والشعوب والانتفاع الإيجابي المثمر من خلال التلاقح الحضاري المتعاون على أساس النفع التبادلي الإنساني، لا على أساس مبدأ المصالح، التي تزول العلاقات الدولية أو المجتمعاتية بزوال المصالح المخطط لها..

ومن الأبعاد الذي يحمله النص المبارك (ثُمَّ الصَقْ بِذَوِي المُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلُ البُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الحَسَنَةِ؛ ثُمَّ أَهْلُ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ العُرْفِ)، تأثير البيئة الثقافية والأخلاقية على الشخص واكتسابه روح الخير الجامع للخصال الحميدة وحماية من كان ضمن حدود عمله أو إدارته، فيبعث فيهم روح العطاء والبناء والتطوير ومنه العلم والثقافة..

وبالإضافة إلى البُعد الاستراتيجي التربوي في قوله (عليه السلام) :

(وَارْدُدْ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِقَومٍ أَحَبَّ إرْشَادَهُمْ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ وَالرَّسُولِ " فَالرَّدُّ إلى اللهِ: الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إلى الرَّسُولِ: الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الجَامِعَةِ غَيْرِ المُفَرِّقَةِ).

هناك البُعد الاستراتيجي الثقافي، وأخلاقية عدالة الكلمة التقويمية، التي تعتمد في التأسيس والبناء المتناهي القوة؛ هو الرد إلى الله ورسوله، المتمثل بالقرآن الكريم والسُّنّة النبوية الشريفة، المقرِّبة وموحدة الكلمة على الصراط المستقيم، والبعيدة عن التعصب والازدواجية..

ومن أجل دعم وتواصل المسيرة الثقافية القويمة ببُعدها الأخلاقي للعدالة؛ (ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لا تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ، ولا تُمَحِّكُهُ الخُصُومُ، وَلا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلا يَحْصَرُ مِنَ الفَيْءِ إلى الحَقِّ إذَا عَرَفَهُ، وَلا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ؛ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الحُكْمِ، مِمَّنْ لا يَزْدَهِيهِ إطْرَاءٌ، وَلا يَسْتَمِيلُهُ إغْرَاءٌ، وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَافْسَحْ لَهُ فِي البَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إلى النَّاسِ. وَأَعْطِهِ مِنَ المَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا).

وهو لا يقوم إلاّ ببناء كيان وصرح الثقافة Culture العظيم في دواخل النفوس والعقول البشرية، التي تعني أجمل ما تعنيه، وبشكل مختصر ومفيد ومتداول، معرفة شيء عن كل شيء، وفي أخلاقيات العدالة المدروسة والمخطط لها والممكن تنفيذها بدقة ووفق ما متوافر وسيتوافر من السبل والآليات، وبديهي بلا هذا البناء القويم والصحيح والمناسب، لا يمكن أن يتفاعل تطبيقياً مع الناس أخلاقيات العدالة..

المبحث الثامن

أخلاقية العدالة وبعدها الفلسفي

وللفلسفة التي تعني حب الحكمة، حظوة في تعليل الأقوال والأفعال من أجل الوصول إلى الحقيقة المقنعة والمُشبعة بالفكر المتوقد بأعلى مستوى فكري، والأخذ بيد الإنسان أين ما كان من المستويات الإدارية والسياسية أو مستوى الحكم نحو قويم السبل النيرة التي تستقرأ كل الأبعاد لبناء الشخصية Personality الحقيقية المتمثلة بالفرد، والشخصية المعنوية المتمثلة بالكيان الجامع المانع، والمميزة بقوتها وتفوقها المؤهل للحصول على أرقى الفرص، وما الشخصية المتكاملة Integrative Personality المتسقة بالسمات المكملة بعضها البعض، وبمنحى السلوك القويم الناجح، بأقل الجهود وأعلى رفعة من النتائج النافعة المثمرة المتواصلة بعطائها الفكري والعملي، وبأرقى الدوافع والحوافز للخير الإنساني، لتكون العدالة بحقيقة أخلاقياتها، فيحظى بأعماله ونتائجها قبول واحترام كل الأطراف، ويعرف كيف يُكافئ الغير ويطور إمكانياته، كما هو ما يتضمنه القول المبارك؛ (وَلا يَكُونَنَّ المُحْسِنُ وَالمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ ! وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ).

وتعليل ومعرفة سبب أن لا يكون المحسن والمسيء سواء، لأنّ (فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ !).

وامتداده هو فلسفة عدم إشراك البخيل وغيره من المعوَّقين سلوكياً بسبب ما يحملونه من فكر في المشورة لكون البخيل:

يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الفَضْلِ.
وَيَعِدُكَ الفَقْرَ.
وَلا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الأُمُورِ
وَلا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالجُورِ
فَإِنَّ البُخْلَ وَالجُبْنَ وَالحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ.

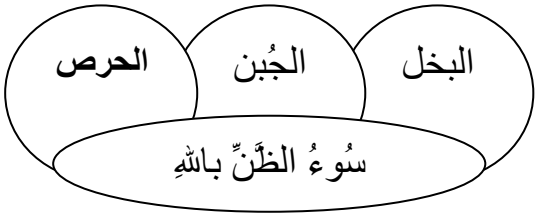

مخطط (١٤) يبين عوامل سوء الظن بالله.

وأيضاً يمكن القول أنّ للحوافز وأخلاقية العدالة المبنيّة عليها، أمرٌ لابدّ منه، لِما يحمله من فلسفة عميقة ودقيقة، وما تحملها من أبعاد إنسانية، ليستثمر ويدفع جمعاً بين القدرة والرغبة في العطاء، إذا ما استثمرت فلسفتها وبعمقها الاستراتيجي، وجانب مِمّا يحمله قوله (عليه السلام):

(وَلا يَكُونَنَّ المُحْسِنُ وَالمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ ! وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ).

وهنا تبرز فلسفة الجزاء بوجهيها؛ المكافآت والعقوبات، المادية والمعنوية، (وَلا يَكُونَنَّ المُحْسِنُ وَالمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ) وفلسفة ذلك:

فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ.
وَتَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ !
وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ.

وهو أعلى مراتب أخلاقية عدالة الحوافز ومتطلباتها ومسبباتها من بُعدها الفلسفي الاستراتيجي، البعيد عن جرح كرامة الإنسان بقسوة العقوبة، وخسارته المادية والنفسية، ويحمل ما تقدّم من قوله (عليه السلام) ما يتطلب من تشريع لنظام الحوافز واستثماره بما يتطلبه ومَنْ ينطبق عليه، وتنفيذ ما يتم إقراره، بالتوقيت والموقع والشخص وطبيعة ونتائج الإنجاز، ولا يضرُّ عند ذوي العطاء تكرار المكافآت، لئلا يفقد خاصية الارتقاء بالإنسان وما يمتلكه من طاقات وروح الإبداع والابتكار والخير والنفع المتواصل..

ويترجم الكيفية التي يكون عليه نظام الحوافز قوله (عليه السلام) : (ازْجُرِ المُسِيءَ بِثَوَابِ المُحْسِنِ)، ولم يكن الزجر بعقوبة المسيء على نتائج ما اقترفه، بل العقوبة الأوقع على المسيء، حينما يتم مكافأة المحسن أي المُنْجِز أو المنفّذ لِما هو مخطط له وقد يتجاوزه إبداعاً، ليكون وقعه نفسي بنّاء..

والاهتمام بالعامل النفسي الإنساني كشرط له التأثير البالغ، ليكون عامل إنساني منبِّه ومحرك؛ ينبِّه أنّ لكل عمل تقديره المشروط، ومحرِّك لِمَنْ تخلّف عن العطاء أو كان عطاءه منقوصاً أو منحرفاً أو دون المطلوب أو مخالفاً لِما هو مطلوب..

وهو أرقى ما يمتثل من أخلاقية العدالة بِبُعدها الفلسفي المبني عليه نظام الحوافز والمكافآت، لتتعاظم الدوافع بالشعور أنّ تقييم الوظائف وتقويم الأداء، ساري المفعول بسريان إنسانية، و كل ما يُقدِّمه له أثره النفعي..

وهناك أخلاقيات العدالة وبُعدها الفلسفي الذي يحملها العهد المبارك، وقد تضمنته المباحث المتقدمة، ولا يسع تكرارها أو تحليلها..

الخاتمـــة

بعد هذا الاستعراض المختصر الشامل لمضامين عهد أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) وعلى وفق ما يستوعبه البحث، يمكن أن نجمل أهم الاستنتاجات بما يلي:

يظهر أنّ هناك وحدة الأوامر ووحدة القرار مبنية على خطة عمل واستراتيجيات، الأهداف والغايات فيها تنصب على الإصلاح والبناء، ومما يعني بوضوح الشكل والمضمون الأخلاقي؛ للشخصية وما يقابل من الأعمال..

محاور تنفيذ الأمر الرئيسية هي؛ جِبَايَة خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلادِهَا، ونجاح نتائج الخطة والحصول على الثمرة الحقيقية، هو البناء الأخلاقي للجانب الضريبي، ومتطلبات الجهاد وفلسفته، وتقويم الإنسان، وتطوير البيئة..

الأرضية التي ينطلق منها الشخص القيادي تتمثل بتَقْوَى اللهِ تعالى، وإيثَارِ طَاعَة الله عزَّ وجل، وإتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ (القرآن الكريم): مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلا يَشْقَى إلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وهو مؤشر تقويمي سلوكي – أخلاقي.

للنفس الأمّارة بالسوء الدور الكبير في توسيع رقعة ومناخ شهوات النفس وجماحاتها، ومنه ما يتم تدمير كل الأخلاقيات، ومنها أخلاقيات العدالة مع الذات والآخرين أين ما كان موقع الإنسان..

للتاريخ السياسي أمرٌ فاعل وحاضر في فكر الناس ومجرياته، وآثار على الوعي واللاوعي لديهم، مؤثراً في تجاوبهم وتعاونهم مع الشخص القيادي، لذا يسبقه بتطبيق أخلاقية العدل والرحمة، للوصول إلى تحقيق البعد الإنساني..

الاستعدادات النفسية والرؤى تبادلية بين القائد والناس؛ (وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ..)، ويدخل ضمن الأنشطة فاعلية علم النفس السياسي المتمثل بـ (بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ) والنتيجة (وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ)، وجميعها تصب في مجال السلوك الأخلاقي للعدالة..

النظرة الأخلاقية لإدارة البلاد والعباد، يكون تقويم التطبيقات ونتائج أخلاقية العدل من خلال المعلومات المرتدة للرأي العام؛ (وَإِنَّمَا يُستَدَلُّ عَلى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلى أَلْسُنِ عِبَادِهِ)، وهو ما تهتم به العلوم السياسية..
هناك للسلوك القيادي المبني على الاستعدادات وقوة الشخصية وما تحمله من أبعاد فكرية تربوية قيادية، منبعها من العَمَلِ الصَّالِحِ..
هناك ما يدخل ضمن السلوكيات القيادية وعلم النفس التنظيمي والإداري وحتى السياسي، بشقيه النفسي والاجتماعي؛ عدم الندم عَلى العَفْوِ، يعني الثبات في تقديم الخير، ويكمله أخلاقية العدالة هو عدم التبجح بالعقوبة، وَلا تُسْرِعَنَّ إلى بَادِرَةٍ، وَلا تَقُولَنَّ: إنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فأُطَاعُ، - والسبب -؛ فَإنَّ ذلِكَ إدْغَالٌ فِي القَلْبِ، ومَنْهَكَةٌ للدِّين، وتَقَرُّبٌ مِنَ الغِيَرِ. وهو دليل ما يتطلبه الحكم والقيادة والتفويض وتحمُّل المسؤولية..
تقويم سلوك جبروت الحكم، النظر إلى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، وبه يُطَامِنُ إليكَ مِنْ طِمَاحِكَ، ويَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، وَيَفِيءُ إلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ..
للمكافئة والحوافز أهمية كبيرة وبالغة في النفوس، فلذا كان نظام الحوافز عند أمير المؤمنين (عليه السلام) مبني على مبدأ إنساني رفيع؛ (ازْجُرِ المُسِيءَ بِثَوَابِ المُحْسِنِ)، مكمل لـ (وَلا يَكُونَنَّ المُحْسِنُ وَالمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإحْسَانِ فِي الإحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لأَهْلِ الإسَاءَةِ عَلى الإسَاءَةِ ! وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ).
هناك منهج للشخص القيادي أن يتطلّع إلى ما يوحِّد كلمة معيّته ورعيته ويرعى مستقبلهم، ويحقق ما يصبو إليه العامة، وهنا للرأي العام أمرٌ في غاية الحساسية والخطورة، وهو ما يؤثر وينعكس آنياً ومستقبلاً على السلوك الجمعي أو الجماعي، مع مراعاة الحق والعدالة وبأرفع مستوى من الأخلاقية، والمنهجية القويمة في كسب الرأي العام، هو (أَحَبَّ الأُمُورِ للقائد أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ.
لا يقتصر رأي القائد على ما يُمليه رأيه، بمعنى آخر لا يستبد برأيه دون المشورة مِمّن هم أهلاً بالعلم والخبرة والدراية، وكل مَن يكون موضع ثقة وموضوعي في إبداء الآراء، ويتوجب للمستشار سمات بعيدة عن البخيل والجبان والحريص..
من أجل أن تتحقق بلورة الخطط أو القرارات الدقيقة، يتطلب أن يتم رعاية العلم والعلماء، والابتعاد عن أشباه العلماء.. وهو بُعد آخر لدعم سياسة الدولة وإدارتها وفق استراتيجيات من شأنها أن ترفع من شأن البلاد، وتُبْعده عن مخاطر الفساد الفكري وانحرافه..
حماية الدولة والحكومة ومستقبليهما، قيام المبدأ السياسي والإداري؛ (إنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ للأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ فَلا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَئِمَةِ، وَإخْوَانُ الظَّلَمَةِ..).
كلما انطبق وصف الوظيفة على مواصفات شاغلها، تحقق تنفيذ المهام بأدق وأفضل نتاج، وكان الشخص المناسب في المكان والتوقيت المناسب، وابتعاد كل المستويات الوظيفية عن الفساد المالي والإداري مع مراعاة المصلحة العامة، وما يحقق التطور والنمو..
يتطلب التغيير؛ الأرضية القوية والصالحة والمناسِبة بالتوقيت والمكان والموارد البشرية، في حالة كون التغيير إلى الأحسن والأصلح، أمّا إذا كان التغيير خلاف ذلك، أو لا حاجة إلى ذلك، من شأنه أن يُربك الوضع الأمني والسياسي والإداري والاجتماعي، وقد لا يُحمد عُقباه..
الرادع والواقي العظيم للفساد الإداري والمالي، ما يحمله الشخص من قويم البيئة التربوية ومعايير السلوك التنظيمي والقانوني، ما يكون عليه الدور الأساسي للجهاز الحكومي من مؤهلات الاختيار، وإذا لم يتم الاختيار وفق معايير مدروسة ومتوافرة لدى الشخص، سيكون مجالاً لاستشراء الفساد الإداري الذي يتم استغلال موظف الدولة لصلاحياته ومسؤولياته وموقعه الوظيفي بشكل غير مشروع ليحصل على مكسب غير مشروع.. أو قد يكون أداء أو تنفيذ الأعمال المخالفة للقوانين أو اللوائح أو التشريعات أو التعليمات، بشتى الوسائل المادية وغير مادي، المباشرة وغير المباشرة أو باستغلال الثغرة أو الفجوة في تلك القوانين واللوائح.. ويكون

منفذ لفساد مالي بالاستغلال غير المشروع لكسب مادي.. وقد يشمل الجانبين فيكون الفساد الإداري والمالي، وربما يدخل كل الأنشطة فيدمِّر أهدافها وغاياتها، ويدخل هذا الفساد جانب من انحراف السلوك الإداري..
لبناء الهيكل الإداري ووفق الدليل التنظيمي، وللتكامل ومعرفة كل صغيرة وكبيرة ودراية عينية بالبلاد والعباد ومطابقة السماع بالعيان، يُسترشد بمبدأ المنهجية القيادية التقويمية.
السخط الإلهي على الحكّام والناس، هو ما يتعلق بسفك الدماء بغير حقها، فلا تقادم في ارتكاب الجرائم عند الخالق ﷻ، لكون الظلم لا يدوم، ولا بدّ له من نهاية تسحق كل ظالم..
وتهديدات الانحراف النفسي بتأثير الفجوة الناتجة عن الإعجاب والثقة في غير مواضعها وتوقيتها؛ وهي تختلف عن الثقة المبنية على البناء لا التهديم، وتواصله في حب الإطراء الناتج عنه ما يُحجب الحاكم عن الحقيقة..
للأبهة أو الخُيلاء مع السلطان، جموح يؤثر على الاستقرار النفسي، فيؤدي بخطورته المتعاظمة إلى التعدي على العدالة وما تفرضه من أخلاقية، لكون أخلاقية العدل من خلالها يتحقق الأمان والطمأنينة لدى كل الأطراف من أعلى سلطة في البلاد إلى أدناه، وفي كل المستويات الأفقية والعمودية، ومَنْ كان في خارج السلطة أو الوظيفة..
تفقُّد الرعية أحد أبواب أخلاقية العدالة التي يتبناها الشخص القيادي، ومتمم للاستقرار الأمني، وقيام كل ما يدعم أنشطة الدولة، وبناء الثقة والصلة المتينة الجامعة بين القائد ورعيته.
يكون العدو داخلي أو خارجي، ولكلٍ وسائله وأهدافه وغاياته، وما يحمله من خطط مدمرة، والجهاد في الكشف عن العدو وأساليبه وأهدافه وتحديده وتحديد قوّته والجهات الداعمة له، يكون الهم الموحد لحماية الدولة والناس وممتلكاتهم، حينما يواسيهم في معونته لهم ولممتلكاتهم وأهليهم، وهو من الأخلاقية التي تحملها العدالة ببعدها الأمني وفي جهاد العدو، المكمِّل لِما يترتب عليه من جانب إداري للاختيار والتعيين..
ومن أخلاقيات العدالة أن تجعل الأمان والطمأنينة من بطش ذوي السطوة وأعوانهم القائمين على الأمن، ومنها ما يكون إنساني حتى في التعامل النفسي مع الرعية وحمايتهم من تبعيّة ما سيكشفون عنه من الظلم المحيق بهم دون خوف أو وجل لإحقاق حقهم، ووضع الأمور في نصابها.
أرقى مبدأ لحقوق الإنسان نادى به رسول الله " صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ " (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ القَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ)، والمتعتع المتردد المضطرب في طرح مشكلته أو ما يُعانيه من أمر، خوفاً من البطش، لذا يحثّ الولاة على التطبيق العادل، لاستقرار النفس، وما يحمله علم النفس لعلاج ذلك، وكشف الحقائق من أجل إحقاق الحق..
قبول السلم والصلح لبناء الاستقرار الأمني، بحسن النيّة في أداء الالتزامات، وحل المنازعات بالطرق السلمية، وبناء ثقافة السلم والاستقرار لدى الناس، لأنّ الإسلام جاء من أجل الجهاد الأكبر؛ جهاد النفس لبناء كل ما هو قويم في دواخل الشخص وما يُحيط به، ومن أجل التقدُّم والنمو والتطور في كل مناحي الحياة، وبناء أرقى حضارة إنسانية واعدة، وهو لا يمنع من التحوط والحذر من العدو والدفاع عن سيادة الدولة وأمنها، عندما يطرأ أي طارئ..
يحذِّر (عليه السلام) من فجوات العقود وتأويلاتها المتعددة التي تهدد أمن الدولة والناس والممتلكات..
أخلاقيات العدالة في عهد الإمام (عليه السلام) مبني على أعظم ديباجة لحقوق الإنسان إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، وبهذا كلٌّ له حقوق وواجبات.. ويكملها قوّة (الرَّعِيَّةُ طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ ببَعْضٍ، وَلا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ) ومضامينه يدخل في علمي الاجتماع والاقتصاد..
حماية المكاسب الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية واستراتيجيتها منهجه (وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وَصَلاحِهِمْ صَلاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلا صَلاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إلاَّ بِهِمْ، لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلى الخَرَاجِ وَأَهْلِهِ)، وتكامله (وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ

نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلابِ الخَرَاجِ، لأنَّ ذلِكَ لا يُدْرَكُ إلاَّ بالعِمَارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ الخَرَاجَ بغَيْرِ عِمَارَةٍ أخْرَبَ البِلادَ، وَأهْلَكَ العِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أمْرُهُ إلاَّ قَلِيلاً).
وأخلاقية العدالة والمساواة الاجتماعية، تأخذ بُعدها الاستراتيجي الإنساني؛ (وَاحْفَظْ للهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ)، (لِلأقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإنَّكَ لا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لإحْكَامِكَ الكَثِيرَ المُهِمَّ).
الاهتمام بالتُّجَّارُ وَأهْلُ الصِّنَاعَاتِ، القائم عليهم الاقتصاد الوطني والمشاريع الخاصة والمختلطة، وبذات الوقت يدعمون بأنشطتهم ومشاريعهم، المجتمع والدولة والدخل الوطني ودخل الفرد، وتخفيض نسبة البطالة، ويخففون عبء الاستيرادات على الاقتصاد الوطني، وانعكاسات تبعاتها وتأثيراتها الخطرة المستوردة التضخم والعجز العالمي، بالإضافة إلى زيادة الكفاءات والخبرات الوطنية، وهو بدوره قد يحقق تنمية وتطوير القدرات على الإبداع والابتكار والاختراع، وتنمية رؤوس الأموال الوطنية، وأيضاً المنتوج الوطني من السلع والخدمات، يحقق بذاته قوّة الدولة أمام التأثيرات والضغوطات الخارجية..
أخطر ما يطرأ من الخراب، خراب البلاد والعباد، بما فيه أحد عوامل قوّة الدولة، ألا وهو تدمير قوّة نظام أخلاقيات العدالة الاقتصادية، وخصوصاً حينما يتسلل الفكر الملوث لينعكس آثاره على نفس المسؤول لتنحرف، وينبثق على أثرها الفساد الإداري والمالي فيكون؛ (وَإنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأرْضِ مِنْ إعْوَازِ أهْلِهَا، وَإنَّمَا يُعْوِزُ أهْلَهَا لإشْرَافِ أنْفُسِ الوُلاةِ على الجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بالبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بالعِبَرِ).
يحظى القطاع الخاص الحظوة والاهتمام في مضامين عهد أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) ، لبناء الاتجاهات التعاونية والأخلاقية لتقسيم المهام بين الدولة والناس، ومن أخلاقيات العدل، عدم ضياع هذه القدرات لحماية وتنمية وتطوير اقتصاد البلاد..
هناك ما يُعكر صفو المناخ التنظيمي الاقتصادي والتجاري من حركة وموازين أخلاقيات الأعمال والعدالة؛ وفي مقدمته البعد الاقتصادي؛ والتحذير (أنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً، وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي البِيَاعَاتِ، وَذلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلى الوُلاةِ)، ولذا يتوجب منع كل انحراف ومنه الاحتكار.
لليتيم وكبار السن في أخلاقيات العدالة بالبعد الاجتماعي والتربوي والبعد الاقتصادي، ويبدأ الاهتمام بهم من أعلى رأس في السلطة التنفيذية.
الاهتمام بالتنمية التربوية وبعدها الأخلاقي – الفكري، الجامع بين الثقافة التربوية والتربية الثقافية والعلمية، ومن أخلاقيات العدالة؛ (وَأكْثِرْ مُدَارَسَةَ العُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ الحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أمْرُ بِلادِكَ، وَإقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ)، وما ينعكس ذلك على التعلم والتعليم، والمعلّم والمتعلم، والاستئناس بالأفكار وما يقوِّم إدارة الدولة والناس، ليكونوا وحدة واحدة، فيصلح بعضهم بعضاً تكاملياً وبلا غنى بعضهم عن بعض، ويبني بعضهم بعضاً؛ مادياً ومعنوياً، ويستمد البُعد التربوي من أخلاقية العدالة..
لبناء اتجاه في أخلاقيات العدالة والتفاعل معها، لابدّ من الجمع بين المروءة والحسب، والبيت والصلاح، والسوابق الحسنة، وملازمة النجدة بالشجاعة، بجوانبها المادية والمعنوية والنفسية..
تأثير البيئة الثقافية والأخلاقية على بناء موضوعي للعدالة، ومحورها الشخصية، واكتسابه روح الخير والعطاء والبناء والتطوير ومنه تنمية العلم والثقافة لدى الفرد والمجتمع..
الاهتمام بالعامل النفسي الإنساني كشرط له التأثير البالغ، ليكون عامل إنساني منبِّه ومحرك؛ ينبِّه أنّ لكل عمل تقديره المشروط، ومحرِّك لِمَنْ تخلّف عن العطاء أو كان عطاءه منقوصاً أو منحرفاً أو دون المطلوب أو مخالفاً لِما هو مطلوب.. وهو أرقى ما يمتثل من أخلاقية العدالة بِبُعدها الفلسفي المبني عليه نظام الحوافز والمكافآت، لتتعاظم الدوافع بالشعور أنّ تقييم الوظائف وتقويم الأداء، ساري المفعول بسريان إنسانية، و كل ما يُقدِّمه له أثره النفعي..

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية :

القرآن الكريم .

١. **الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / نهج البلاغة / شرح محمد عبدة / ج١ / مطبعة الاستقامة / مصر .**
٢. الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / نهج البلاغة / ضبط نصّه صبحي الصالح / ط١/ دار الكتاب اللبناني / بيروت / لبنان / ١٩٦٧.
٣. إبن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة / ج ١٧ / دار الجيل / بيروت / لبنان / ط٢ / ١٩٩٦
٤. **إبن منظور / لسان العرب / مج ١١ / دار صادر - دار الفكر / بيروت / لبنان / ط ٣ / ١٩٩٤.**
٥. د . إحسان محمد الحسن / المدخل إلى علم الاجتماع / دار الطليعة للطباعة والنشر / بيروت / لبنان / ط١ / ١٩٨٨ .
٦. د . عائشة راتب / التنظيم الدولي ؛ القواعد العامة – الأمم المتحدة / الكتاب الأول / دار النهضة العربية / القاهرة / مصر / ١٩٧٠ .
٧. د . عاصم الأعرجي / مبادئ الإدارة العامة ؛ منظور سلوكي معاصر / مطبعة شفيق / بغداد / العراق / ط١/ ١٩٩٠ .
٨. **د. محمد علي محمد / علم اجتماع التنظيم / دار المعرفة الجامعية / الإسكندرية / مصر / ١٩٨٩.**
٩. **نخبة من الأساتذة المصريين والعرب / معجم العلوم الاجتماعية / الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة / مصر / ١٩٧٥**
١٠. **هاشم حسين ناصر المحنك / الإدارة والأسلوب القيادي في نهج البلاغة / دار أنباء للطباعة والنشر / النجف الأشرف / العراق .**
١١. **هاشم حسين ناصر المحنك / علم الاجتماع في نهج البلاغة / دار أنباء للطباعة والنشر / النجف الأشرف / العراق .**
١٢. **هاشم حسين ناصر المحنك / علم تلوث الفكر البشري - الوقاية والعلاج - في نهج البلاغة / دار أنباء للطباعة والنشر / النجف الأشرف / العراق .**
١٣. **هاشم حسين ناصر المحنك / علم الاقتصاد في نهج البلاغة / دار أنباء للطباعة والنشر / النجف الأشرف / العراق .**
١٤. **هاشم حسين ناصر المحنك / علم النفس في نهج البلاغة / مطبعة القضاء / النجف الأشرف / العراق / ط١ / ١٩٩٠.**
١٥. **هاشم حسين ناصر المحنك / فلسفة الإدارة المعاصرة والمجتمع / مطبعة القضاء / النجف الأشرف / العراق / ط١ / ١٩٩٠.**
١٦. **هاشم حسين ناصر المحنك / نظام تصميم العمل وتقويم الأداء ودوره في المشاريع الإنتاجية / مطبعة القضاء / النجف الأشرف / ١٩٨٧.**
١٧. د . هشام علي صادق / دراسات في القانون الدولي الخاص / الدار الجامعية للطباعة والنشر / بيروت / لبنان / ط١ / ١٩٨١ .

الكتب المترجمة :

١. باركر وآخرون / علم الإجتماع الصناعي / ترجمة د. محمد علي محمد وآخرون / دار المعرفة الجامعية / الاسكندرية / مصر / ١٩٨٩.
٢. جالس ماج / المجتمع في العقل ؛ عناصر الفكر الاجتماعي / ترجمة د . إحسان محمد الحسن / دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد / العراق / ١٩٩٠ .

الـكتب الأجنـبيـة :

١ - Dess , Gregory G. & Other " Strategic Management ; creating competitive advantages " ٣th Ed . , McGraw-Hill Companies, Inc., New York, Americas, ٢٠٠٧.

٢ - Glueck, William F. & Jauch, Lawrence R., " Business Policy And Strategic Management " , ٤ed , Megraw- Hill International Book Co., Tokyo , ١٩٨٤ .

٣ - Haag , Stephen & Other , " Management Information Systems ; For The Information Age ", ٦th Ed. , McGraw-Hill Companies, Inc., New York, Americas, ٢٠٠٧ .

٤ - Hampton , David R., " Contemporary Management " ٢ed , McGrow – Hill , Inc. Tokyo , Japan , ١٩٨١ .

٥ - Luthans , Fred " Organizatioal Behavior " ٣ed , McGrow – Hill , Inc. Tokyo , Japan , ١٩٨١ .

٦ - Wran, Daniel A., & Dan Voich ,Jr. " Manaagement : Process Structure And Behavior " , John Wiohn Wiley & Inc. , New York , ١٩٨٤ .

أثر أقوال مختارة من نهج البلاغة في الأداء التعبيري وتنمية التفكير الإبداعي

المدرس المساعد: شكري عزالدين محسن (المديرية العامة للتربية في النجف الأشرف)

معهد إعداد المعلمين

ملخص البحث:

كانت التربية وما زالت عاملاً مهما في نشوء المدنية وانتشارها ووصول الأفراد إلى مستويات عليا من التفكير والإبداع والمعرفة والتقدّم؛ لذا زادت العناية بها بوصفها من وسائل التطور الحضاري من خلال عنايتها بالفرد والمجتمع، واكتسب التعليم أهمية بارزة لأنه أداة التربية في تحقيق أهدافها، وحظيت اللغة بقسط أوفر من الاهتمام لأنها وسيلة التعليم وأداته.

واللغة العربية من اللغات الحيّة القويّة، وهي لغة القرآن الكريم الخالدة بخلوده، والمصونة بصيانته، والتعبير أداة اللغة لأنها تحقق وظيفتها فيه لما يؤديه من تسهيل عملية الاتصال بين الناس، لذا وجب الاهتمام به اهتماماً يتناسب وعظم المنزلة التي يتبوأها بين فروع اللغة جميعاً فهو غاية فروع اللغة، وبقية فروعها وسائل لتحقيق هذه الغاية.

وعلى الرغم من أهمية التعبير (الشفوي، والتحريري) فان تدريسه ما زال يعاني من الضعف، فقد أكدت الكثير من الدراسات والأدبيات هذا الضعف وعدّته من أهم المشكلات، وجاء هذا البحث استكمالاً للدراسات السابقة وعرفاناً باللغة العربية من اجل الوصول إلى حلّ يسهم إسهاما فاعلا في إزالة أو تقليل هذه المشكلة، لذا استهدف البحث الحالي معرفة اثر أقوال مختارة من نهج البلاغة في الأداء التعبيري وتنمية التفكير الإبداعي.

إذ يرى الباحث أن هناك الكثير ممّن كتب عن نهج البلاغة شرحا وتعليقا وتحقيقا، ومازال هذا الكتاب منهلا عذبا لروّاد العلم والمعرفة فهو كتاب مترامي الأطراف متشعّب العلوم والفنون، فيه أقوال وروائع خالدة تناولها الإمام علي (عليه السلام) من الإنسان جوهرا وغاية، ومن الكون معنى وشكلا، ومن أحوال زمانه وأحداث عصره دفعها عقله الحكيم إلى خياله وقلبه حقائق علمية خالصة. فهي تراث عظيم للإنسانية بوصفها دستورا جليلا في الأخلاق لا تسمو عليه دساتير المفكرين والحكماء في مختلف العصور والأزمنة.

ولتحقيق هدف البحث اختار الباحث معهد إعداد المعلمين في مركز محافظة النجف الأشرف، وتمّ اختيار شعبتين من الصف الثالث عشوائيا لتكون إحداهما مجموعة تجريبية والأخرى ضابطة.

بلغت عينة البحث (٤٤) طالباً بواقع (٢٢) طالباً في المجموعة التجريبية التي درست التعبير بأقوال مختارة من نهج البلاغة، و(٢٢) طالباً في المجموعة الضابطة التي درست التعبير بالطريقة الاعتيادية.

وفي نهاية التجربة أجرى الباحث اختباراً بعدياً في موضوع موحّد لكلتا المجموعتين للكتابة فيه، واعتمد اختبار سيد خيرالله للتفكير الإبداعي وأظهرت النتائج وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥) لصالح المجموعة التجريبية في الأداء التعبيري وتنمية التفكير الإبداعي.

وفي ضوء النتائج التي توصّل إليها البحث تقدّم الباحث بعدّة توصيات منها:

١ـ اعتماد أقوال مختارة من نهج البلاغة عند تدريس مادّة التعبير، لما لها من دور فاعل لدى الطلاب في معاهد إعداد المعلمين والمراحل الدراسية المختلفة.

٢ـ الابتعاد عن أساليب التلقين وفرض الأفكار، ومساعدة الطلاب على الوصول إلى المعلومات بأنفسهم.

٣ـ أن تتضمن المناهج الدراسية استراتيجيات التفكير المختلفة التي تنمي مهارات التفكير والإبداع لدى الطلاب.

أولا ـ التعريف بالبحث

١ـ مشكلة البحث:

إن مشكلة ضعف الطلاب في التعبير من المشكلات التي تواجه مدرسي اللغة العربيّة ومدرساتها من خلال الشكوى المستمرة من قبلهم، وكما نلمسه في جوانب حياتنا المختلفة الثقافية والاجتماعية، حيث أنّ الطلاب أكثرهم عاجزون عن التعبير في أي موضوع بوضوح وطلاقة وبطريقة محببة وممتعة، ويشير أحد الباحثين لهذه المشكلة بقوله: ((هناك ضعف في تعبير الطلبة شفوياً كان ذلك أم تحريرياً فالطالب لا يستطيع التعبير عمّا يريد ببضع جمل إذ تكثر لديه الأخطاء اللغوية والأسلوبية وسوء الترتيب والتنسيق في الكلام والكتابة))[١].

وأملا فيما يمكن أن يقدمه استعمال أقوال مختارة من نهج البلاغة في تدريس مادة التعبير، رأى الباحث أنّ هناك حاجة ماسّة للتأكّد من تأثيرها في الأداء التعبيري وتنمية التفكير الإبداعي، من خلال دراسة تجريبية للتحقّق من ذلك وإمكانية الإفادة من نتائجها، للإسهام في معالجة حالة الضعف في التعبير.

٢ـ أهمية البحث:

يتبوأ التعبير بين فروع اللغة العربية مكانة مهمة، إذ جعله اللغويون في قمة فروعها فهو غاية وما سواه وسائل لتحقيق هذه الغاية[٢].

وتكمن أهمية التعبير فيما يؤديه من دور في الإبانة عن الأفكار والآراء وسحر الكلمة وأثرها في النفوس وإيصال المعاني إلى الآخرين.[٣] ويتجسّد ذلك في قوله تعالى: وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي *، وقوله تعالى: وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * .

فالتعبير هو المظهر الصادق لقوة تفكير الفرد وهو وسيلة التفاهم بين الناس ووسيلة عرض أفكارهم ومشاعرهم[٤].

والتمكن منه يكسب الإنسان الثقة بالنفس ويمكنه من التكيّف الاجتماعي وتحقيق ذاته، فهو عماد الفرد في تفاعله مع غيره عن طريق ما يرسل من الكلام المعبر الذي يكشف عما في النفس، وبه يتعلّم الفرد فهو أداة التعلم والتعليم[٥].

٣ـ هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى تعرّف أثر أقوال مختارة من نهج البلاغة في الأداء التعبيري والتفكير الإبداعي لدى طلاب معهد إعداد المعلمين.

٤ـ فرضيّتا البحث:

١ـ لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسّط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادّة التعبير بأقوال مختارة من نهج البلاغة، ومتوسّط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون مادّة التعبير بالطريقة الاعتيادية في الأداء التعبيري.

٢ـ لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسّط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادّة التعبير بأقوال مختارة من نهج البلاغة، ومتوسّط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون مادّة التعبير بالطريقة الاعتيادية في التفكير الإبداعي.

٥ـ حدود البحث: يقتصر البحث الحالي على:

---

١ . (مقلد: ٢٥٩).
٢ . (الضامن: ٢٠٣).
٣ . (الربيعي: ٢٦٥).
٤ . (السكران: ١).
٥ . (القلقشندي: ٢٢١)

أ ـ عيّنة من طلاب الصف الثالث في معهد إعداد المعلمين في محافظة النجف الأشرف.
ب ـ دروس مادّة التعبير.
ج ـ العام الدراسي (٢٠١٠م ـ ٢٠١١م).
٦ـ تحديد المصطلحات:
أ ـ الأداء:
ـ الأداء (لغةً):
جاء في لسان العرب: ((الإداءُ، بالكسر والمد: الوِكاءُ وهو شِدادُ السِّقاء، وأدّى الشيءَ: أوْصَلَهُ والاسم الأداء. وهو آدَى للأمانة منه. وأدى دَيْنَه تأديةً أي قضاه، والاسم الأداء، ويقال: تأدّيْتُ إلى فلان من حقّه إذا أدَّيته وقضيته))[١].

ـ الأداء (اصطلاحاً): عرّفه كلّ من:
١ـ صالح (د.ت): بأنه ((مجموعة الاستجابات التي يأتي بها الفرد في موقف معين وهذا ما نلاحظه ونقيسه بطريقة أو بأخرى من طرق القياس))[٢].

٢ـ نجار(١٩٦٠م): بأنه ((إنجاز عمل أو إحراز التفوق في مهارة ما أو مجموعة من المعلومات)) (نجار: ١٥).
ب ـ التعبير:
ـ التعبير (لغةً):
جاء في لسان العرب: ((يقال عَبّر عمّا في نفسهِ: أعْرَبَ وبَين، وعَبّر عنه غيره فأعربَ عنهُ والاسمُ العِبرةُ والعبارةُ. وَعبّرَ عن فلان: تكلّم عنهُ))[٣].

التعبير (اصطلاحاً): عرّفه كلّ من:
١ـ عبد القادر(١٩٦١م): بأنه ((إفصاح الإنسان بلسانه أو قلمه عمّا في نفسه من أفكار وأغراض))[٤].

٢ـ دمعة (١٩٧٧م): بأنه ((وسيلة الإنسان الأولى للإفصاح بواسطة اللغة عما يدور في خلده من أحاسيس ومدركات للاتصال بالمجتمع الذي يعيش فيه ويتفاعل معه))[٥].

الأداء التعبيري: عرّفه كلّ من:
١ـ الهاشمي (١٩٩٤م): بأنه ((الإنجاز اللغوي الكتابي عند التعبير في الموضوع المختار في درس التعبير للإفصاح عن أفكار الطلبة ومشاعرهم بأسلوب سليم))[٦].

٢ـ خليفة (٢٠٠٠م): بأنه ((ما ينجزه التلاميذ في موضوع التعبير المختار بصورة تحريرية بأسلوب سليم عن أفكارهم وإحساساتهم))[٧].

التعريف الإجرائي للأداء التعبيري:
هو إنجاز طلاب عينه البحث الكتابي عند التعبير في الموضـوع المقدّم إليهم
ويقاس هذا الإنجاز على وفق معيار التصحيح المعتمد في هذا البحث.
ج ـ التفكير:
التفكير (لغةً):

---

١ . (ابن منظور،ج١٤: ٢٤ـ٢٧).
٢ . (صالح:٩).
٣ . (ابن منظور، ج٤: ٥٣٠).
٤ . (عبدالقادر: ٢٩٨).
٥ . (دمعة: ٣٩).
٦ . (الهاشمي: ٣٣).
٧ . (خليفة: ١٥).

جاء في لسان العرب: ((الفِكرُ والفكرُ إعمالُ الخاطر في الشّيء، قال سيبويه: ولا يجمَعُ الفِكرُ ولا العِلمُ ولا النظرُ، قال وقد حكى ابن دريد في جمعه: أفكاراً، والفِكرةُ كالفِكرُ وقد فكَّرَ في الشّيء))[١].

التفكير (اصطلاحاً): عرّفه كلّ من:

١ـ عبدالهادي (٢٠٠١م): بأنّه ((تقليب النظر في مظاهر الخبرة الماضية، وعملية إثارة فكرة أو أفكار ذات طبيعة رمزية، مبدؤها عادة وجود مشكلة تنتهي باستنتاج أو استقراء))[٢].

٢ـ جبر(٢٠٠٤م): بأنّه ((عملية ذهنية نشطة، وهي نوع من الحوار الداخلي المستمر مع الذات التي ترافق القيام بالعمل، أو مشاهدة منظر أو الاستماع لرأي، وقد يكون التفكير نشاطا ذهنيا بسيطا كما هو الحال في أحلام اليقظة، وقد يكون أمرا بالغ التعقيد كما هو الحال عند حلّ المشكلات واتخاذ القرارات))[٣].

ـ الإبداع:

الإبداع (لغة):

جاء في لسان العرب: ((بَدَعَ الشّيءَ يبدعهُ بدعاً وَابتدَعَهُ أنشَأَهُ وَبَدَأَهُ، والبدعُ الشّيءُ الّذي يكُونُ أوّلاً، وَالبَدِيعُ المُبدِعُ وَأبدَعتُ الشّيءَ اخترَعتُهُ لا على مِثال، وَالبَدِيعُ مِن أسماءِ اللهِ تعالى لإبداعهِ الأشياءَ وإحداثهِ إيّاها وَهُوَ البديعُ الأوّلُ قَبلَ كلّ شيء))[٤].

الإبداع (اصطلاحاً): عرّفه كلّ من:

١ـ الهويدي (٢٠٠٤م): بأنّه ((إنتاج شيء جديد يفيد فئة كبيرة من الناس لفترة معينة من الزمن، وقد يظهر هذا الإنتاج على شكل نظرية أو لوحة فنية أو على شكل اكتشاف جديد))[٥].

٢ـ العتوم، وآخرون (٢٠٠٧م): بأنّه ((الوحدة المتكاملة لمجموعة العوامل الذاتية والموضوعية التي تقود إلى تحقيق إنتاج جديد وأصيل وذي قيمة من قبل الفرد أو الجماعة))[٦].

التفكير الإبداعي: عرّفه كلّ من:

١ـ الحيلة (٢٠٠١م): بأنّه ((عملية لها مراحل متتابعة وتهدف إلى نتاج يتمثّل في إصدار حلول متعدّدة تتّسم بالتنوّع والجدّة في ظل مناخ يسوده الاتساق والتآلف بين مكوناته))[٧].

٢ـ غانم (٢٠٠٤م): بأنّه ((نشاط ذهني متعدّد الوجوه يتضمّن إنتاجا جديدا وأصيلا وذا قيمة من قبل الأشخاص والجماعات))[٨].

التعريف الإجرائي للتفكير الإبداعي:

عملية عقلية شاملة معقّدة يقوم بها الطلاب في مادّة التعبير، تهدف إلى نتاج جديد من خلال البحث عن حلول متعددة، أو التوصّل إلى نواتج أصيلة وذات قيمة، ويستدلّ عليها من خلال الدرجات التي يحصلون عليها في اختبار التفكير الإبداعي.

الصف الثالث:

---

١ . (ابن منظور،ج٥: ٦٥).
٢ . (عبدالهادي: ١٦).
٣ . (جبر: ١٤).
٤ . (ابن منظور،ج٥: ٥).
٥ . (الهويدي: ٢٤).
٦ . (العتوم، وآخرون: ١٣١).
٧ . (الحيلة: ١٦٤).
٨ . (غانم: ١٣٧).

هو أحد الصفوف الخمسة في معهد إعداد المعلمين الذي يقبل الطلبة بعد الدراسة المتوسطة، ويعدّهم للحياة العملية لممارسة مهنة التعليم في المرحلة الابتدائية بعد تخرّجهم وحصولهم على شهادة الدبلوم.

ثانيا ـ دراسات سابقة:

١ـ دراسة الجشعمي (١٩٩٥م):

أجريت هذه الدراسة في العراق / جامعة بغداد – كلية التربية سنة ١٩٩٥، واستهدفت معرفة أثر استخدام الأفلام التعليمية في الأداء التعبيري لدى طلبة المرحلة الإعدادية.

اختار الباحث عشوائياً مدرستين في مركز مدينة بعقوبة، واختار شعبتين من كل مدرسة، جعل واحدةً منها تجريبية درست التعبير بالأفلام التعليمية، والأخرى ضابطة درست التعبير بالطريقة الاعتيادية.

بلغ عدد أفراد عينة الدراسة (١٦٢) طالباً وطالبة. كافأ الباحث بين مجموعات البحث في عدد من المتغيرات، ودرّس الباحث نفسه المجموعات ثمانية موضوعات موحدة، واستمرت التجربة فصلاً دراسياً كاملاً، وكانت أداة البحث سلسلة من الاختبارات صححها الباحث على وفق معيار الهاشمي.

عالج الباحث بيانات الدراسة إحصائيا باستعمال الاختبار التائي، ومربع كاي، ومعامل ارتباط بيرسون.

ومن نتائج الدراسة تفوّق المجموعات التجريبية على المجموعات الضابطة، وأوصى الباحث بضرورة اعتماد الأفلام التعليمية في تدريس التعبير في المرحلة الإعدادية[١].

٢ـ دراسة خليفة (٢٠٠٠م):

أجريت هذه الدراسة في العراق / جامعة بغداد – كلية التربية سنة ٢٠٠٠، واستهدفت معرفة أثر الرحلات الميدانية في الأداء التعبيري لتلاميذ المرحلة الابتدائية.

اختار الباحث عشوائيا (٧٤) تلميذاً وتلميذةً قسمت على مجموعتين، تجريبية وضابطة، وكافأ بين المجموعتين في بعض المتغيرات، ودرّس الباحث نفسه المجموعتين خلال مدة التجربة التي استمرت (١٤) أسبوعاً.

أمّا أداة البحث، فكانت سلسلة من الاختبارات في سبعة موضوعات مقدمة إليهم صححها الباحث على وفق معيار الهاشمي.

عالج الباحث بيانات الدراسة إحصائيا باستعمال الاختبار التائي، ومربع كاي ومن نتائج هذه الدراسة تفوق تلامذة المجموعة التجريبية الذين تعرضوا للرحلات الميدانية على تلامذة المجموعة الضابطة.

وأوصى الباحث بضرورة اعتماد الرحلات الميدانية في تدريس مادّة التعبير[٢].

٣ـ دراسة الجبوري (٢٠٠٤م):

أجريت الدراسة في جامعة بغداد / كلية التربية (ابن رشد)، وهدفت إلى تعرّف أثر العصف الذهني في تحصيل طلاب الصفّ الرابع العام في مادّة الأدب والنصوص وتنمية التفكير الابتكاري لديهم.

اعتمد الباحث تصميما تجريبيا ذا ضبط جزئي واختبار بعدي لمجموعتين (تجريبية وضابطة)، وبلغت عيّنة الدراسة (٥١) طالبا تمّ اختيارهم عشوائيا.

كافأ الباحث بين المجموعتين في عدد من متغيرات، صاغ الباحث (٣٣١) هدفا سلوكيا، وأعدّ أنموذجين لخطّتين تدريسيتين أحداهما بأسلوب العصف الذهني والأخرى بالطريقة الاعتيادية.

---

١ . (الجشعمي: ٤-٦).

٢ . (خليفة: ١٤-٥٢).

درّس الباحث نفسه مجموعتي البحث (٢٥) موضوعا من موضوعات مادّة الأدب والنصوص خلال مدّة التجربة التي استمرت عاما دراسيا كاملا.
أعدّ الباحث اختبارا تحصيليا لقياس تحصيل المجموعتين، وقد اعتمد مقياسا جاهزا لقياس القدرة على التفكير الإبداعي وهو مقياس سيد خير الله .
عالج الباحث بيانات الدراسة إحصائيا باستعمال الاختبار التائي(T – Test) لعيّنتين مستقلتين، ومربّع كاي (كا٢)، ومعامل الصعوبة، ومعامل قوّة التمييز، ومعادلة ألفا كرونباخ.
من النتائج التي توصّلت إليها الدراسة:
ـ هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين درجات طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار التحصيلي البعدي، واختبار القدرة على التفكير الابتكاري لمصلحة طلاب المجموعة التجريبية[١].

٤ـ دراسة العابدي (٢٠٠٧م):
أجريت الدراسة في جامعة بغداد / كلية التربية (ابن رشد)، وهدفت إلى تعرّف أثر التدريس بطريقة التنقيب الحواري في حفظ النصوص الأدبية والتذوّق الأدبي والتفكير الإبداعي في مادّة الأدب والنصوص لدى طلبة الصفّ الخامس الأدبي.
اعتمد الباحث تصميما تجريبيا ذا ضبط جزئي واختبار بعدي لمجموعتين (تجريبية وضابطة)، وبلغت عيّنة الدراسة (١١٧) طالبا وطالبة تمّ اختيارهم عشوائيا موزعين بين المجموعتين، وكافأ بين مجموعتي البحث في عدد من المتغيرات، وصاغ (٣٧٩) هدفا سلوكيا، وأعدّ خططا تدريسية للموضوعات المقرّر تدريسها في التجربة.
درّس الباحث نفسه مجموعتي البحث خلال مدّة التجربة التي استمرت عاما دراسيا كاملا، وأعدّ اختبارين الأول لقياس حفظ النصوص الأدبية، والثاني لقياس التذوّق الأدبي، وقد اعتمد الباحث مقياسا جاهزا لقياس القدرة على التفكير الإبداعي وهو مقياس سيد خير الله.
عالج الباحث بيانات الدراسة إحصائيا باستعمال تحليل التباين الثنائي، والاختبار التائي(T – Test) لعيّنتين مستقلتين، ومربّع كاي (كا٢)، ومعامل الصعوبة، ومعامل قوّة التمييز، وفعّالية البدائل غير الصحيحة، وطريقة شيفيه، ومن النتائج التي توصّلت إليها الدراسة:
ـ تفوّق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في اختبار حفظ النصوص الأدبية، واختبار التذوّق الأدبي.
ـ لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسّط درجات طلبة المجموعة التجريبية، ومتوسّط درجات طلبة المجموعة الضابطة في اختبار التفكير الإبداعي[٢].

ـ موازنة الدراسات السابقة والدراسة الحالية:
من خلال عرض الدراسات السابقة يحاول الباحث الموازنة بين هذه الدراسات لتعرّف مدى اتفاقها، واختلافها، وعلاقتها بالدراسة الحالية.
١ـ الهدف: هدفت بعض الدراسات السابقة إلى تعرّف أثر استخدام الأفلام التعليمية والرحلات الميدانية في الأداء التعبيري، وهدف بعضها إلى تعرّف أثر العصف الذهني، وطريقة التنقيب الحواري في تنمية التفكير الابداعي، والدراسة الحالية تتّفق بعض الشيء مع الدراسات السابقة في هذا الميدان.
٢ـ المنهج: استعملت الدراسات السابقة جميعها المنهج التجريبي، والدراسة الحالية تتّفق مع هذه الدراسات في استعمالها المنهج التجريبي أيضا.
٣ـ العيّنة: اختيرت عيّنات الدراسات السابقة جميعها عشوائيا، وقد انحصرت أحجام عيّناتها بين (١٦٢) طالبا في دراسة الجشعمي، و(٥١) طالبا وطالبة في دراسة الجبوري، وقد وزّعت الدراسات عيّناتها على مجموعتين (تجريبية وضابطة). أمّا الدراسة الحالية فقد بلغت عيّنتها

١ . (الجبوري: ب ـ ١٠١).
٢ . (العابدي: ط ـ ١٨٦).

(٤٤) طالبا، وتتّفق مع الدراسات جميعها في اختيار العيّنة عشوائيا، وتوزيع عيّنتها على مجوعتين (تجريبية وضابطة).
٤ـ المكان والمرحلة: أجريت الدراسات جميعها في العراق على المرحلة الإعدادية ما عدا دراسة خليفة التي أجريت على المرحلة الابتدائية. أمّا الدراسة الحالية فقد أجريت في العراق وعلى معهد إعداد المعلمين في محافظة النجف الأشرف.
٥ـ الجنس: أجريت بعض الدراسات على االطلاب كما في دراسة الجبوري، وبعضها على الطلاب والطالبات كما في دراسة (الجشعمي، وخليفة، والعابدي)، أمّا الدراسة الحالية فقد أجريت على الطلاب.
٦ـ التصميم التجريبي: تباينت الدراسات السابقة في اختيار التصميم التجريبي، فقد اعتمد بعضها تصميما تجريبيا ذا مجموعتين ومتغيرا مستقلًا وآخر تابعا، وبعضها متغيرا مستقلا وآخرين تابعين، وبعضها متغيرا مستقلا وثلاثة متغيرات تابعة، أمّا الدراسة الحالية فقد اعتمدت تصميما تجريبيا ذا مجموعتين ومتغيرا مستقلا وآخرين تابعين.
٧ـ المادّة العلمية: تباينت الدراسات السابقة في المواد الدراسية التي أجريت التجربة عليها، فمنها ما تناولت مادّة التعبير، ومنها ما تناولت مادّة الأدب والنصوص، وتتّفق الدراسة الحالية مع الدراسات التي تناولت مادّة التعبير.
٨ـ القائمون بالتدريس: درّس الباحثون أنفسهم االمجموعات التجريبية والضابطة في الدراسات السابقة جميعها، وتتفّق الدراسة الحالية معها في هذا الميدان، إذ درّس الباحث نفسه مجموعتي البحث.
٩ـ الوسائل الإحصائية: اعتمدت الدراسات السابقة وسائل إحصائية متعددة هي معامل ارتباط (بيرسون) وتحليل التباين الثنائي، والاختبار التائي (T-Test) لعيّنتين مستقلّتين، ومربّع كاي (كا٢)، وطريقة شيفيه، ومعادلة ألفا كرونباخ، ومعامل الصعوبة، ومعامل قوّة التمييز، ومعامل فعّالية البدائل غير الصحيحة.
أمّا الدراسة الحالية فتتّفق مع بعض الدراسات السابقة في استعمالها الوسائل الإحصائية نفسها.
١٠ـ نتائج الدراسات السابقة: أظهرت الدراسات السابقة نتائج مختلفة باختلاف أهدافها، وعيّناتها، وأدواتها، ومجال دراستها، والمرحلة الدراسية، والأساليب العلاجية المستعملة في التدريس. أمّا نتائج الدراسة الحالية فسيرد ذكرها عند عرض النتائج وتفسيرها.
ثالثا ـ منهج البحث وإجراءاته:
١ـ منهج البحث: اعتمد الباحث في بحثه الحالي منهجاً تجريبيا ؛ لأنَّه يتلاءم وطبيعة البحث، ويُعنى بجمع الحقائق والبيانات والمعلومات عن الظاهرة أو المشكلة ومتابعتها بدقة.
٢ـ التصميم التجريبي: اعتمد الباحث تصميما تجريبيا ذا اختبار بعدي لمجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة وجدول (١) يبين ذلك.
جدول (١)
التصميم التجريبي للبحث

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع	الأداة	الفرق بين
التجريبية	أقوال من نهج البلاغة	الأداء التعبيري والتفكير الإبداعي	اختبار بعدي في التعبير، واختبار التفكير الإبداعي	المجموعتين في الأداء التعبيري والتفكير الإبداعي
الضابطة	ـــــ			

٣ـ مجتمع البحث وعينته:
أ ـ مجتمع البحث: يشمل مجتمع البحث الحالي طلاب الصف الثالث في معهد إعداد المعلمين في محافظة النجف الأشرف للعام الدراسي(٢٠١٠م ـ ٢٠١١م).
ب ـ عينة البحث: اختار الباحث عشوائيا شعبتين من شُعب الصف الثالث في معهد إعداد المعلمين في محافظة النجف الأشرف، فكانت الشعبة (ب) المجموعة التجريبية التي يدرس طلابها مادّة التعبير بأقوال مختارة من نهج البلاغة، والشعبة (ج) المجموعة الضابطة التي يدرس طلابها بالطريقة الاعتيادية، وقد بلغ عدد الطلاب في كلّ مجموعة (٢٢) طالبا.

٤ـ تكافؤ مجموعتي البحث: حرص الباحث قبل البدء بالتجربة على تكافؤ مجموعتي البحث في بعض المتغيرات التي تؤثر في نتائج البحث، وهي درجات مادة اللغة العربية للعام الدراسي السابق، ودرجات الاختبار القبلي في التعبير.

أـ درجات اللغة العربية للعام الدراسي السابق:

حصل الباحث على درجات اللغة العربية للعام الدراسي السابق من سجلات معهد إعداد المعلمين لكلتا المجموعتين، واستعمل الاختبار التائي (Test -T) لعينتين مستقلتين لاجراء التكافؤ بين المجموعتين في هذا المتغير، وجدول (٢) يبين ذلك.

جدول (٢)

القيمة التائية المحسوبة للفرق بين متوسط المجموعتين في درجات اللغة العربية للعام الدراسي السابق

المجموعة	عدد أفراد العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية	
				المحسوبة	الجدولية
التجريبية	٢٢	٦١.٨٠٣	٦.٢٢٤	١.٤١٣	٢.٠٢
الضابطة	٢٢	٥٩.٥٧	٤.٣٦٢		

يتبين من جدول (٢) إنّ القيمة التائية المحسوبة (١.٤١٣) اقل من القيمة التائية الجدولية (٢.٠٢) عند مستوى دلالة (٠.٠٥) ودرجة حرية (٤٢) وهذا يعني انه لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسط المجموعتين، مما يعني أنّ المجموعتين متكافئتان في هذا المتغير.

ب- درجات الاختبار القبلي في التعبير:

أجرى الباحث اختبارا قبليا في التعبير ثمّ صحّحه واستعمل الاختبار التائي (Test – T) لعينتين مستقلتين لاجراء التكافؤ بين المجموعتين في هذا المتغير، وجدول (٣) يبين ذلك.

جدول (٣)

القيمة التائية المحسوبة للفرق بين متوسط المجموعتين في الاختبار القبلي في التعبير

المجموعة	عدد أفراد العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية	
				المحسوبة	الجدولية
التجريبية	٢٢	٦٦.٢٧٤	٥.٥٩١	٠.٦٣٨	٢.٠٢
الضابطة	٢٢	٦٥.٤١٥	٥.١٨٢		

يتبين من جدول (٣) إنّ القيمة التائية المحسوبة (٠.٦٣٨) اقل من القيمة التائية الجدولية (٢.٠٢) عند مستوى دلالة (٠.٠٥) ودرجة حرية (٤٢) وهذا يعني انه لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط المجموعتين، مما يعني أنّ المجموعتين متكافئتان في هذا المتغير.

٥ـ ضبط المتغيرات الدخيلة: لكي يتحقق الباحث من أنّ نتائجه سليمة وتعود إلى إثر المتغير المستقل، فقد حاول جهد إمكانه ضبط المتغيرات الدخيلة التي يعتقد أنّها تؤثر على سلامة التجربة وهي:

أ ـ اختيار أفراد العيّنة: سيطر الباحث على الفروق بين أفراد العيّنة بالاختيار العشوائي، فضلا عن إجراء عمليات التكافؤ الإحصائي بين طلاب مجموعتي البحث في بعض المتغيرات التي ورد ذكرها آنفا.

ب ـ الاندثار التجريبي: يقصد بالاندثار التجريبي الأثر الناتج عن ترك بعض طلاب عيّنة البحث أو انقطاعهم، أو نقل عدد منهم من المدرسة أو إليها في أثناء التجربة ممّا يؤثّر على متوسّط تحصيل مجموعتي البحث (الكيلاني، ونضال:٥٩) والبحث الحالي لم يتعرّض فيه الطلاب إلى الترك أو الانقطاع أو الانتقال طوال مدّة التجربة، عدا حالات الغياب الفردية التي تعرضّت لها مجموعتي البحث بنسب ضئيلة جدا وبصورة متساوية تقريبا.

ج ـ ظروف التجربة والحوادث المصاحبة: لم يتعرّض أفراد مجموعتي البحث إلى أي طارىء أو حادث يعرقل سير التجربة، ويؤثر في المتغيّرين التابعين بجانب أثر المتغيّر المستقلّ، أي أنّ هذا المتغيّر لم يكن ذا أثر في هذه التجربة.
د ـ النضج: كانت مدّة التجربة واحدة لمجموعتي البحث، وهي (٧) أسابيع إذ بدأت بتاريخ (١٤ / ١١ / ٢٠١٠م) وانتهت بتاريخ (٩ / ١ / ٢٠١١م)، وبذلك فإنّ ما يحدث من نمو سيعود على أفراد المجموعتين، أي أنّ هذا المتغيّر لم يكن ذا أثر في هذه التجربة.

هـ ـ أداتا القياس:
استعمل الباحث أداتين موحّدتين بين مجموعتي البحث، وهما الاختبار البعدي في الأداء التعبيري، واختبار التفكير الإبداعي اللذان اتصفا بالصدق والثبات.
٦ـ أثر الإجراءات التجريبية: حاول الباحث الحدّ من أثر هذا المتغيّر في سير التجربة من خلال ما يأتي:
أ ـ سرّية التجربة: حرص الباحث على سرّية التجربة، وعدم إخبار الطلاب بطبيعة البحث وأهدافه، كي لا يتغير نشاطهم أو تعاملهم مع التجربة ممّا قد يؤثر على سلامة التجربة ونتائجها.
ب ـ المادّة الدراسية: كان على الباحث أن يحدد المادة العلمية التي ينوي القيام بتدريسها خلال مدة التجربة لمجموعتي البحث (التجريبية والضابطة)، فاختار (٦) أقوال من كتاب نهج البلاغة لتدريس مادة التعبير للمجموعة التجريبية، و(٦) موضوعات تعبيرية لتدريس المجموعة الضابطة ملحق (١)، وبعد أن حُددت الموضوعات حلّلها الباحث لغة، وفكرة، وخيالا، وعاطفة.
ج ـ المدرّس: درّس الباحث نفسه مجموعتي البحث، وهذا يضفي على نتائج التجربة درجة من الدقة والموضوعية ؛ لأنّ تخصيص مدرّس لكلّ مجموعة قد يجعل من الصعب ردّ النتائج إلى المتغير المستقل، فقد تعزى إلى تمكّن أحد المدرّسين من المادّة أو إلى صفاته الشخصيّة أو غير ذلك من العوامل المؤثرة.
د ـ توزيع الدروس: تمت السيطرة على هذا المتغير من خلال تدريس مجموعتي البحث في اليوم نفسه، وهو يوم الأحد من كل أسبوع، فكانت الحصة الأولى من نصيب المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية، والحصة الثانية من نصيب المجموعة التجريبية التي درست بأقوال من نهج البلاغة.
هـ ـ الوسائل التعليمية: كانت الوسائل التعليمية متماثلة بين مجموعتي البحث من حيث تشابه السبورة، واستعمال الطباشير الملوّن والعادي.
و ـ بناية المعهد: طبّق الباحث تجربته في معهد واحد، وفي صفوف متجاورة ومتشابهة من حيث المساحة، وعدد الشبابيك، والإنارة، والتهوية، وعدد المقاعد ونوعها وحجمها.
٧ـ إعداد الخطط التدريسية: من متطلبات التدريس الناجح إعداد الخطط التدريسية، لذا أعدّ الباحث خططا تدريسية لكلّ من المجموعتين (التجريبية والضابطة) في الموضوعات التي يدرسها في أثناء التجربة.
٨ـ أداتا البحث:
أ ـ الاختبار البعدي في التعبير:
أعدّ الباحث اختبارا بعديا في مادة التعبير، لمعرفة أثر كل من أقوال مختارة من نهج البلاغة، والطريقة الاعتيادية في الأداء التعبيري.
ـ صدق الأداة: لا تعدّ الأداة صادقة إلاّ عندما تقيس ما يفترض أن تقيسه (عبدالعزيز: ٣٥٥) لذا وزع الباحث الاستبانة التي تضمنت عددا من الموضوعات على نخبة من الخبراء المتخصصين في اللغة العربية وطرائق تدريسها.
لاختيار موضوع واحد يعتمده الباحث اختباراً بعدياً للمجموعتين (الضابطة والتجريبية) وقد اختير الموضوع الآتي: قال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ـ ثبات التصحيح: من أجل التحقق من ثبات التصحيح طبق الباحث الاختبار على عينة استطلاعية بلغت (٢٠) طالبا من طلاب الصف الثالث شعبة (أ) في معهد إعداد المعلمين في النجف الأشرف، ثمّ صحح الباحث الأوراق على وفق معيار الهاشمي ملحق (٢)، واستخرج ثبات تصحيح الاختبار عبر الاتفاق مع مصحح آخر*، وباستعمال معامل ارتباط (بيرسون) بلغ معامل ثبت التصحيح (٠.٩١). ويعد معامل الثبات هذا عاليا لذا أصبحت الأداة جاهزة للتطبيق.

ب ـ اختبار التفكير الإبداعي:

اعتمد الباحث اختبار (تورانس) لقياس القدرة على التفكير الإبداعي، الذي عرّبه سيد خيرالله عام (١٩٧٤م) ؛ لأنّه يناسب الدراسة الحالية، وكونه يتلاءم مع البيئة العربية، فقد سبق أن استعمله باحثون آخرون في العديد من الدراسات العربية، ويمكن تطبيقه في المراحل الدراسية جميعها (خيرا لله،١٩٨١: ١٠).

ـ مكونات اختبار التفكير الابداعي: يتكون الاختبار من قسمين:

القسم الأول: ويتكون من أربعة اختبارات فرعية هي:

١ـ الاستعمالات: يطلب فيها من المستجيب أن يذكر أكبر عدد ممكن من الاستعمالات التي يعدّها استعمالات غير عادية لـ (علبة الصفيح، الكرسي)، لتصبح هذه الأشياء أكثر فائدة وأهمية، ويخصّص لكلّ واحدة منها وقت قدره خمس دقائق.

٢ـ المترتّبات: يطلب فيها من المستجيب أن يذكر ماذا يحدث لو أنّ نظام الأشياء تغيّر، وأصبحت على نحو معين، وهذا الاختبار يتكوّن من سؤالين هما:

س١ / ماذا يحدث لو فهم الإنسان لغة الطيور والحيوانات ؟

س٢ / ماذا يحدث لو أنّ الأرض حفرت بحيث تظهر الحفرة من الناحية الأخرى ؟

تخصّص خمس دقائق للإجابة عن كلّ سؤل.

٣ـ المواقف: يطلب فيها من المستجيب أن يبيّن كيف يتصرّف في بعض المواقف، ويتكون الاختبار من سؤالين هما:

س١ / إذا اختارك زملاؤك في الصفّ مسؤولا عن جمع التبرّعات لعمل ما، ويحاول أحدهم أن يدخل في تفكير الآخرين أنّك غير أمين ماذا تفعل ؟

س٢ / لو كانت المدارس جميعها غير موجودة (أو حتّى ملغاة)، ماذا تفعل لكي تصبح متعلّما ؟

وتخصّص خمس دقائق للإجابة عن كلّ سؤال.

٤ـ التطوير والتحسين: يطلب من المستجيب أن يقترح طرائق عدّة لتصبح بعض الأشياء المألوفة لديه على نحو أفضل ممّا هي عليه نحو (الدراجة، قلم الحبر). ويخصّص لكلّ واحدة منها خمس دقائق.

القسم الثاني: ويطلب فيه من المستجيب أن يكوّن كلمات جديدة من حروف الكلمات المعطاة له، بحيث يكون لها معنى مفهوم من غير أن يستخدم حروفا جديدة، ويمكنه أن يستعمل الحرف الواحد أكثر من مرّة في الكلمة نفسها، ويتكوّن الاختبار في صورته العربية من كلمتين (ديمقراطية، بنها) وقد غيّر الباحث كلمة (بنها) إلى كلمة (موصل).

١ـ كيفية تصحيح اختبار التفكير الإبداعي:

القسم الأوّل: يقدّر لكلّ مستجيب (٤) درجات على كلّ اختبار وهي:

أ ـ الطلاقة الفكرية: تقاس بالقدرة على ذكر أكبر عدد ممكن من الإجابات المناسبة في زمن معيّن وتتميّز الإجابات بملاءمتها للواقع، وتستبعد كلّ إجابة عشوائية.

ب ـ المرونة التلقائية: تقاس بالقدرة على تنوّع الإجابات المناسبة، فكلّما زاد عدد الإجابات المتنوّعة تزيد درجة المرونة.

ج ـ الأصالة:

تقاس بالقدرة على ذكر إجابات جديدة غير شائعة بين إجابات الطلاب وتكون درجة أصالة الفكرة مرتفعة إذا كان تكرارها قليلا، أمّا إذا زاد تكرارها تقل درجة أصالتها.
د ـ الدرجة الكليّة: حاصل جمع درجات الطلاقة الفكرية، والمرونة التلقائية، والأصالة في وحدات الاختبار.
القسم الثاني: يقدّر لكلّ مستجيب (٤) درجات على كلّ اختبار وهي:
أ ـ الطلاقة الفكرية: تقاس بذكر أكبر عدد ممكن من الكلمات المناسبة الصحيحة.
ب ـ المرونة التلقائية: تقاس بذكر أكبر عدد ممكن من الكلمات المناسبة التي لها معنى مفهوم.
ج ـ الأصالة: تقاس بذكر الطالب أكبر عدد من الكلمات ذات المعنى التي لم ترد عند الطلاب.
د ـ الدرجة الكليّة: حاصل جمع درجات الطلاقة الفكرية، والمرونة التلقائية، والأصالة في وحدات الاختبار.

وقد وضع (تورانس) نسبا مئوية لتقدير الأصالة، وجدول (٤) يبيّن ذلك.

جدول (٤)
تقديرات تورانس للأصالة

النسب المئوية لتكرار الفكرة	درجة أصالتها
أقلّ من (٢٠%)	٤
من (٢١% - ٤٠%)	٣
من (٤١% - ٦٠%)	٢
من (٦١% - ٨٠%)	١
من (٨١%) فأكثر	صفر

ووضع سيّد خيرالله تعديلا لهذا التقدير، وجدول (٥) يبيّن ذلك.

جدول (٥)
تقديرات سيّد خيرالله للأصالة

تكرار الفقرة (نسبة مئوية)	١ـ٩	١	٢	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠
درجة أصالتها	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

تمثّل هذه التقديرات معيار تصحيح الأصالة[١].

وقد اعتمد الباحث في حساب درجات طلاب مجموعات البحث الثلاث في اختبار القدرة على التفكير الإبداعي الآتي:
١ـ حساب درجة الطلاقة الفكرية: تمنح درجة واحدة لكلّ استجابة غير مكرّرة وغير خرافية، أو غير معقولة وبذلك تكون درجة طلاقة تفكير الطالب تساوي عدد الأفكار التي يكتبها، بعد حذف الأفكار الخرافية، أو غير المعقولة.
٢ـ حساب درجة المرونة التلقائية: تمنح درجة واحدة للأفكار جميعها، التي تنتمي إلى ميدان واحد[٢].

---

١ . (خيرالله،١٩٧٥: ١٢ـ١٣).
٢ . (صناعة، تجارة، زراعة،... الخ).

٣ـ حساب درجة الأصالة:
أ ـ تدوّن استجابات طلاب مجموعات البحث الثلاث جميعها، وكتابة تكرارات كلّ استجابة أمامها، ولا تكتب الأفكار الخرافية، أو غير المعقولة.
ب ـ تمنح ثلاث درجات لكلّ فكرة تتكرّر مرّة واحدة في استجابات طلاب مجموعات البحث الثلاث.
ج ـ تمنح درجتان لكلّ فكرة تتكرّر مرّتين في استجابات طلاب مجموعات البحث الثلاث.
د ـ تمنح درجة واحدة لكلّ فقرة تتكرّر ثلاث مرّات في استجابات طلاب مجموعات البحث الثلاث.
هـ ـ يمنح صفرا لكلّ فكرة تتكرّر أربع مرّات فأكثر في استجابات طلاب مجموعات البحث الثلاث.
٤ـ حساب الدرجة الكلية: هي مجموع درجات الطالب التي يحصل عليها في الطلاقة الفكرية، والمرونة التلقائية، والأصالة[١].

٢ـ صدق الاختبار:
اعتمد الباحث في حساب صدق الاختبار، الصدق المعتمد في دراسة العابدي (٢٠٠٧م) وهو الصدق العاملي، ويعني مدى قياس الاختبار للظاهرة أو السمة التي وضع لقياسها، من خلال حساب درجة تشبّع الاختبار بالظاهرة أو السمة، وقد استعمل العابدي العيّنة السابقة نفسها في حساب ثبات الاختبار فاستخرج مصفوفة الارتباطات بين الاختبارات الفرعية الخمسة المكوّنة للاختبار، وهي: اختبارات الاستعمالات، والمترتّبات، والمواقف، والتحسينات، والتداعي، وجدول (٦) يبيّن ذلك.

جدول (٦)
مصفوفة الارتباطات بين الاختبارات الفرعية الخمسة

اسم الاختبار	الاستعمالات	المترتبا	المواقف	التحسينات	التداعي	المجموع
الاستعمالات	١	٣٩٩,٠	٤٢٤,٠	٣٨٠,٠	٣٧٥,٠	٥٧٨,٢
المترتّبات	٣٩٩,٠	١	٤٩٥,٠	٣٧٥,٠	٢٦١,٠	٥٣,٢
المواقف	٤٢٤,٠	٤٩٥,٠	١	٣٢٥,٠	٢٤٥,٠	٤٨٩,٢
التحسينات	٣٨٠,٠	٣٧٥,٠	٣٢٥,٠	١	٣٨٥,٠	٤٦٥,٢
التداعي	٣٧٥,٠	٢٦١,٠	٢٤٥,٠	٣٨٥,٠	١	٢٦٦,٢
المجموع	٥٧٨,٢	٥٣,٢	٤٨٩,٢	٤٦٥,٢	٢٦٦,٢	٣٢٨,١٢

يلحظ من جدول (٦) أنّ المجموع الكلّي للارتباطات بلغ (٣٢٨,١٢) والجذر التربيعي للمجموع الكلّي بلغ (٥١١,٣)، وللحصول على درجة تشبّع هذه الاختبارات بالقدرة على التفكير الإبداعي، يقسّم مجموع كلّ اختبار على الجذر التربيعي للمجموع الكلّي، وجدول (٧) يبيّن ذلك.

جدول (٧)
درجات تشبّع اختبارات البطّارية بالقدرة على التفكير الإبداعي

ترتيب الاختبار	اسم الاختبار	درجة التشبّع
الأوّل	الاستعمالات	٧٣,٠
الثاني	المترتّبات	٧٢,٠
الثالث	المواقف	٧٠,٠
الرابع	التحسينات	٧٠,٠
الخامس	التداعي	٦٤,٠

١ . (عبد نور: ٤٥).

يلحظ من جدول (٧) أنّ درجات تشبّع اختبارات البطّارية بالقدرة على التفكير الإبداعي مرتفعة، انحصرت ما بين (٦٤,٠ ـ ٧٣,٠)، وهذا يدلّ على صدق البطّارية عامليّا (العابدي: ١٥٨ـ١٥٩).

٣ـ ثبات الاختبار:

اعتمد الباحث ثبات اختبار التفكير الإبداعي المستعمل في دراسة العابدي (٢٠٠٧م)، لأنّ هذه الدراسة لم يمض على تطبيق الاختبار فيها أكثر من خمس سنوات إذ طبّق العابدي اختبار القدرة على التفكير الإبداعي على عيّنة بلغت (١٠٠) طالبا وطالبة من طلبة الصفّ الخامس الأدبي، وذلك بحساب الارتباط بين درجات الوحدات الفردية ودرجات الوحدات الزوجية للعوامل (الطلاقة، والمرونة، والأصالة) ثمّ صحّح هذا الارتباط باستعمال معادلة(سبيرمان براون)، وكان ثبات العوامل كما في جدول (٨).

جدول (٨)

درجات ثبات العوامل بطريقة التجزئة النصفية لاختبار التفكير الإبداعي

	الطلاقة الفكرية	المرونة التلقائية	الأصالة	القدرة على التفكير الإبداعي
قبل التصحيح	٥٣,٠	٧١,٠	٦٩,٠	٦٦,٠
بعد التصحيح	٦٩,٠	٨٣,٠	٨١,٠	٧٩,٠

يلحظ من جدول(٨) أنّ الاختبار يتميّز بدرجة عالية من الثبات، فيما يتعلّق بعوامل الطلاقة، والمرونة، والأصالة، أو ما يتعلّق بالقدرة الإبداعية العامّة[١].

٤ـ ثبات تصحيح الاختبار:

استخرج الباحث ثبات تصحيح الاختبار عبر مصحّح آخر* يعمل في المجال نفسه، وجرى الاتفاق معهما على حجب الدرجة وعدم وضع إشارات أو علامات على أوراق الإجابة لتقليل تأثر المصحّح وباستعمال معامل ارتباط (بيرسون) ظهرت نتائج ثبات التصحيح، وجدول (٩) يبيّن ذلك.

جدول (٩)

درجة الاتساق في تصحيح اختبار التفكير الإبداعي بين الباحث والمصحّح

تصحيح الاختبار	ثبات الطلاقة	ثبات المرونة	ثبات الأصالة	الثبات الكلّي
الباحث مع المصحّح	٩٥,٠	٨٦,٠	٩٢,٠	٩١,٠

يلحظ من جدول (٩) أنّ ثبات التصحيح عال، وهو كما يأتي:

ـ ثبات تصحيح الباحث مع المصحّح:

بلغ ثبات تصحيح الطلاقة (٩٥,٠)، وبلغ ثبات تصحيح المرونة (٨٦,٠) وبلغ ثبات تصحيح الأصالة (٩٢,٠)، وبلغ ثبات التصحيح الكلّي (٩١,٠).

٩ـ إجراء التجربة:

اتّبع الباحث ما يأتي:

١ـ باشر الباحث بتطبيق التجربة على طلاب مجموعتي البحث يوم الأحد الموافق ١٤ / ١١ / ٢٠١٠م، بتدريس درس واحد أسبوعيا لكلّ مجموعة، وانتهت التجربة يوم الأحد الموافق ٩ / ١ / ٢٠١١م.

٢ـ درّس الباحث نفسه طلاب مجموعتي البحث مادّة التعبير مستندا إلى الخطط التدريسية التي أعدّها.

---

١ . (العابدي: ١٥٧).

٤ـ درّس الباحث طلاب مجموعتي البحث (٦) موضوعات، وفي نهاية التجربة طبّق عليهم اختبارا بعديا في التعبير، واختبارا في التفكير الإبداعي.

١٠ـ الوسائل الإحصائية والحسابية:

استعمل الباحث الوسائل الإحصائية والحسابية الآتية:

أ ـ الاختبار التائي (T-Test) لعينتين مستقلتين: استعمل لإجراء المكافأة بين مجموعتي البحث في بعض المتغيرات، وفي حساب دلالة الفرق بينهما في الاختبار البعدي.

$$ت = \frac{(س_{١} - س_{٢})}{\sqrt{(ن_{١} - ١)\, ع_{١}^{٢} + (ن_{٢} - ١)\, ع_{٢}^{٢}}{ن_{١} + ن_{٢} - ٢} \left(\frac{١}{ن_{١}} + \frac{١}{ن_{٢}}\right)}}$$

إذ تمثل:

ت = الاختبار التائي T-Test.

سَ١ = الوسط الحسابي للمجموعة الأولى.

سَ٢ = الوسط الحسابي للمجموعة الثانية.

ن١ = عدد أفراد المجموعة الأولى.

ن٢ = عدد أفراد المجموعة الثانية.

ع٢١ = تباين درجات المجموعة الأولى.

ع٢٢ = تباين درجات المجموعة الثانية.[١]

ب ـ معامل ارتباط (بيرسون): استعمل لحساب معامل الثبات.

$$ر = \frac{ن\ مج\ س\ ص - (مج\ س)\ (مج\ ص)}{\sqrt{[ن\ مج\ س^{٢} - (مج\ س)^{٢}]\ [ن\ مج\ ص^{٢} - (مج\ ص)^{٢}]}}$$

إذ تمثل:

ر: معامل ارتباط (بيرسون).

ن: عدد أفراد العينة.

س: قيم المتغيّر الأوّل.

ص: قيم المتغيّر الثاني.[٢]

ج ـ النسبة المئوية:

استعملت لمعرفة نسبة الموافقين على صلاحية الخطط التدريسية.[٣]

رابعا ـ عرض النتائج ومناقشتها:

بعد تطبيق الاختبار على عينة البحث حلل الباحث نتائج البحث إحصائيا، وفي ضوء هدف البحث وفرضيتيه، وباستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين ((T –Test)) عن طريق حساب دلالة الفروق بين متوسطي تحصيل المجموعتين (التجريبية والضابطة) في الاختبارين، توصل الباحث إلى ما يأتي:

١ـ الفرضية الصفرية الأولى:

---

١ . (البيّاتي،وزكريّا: ٢٦٠).

٢ . (البيّاتي،وزكريّا: ١٨٣).

٣ . (الغريب: ١١٢).

رُفضت الفرضية الصفرية الأولى التي تنص عل أنّه ((لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠٥,٠) بين متوسّط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة التعبير بأقوال مختارة من نهج البلاغة، ومتوسّط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون مادة التعبير بالطريقة الاعتيادية في الأداء التعبيري))، لظهور فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥) بين متوسطي درجات المجموعتين، ولمصلحة طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا مادة التعبير بأقوال مختارة من نهج البلاغة ؛ لأن القيمة التائية المحسوبة (٣.٣٥١) أكبر من القيمة التائية الجدولية (٢.٠٢)، وجدول (١٠) يبين ذلك.

جدول (١٠)

الوسط الحسابي والتباين والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لدرجات طلاب مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) في اختبار الأداء النعبيري

المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة
						المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٢٢	٢٠.١٩	٣.٢٣٨	١١.٧٢	٤٢	٣.٣٥١	٢.٠٢	دالة عند مستوى (٠.٠٥)
الضابطة	٢٢	١٧.٥٦	٣.٢٣٠	١٠.٤١				

يتبين من جدول (١٠) إنّ تدريس مادة التعبير بأقوال مختارة من نهج البلاغة أوجد لدى الطلاب عملاً إبداعيا ممتعاً يزيد في دافعيتهم واتجاههم نحو الدرس، وأدى إلى متابعتهم المستمرة وتوجيههم الأسئلة المتنوعة إلى المدرس، مما ساعد على تحقيق تعلماً جيداً قياساً بالطريقة الاعتيادية، وشجعهم على إصغاء بعضهم لبعض بانتباه مع احترامهم للأفكار والآراء المطروحة.

٢ـ الفرضية الصفرية الثانية:

رُفضت الفرضية الصفرية الثانية التي تنص عل أنّه ((لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠٥,٠) بين متوسّط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة التعبير بأقوال مختارة من نهج البلاغة، ومتوسّط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون مادة التعبير بالطريقة الاعتيادية في التفكير الإبداعي))، لظهور فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥) بين متوسطي درجات المجموعتين ولمصلحة طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا مادة التعبير بأقوال مختارة من نهج البلاغة ؛ لأن القيمة التائية المحسوبة (٣.٢٠٥) أكبر من القيمة التائية الجدولية (٢.٠٢)، وجدول (١١) يبين ذلك.

جدول (١١)

الوسط الحسابي والتباين والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لدرجات طلاب مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) في اختبار التفكير الإبداعي

المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة
						المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٢٢	١٩.١٤	٣.٤٤١	١١.٨٣	٤٢	٣.٢٠٥	٢.٠٢	دالة عند مستوى (٠.٠٥)
الضابطة	٢٢	١٥.٩١	٣.٢٥١	١٠.٦٧				

يتبين من جدول (١١) إنّ تدريس مادة التعبير بأقوال مختارة من نهج البلاغة يشير إلى فاعلية الطلاب في الدرس. إذ إنّ درس التعبير على وفق هذا الأسلوب يتيح للطلاب فرصة اكتشاف الأفكار والعلاقات بينها، ومراجعتها وتقويمها، وبناء التصورات في مضمون هذه الأقوال، فهي

عملية تفكير نشطة يستعمل فيها الطلاب أساليبهم وخبراتهم[1]. وبهذا فإنّ مادّة التعبير إذا ما أحسن انتقاء أساليب تدريسها وموضوعاتها يمكنها الإسهام في زيادة قدرات الطلاب على التعبير، والفهم، والتحليل، والتقويم والتفكير العلمي الصحيح[2].

خامسا: الاستنتاجات، والتوصيات، والمقترحات:

ـ الاستنتاجات:

١ـ إن تدريس مادّة التعبير بأقوال مختارة من نهج البلاغة يؤدي إلى الارتقاء بمستوى التحصيل الدراسي لدى طلاب الصف الثالث في معهد إعداد المعلمين، وهذا ما أثبتته نتائج البحث الحالي، إذ تفوق طلاب المجموعة التجريبية على طلاب المجموعة الضابطة.

٢ـ إنّ استعمال أقوال من نهج البلاغة يمكن أن يكون أحد الأساليب الحديثة في تدريس فروع مادة اللغة العربية الأخر.

٣ـ إنّ استعمال أقوال مختارة من نهج البلاغة يثير عناية الطلاب ويجعلهم أكثر قدرة على التعبير.

ـ التوصيات:

١ـ اعتماد أقوال مختارة من نهج البلاغة عند تدريس مادّة التعبير، لما لها من دور فاعل لدى الطلاب في معاهد إعداد المعلمين والمراحل الدراسية المختلفة.

٢ـ الابتعاد عن أساليب التلقين وفرض الأفكار، ومساعدة الطلاب على الوصول إلى المعلومات بأنفسهم.

٣ـ أن تتضمن المناهج الدراسية استراتيجيات التفكير المختلفة التي تنمي مهارات التفكير والإبداع لدى الطلاب.

ـ المقترحات:

استكمالاً للبحث الحالي يقترح الباحث إجراء دراسات مماثلة للدراسة الحالية في مواد تعليمية في مراحل أخر.

قائمة المصادر والمراجع

١ـ ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرّم (٧١١ هـ). لسان العرب
حقّقه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبدالمنعم خليل إبراهيم، ط١،
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

٢ـ البيّاتي،عبدالجبار توفيق، وزكريّا إثناسيوس. الإحصاء الوصفي والإستدلالي في التربية وعلم النفس. مؤسسة الثقافة العمّالية، بغداد، ١٩٧٧م.

٣ـ جبر، دعاء أحمد فهيم. تفكير مغاير: تنمية مهارات التفكير الناقد والإبداعي لدى الأطفال. ط١، مركز القطّان للبحث والتطوير التربوي،مؤسسة عبدالمحسن القطّان، رام الله، فلسطين، ٢٠٠٤م.

٤ـ الجبوري، قيس صباح ناصر حسين.أثر العصف الذهني في تحصيل طلاب الصفّ الرابع العام في مادّة الأدب والنصوص وتنمية التفكير الابتكاري لديهم. جامعة بغداد، كلية التربية / ابن رشد، ٢٠٠٤م.
(أطروحة دكتوراه غير منشورة).

٥ـ الجشعمي، مثنى علوان. أثر استخدام الأفلام التعليمية في الأداء التعبيري لدى طلبة المرحلة الإعدادية. جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٩٥م. (أطروحة دكتوراه غير منشورة).

٦ـ الحيلة، محمّد محمود. أثر الأنشطة الفنية في التفكير الإبتكاري لطلبة المرحلة الأساسية، مجلة مركز البحوث القطرية، العدد ١٩، جامعة قطر، ٢٠٠١م.

---

١ . (السيّد:٦٢).
٢ . (لافي: ٧).

٧ـ خليفة، عبد المهيمن احمد. أثر الرحلات الميدانية في الأداء التعبيري لتلاميذ المرحلة الابتدائية. جامعة بغداد، كلية التربية، ٢٠٠٠م.
(رسالة ماجستير غير منشورة).
٨ـ خيرالله، سيد محمّد. بحوث نفسية وتربوية. عالم الكتب، القاهرة، مصر ١٩٧٥م.

٩ـ خيرالله، سيد محمّد. اختبار القدرة على التفكير الإبتكاري، بحوث نفسية وتربوية. دارالنهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،
١٩٨١م.
١٠ـ دمعة، مجيد إبراهيم. اللغة العربية وأصول تدريسها. دورات المعلمين التربوية، مطبعة وزارة التربية، مطبوع بالرونيو، بغداد، ١٩٧٧م.
١١ـ الربيعي، جمعة رشيد كضاض.الأخطاء الإملائية لدى طلبة كلية المعلمين الجامعة المستنصرية، مجلة المجمع العلمي، ج٢، بغداد، ١٩٩٩م.
٧٢ـ السكران، محمد. أساليب تدريس الدراسات الاجتماعية. ط٣، دارالشروق،الأردن، عمّان، ٢٠٠٠م.
١٣ـ السيّد، محمود احمد.الموجز في طرائق تدريس اللغة العربية وآدابها. ط١،دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م.
١٤ـ صالح، أحمد زكي. التعلم أسسه ومناهجه ونظرياته. المكتبة المصرية،(د. ت).
١٥ـ الضامن، حاتم صالح. فقه اللغة. دار الحكمة للطباعة، بغداد، ١٩٩٠م.
١٦ـ العابدي، أحمد جبار راضي. أثر التدريس بطريقة التنقيب الحواري في حفظ النصوص الأدبية والتذوّق الأدبي والتفكير الإبداعي في مادّة الأدب والنصوص لدى طلبة الصفّ الخامس الأدبي. جامعة بغداد كلية التربية/ ابن رشد، ٢٠٠٧م.(أطروحة دكتوراه غير منشورة)
١٧ـ عبد العزيز، صالح، وعبد العزيز عبد المجيد. التربية وطرق التدريس. ج ١، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م.
١٨ـ عبد القادر، حامد. النهج الحديث في أصول التربية وطرق التدريس.ج ٢، ط ٢، مطبعة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١م.
١٩ـ عبد نور، كاظم. دراسات وبحوث في علم النفس وتربية التفكير والإبداع. ط١، دي بونو للطباعة والنشر والتوزيع،عمّان، الأردن، ٢٠٠٥م.
٢٠ـ عبدالهادي، نبيل. القياس والتقويم التربوي واستخدامه في مجال التدريس الصفّي. ط١، دار وائل للطباعة والنشر، عمّان، الأردن،١٩٩٩م.
٢١ـ العتوم،عدنان يوسف، وآخرون. تنمية مهارات التفكير، نماذج نظرية وتطبيقات عملية. ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمّان، الأردن، ٢٠٠٧م.
٢٢ـ غانم، محمود محمّد.التفكيرعند الأطفال. ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع،عمّان، الأردن، ٢٠٠٤م.
٢٣ـ الغريب، رمزية. ميول الأطفال القرائية واستجابة المكتبة العربية لها. مجلة الكتاب العربي، العدد ٤٨، الهيئة المصرية، ١٩٧٠م.
٢٤ـ القلقشندي، أبوالعباس أحمد بن علي بن أحمد. صبح الأعشى في صناعة الإنشا. ج١، مطبعة الآمرية، القاهرة، ١٩١٣م.
٢٥ـ الكيلاني،عبد الله زيد، ونضال كمال الشريفين.مدخل إلى البحث في العلوم التربوية والاجتماعية:أساسياته،مناهجه، تصاميمه،أساليبه الإحصائية ط١، دار المسيرة، عمّان، الأردن، ٢٠٠٥م.
٢٦ـ لافي، سعيد عبدالله. التكامل بين التقنية واللغة.ط١،عالم الكتب،القاهرة، ٢٠٠٦م.
٢٧ـ مقلّد، محمد محمود، مشكلات ضعف الطلاب في التعبير. رسالة التربية. العدد السابع، وزارة التربية، سلطنة عمان، ١٩٨٩م.

٢٨ـ نجار، فريد جبرائيل، وآخرون. قاموس التربية وعلم النفس التربوي.منشورات دار التربية في الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٠م.
٢٩ـ الهاشمي، عبدالرحمن عبد علي. دراسة مقارنة لأثر أساليب التصحيح في الأداء التعبيري لطالبات المرحلة الإعدادية. جامعة بغداد، كلية التربيـة، ١٩٩٤م. (أطروحة دكتوراه غير منشورة).
٣٠ـ الهويدي، زيد. الإبداع، ماهيته، اكتشـافه، تنميته. ط١، دار الكتاب الجامعي العين، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤م.

الملاحق:

ملحق (١)

موضوعات مادة التعبير للمجموعتين (التجريبية والضابطة)

المجموعة التجريبية:

١ـ الإحسان غريزة الأخيار، والإساءة غريزة الأشرار.
٢ـ رأس الحكمة لزوم الحق، وطاعة المحق.
٣ـ الحمق من ثمار الجهل.
٤ـ التواضع مع الرفعة كالعفو مع القدرة.
٥ـ حصّنوا الدين بالدنيا، ولا تحصّنوا الدنيا بالدين.
٦ـ من فكّر قبل العمل كثر صوابه.

المجموعة الضابطة:

١ـ قال تعالى: ((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)).
٢ـ قال النبي محمد (ص): ((طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة)).
٣ـ الأمّ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق.
٤ـ النجاة في الصدق.
٥ـ إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر.
٦ـ الصداقة.

ملحق (٢)

فقرات معيار الهاشمي ودرجاتها وتوزيع درجة الفقرة على عناصرها

١ـ الخلو من الأخطاء الإملائية: (١٠) درجات

يتمثل ذلك في: الصحة والكفاية التامة في قواعد الإملاء المتفق عليها في اللغة العربية.

توزيع الدرجة: توزع الدرجات العشر على عدد الأخطاء الإملائية في الموضوع المشتمل على أكبر عدد من الأخطاء في الصفحات المكتوبة. لتحديد الدرجة التي تخصم عن كل خطأ. ويحتسب الخطأ المكرر مرة واحدة.

٢ـ الخلو من الأخطاء النحوية والصرفية: (١٠) درجات

يتمثل ذلك في: الصحة والكفاية التامة في قواعد النحو الصرف.

توزيع الدرجة: لتحديد الدرجة التي تخصم عن كل خطأ نحوي او صرفي، يتبع المصحح الأسلوب نفسه المتبع في الفقرة الأولى.

جودة الخط: يتمثل في: (٥) درجات

- حسن رسم الحروف.
- الاستقامة في الكتابة على السطر.
- وضع النقاط في أماكنها.

- انسجام حروف الكلمة بعضها مع بعض من حيث الصغر والكبر.

هـ.انسجام الكلمات بعضها مع بعض من حيث الصغر والكبر.
توزيع الدرجة: تعطى درجة واحدة لكل عنصر من العناصر الخمسة السابقة.
٣ـ تنظيم الصفحة: (٥) درجات
يتمثل ذلك في:
- نظافة الصفحة.
- مراعاة نظام الفقرات.
- مراعاة استخدام علامات الترقيم.

توزيع الدرجة: تعطى درجة واحدة لكل من العنصرين الأول والثاني، وثلاث درجات للعنصر الثالث، ونصف درجة لكل علامة من علامات الترقيم الست وهي: (الفاصلة، والنقطة، وعلامة الاستفهام، وعلامة التعجب، والنقطتان، وعلامة التنصيص).
٤ـ فنية التعبير:(١٥) درجة
يتمثل ذلك في اشتمال الموضوع على ألوان من فنون البلاغة الثلاثة(البيان، البديع، المعاني).
توزيع الدرجة: لتحديد الدرجة التي تعطى لكل جملة بليغة مطابقة لمقتضى الحال يتبع المصحح الأسلوب نفسه المتبع في الفقرة الأولى.
٥ـ وضوح الأفكار: يتمثل ذلك في: (١٠) درجات
- فهم القارئ للمراد من الكلام المكتوب.
- خلو الموضوع من التناقض.
- تفصيل الأفكار تفصيلاً ملائماً.

توزيع الدرجة: لتحديد الدرجة التي تخصم عن كل فكرة غير واضحة، يتبع المصحح الاسلوب نفسه المتبع في الفقرة الأولى.
٦ـ صحة الأفكار: (١٠) درجات
يتمثل ذلك في خلو التعبير من الحقائق غير الصحيحة تاريخياً وعلمياً.
توزيع الدرجة: لتحديد الدرجة التي تخصم عن كل فكرة غير صحيحة، يتبع المصحح الأسلوب نفسه المتبع في الفقرة الأولى.
٧ـ الالتزام بالموضوع: يتمثل ذلك في: (٥) درجات
- انتماء الأفكار الى الموضوع.
- الخلو من الاستطراد المخل بوحدة الموضوع.
- الابتعاد عن الحشو واللغو.

توزيع الدرجة: لتحديد الدرجة التي تخصم عن كل فكرة غريبة عن الموضوع، يتبع المصحح الأسلوب نفسه المتبع في الفقرة الأولى.

٨ـ الاستشهاد: (١٠) درجات

يتمثل ذلك في الاقتباس من القرآن الكريم، والتضمين من الحديث النبوي الشريف، والموروث الأدبي، شعراً ونثراً.
توزيع الدرجة: لتحديد الدرجة التي تعطى لكل استشهاد يعزز الفكرة، يتبع المصحح الأسلوب نفسه المتبع في الفقرة الأولى، والحد الأقصى خمسة استشهادات للموضوع كله.

٩ـ دقة اختيار اللفظ المعبر عن المعنى: (١٠) درجات

يتمثل ذلك في:

- اختيار المفردة الأكثر ملائمة للمعنى وتنوعها.
- الابتعاد عن الألفاظ العامية.

توزيع الدرجة: لتحديد الدرجة التي تخصم عن كل لفظة لم يوفق الطلاب في اختيارها، يتبع المصحح الأسلوب نفسه المتبع في الفقرة الأولى.

١٠ـ التدرج بالعرض بدءاً من المقدمة وانتهاءً بالخاتمة: (١٠) درجات

يتمثل ذلك في:

- حسن التمهيد: ويكون بمقدمة تثير انتباه القارئ وتهيئ ذهنه في قليل من الألفاظ والتراكيب. (٣) درجات
- حسن العرض: ويكون بتقديم أفكار الموضوع تقديماً منتظماً ومترابطاً ومن دون تكرار مخل لا في اللفظ ولا في المعنى. (٤) درجات
- حسن الختام: ويكون بنهاية توجز في اسطر معدودة ما أراد الطالب أن يبرزه ويصل إليه. (٣) درجات .

ألفاظ الطِّيْب والعِطر ومتعلقاتها في نهج البلاغة

المدرس: حسام عدنان رحيم (جامعة القادسية - كلية الآداب)

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» صدق الله العلي العظيم

النحل: ١٠٣

الرموز المستعملة

استعمل الباحث بعض الرموز والاختصارات التي تدل على ما يأتي:

خ / رمز للخطب الواردة في نهج البلاغة.

ك / رمز للكتب.

قصا / رمز لقصار الكلمات.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً بلا رويَّةٍ أجالها، ولا تجربةٍ استفادتها.والصلاة والسلام على اشرف خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

فما زالت فصاحة أمير المؤمنين (عليه السلام) تأخذ بمجامع قلوب الفصحاء والبلغاء الذين بهرهم نهج أمير المؤمنين وسطعت على عقولهم كلماته الفصيحة التي حيَّرت اللغويين والأدباء في طريقة توظيفها ونظمها وتشكيلها، حتى أصبحت أقواله (عليه السلام) بالمنزلة الثانية بعد القرآن الكريم، وأحاديث النبي الأكرم اللذين استقى منها الإمام أساليبه وطرائقه في صناعة الكلام ونظمه.

ولسنا هنا في موضع الاحتجاج بأقوال العلماء من أهل اللغة والأدب في شأن بلاغة الإمام وتمكنه من الأداء اللغوي، فهذا أبين من الشمس في رابعة النهار ولا تحتاج لغة الإمام إلى برهان يمنحها شرف الإمكان والإفصاح.

وعلى حياءٍ من أمير البيان. حاولت أنْ أدرس نهج البلاغة في جزئيةٍ من جزئيات هذا السِّفر الخالد، فاخترت جانب المفردات لتكون مجالاً للبحث الذي جعلته دراسة دلاليةً في **(ألفاظ الطِّيْب والعِطر ومتعلقاتها في نهج البلاغة)** بوصفها أنموذجاً لألفاظ الزينة ومتعلقاتها في نهج البلاغة، وهذه كلها تشكل جانباً من جوانب المجالات والحقول الدلالية الواسعة في نهج البلاغة التي يشتغل فيها الباحث حالياً.

لقد قمت في هذا البحث باستقصاء ألفاظ الطِّيْب و العطر في نهج البلاغة، وتوزيعها بحسب نظرية الحقول الدلالية التي اتخذتها سبيلاً لدراسة هذه الطائفة من الألفاظ ؛ لأنَّ هذا المنهج يمكن الدارس من إظهار العلاقات الدلالية بين المفردات من ترادفٍ وتضادٍ ومشتركٍ لفظي وغيرها، فضلاً عن بيان قيمتها الموقعية من النص.

أمّا المنهج الداخلي الذي اتبعته في تناول المفردات فقد اتخذت من بيان معاني الألفاظ في المعجم العربي مُدخَلاً للولوج إلى دلالتها في نهج البلاغة ؛ لأجل المقاربة والموازنة بين الاستعمال المعجمي والاستعمال العَلوي للمفردات، ومن ثمّ الشروع بتحليل النصوص التي ترد فيها الكلمة في نهج البلاغة مُستعيناً بالمصادر التي تنقسم عندي في هذا البحث على قسمين، الأول فهي كتب اللغة والمعاجم، والثاني كتب الشروح التي عُنِيَتْ بشرح نهج البلاغة، وغير ذلك من المصادر والمراجع التي أعانتني في إنجاز البحث.

وختاماً أدعو الله تبارك وتعالى أنْ يكون هذا البحث المتواضع مقبولاً عند إمام الفصاحة والبلاغة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وأنْ ينال الرضا والاستحسان لدى الأساتيذ الأفاضل الذين سخَّروا أنفسهم لخدمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم.
والحمد لله ربِّ العالمين

ألفاظ العطر والرياحين

وهي بحسب شيوعها في نهج البلاغة تنقسم على الآتي
١- طِيْب (٤) ح /١٩٢، ك ٤٥، قصا / ٣٩٧، ٤٠٠.
طيبا (١) قصا / ١٠٤.
٢- ريحانة (٢) ك / ٣١، قصا / ١٢٠.
ريحانة (١) خ ١٦٠.
٣- عَرْفُهُ (٢) خ ١٩٢.
٤- المسك (٢) خ / ١٦٥ ، قصا / ٣٩٧.
٥- ريحة (١) قصا / ٣٩٧.
٦- عِطْر (١) قصا / ٣٩٧.
طِيْب (٤)
طِيباً (١)
الطِّيب بالتشديد خلاف الخبيث [١]، قال علقمة الفحل: [٢]

يَحْمِلْنَ أُتْرُجة نَضْخُ العَبِيْر بهَا كأنَّ تِطْيَابَها في الأنْفِ مَشْمُوم

والطِّيْبُ ما يُتَطَيَّبُ به [٣]. والطِّيْب على بناء فِعْل [٤]. وطعامٌ طيِّبٌ إذا كان سائغاً في الحَلْق [٥].
وقد استعمل الإمام (عليه السلام) مفردة (طِيْب) خمس مرات [٥]، وكانت هذه اللفظة دالة عنده على الرائحة الطيبة الزكية، إلا في موضع واحد استعملها الإمام فيه بدلالة الطيب من الطعام.
فأمّا المعنى الأول فمنه قوله متحدثاً عن خَلْق آدم (عليه السلام)، وسبب خلق الله له من طين دون أن يكون من نور: «**وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ وَطِيْبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ...**»[٦].
والطِّيْبُ - ههنا - هو العِطر الذي يُبْهِر ويَعْظُم وَقْعُهُ في النّفس، بسببٍ من قوة عَبْقِهِ ونفوذِهِ [٧].
ويدعم ذلك إيراده (عليه السلام) مفردة (عَرْفُه) في السياق المتقدم نفسه، والعَرْفُ هو الرائحة الطَّيِّبة والمُنْتِنَة معاً [٨]،ولمّا استعمل الإمام كلمة (طِيْب) في النص، دَلّ على إرادة الرائحة الطيّبة.
ومن هذا المعنى أيضاً قوله (عليه السلام) في حديثه عن (المِسْك) وهو ضَرْبٌ من الطِّيْب: «**نِعْمَ الطِّيبُ الْمِسْكُ خَفِيفٌ مَحْمِلُهُ عَطِرٌ رِيحُهُ**»[٩].
والمعنى نفسه أستعمله الإمام في (قصا/ ٤٠٠).

---

١ - ينظر : الصحاح (طيب) : ١ / ٤٣٤ .
٢ - ينظر : الصحاح (طيب) : ١ / ٤٣٤ .
٣ - ينظر : الصحاح (طيب) : ١ / ٤٣٤ .
٤ - ينظر : لسان العرب (طيب) : ١ / ٥٦٦ .
٥ - ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة : ٢٨٠ .
٦ - ينظر: نهج البلاغة (صبحي): خ ١٩٢ :٣٦٠.
٧ - ينظر : الديباج الوضي : ٤ / ٢٩٧٧ .
٨ - ينظر : لسان العرب (عرف) : ٩ / ٢٣٦
٩ - نهج البلاغة (صبحي): قصا: ٣٩٧: ٦٨٢.

إمّا الدلالة الثانية - وهي الأقل شيوعاً في النهج - فهو استعمال لفظة (طِيْب) دالة على الطيب من وجوه الطعام الحلال.
وذلك في كتابه الذي يخاطب فيه عامله على البصرة (عثمان بن حُنيف الأنصاري).
يقول فيه الإمام - بعد عتابه عثمان -: «فَانْظُر إلى مَا تَقْضِمَهُ مِنْ هَذا المَقْضَمِ، فَما اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ، فَالفِظْهُ، وَمَا أيْقَنْتَ بِطِيْبِ وُجُوْهِهِ، فَنَلْ مِنْهُ».
والسياق - ههنا - سياق تحذير وتعليم يؤكد فيه الإمام (عليه السلام) على ضرورة التثبت من حلال المُطعَم، وتجنب حرامه بورعٍ واجتهادٍ.
ولهذا عَطف (عليه السلام) على كلمته المتقدمة قوله: **«أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ»** [١].
وتأكيداً لهذا المعنى ينصح الإمام عامله على التّيَقُنِّ من (طِيْبِ) وُجُوْهِ مَأكله. أي التّثبّت من مصادِر هذا المأكل.
والتأكد من حِلِّهِ و طِيْبِ وَجّهِ اكتسابهِ [٢].
فصارت لفظة (طِيْبِ) هنا ترادف لفظة (الحلال) أو تساويها في الدلالة.
رَيْحَانَة (٢) ك / ٣١، قصا / ١٢٠.
رَيْحَانُهُ (١) خ
الرَّوْحُ بَرْدُ نَسيم الريح [٣].
والرَّيْحَةُ نَبَات أخْضَر بَعد مايَيْبَسُ وَرَقَهُ وأعالي أغصَانه.
والعَرَبُ تُسَمِّيها الرَّيْحَةُ [٤].
ويقال الدُّهْنُ المُرَوَّح أي المُطَيَّبُ [٥].
والرَّيْحَان نبتٌ معروف [٦].
وهو - أي الرَّيْحَان - بقْلٌ طَيِّب الرِّيح، واحدته ريحانة، والجمع رَياحِين.
وقيل: إن الرَّيْحَان أطراف كل بَقْلةٍ طيّبة الريح إذا خرج عليها أوائل النور[٧] وفي الحديث: **«إذا أعْطِي أحَدُكم الرَّيْحَان فلا يَرُدَّه»** [٨].
وهو مثلما علّق عليه ابن الأثير - كل نبتٍ طيبٍ من المَشْمُوم [٩].
وقيل إنّ الريحان اسم جامع للرياحين الطيّبة الريح [١٠].
والعرب تسمّي الرزق ريحاناً أيضاً على التشبيه، ومنه قولهم: خرجت ابتغي رَيْحَان اللهِ.
أي رزقه [١١].

---

١ - ينظر: نهج البلاغة (صبحي): ك: ٤٥: ٥٢٩ / ٥٣٠.

٢ - ينظر : شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) : ٥ / ٣١٣ ، والديباج الوضي : ٥ / ٢٤٤٢ .

٣ - ينظر : تهذيب اللغة (روح) :١٧٧/٢ ، لسان العرب (روح) :٤٥٥/٢ .

٤ - ينظر : تهذيب اللغة (روح) :١٧٧/٢.

٥ - ينظر : الصحاح (روح) :٢٧٥/١ ، لسان العرب (روح) :٤٥٥/٢ .

٦ - ينظر : الصحاح (روح) :٢٧٥/١ ، لسان العرب (روح) :٤٥٥/٢ .

٧ - ينظر : لسان العرب (روح) :٤٥٥/٢ .

٨- ينظر : النهاية في غريب الحديث :٢٨٨/٢

٩- ينظر : نفسه .

١٠- ينظر : تهذيب اللغة (روح) :١٧٧/٢.

١١- ينظر : الصحاح (روح) :٢٧٥/١ ، لسان العرب (روح) :٤٥٥/٢ .

وبه فُسّر قوله تعالى: «**فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ**» [١]، فقد أشار المفسرون إلى أن قوله تعالى (وَرَيْحَان) يراد به الرزق الطيّب [٢].
أو مطلق الرزق كما ذهب إلى ذلك ابن منظور من اللغويين [٣].
وقد اجمع اللغويون إن (ريحاناً) من ذوات الواو، والأصل فيه (رَيْوَحَان) بياء ساكنة، ثم واو مَفتوحة [٤].
وقلبت الواو ياءً لمجاورتها الياء، ثم أدْغمت وخُفِّفَتْ على حدّ لفظة (مَيْت)، ولم يستعمل هذا اللفظ مشدداً بعد قلب واوه ياء، وذلك لمكان الزيادة فيه، فكأنها عوض من التشديد [٥].
وقد استعملت مفردة ريحان في نهج البلاغة ثلاث مرات [٦]، واحدة منها وصف بها الإمام (عليه السلام) المرأة بـ (انها رَيْحَانَة) وذلك في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام) التي كتبها له عند مُنْصَرَفِه من صِفّين. وفيها يتحدث عن المرأة وكيفية معاملتها.
يقول (سلام الله عليه): «**... وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ** [٧]» [٨].
ووصفه (عليه السلام) للمرأة بـ (الرَّيْحَانَة) سبيل إلى بيان أنها غَضّة طَرِيّة طيبة النَّفْس والروح، وهذهِ هي الفطرة الإلهية التي فطرها الله عليها - وقد علّق ابن ميثم على هذا الضرب من الاستعارة بقلة: «واستعار لفظة الريحانة باعتبار كونها محلا للذة والاستمتاع بها، ولعل تخصص الريحانة بالاستعارة لأنّ شأن نساء العرب استعمال الطّيب كثيرا» [٩].
وهذا وجه مقبول لديَّ علاوة على ما قدّمته، ولعل استعمال الإمام (عليه السلام) لمفردة (قهرمانة) ضداً لمفردة ريحانة يمثل دلالة (الريحان) خير تمثيل في هذا السياق، إذ الريحان كما تقدم - يَقْلٌ طَرِيٌّ غَضٌ طيِّب الرائحة، فهو على العكس - بدلالة هذهِ - من المتسلط القاهر الذي يتحكم بالأمور دونما روية أو عدل متجاوزا سلطات نفسه، وهو ما يصوره الإمام (عليه السلام) بمفردة (قهرمانة)، وهذه اللفظة فارسية معربة، تطلق على مَنْ يملك التَصرّف في الأمور [١٠].
وفي هذا التعبير العلوي قضية اجتماعية، فقد استعار الإمام لفظة (قهرمانة) على سبيل الكناية لِيُظْهِرَ أنّ المرأة لم تُخْلَق لتكون حاكمة متسلطة بل من شأنها أن تكون زوجة محكومة بطاعة زوجها، وذلك فيما يرضي الله تعالى. فإنّ المرأة إنما خُلِقَت للرقة والحنان والدعة والمطمئنان بحسب ما يقول الشيخ محمد جواد مغنية [١١].
وهذا الأمر يدعونا إلى إن نفهم الفارق بين كونها (ريحانة) أي طيبة محبوبة كما هو الريحان، طيب الرائحة، فهي بذلك محبوبة مصانة ينبغي إن تعامل برقة، فتكون لها حضورها العاطفي في قلب الزوج [١٢].

١- الواقعة:٨٩

٢ - ينظر :روح المعاني للالوسي :١٢ / ١٣٠ .

٣ - ينظر : لسان العرب (روح) :٤٥٥/٢ .

٤ - ينظر : لسان العرب (روح) :٤٥٥/٢ .

٥ - ينظر : لسان العرب (روح) :٤٥٥/٢ .

٦ - ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة : ١٩٦.

٧- القَهْرَمَانَة هو المسيطر الحفيظ على من تحت يده ، وهو فارسي معرب . لسان العرب (قهرم) :١٢/ ٤٩٦.

٨- ينظر: نهج البلاغة (صبحي): ك٣١: ٥١٣ .

٩ - شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) : ٦١٣/٣ .

١٠ - ينظر : الديباج الوضي : ٥/ ٢٣٨١ . ويبدو ان صاحب الديباج الوضي ، قد اخذ هذا المعنى من الدلالة المعجمية لمفردة (قَهْرمانة) ينظر : لسان العرب (قهرم) :١٢/ ٤٩٦. ومما يجدر الإشارة إليه إن (الجواليقي) قد اغفل هذا اللفظ في المعرب :٢٩٨-٣٢٦.

١١ - ينظر : في ضلال نهج البلاغة : ٥٣١/٣ ، والمرأة في نهج البلاغة : د.نجوى صالح الجواد : ٢٢٤

١٢- ينظر : المرأة في نهج البلاغة : ٢٢٥

أمّا الموضع الثاني الذي جاءت فيه مفردة (رَيْحَانَة) فهو قوله (سلام الله عليه) وقد سُئِلَ عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ،وبني مَخْزُومٍ: «**أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ تُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ...**» [1].

وسياق حديثه (عليه السلام) سياق مَدْحٍ، وقد عبّر الإمام عن هذا الضرب من المدح لبني مخزوم بـ (ريحانة قريش).

أي أنهّم لُبُّ قريش، وصفوتها وبنو مخزوم بَطن من قريش، وهو مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك [2].

وقيل كان مخزوم هذا ريح طيّبة كالخزامي، ولون كَلَوْتِهِ.

ويبدوا أنّ هذا المعنى هو الذي دعاهم إلى أنّ يسمّوا هذا البطن من لؤي بن غالب بن قريش (ريحانة قريش) لريحه الطيبة [3].

ويبدو أنّ هذهِ الدلالة أو التسمية الغالبة على بني مخزوم كانت شائعة كما يفهم من كلام الشيخ ابن ميثم البحراني، ولهذا ضَمّنها الإمام (عليه السلام) في كلامه، فضلاً عمّا تدل عليه مفردة (ريحانة) من معنًى يشتمل على طِيْب الرائحة والمنزلة بين الأشجار، فيكون المعنى الذي قصد إليه الإمام أنهم - بنو مخزوم - في قريش بمنزلة الريحان في الأشجار [4].

وذهب بعض الشّراح إلى أنّ قوله (عليه السلام) (بنو مخزوم ريحانة قريش) ليس وصفاً من إنشائه (عليه السلام) وإنما كان مقولاً قبله، وقد فسّر الإمام بتفسير حَسنٍ بَأنْ لم يُقْصر الأمر على حب النكاح في نسائهم، بل زاد عليه حب حديث رجالهم.

واستدل على ذلك بالحوار الذي دار بين خالد ابن عبد الرحمن المخزومي' وأبي الصَّقْعَب التميمي من تَيْمِ الرّبَاب، فسأله خالد عن قبيلته، فأجابه بأنه من تَيْمِ الرّبَاب.

فقال له خالد: ما أنت من سَعْد الأكثرين، ولا حنظلة الأكرمين، ولا عمر الأشدّين.

فقال أبو الصقعب.فَمِمّن أنت ؟ قال: من بني مخزوم.

قال نحن ريحانة قريش فقال أبو الصقعب: قبحاً لما جئت به، وهل تدري لم سُمِّيت مخزوم ريحانة قريش ؟ سُمِّيت بِحَظْوَةِ نسائها عند الرجال. فأفْحَمَهُ [5]. علاوة على هذه الرواية، فإنّ قوله (عليه السلام) (ريحانة قريش) يتناسب مع دلالة (الريحان) على المرأة أو وَصْف المرأة بـ (الريحانة) لفضاضتها ورقتها وطيب نفسها. وهذا الأمر محتمل وقريب مما قصده الإمام فيما احسب.

وجاء الوضع الثالث الذي استعمل فيه الإمام (عليه السلام) لفظة (رَيْحَانُةُ) بصيغة الجمع في سياق حديثه عن عيسى عليه السلام أو بدلالة الريحان المأكول أي الطَّيِّب المَطْعَم: «**وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (عليه السلام) فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ... وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ**» [6].

وفي كلام الإمام (عليه السلام) استعارة، فقد استعار لفظ الفاكهة والريحان لم تنبته الأرض [7].

من طيّب المأكول طعماً ورائحة.

رِيْحُهُ(١) قصا / ٣٩٧

١- نهج البلاغة (صبحي): قصا: ١٢: ٦٢٢،٦٢٣.

٢- ينظر : نسب قريش :٩٧/١ ، شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) : ٤٢٨/٥ .

٣- ينظر : شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) : ٤٢٨/٥ .

٤- ينظر : الديباج الوضي : ٦/ ٢٨١١ .

٥- ينظر :بهج الصباغة : ١٠/ ٢٤٥ .

٦- نهج البلاغة (صبحي): خ: ١٦: ٢٨٣.

٧- ينظر : شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) : ٦٥٣/٣ .

ومن الاشتقاق نفسه لمفردة (رَيْحان) استعملت مفردة (ريْحُهُ) عند الإمام (عليه السلام)، والرّيْحُ في اللغة نَسِيْمُ الهواءِ، و نَسِيْمُ كلِّ شيءٍ، وهي لفظة مؤنثة [١].
والرِّيْحَةُ طائِفَةٌ من الرِّيح [٢].
وقيل في عِلّة تسمية الريح بهذا الاسم، لأن الغالب عليها في هبوبها المَجِيءُ بالرَّوْح والرّاحَة، وإنّ انقطاع هبوبها يُكْسِبُ الكرْبَ والغَمَّ والأذى، وهي بذلك تكون مأخوذة من الرَّوْح [٣].
ومن الدلالة الأخرى لهذا الجذر اللغوي هو استعمالها - أي مفردة ريح - للإشارة إلى الرائحة الطيّبة، فالرّيح الشّيء الطيِّب والرائحة ريْحٌ طيّبةٌ نجدها في النَّسِيم [٤].
وقد استعمل الإمام هذه اللفظة عند حديثه عن (المِسْك) بقوله: «**نِعْمَ الطِّيبُ الْمِسْكُ خَفِيفٌ مَحْمِلُهُ عَطِرٌ رِيحُهُ**» [٥].
ويقصد الإمام بمفردة(ريحة) الرائحة الطيّبة التي تصدر عن المسك، وقد ذكر بمجاورة هذه اللفظة (عَطِرٌ) وهي مفردة تُعَزّز المعنى المقصود.
عَرْفُهُ (٢) خ ١٩٢(٢)
عَرَفَ الرَّجُل إذا أكثر من الطِّيب[٦]، والعَرْفُ الرِّيْحُ طَيِّبَة كانت أومُنْتَنِة، وأكثر استعماله في الرِّيح الرِّيح الطَّيِّبَةِ[٧].
ومنه قول الشاعر [٨]:

ثَنَاءٌ كَعَرْفِ الطِّيْبِ يُهْدَى لِأَهْلِهِ وَلَيْسَ لَهُ إلاّ بني خالدٍ أَهْلُ

ومنه - أيضا - الحديث: «**مَنْ فَعَلَ كذا وكذا لم يَجِد عَرْفَ الجَنَّةِ**»[٩].
أي ريْحَها الطِّيِّبَةِ [١٠].
والتَّعْرِيْفُ التَّطْيِيْبُ من العَرْف [١١].
والعَرْفَةُ قَرْحَةٌ تخرج في بياض الكَفِّ.
يقال عَرَفَ الرجلُ، فهو مَعْرُوف إذا خرجت به تلك القَرْحَة [١٢].
والعُرْفُ بالضم الجُود والكرم [١٣].
والعُرْفُ شجر الاثرُجُّ، والعُرْفُ النَّخْلُ إذا بَلَغَ الإطعام [١٤].

١- ينظر : لسان العرب (روح) :٤٥٥/٢ .

٢- ينظر : تاج العروس (روح) : ١/ ١٥٩٩ .

٣- ينظر : تاج العروس (عمل) : ١/ ٧٣٥٧

٤- ينظر : تاج العروس (روح) : ١/ ١٥٩٩ .

٥- ينظر: نهج البلاغة (صبحي): قصا ٣٩٧: ٦٨٢ .

٦- ينظر : تهذيب اللغة (عرف) :٢٧٣/١، وتاج العروس (عرف) : ١/ ٦٠١٥ .

٧- ينظر : الصحاح (عرف) :٤٦٢/١ ، وتاج العروس (عرف) : ١/ ٦٠١٣ .

٨ - ينظر : لسان العرب (عرف) :٢٣٦/٩ ، وتاج العروس (عرف) : ١/ ٦٠١٣ .

٩- النهاية في غريب الحديث والأثير: ٤٤٢/٣ ، و لسان العرب (عرف) :٢٣٦/٩ ، ولم تذكر المدونات الحديثة هذا الحديث ، وأنما ورد الحديث الاتي : ((مَنْ تعلّم علْماً مما ينبغي به وَجْه اللهِ لا يَتَعَلَّمُهُ إلا لِيُصِيْبَ به عَرَضاً مِن الدنيا ، لم يَجِد عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القيامة)) . مسند احمد : ٣٣٨/٢.

١٠ - ينظر: النهاية في غريب الحديث : ٤٤٢/٣،و لسان العرب (عرف) :٢٣٦/٩ .

١١ - ينظر : لسان العرب (عرف) :٢٣٦/٩ .

١٢ - ينظر : لسان العرب (عرف) :٢٣٦/٩ .

١٣ - ينظر : تاج العروس (عرف) : ١/ ٦٠١٥ .

١٤ - ينظر : لسان العرب (عرف) :٢٣٦/٩ .

وقد ورد في نهج البلاغة استعمال لفظ (عَرْفُه) مرتين [1]،كلتاهما بدلالة الرائحة الطيبة الزكية التي التي تأخذ الأنفاس، وكان الاستعمال الأول منهما في سياق حديثه (عليه السلام) عن خَلْق آدم (عليه السلام).

يقول: «**وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ، لَفَعَلَ...**» [2].

والعَرْف هو ما يُشَمُّ من رائحة طيّبة، وقد أراد (عليه السلام)- ههنا- الرائحة الطيّبة التي يَعْظُم وَقْعُها في النفوس، ويَعْظُم تأثيرها في الخياشِيم من عَبْقَةِ ريحها ونفوذه [3].

وأمّا المعنى الآخر، فهو في سياق حديثه (سلام الله عليه) عن علاقته بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقُرْبِهِ منه بعد حديثه عن شجاعته وفَضْلِهِ. يقول الإمام: «**أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ**» [4].

وقد اتخذ الإمام (عليه السلام) من هذه المفردات الواردة في النص سبيلا لبيان قوة ارتباطه بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولِيُبَيّن أنّه رَبِيْب رسول الله، فذكر قوله (وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ) للدلالة على شدة القُرّب مِنه.

وعَرْفُ النبي ريْحُهُ الطيبة الزكية وقد أشار (عليه السلام) بقوله (وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ) إلى حصول التبرّك بملامسة جسم الرسول، وذلك إشارة إلى قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «**مَنْ مَسَّ جِسْمُهُ جِسْمِي لم تَمَسَّهُ النار**[5]».[6]

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «**مَنْ مَسَّ دِمِي دَمَهُ لم تُصِبْهُ النار**» [7].

وذلك كله يستلزم شَمَّ عِطر النبي الأكرم ورائحة جسمه الزكية.

وقد ذهب بعض الشراح إلى تفسير لفظة (عَرْفة) في نص الإمام المتقدم بـ (عَرَقة) وهي إشارة منه إلى انه (عليه السلام) كان يشم رائحة عَرَق جسم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) [8].

[8].

وهو أمر بعيد عندي ؛ لأنّ عَرْف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طيّب، ولا تصدر منه إلاّ رائحة طيبة مثلما هو معروف.

المِسْك (٢) خ / ١٦٥ ، قصا / ٣٩٧

المِسْكُ الطيب عن ابن الإعرابي[9].

وهو المَشْمُوم عند اللغويين [10].

وهو ضَرْبٌ من الطّيْب مذكر، وقد أنثّه بعض اللغويين واحدته مِسْكَة [11]. واصلة (مِسَك) محرّك السين [1].

١- ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ٣٠٠ .

٢- نهج البلاغة (صبحي): خ: ١٩٢: ٣٦٠.

٣ - ينظر : الديباج الوضي : ٤/ ١٩٧٧ .

٤ - نهج البلاغة (صبحي): خ: ١٩٢: ٣٧٨.

٥ - الديباج الوضي : ٤/ ٢٠٥١ .

٦ - نفسه .

٧ - السيرة النبوية ، لأبن هشام : ٣٢/٣ ، والديباج الوضي : ٤/ ٢٠٥١ هامش (٤) .

٨ - ينظر :بهج الصباغة : ٥/ ١٨٩ .

٩- ينظر : تهذيب اللغة (مسك) :٣٣٥/٣ .

١٠ - ينظر : جمهرة اللغة (مسك) :٤٧٧/١ .

١١ - ينظر : لسان العرب (مسك) :٤٨٦/١٠ .

و(المِسْكُ) من الطِّيْب فارسي معّرب، كانت العرب تُسَمِّيه المَشْمُوم [٢].
وقد نصّ على أعجميّة هذهِ اللفظة الجواليقي أيضاً [٣].
وثَمَّة ضَرْبٌ من المِسْك يُؤْخَذُ من نَبْتِ البَرَّ، وهو أطْيَبُ من الخُزَامي كما يقول اللغويون [٤].
و(المِسْك) مفردة استعملت في نهج البلاغة مرتين [٥] ؛ بدلالة المِسْك ذي الرائحة الطيبة الجليلة.
يقول (عليه السلام) في صفة الجنة، وما فيها من روعة وبهجة: «**فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَمَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا وَلَذُهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا**» [٦].
والنص يصوّر - بأسلوب مجازي - صورة من صور الجنة، وقد اتخذ الإمام (عليه السلام) أسلوب الاستعارة لإظهار هذا الوجه من جمال الجنّة، فجعل (كثبان المسك) أرضا تنبت فيها عروق أشجار الجنّة.
وهذه التِلال مكونة من المِسك طيّب الرائحة بدلاً من التراب الحقيقي، فكيف ستنمو هذهِ الأشجار إذا كانت كثبانها من المِسْك.
وثَمّة موضع آخر امتدح فيه الإمام (عليه السلام) (المِسْك)، وهو الطِّيْب المعروف، ووصفه بخفة المحمل، وعِطْر الرائحة وجمالها.
وذلك في (قصا / ٣٩٧).
عَطِر (١) قصا / ٣٩٧.
العِطْر أسم جامع للأشياء التي تعالج للطِّيْب، ويُسَمّى بَيّاعُهُ (العَطّار) وحرفته (العِطارة).
يقال: رجل عَطِر، وامرأة عَطِرة، إذا كانا طَيِّبَي الرِّيح، وإنْ لم يَتَعَطّرا [٧]. والعِطْر الطِّيْب وجمعه عُطُور [٨].
ويقال: رجل مِعْطار وامرأة مِعْطار، أي كثيرا الاستعمال للعِطْر [٩].
وفي الأمثال السّائرة «**دَقّوا بَيْنَهُم عِطْرَ مَنْشَم**» [١٠].
قيل إن منشم امرأة من خزاعة كانت تبيع العِطْر في الجاهلية فَتَطَيَّبَ قَوْمٌ بِعِطْرِها وتحالفوا على الموت فجرى المثل بذلك [١١].
وقيل بل هو من قولهم (مَنْ شَمَّ هذا العِطْر)، وهو رأي ضعيف، وذهب الأصمعي إلى أن (مَنْشَم) يعني (فَشَا، وانتشر) وهو لا يكون إلاّ في الشَّرِّ [١٢].

---

١ - نفسه .

٢ - الصحاح (مسك) : ٢/ ١٧٠ .

٣ - ينظر : المعرب :٣٧٣ ، ومن الجدير ذكره ان محقق كتاب (المعّرب) قد ذكر في الكتاب نفسه هامش (٤) : ٣٧٣ انه لم يجد من قال بأعجمية اللفظة غير الجواليقي وهو وهم منه فيما احسب لأن الخليل ، والجواهري من المعجمين قد أشارا إلى هذا الأمر كما تقدم .

٤ - ينظر : لسان العرب (مسك) :٤٨٦/١٠ .

٥- ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢١.

٦ - نهج البلاغة (صبحي): خ: ١٦٥: ٣٠٠.

٧- ينظر: تهذيب اللغة (عطر) :٢٠٦/١ ، و لسان العرب (عطر) :٥٨٢/٤

٨ - ينظر : القاموس المحيط (عطر) :٤٦٥/١ ، و تاج العروس (عطر) : ١/ ٦٠١٥ .

٩ - ينظر : جمهرة اللغة (عطر) :٤١٣/١ .

١٠- جمهرة الأمثال:١٠٦/١، و جمهرة اللغة (عطر) :٤١٣/١ .

١١ - ينظر : جمهرة اللغة (عطر) :٤١٣/١ .

١٢- ينظر : جمهرة اللغة (عطر) :٤١٣/١ .

وردت مفردة (عَطِر) في كلام الإمام علي (عليه السلام) مرة واحدة [١]. وذلك بدلالة الطِّيْب عند حديثه عن (المِسْك) وصفاته.
يقول الإمام: «**نِعْمَ الطِّيبُ الْمِسْكُ خَفِيفٌ مَحْمِلُهُ عَطِرٌ رِيحُهُ**» [٢].
يريد (عليه السلام) أنّ المِسك عَطِر الرائحة طيِّبُها وهو من محمود العطور وأجلّها.
ومن الجدير بالذكر أنّ مفردة (طِيْب) قد وردت في كلمات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «حُبِّبَ إليَّ مِن دُنْيَاكم ثلاث ؛ الطِّيْب، والنّساء، وَقُرَّة عَيْني الصّلاة» [٣].

نتائج البحث

وقد توصل البحث إلى جمهرة من النتائج التي تظهر القيم الدلالية للألفاظ موضوع البحث لعل من أهمها.
١. تبين من خلال البحث
٢. وقوع الترادف الجزئي بين ألفاظ (طِيْب)، و (عَرْفه)، و (مِسْك).
٣. استعملت لفظة (طِيْب) دالة على حِلية اكتساب الطعام، وهي بذلك ترادف كلمة (الحلال) ترادفاً جزئياً في استعمالها عند الإمام.
٤. دلت مفردة (ريحانة) على النساء تشبيهاً للمرأة بالريحانة الغصن الطري ذي الرائحة الطيبة. فضلاً عن أنَّ الإمام (عليه السلام) استعملها دالة على المكانة الاجتماعية والسياسية لقبيلة بني مخزوم الذين عدّهم (ريحانة قريش) أي قلبها ولبّها.
٥. ثمّة علاقة عام بخاص بين مفردة (طِيْب) وهي اسم جامع للأشياء التي تعالج للطيب وبين (المِسك) وهو بعض من الطيب أو نوع منه. وعلاقة ترادف جزئي بين (عِطْر) وهي لفظ عام، ومفردة (طِيْب) وهي كما يبدو أخص منها دلالة.

قائمة المصادر والمراجع

١- بهج الصباغة للشيخ محمد تقي بن كاظم بن الشيخ محمد علي التستري مؤسسة نهج البلاغة ، إيران
٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ ه) ، تحقيق مجموعة من العلماء ، مطبعة الكويت ، ١٩٧٢م .
٣- تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح) ، لإسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٣ ه) تحقيق احمد عبد الغفور عطّار ، دار العلم للملايين ط ع ، بيروت ١٩٨٧م
٤- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن احمد الأزهري (ت٣٧٠ ه) ، تحقيق عبد السلام هارون وجماعته ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
٥- جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري (ت ٥٣٨ه) ، دار الفكر العربي بيروت ١٩٨٨م
٦- جمهرة اللغة ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١ه) تحقيق الدكتور رمزي منير بعلبكي ، ودار العلم للملايين ،ط١ ، ١٩٨٧م .
٧- الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي (شرح نهج البلاغة) ، تأليف الإمام المؤيد بالله أبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني (ت ٧٤٩ه) ، تحقيق خالد قاسم بن محمد المتوكل ، إشراف الأستاذ عبد السلام بن عباس الوجيه مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ،ط١ ١٤٢٤ه

١- ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٠٦.

٢- نهج البلاغة (صبحي): قصا / ٣٩٧: ٦٨٢.

٣- ينظر : شرح نهج البلاغة (ابن أبي حديد) : ١ / ٣٩٩ .

٨- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) تحقيق وضبط محمد زهير النجار ، دار القومية العربية للطباعة ، ١٩٦٤م.
٩- السيرة النبوية لأبن هشام الحميري (ت ٣١٨هـ) تحقيق مصطفى السقا وجماعته ، دار إحياء التراث ، بيروت ،ط٣ ، ١٩٧١م .
١٠-شرح نهج البلاغة لِعزّالدين ابي حامد عبد الحميد بن هبة الله مَدائني الشهير بابن ابي الحديد (ت ٦٥٦هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الحكيم / دمشق ط١ ٢٠٠٩م .
١١-شرح نهج البلاغة تاليف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) منشورات الفجر / لبنان ط١/١٤٣٠هـ
١٢-العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ،تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، مطابع الرسالة / الكويت ١٩٨١ م
١٣-في ضلال نهج البلاغة ، للشيخ محمد جواد مغنية
١٤-القاموس المحيط لمج الدين الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
١٥-لسان العرب ،لأبي الفضل جمال الدين بن مكرم بن متطور (ت ٧١١هـ) دار صادر بيروت ،١٩٥٥م .
١٦-المرأة في نهج البلاغة ، د.نجوى صالح الجواد ، معهد الدراسات العربية الإسلامية ، لندن /١٩٩٩م .
١٧-مسند الإمام احمد بن حنبل ،أبو عبد الله الشيباني ، مؤسسة قرطبة بمصر . د ت .
١٨-المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ، لمحمد الدشتي ، والسيد كاظم المحمّدي / مؤسسة امير المؤمنين (عليه السلام) للتحقيق قم المقدسة ط٦/ ١٣٧٥هـ .
١٩-المعَّرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، لأبي منصور الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب ، ط٢ / ١٩٦٩م .
٢٠-النهاية في غريب الحديث والأثير ، لمج الدين أبي السعادات بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق طاهر طاهر احمد وصاحبه ، مطبعة مصطفى الحلبي ط١/ ١٩٦٣م .
٢١-نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي الموسوي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح / مؤسسة أنوار الهدى إيران / قم المقدسة ط١ / ١٤٢٦ هـ.

المحسنات البديعية (الجناس) في مرآة نهج البلاغة

المدرس: مريم جلإلى نجاد (جامعة پيام نور – جمهورية ايران الاسلامية)

المقدمة

إنّ نهج البلاغة بحر زاخر وجياش يتّصل بمحيطين كبيرين وعميقين من المعارف والعلوم الإلهيتين.
ولهذا الكتاب تلألؤ في سماء العلم والأدب مثل ما يكون للقرآن الكريم.
يكون هذا الكتاب خالداً طوال الأزمنة ومرجع خلوده انبعاثه من عمق وجود الإمام على (عليه السلام) ومن بحر أفكاره المواجة.
والذي يُعطي هذا الكتاب عظمة وإشراقاً ارتباطُ الإمام (عليه السلام) بالمنبع الإلهي وارتباطه الوثيق بنبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، الارتباط الذي جعل الإمام (عليه السلام) يشرب من الكأس الإلهي قطرة فقطرة وجعل نهج البلاغة فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق.
استعمل الإمام (عليه السلام) الصناعات البديعية في كلامه مراراً وأتى بالمعارف الرفيعة الإلهية في أجمل صور البديع.
مما يلفت النظر وجود الموسيقي في كلام الإمام على (عليه السلام) وهذا مما يدل على وجود الصناعات البديعية الجميلة في كتابه نهج البلاغة.
الجناسُ من الصناعات البديعية الموجودة في هذا الكتاب الرفيع القدر والذي أضفى كلام الإمام (عليه السلام) فصاحة وبلاغة وجعل كلامه أكثر تأثيراً على النفوس.
في هذا المقال سعت الكاتبة أن تعرّف الجناس أولاً ثم انصرف إلى دراسة بعض الأمثلة من الجناس اللفظية في كلام الإمام (عليه السلام).

الجناس في البلاغة

الجناس من أجمل المحسنات اللفظية وأكثرها اشتهارا.
فالجناس له أساسه في اللغة وأصالته في الذوق العربي وله دوافعه في الربط و التصور النفسي.
ومن وظائفه الأساسية إيجاد الموسيقى في الكلام.
الجناس في اللغة: تقول: « جانس الشيء مجانسة و جناساً: شاكله و اتّحد معه في الجنس»[١] يقال له التجنيس[٢] و التجانس[٣] والمجانسة[٤].

أول من عرّفه باسم التجنيس هو ابن المعتز وغلب عليه هذا الاسم وظل يعرف به إلى يومنا[٥].

وهذه كلُّها ألفاظ مشتقة من الجنس[٦] وسبب هذه التسمية راجع إلى أن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد[٧]

واحد[٧] لم يختلف البلاغيون في أن المراد بالتجنيس اتفاق لفظين أو أكثر في الحروف أو في بعضها[٨] الجناس هو

هو أن تتشابه اللفظتان في الشكل الخارجي وتختلف في المعنى وإنمّا ياتي الديب بهما هكذا ليثير السامع مرتين: أولهما حين يوهمه للوهلة الاولى بأن المعنى فيهما الواحد والثانية حين تتنبه قدرات السمع كمعرفة المعنى المراد من الكلمة الثانية، عندما يدرك أن المقصود بها معنى آخر.[٩]

يُعدّ الجناس من أكثر أنواع البديع تبويباً وتنويعاً عند علماء البلاغة ، حتى أنهم اختلفوا فيه وتداخلت الآبواب عند بعضهم.

---

١ . المراغي، ١٩٩٩م، ص ١٠٧.
٢ . نفسه، ص ١٠٩.
٣ . عباس، ١٤٢٤ه،ص ٢٩٩ .
٤ . السعدي، ١٤٢٨ه، ص ٦٧.
٥ . سلطاني، ٢٠٠٦م ،ص ١٥٧.
٦ . ابن معصوم، ١٩٦٨م،ص ٩٧.
٧ . عتيق، بلا تا، ص١٩٦.
٨ . الجندي،١٩٥٤م، ص ٣ والقيرواني، ١٩٥٥م، ج١، ص٣٣١.
٩ . سلطاني، ٢٠٠٦م، ص٥٣.

إذن هو صورة من صور التكرار وله اما للتكرار من تاكيد النغم وتقويته.[1] الجناس ينقسم إلى نوعين: لفظي ومعنوي.[2]

الجناس من الحلي اللفظية ومن الألوان البديعية التي لها تاثير بليغ ، تجذب السامع وتحدث في نفسه ميلا إلى الإصغاء والطلبة بنغمته العذبة وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستاغة.
فنجد من النفس القبول وتتاثر به أي تأثر وتقع من القلب أحسن موقع.

نظرة خاطفة إلى الجناس اللفظي في بستان نهج البلاغة

الجناس التام

من أنواع الجناس الجناس التام وهذا من أفضل أنواع الجناس.[3]

الجناس التام هو جناس يوافق فيه اللفظان المتجانسان في نوع الحروف و شكلها وعددها وترتيبها.
ويُسمّيه عبدالقاهر الجرجاني جناساً مستوفياً.[4] و ابن الأثير يُسمّيه تجنيساً حقيقياً.[5]

خطب الإمام على (عليه السلام) و قال:
١- « فالبصيرُ مِنها شاخصٌ وَالأعمى إليها شاخصٌ والبصيرُ منها متزودٌ و الأعمي لها متزودٌ ».[6]

نُشاهد في العبارة التجانس بين الكلمتين (شاخص) فالاولى منهما تعني الشخص المستعد للسفر والثانية تعني الذي يرنو ويُثبتُ النظر إلى مكانٍ ما.
كما نُشاهدُ التجانس بين الكلمتين (متزّود) فالجناس هنا جناس تام ومماثل في آنٍ واحد.
لأنّ الكلمتين المتجانسين اسمان.[7]

٢- « واستقَربوا الأجَلَ فبادروا العمل وكذبوا الامل فَلاحَظُوا الأجَلَ».[8]

نُشاهد في العبارة التجانس بين الكلمتين (الأجل) فالاولى منهما تعني المدة و الثانية تعني الموتَ.
فالجناس هنا تام أيضاً.

الجناس غير التام (الناقص)

الجناس غير التام (الناقص) هو جناس لايوافق فيه اللفظان المتجانسان في نوع الحروف وشكلها و عددها وترتيبها توافقا تامّاً بل يختلفان في واحد أو أكثر من واحد من هذه الأمور.[9]

ويُسمّيه ابن الأثير شبيهاً بالجناس.[10]

ويُسمّيه الخطيب القزويني جناساً ناقصاً.[11]

وهذا النوع من الجناس كثير في كلام الإمام على (عليه السلام) يُذكر نماذج منها.
١- « وَألجِئ نَفسَك فِي الأمور كلّها إلى إلهك ».[12]

فالجناس هنا بين اللفظين (إلى) و(إلهك) والجناس هنا غير التامّ.
وبما الاختلاف بين الكلمتين في أكثر مِن حرفٍ فيُسمي الجناسُ مذيّلاً.

---

١ . المراغي، نفسه، ص ١٠٩.
٢ . الهاشمي،١٤١٨ق، ص ٣٩٦.
٣ . الصفدي،١٢٩٩ه، ص ٢٠.
٤ . الجرجاني،١٣٧٠، ص ٢٢.
٥ . ابن الأثير، بلاتا، ج١، ص ٣٤٣.
٦ . نهج البلاغة، ج١، ص ٣٠٩.
٧ . الهاشمي، ١٤١٨ق،ص٣٩٧.
٨ . نهج البلاغة، ج١، ص ٢٦٤.
٩ . الهاشمي،١٤١٨ق،ص ٣٩٨.
١٠ . ابن الأثير، بلا تا، ج١ ص ٣٤٥ .
١١ . القزويني، ١٩٣٢م،ص ٣٩٠.
١٢ . نهج البلاغة، ج٢، ص ٢٤٤.

يذهب السيوطي إلى أن الاختلاف بين الكلمتين في الجناس المذيل يكون بإضافة حرف أو أكثر مِن حرفٍ في منتهي الكلمة.[1]

٢- « قاتَلَكم اللهُ فَعلى مَن اكذِبُ أ على الله فأنا اوَّلُ مَن آمن على نَبيّه فَأنا أولّ مَن صَدَّقَه».[2]

فالجناس هنا بين اللفظين (مَن) و(آمَنَ) و الجناس هنا غير التامّ.

٣- « إلىهم يفيءُ الغَالِى وَ بهم يلحق التَّالِى ».[3]

فالجناس هنا بين اللفظين (الغالِى) و (العالِى) والجناس هنا غير التامّ.
والاختلاف بين الحرفين (غ) و (ت) وهما بعيدي المخرجين الأمر الذي يزيد موسيقي العبارة ويُسمى هذا النوع من الجناس جناساً لاحقاً.[4]

٤- « اللهم اغفِر لي رَمَزاتِ الالحاظِ وسَقَطاتِ الالفاظ ».[5]

الجناس هنا بين اللفظين (ألحاظ) و(ألفاظ) والجناس هنا غير التامّ.
والاختلاف بين حرفي الوسط.

٥- « يامرونَ بالقِسط ويأتمرون بهِ وينهُونَ عَنِ المُنكر ويتَناهون عنه ».[6]

الجناس هنا بين اللفظين (يامرون) و(يأتمرون) وبين اللفظين (ينهون) و (يتناهون) فالجناس هنا غير التامّ.

٦- « فَإنَّ الدُنيا رَنقٌ مَشرَبُها رَدغٌ مَشرعُهَا ».[7]

الجناس هنا بين اللفظين (مشرب) و(مشرع) والجناس هنا غير التامّ.
نرى في كل هذه العبارات موسيقى خفي أو جليٍّ مما يُاعد على تأثير الكلام على المخاطب.

الجناس المصحف

الجناس المصحف هو ما اتفق فيه ركنا الجناس أي لفظاه في عدد الحروف وترتيبها واختلافهما في النقط فقط[8]

إليكم أمثلة من الجناس المصحّف:

١- « أيقِظُوا بها نومَكم وَاقطعوا بهَا يومَكم ».[9]

رغم وجود الاختلاف بين اللفظين (نوم) و (يوم) في الحرف الأول ألا نشعر بموسيقي الكلام والعبارة هنا؟

٢- « اَضرَعَ خُدودكم واَتعَسَ جُدُودَكم».[10]

الاختلاف بين اللفظين (حدود) و (جدود) في الحرف الأول فقط.

٣- « فَإنَّ الدنيا رَنقٌ مَشربُها رَدِعٌ مشرعُها، يونِق منظرُها و يوبق مَخبرُها ».[11]

نشاهد الاختلاف بين اللفظين (يوبق) و (يونق) في الحرف الثالث فقط.

٤- « لَطيفٌ لايُوصَفُ بِالخَفاء كبيرٌ لايوصَفُ بِالجَفَاء ».[12]

الاختلاف بين اللفظين (خفاء) و (جفاء) في الحرف الأول فقط.

٥- « لِيعِظْكم هُدُوي وَ خُفُوتُ اِطرَاقِي وَسُكونُ اَطرَافِي ».[13]

الاختلاف هنا بين اللفظين (اطراق) و (اطراف) في الحرف الآخر فقط.

---

١ . السيوطي، ١٩٦٧م،ج٢، ص ٢٤٤.
٢ . نهج البلاغة، ج١، ص ١٣٨.
٣ . نهج البلاغة، ج١، ص ٢٨.
٤ . الهاشمي، ١٤١٨ق،ص ٤٠٠.
٥ . نهج البلاغة، ج١، ص ٢٨.
٦ . نهج البلاغة، ج٢، ص ٤٢.
٧ . نهج البلاغة، ج١، ص ١٥١.
٨ . عباس، ٢٠٠٤م، ص ٢١٠.
٩ . نهج البلاغة، ج٢، ص ٨٤.
١٠ . نهج البلاغة، ج١، ص ١٣٦.
١١ . نهج البلاغة، ج١، ص١٥١.
١٢ . نهج البلاغة ، ج١، ص ٤٢٥.
١٣ . نهج البلاغة، ج١، ص ٣٣٩.

الجناس المحرَّف

الجناس المصحف هو ما اتفق فيه ركنا الجناس أي لفظاه في عدد الحروف و ترتيبها و اختلافهما في الحركات فقط.إلیکم أمثلة من الجناس المحرف:

١- « فَإنَّ التَّقوي في إليومِ الحِرزُ والجُنَّةُ في وَغدِ الطَّريق إلى الجَنَّة».[١]

الاختلاف هنا بين اللفظين (جُنّة) و(جَنّة) في الحركات فقط.

٢- « فَإن شَبَّهتَهُ بِمَا أنبَتَتِ الارضُ، قُلتَ جَنِيٌّ جُنِيَ مِن زَهرَةِ كلُّ ربيع» .[٢]

الاختلاف هنا بين اللفظين (جَنِيٌّ) و (جُنِيَ) في الحركات فقط.

الجناس المضارع

هو ما كان فيه الحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج، سواء كانا في أول اللفظ أو في الوسط أو في الآخر.[٣]

هذا النوع من الجناس كثير في كلام الإمام علی (عليه السلام). إلیکم أمثلة من الجناس المضارع:

١- « وَ إنَّمَا حَظُّ أحَدِكم مِنَ الأرض ذاتِ الطُّول وَ العَرض.....»[٤]

الاختلاف هنا بين اللفظين (الأرض) و (العَرض) في حرفي الهمزة والعين وكلاهما من الحروف الحلقية.

٢- « وَكنتُ اَخفَضَهُم صَوتاً وَاَعلاهُم فَوتاً، فَطِرتُ بِعِنائِها واستيقظتُ... كالجَبَل لا تُحَرِّكهُ القَواصِفُ ولا تُزيلُهُ العَواصِفُ ».[٥]

الشاهد هنا في اللفظين (القَواصِفُ) و (العَواصِفُ) الاختلاف في حرفي القاف والعين وكلاهما من الحروف الحلقية.

جناس الاشتقاق

هو نوع من الجناس يكون فيه اللفظان المتجانسان مشتقين من أصل واحد.[٦]

يُسمّى هذا النوعُ من الجناس مقتضباً أيضاً.[٧]

فللاشتقاق دور مهم في قوة وتفخيم الألفاظ.

هذا النوع من الجناس في نهج البلاغة كثير أيضاً.

١- يصف الإمام (عليه السلام) المنافقين ويقولُ: «أُوصيكم ، عِبادَ الله بِتَقوي الله وَأُحَذِّرُكم أهلَ النِّفاق،فَإنَّهُم الضالّون المُضِلّونَ وَالزّالوُنَ المُزِلّونَ، يتَلوَّنوُن ألواناً وَيفتُنُونَ اِفتناناً ويعمِدوُنَكم بِكلِّ عِمادٍ ويرصُدُونَكم بِكلّ مِرصادٍ ».[٨]

تأملوا في الاشتقاقات في هذه العبارة: الضالون والمضلون من مادة ضلال، كما كلمتا الزالون والمزلون من مادة زلَّ، وكلمتا يتلونون وألواناً من مادة لون وبفتنون وافتناناً من مادة فتن ويعمدون وعماد من مادة عمد.

٢- في موضع آخر يصف الإمام (عليه السلام) المتقين ويقولُ: « بُعدُه عَمَّن تباعَدَ عَنهُ زُهدٌ و نَزَاهَةٌ و دُنُوُّه مِمَّن دَنَا مِنهُ لينٌ وَ رَحمَةٌ ».[٩]

أمّا الاشتقاقات في هذه العبارة: بعده وتباعد مِن مادة بعد والدُنوّ وفعل دنا من مادة دنو.

٣- « امّا بَعدُ فَإنّي خَرَجتُ مِن حَيي هَذا، اِمّا ظَالِماً وَاِمّا مَظلُوماً وَامّا بَاغِياً و امّا مُبغياً و.....».[١٠]

الاشتقاقات في هذه العبارة: ظالم ومظلوم من أصل واحد وهو ظلم كما كلمتا باغيا ومبغيا من مادة بغي.

---

١ . نهج البلاغة، ج٢، ص ٨٤.
٢ . نهج البلاغة، ج١، ص٣٩١.
٣ . الهاشمي، نفسه، ص ٤٠٠.
٤ . نهج البلاغة، ج١، ص ١٦٣.
٥ . نهج البلاغة، ج١، ص ٩٨ .
٦ . الهاشمي، ١٤١٨ق، ص ٣٩٩.
٧ . السكاكي،٢٠٠٤م ، ص ٤٢.
٨ . نهج البلاغة، ج١، ص٤٤٩.
٩ . نهج البلاغة، ج١، ص ٤٤٩.
١٠ . نهج البلاغة، ج١، ص ٢٧١.

٤- قال الإمام (عليه السلام) في كلامه عن تغير حال الدنيا: « ألا إنّهُ قَد أدبَرَ مِن الدُّنيا مَا كان مُقبلاً و أقبَلَ مِنهَا ما كانَ مُدبراً».[١]

جناس الاشتقاق هنا في لفظي أدبَر ومُدبر وفي مُقبل وأقبَل وهما من مادة دبر وقبل.

٥- قال الإمام (عليه السلام) في عبارة أخري: « اتَّقُوا الله تَقِيةَ مَن شَمَّرَ تَجريداً وَجَدَّ تَشمِيراً».[٢]

الجناس هنا اشتقاق في كلمتي شمّر وتشميرا وهما من مادّة شمر.

٦- « اِستقبَلُوا مُدبراً وَاستَدبرُوا مُقبلا»[٣] الاشتقاق هنا في كلمتي مدبرا واستدبروا وكلاهما من مادة دبر.

نتيجه البحث:

نظراً إلى دراسات المعنية بالجناس اللفظي في كلام امير المومنين على(عليه السلام) فتستنتج عدة مسائل منها:

اولا: تجسَّدت حقيقة عبارات نهج البلاغة التي هي اسلوب جميلٌ للتكلم في نماذج عديدة من الجناس اللفظي في كلام امير المومنين(عليه السلام).

ثانياً: استخدمت المحسنات اللفظية والمعنوية على سواءٍ وعدم الاشارة إلى امثلة اخري لا يدلُّ على وجود عدمها في كلام الامام لانَّ كلام امير المومنين (عليه السلام) دون كلام خالق وفوق كلام المخلوق وهو امير الكلام ورائد البلاغة و الخطابة.

ثالثا: قسم من جاذبية كلام الامام مستتر في المحسنات البديعية لاسيّما الجناس اللفظي.

رابعاً: ينسج كلام امير المومنين الكلمات والتّعابير واشد بها ايقاعاً واكثرها يتحلّي بالمحسنات البديعية التي تشير إلى سماويّة كلام الامام الجليل.

خامساً: الجناس اللفظي خالط المعنى وسهو الكلام بشكلٍ لا تشعر باي تصنّع و تكلّفٍ.

قائمة المصادر و المراجع

١-ابي طالب، على ابن (١٤١٦ق) نهج البلاغة تحقيق وشرحه: محمدابوالفضل ابراهيم، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت.

٢- ابن اثير ، ضياء الدين (بلا تا) مثل السائر في ادب الكاتب والشاعر،قدّمه احمد الجوفي، نهضة مصر.

٣- ابن معصوم المدني، علي صدر الدين (١٩٦٨م) انوار الربيع في انواع البديع، تحقق شاكر هادي شكر،الطبعة الاولى، مطبعة النعمان، النجف الاشرف.

٤- جرجاني، عبدالقاهر (١٩٥٤م) اسرار البلاغة، تحقيق هلموت ريتر، الطبعة الثانية، مطبعة وزارة المعارف، استانبول.

٥- الجندي، على (١٩٥٤م) فن الجناس، مطلعة الاعتماد، مصر.

٦- السعدي، محيي الدين (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) كتاب البَلاغة (علم البديع) الطبعة الاولى، دار العصماء، دمشق.

٧-سكاكي ،ابويعقوب(١٤٢٠هـ- ٢٠٠٤م) مفتاح العلوم ، حققه عبد الحميد هنداوي، الطبعة الاولى، لبنان، بيروت.

٨- سلطاني، محمّد على (١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م) البلاغة العربية في فنونها (البيان والبديع)، الطبعة الاولى، دار العصماء.

٩- سيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن بكر (١٩٦٧م) الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق وشرحه: محمّد ابوالفضل ابراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، القاهره.

١٠- الصفدي، صلاح الدين (١٢٩٩ه) جنان الجناس في علم البديع، الطبعة الاولى، مطبعة الجوانب، قسطنطنية.

١١- عتيق، عبد العزيز (بلا تا) ،علم البديع، الطبعة الاولى، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت.

١٢- عباس، فضل حسن (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤ م) البَلاغة فنونها وافنانها، الطبعة التاسعة، دار الفرقان، اربو جامعة إلىرموك.

١٣- قزويني، خطيب(١٩٣٢م) التخليص في علوم القران، تحقيقه عبد الرحمن برقوقي، االطبعة الثانية، قاهره.

١٤- القيرواني, حسن بن رشيق (١٩٥٥م) العمدة في محاسن الشعر و آداب ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، مصر.

---

١ . نهج البلاغة، ج١، ص٤٣٩.
٢ . نهج البلاغة، ج٢، ص٣٥٤.
٣ . نهج البلاغة، ج١، ص ٣٥٢.

١٥- المراغي، محمود احمد حسين (١٩٩٩م) علم البديع، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت.
١٦- الهاشمي، احمد (١٤١٨ق) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الطبعة السابعة، مركز النشر التابع لمكتب الاسلامي.

خلق الكون والإنسان في نهج البلاغة

الباحث: ظافر ستار حميد بلال (مؤسسة كاشف الغطاء – النجف الاشرف)

مقدمة

الحمد لله الذي جعل كلام باب مدينة علم نبيه حجة على الخاصة والعامة حتى قيل كلام الإمام إمام الكلام والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى المبعوث بشرائع الإسلام المظلل من حر الهجير بالغمام وعلى آله الطاهرين سادات الأنام.

وبعد:

فهذا بحث وجيز حاولت أنْ أتطرق فيه إلى ما جاء في كلام سيد الموحدين ويعسوب المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) من شذرات ثمينة كاشفة عن حقائق جلية في خلق الكون وما يتبع ذلك من خلق الإنسان وقد اقتصرتُ بهذا الصدد على الرجوع الى خطبة التوحيد التي هي من جلائل أقواله (عليه السلام) في معنى الخلق وما يتعلق به وشرحتُ بإيجاز مفردات المختار من تلك الخطبة المباركة وبيان المعنى، ثم طرحت أحدث النظريات في هذا الباب لعلماء غير مسلمين ومنها نظرية دارون ونظرية الإنفجار الكوني العظيم وقد بدا لي من خلال هذه الدراسة الموجزة أن هذه النظريات في جملتها- وهنا نؤكد على جملتها - لا تعارض الحقائق التي أشار إليها الإمام (عليه السلام) في مبدأ خلق الكون والإنسان.وأيضا تطرقت إلى تجربة محاكاة الانفجار الكوني و التي جاءت الإشارة إليها في كلامه (عليه السلام) على نحوٍ كلي ترك تفصيله للأيام لعدم إسعاف الأدوات العلمية وآلات الكشف في ذلك الزمان مع عدم تهيأ العقول في عصره (عليه السلام) .

على أنّ الذي ينبغي بيانه أنّ كلام الإمام (عليه السلام) هو الفيصل والحاكم على تلك التجارب والنظريات لأنه سلام الله عليه أخذ ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الذي لا ينطق عن الهوى أن هو وحيٌ يوحى.

وفي الختام ابتهل إلى الله تعالى أن يوفق الباحثين في علوم الكون والحياة الى ان يقتبسوا من أنوار كلام أهل بيت العصمة ويستنبطوا الحقائق التي لا مرية فيها من تلك الاقباس الوضّاءة انه سميع مجيب.

خلق العالم

قال الإمام علي (عليه السلام) «أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً بِلا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَلا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا وَلا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا وَلا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا أَحالَ الأَشْيَاءَ لأَوْقَاتِهَا وَلاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا عارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا».

يتطرق الإمام (عليه السلام) هنا الى خلق العالم وكيفية ابتداء الخلق والعجائب التي انطوت عليها السماء والأرض، فقد قال(عليه السلام) : «أنشأ[1] الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداءً بلا روية[2] أجالها[3] ولا تجربة استفادها ولا حركة أحدثه ولا همامة[4] نفس اضطرب فيها.

فالإمام(عليه السلام) يبين البون الشاسع بين الخلق الإلهي والأعمال والأفعال التي تصدر عن المخلوقات.

فالإنسان مثلاً إذا أراد أن يقوم بعمل ولم يكن لهذا العمل من سابقة وظن فكره وتأمله لينطلق إليه، وإن كان له سابقة احتذى بتجربته وتجارب الآخرين كما يعمد إلى خزينه الذهني والفكري بشأن ترتيب مقدمات العمل بغية التوصل إلى نتائجه وكيفية أدائه، وأحياناً يتيه في ترديده وحيرته بحيث يحكم رأيه ويقوم بالعمل على أساسه.

---

[1] «أنشأ» من مادة «إنشاء» بمعنى الايجاد وان ذكروا لها عدّة معان.

[2] «روية» بمعنى الري من الماء كما ورد في مقاييس اللغة، الا انّها تستعمل بمعنى التفكير المصحوب بالدقة. وكأنه يروي فكره بشأن تلك المسألة، أو ري تلك المسألة بفكره واداء حق التفكير.

[3] «أجال» من مادة جولان بمعنى الحركة والتجوال.

[4] . «همامة» : لقد ذكر شرّاح ومفسروا نهج البلاغة لهذه المفردة عدّة معان. فقد عناها البعض بالرغبة القطعية الباطنية بالشيء بحيث ينزعج لفقدانها (شرح ابن ميثم البحراني ١ / ١٣٢). بينما ذهب البعض الآخر إلى أنها تعني الترديد في القيام بعمل (منهاج البراعة ١ / ٥١٧). وقال آخرون انّها تعني الاهتمام بالشيء (شرح مغنية ١/٢٧).وقال ابن أبي الحديد في شرحه المعروف لنهج البلاغة: وقوله(عليه السلام): «ولا همامة نفس اضطرب فيها» فيه رد على المجوس والوثنية القائلين بالهمامة الذين يعتقدون بأن النور الأعظم حين هم بمجابهة الظلمة بدا عليه الشك والترديد فخرج من ذاته بشيء يسمى بالهمامة.أمّا في اللغة - كما ورد في لسان العرب - فالهمامة تعني الضعف والوهن والفتور ولذلك يطلق على كل رجل أو امرأة عجوز اسم «هِم» و«هِمة».ويبدو ممّا ذكر أن «الهمامة» الواردة في العبارة إنّما تعني الضعف والعجز في العزم والإرادة بحيث يتعذر على الشخص اتخاذ القرار، أو أنه يتخذ القرار بصعوبة.

وليس هنالك من سبيل لأي من هذه الحالات والاحتمالات للذات الإلهية المقدسة، فما من حاجة إلى الفكر والتأمل ولا إلى التجارب السابقة ولا الحركة الفكرية استناداً إلى ترتيب المقدمات والحصول على النتائج ولا الترديد والاضطراب في الأعمال والقرارات.فليس وجود الشيء إلاّ إرادته (**إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)[1].

بعبارة اخرى فان هذه الاحتمالات الأربع إنّما تتعلق بحصيلة أعمال الأفراد الذين له حظ محدود من العلم والقدرة، ولازمة ذلك الحاجة وأفكار الآخرين وتجاربهم والشعور بالاضطراب والقلق.

ولا سبيل لهذه الحالات إلى من خرج علمه وقدرته عن الحدود حين الخلق.

ويتّضح بجلاء ممّا قيل أنّ المراد بالحركة في العبارة المذكورة إنّما هى حركة الفكر في باطن النفس.

ولكن هناك معنى آخر ساقه بعض المفسرون للحركة على أنّ المراد بها الحركة الجسمية الخارجية التي تعدّ من لوازم الأجسام والله أعظم وأجل وأسمى من الجسم والجسمانيات.

ويبدو أن المعنى الأول أنسب من الثاني؛ لأنّ الحالات الثلاث الأخرى التي وردت قبل وبعد العبارة المذكورة كلها مرتبطة باتخاذ القرار والتفكر والتأمل قبل الإتيان بالعمل.

وزبدة الكلام أنّ أفعال الله ليست من جنس أفعال العباد وتختلف عنها تماماً، وذلك لأنّ أفعاله سبحانه تستند إلى علمه المطلق بمصالح الأشياء ومفاسدها ومعرفته الكاملة بالنظام الأحسن للخلقة والقدرة التامة على جميع الأشياء، وإرادته قاطعة تامة لا لبس فيها ولا ترديد ولا تأمل وتفكير في إفاضة الوجود على الموجودات، وإرادته كانت وما زالت نافذة في الخلق.

ثم أشار(عليه السلام)إلى كيفية خلق الموجودات والتدبير الإلهي في ظهور الأشياء طبق الخطط والبرامج المنظمة فقال(عليه السلام) : «أحال الأشياء لأوقاتها» أي أنّ الله جعل لخلق كل موجود وقتاً معيناً (وذلك لأنّ خلقه قائم على أساس التدريج والتخطيط الزماني بغية إيضاح عظمة تدبيره وقدرته الفريدة الفائقة).فلما فرغ من الإشارة إلى التصنيف الزماني لخلقه الموجودات، تطرق(عليه السلام) إلى نظامها الخاص الداخلي والتركيبي فقال(عليه السلام) : «ولام[2] بين مختلفاتها».

وهذا من عجائب عالم الخلقة، فقد ألف الله سبحانه بين مختلف الموجودات لتبدو متناسقة وكأنّها شيء واحد، فقد لائم بين البارد والحار والظلمة والنور والموت والحياة والماء والنار.

لقد خلق النار من الشجر الأخضر وخلق الإنسان والحيوان والنبات مركباً من مواد تامة الاختلاف ذات طبائع متنوعة.

وأبعد من ذلك فقد أوجد رابطة عميقة محكمة بين الروح والجسم وهما ينتميان إلى عالمين مختلفين تماماً؛ أحدهما مجرّد ونوراني وشفاف للغاية والآخر مادي وظلماني وخشن للغاية.

ثم قال(عليه السلام) : «وغرز[3] غرائزها».

هناك اليوم تعبيران مختلفان بشأن الدوافع الذاتية في الإنسان أو سائر الموجودات، فأحياناً يطلق عليها اسم الفطرة وأنّ معرفة الله مودعة في الفطرة الإنسانية ..وأحياناً أُخرى يعبر عنها بالغريزة.

فمثلاً يقولون أنّ للإنسان غريزة جنسية، أو يقولون بأن لحركات الحيوانات عموماً صبغة غريزية.

وهذا في الواقع اصطلاح استعمله العلماء بهذا الشأن.أحدهما بشأن الدوافع التي تتسم بالبعد الفكري (الفطرة) والآخر بخصوص تلك التي ليس لها بعداً فكرياً أو لها بعد عاطفي (الغريزة).

إلاّ أنّ كليهما يعنى الخلقة على أساس المعنى اللغوي.

ثم قال(عليه السلام) : «والزمها أشباحها[4]».

وقد تضاربت أقوال المفسرين ـ لنهج البلاغة ـ بشأن هذه العبارة، فذهب البعض ومنهم ابن أبي الحديد الذي قال ان الضمير المنصوب في «الزمها» عائد إلى الغرائز؛ أي ألزم الغرائز أشباحها، أي أشخاصها لأنّ كلا مطبوع على غريزة لازمة، وبالنتيجة فان العبارة تأكيد على ثبوت غرائز الموجودات.بينما ذهب البعض الآخر إلى أنّ المراد بالعبارة وجود التشخصات الخاصة لكل موجود، أي أنّ الله سبحانه قد وهب كل موجود بعض الخصائص والمميزات، وبعد أن كان لها بعداً كلياً في علم الله فقد تبلورت في الخارج على هيئة جزئيات وأشخاص وعلى ضوء هذا التفسير فان الضمير في ألزمها يعود إلى (الإشياء) كما ذكر البعض كلا التفسيرين على نحو

---

[1] **سورة يس /الآية ٨٢ .**

[2] **«لام» و«لائم» من مادة «لأم» بمعنى الجمع والإصلاح وضم شيء إلى شيء آخر والملائمة بينهما، ومن هنا اطلق على الدرع اسم «لأمة» على وزن «رحمة» لالتحام حلقاتها وتداخلها مع بعضها.**

[3] «غرّز» من مادة «غرز» على وزن «قرص» تعني في الأصل غرس الأبرة أو الجعل والادخال، ثم اطلقت فيما بعد على الطبائع التي أودعت الإنسان أو سائر الكائنات الحية، وكأنّ هذه الطبائع بمثابة البذور التي غرست في أرض الوجود الإنساني.

[4] **«أشباح» جمع «شبح» طبق ما أورده أغلب أرباب اللغة بمعنى الشخص في الأصل، كما وردت بمعنى ظهور الشيء واتضاحه، ومن هنا يطلق الشبح اليوم على الموجود الذي يتراءى ظله ثم يظهر فجأة.**

الاحتمال.ولكن لما كان التفسير الأول لا يتضمن انسجام الضمير وما ذهب إليه، إضافة إلى كون العبارة تتخذ طابع التأكيد لا بيان موضوع جديد، فانّ الذي يبدو أنّ التفسير الثاني أصح وأصوب من التفسير الأول.
وتوضيح ذلك أن الله تبارك وتعالى قد وهب كل موجود نوعين من الخصائص.الخصائص التي أودعت باطن ذاتها والتي عبر عنها الإمام(عليه السلام) بالغرائز، والخصائص في الجوانب الظاهرية من قبيل الزمان والمكان وسائر الجزئيات والتي عبر عنها الإمام(عليه السلام) بقوله «ألزمها أشباحها» وعلى هذا الأساس يكون الحق واستناداً لحكمته البالغة في افاضته للخصائص الباطنية والظاهرية لكل موجود ليقوم بوظائفه الخاصة به على ما يرام ويتميز عن سائر الموجودات[1].

الهداية الفطرية والتكوينية لكافة موجودات العالم

لقد تضمنت عبارته(عليه السلام) إشارة لنقطة مهمّة طالما ورد التأكيد عليها تكراراً في القرآن: وهى أنّ لكافة موجودات عالم الخلقة والمادة تصنيف زماني خاص وفي نفس الوقت الذي يحكمها التضاد والاختلاف إلاّ أنّها منسجمة مع بعضها البعض ومكملة لها وأنّها مهدية على الدوام طبق نظمها الذاتي الباطني والظاهري وأنّها تنطلق كقافلة منتظمة ومنسجمة نحو هدفها النهائي دون أي تعثر وانحراف، بل تسير إليه على نحو الدقة دون أن تخطأه.فتفتح الزهور وتحمل أوراق الأشجار للفاكهة والثمار في فصلي الربيع، ذبولها وجفافها وتساقطها في فصلي الخريف والشتاء، حركة الشمس في الابراج الاثني عشر، تعاقب الليل والنهار، دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس وما أودع الإنسان من قوى باطنية وظاهرية كلها شواهد على الهداية التكوينية الإلهية، والتي صرّح بها القرآن على لسان موسى(عليه السلام) :(رَبُّنا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيء خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى)[2] وقال: (فِطْرَةَ اللّهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها)[3].

وهذا في الحقيقة يمثل آية من آياته سبحانه في عالم الوجود التي تجعل الإنسان أكثر معرفة بالهداية التكوينية والنظم والتصنيف الزماني والتأليف بين الاضداد والمختلفات كلما تعمق في التفكير بهذا العالم.

ثم قال(عليه السلام) : «عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائها عارفاً بقرائنها[4]وأحنائها[5]» والواقع أنّ هذه العبارات الثلاث قد جاءت بمثابة دليل أو إيضاح للعبارات السابقة، وذلك لأنّ من أراد أن يخلق موجوداً في وقته المناسب ويلائم بين الأشياء المختلفة ويودعها غرائزها الباطنية ولوازمها الظاهرية فانه يحتاج إلى علم جامع كامل من جانب وإلى إحاطة وقدرة تامة وشاملة من جانب آخر.

ولذلك قال(عليه السلام) : «عالماً بها قبل ابتدائها...» ولا يقتصر علمه على ابتدائها وانتهائها فحسب، بل هو عالم محيط بلوازمها وعللها وآثارها أيضاً.ومن المفروغ منه أن من كان عالماً بهذه الأمور قادراً على الإتيان بها، فان له أن يضع كل شيء في موضعه ومكانه ويفيض على كل منها لوازمه ويسوقه في مسيرته الوجودية إلى كماله المنشود[6].

كيفية بداية خلقة العالم

ثم قال (عليه السلام) «ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الأَجْوَاءِ وَشَقَّ الأَرْجَاءِ وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ».

لقد تناول الإمام(عليه السلام) بداية انبثاق الخلق فقال(عليه السلام) : «ثم أنشأ سبحانه فتق[7] الأجواء[8]» وهو يشير يشير إلى شق الطبقات الجوية، ثم فتح جوانبها وأطرافها «وشق[1] الأرجاء[2]» وأوجد الفضاء والهواء «وسكائك[3] «وسكائك[3] الهواء».

---

[1] **ينظر كتاب نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي**

[2] **سورة طه /الآية ٥٠.**

[3] سورة الروم /الآية ٣٠.

[4] **«قرائن» جمع «قرينة» بمعنى المصاحب والرفيق، ولذلك يقال لزوجة الرجل قرينته (الصحاح والقاموس وسائر الكتب اللغوية)، بينما ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة كابن أبي الحديد إلى أنّ القرائن جمع قرونة (على وزن معونة) وهي النفس ولكن يبدو المعنى الأول أنسب بالاستناد إلى التعبيرات التي وردت في الجملة**

[5] **«أحناء» جمع «حِنْو» على وزن فعل «وحنو» على وزن حرف وتطلق على كل شيء فيه اعوجاج وانحناء ـ على ضوء ماورد في المقاييس ولسان العرب ـ كعظم الفك والاضلاع. ثم وردت بمعنى الجوانب أيضاً (وذلك لأن جوانب وأطراف الأشياء غالباً ما تشتمل على انحناءات).**

[6] **ينظر كتاب نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي**

[7] **«فتق» على وزن مشق بمعنى الشق والضجوة بين شيئين وهى ضد الرتق (كما أورد ذلك الراغب في مفرداته). ويقال للصبح «فتيق»، لأنّه يشق الافق ويظهر، وقال صاحب لسان العرب انّه يطلق «فتيق اللسان» على الفرد الخطيب والفصيح اللسان، لأنّه يتحلى بلسان طلق ذرب.**

[8] **«أجواء» جمع «جو» بمعنى ـ حسب قول المفردات ولسان العرب ـ الفضاء الحاصل بين السماء والأرض.**

فقد أشير إلى فتق الأجواء ثم ايجاد أطرافها وجوانبها ومن ثم طبقاتها.وتشير العبارة بأجمعها إلى أنّ الخلق الأول في عالم المادة كان خلق فضاء العالم، الفضاء الذي يسعه استيعاب الكرات السماوية والمنظومات وما إلى ذلك، بالضبط كالصفحة الورقية التي يعدها الرسام الماهر مسبقاً لرسم ما يشاء.ومن هنا يتضح أنّ كلمة «ثم» في العبارة لا تفيد معنى الترتيب التكويني، بل تفيد الترتيب والتأخير البياني؛ لأنّه قد أشير في العبارات السابقة إلى خلق أنواع الموجودات والكائنات، ومن المتيقن ألا تكون قد أعقبت بخلق الفضاء ثم كريات السماء والأرض.

على كل حال فانّ ظاهر هذه العبارة تفيد أن الفضاء أول مخلوق في عالم المادة، غير أنّ هناك ترديد لدى بعض الفلاسفة والمتكلمين بشأن الفضاء في أنّه أمر وجودي أم عدمي؟ فهناك من يعتقد كما أنّ الزمان قد ظهر بعد انبثاق الموجودات وحركتها (لأنّ الزمان هو وحدة الحركة) فان المكان هو الآخر قد حصل بعد ظهورالأجسام المختلفة ومقارنتها مع بعضها.والحال يتعذر علينا تصور عدم وجود مكان مطلق إثر ظهور أول جسم إلى الوجود.

فلو أردنا أن نبني عمارة ذات عدّة طبقات فإننا نحتاج إلى فضاء تشغله تلك العمارة كحاجتنا إلى مكان على الأرض نبنيها عليه، وإذا أردنا أن نبني عمارة أكبر فانّها ستحتاج إلى فضاء أوسع.والخلاصة فإننا نؤمن بما أورده الإمام(عليه السلام) بقوله «ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكائك الهواء»[٤] .

الماء كان أول مخلوق

ثم قال (عليه السلام) «فَأَجْرَى فِيهَا ماءً مُتَلاطِماً تَيّارُهُ مُتَراكِماً زَخّارُهُ، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعاصِفَةِ وَالزَّعْزَعِ الْقاصِفَةِ فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ، الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِها فَتِيقٌ وَالْماءُ مِنْ فَوْقِها دَفِيقٌ».

ما يستفاد من كلمات أمير المؤمنين علي(عليه السلام) ولاسيما في هذه العبارات وما سيتبعها في توضيح كيفية خلق العالم هو أنّ الله سبحانه قد خلق ابتداءً الماء ـ أو بتعبير آخر ـ مائعاً يشبه الماء ثم حمله على ريح عاتية شديدة، وقد أمرت هذه الريح أن تحفظ هذا المائع وتحول دون تشتته وتفرقه.

ثم هبت ريح شديدة أخرى بهدف ايجاد أمواج في ذلك المائع العظيم والواسع فجعلت الريح تلك الأمواج أعظم وأشد ثم دكتها على بعضها، ثم تموج ذلك المائع تمويجاً شديداً حتى ارتفع في الفضاء، فخلق منه السموات السبع.

جدير بالذكر أنّ الماء والريح والعاصفة وما شابه ذلك ـ في ذلك الوقت الذي لم يكن فيه ماء ولا ريح ولا عاصفة ـ كناية عن موجودات شبيهة بما نراه اليوم من ماء وريح وهواء، وذلك لأنّ واضعي المفردات قد جعلوا هذه الكلمات لمثل هذه الأمور، فلم يضعوا أية مفردة لما حدث أوائل خلقة العالم.وان أدنى تأمل يجعل من الممكن تفسير ما ورد من عباراته (عليه السلام) على ضوء آخر الفرضيات والنظريات التي طرحها العلماء المعاصرون بهذا الشأن، ولا نقول إنّ هذا هو مراد الإمام (عليه السلام) على سبيل القطع، بل نحتمل أن يكون تفسيره كذلك.

فآخر الفرضيات التي توصل إليها العلماء بشأن بداية ظهور العالم، هو أنّ العالم برمته في البداية كان بهيئة كتلة غازية عظيمة شبيهة بالمائع، كما يمكن الاصطلاح عليها باسم «الدخان»، أو بتعبير آخر كانت الطبقات العليا من العالم دخاناً، وكان هذا الدخان يتخذ شكل المائع بفعل حالة الضغط كلما إقترب من مركز العالم.

أمّا الشيء الذي تكفل بحفظ تلك الكتلة العظيمة للغاية إنّما تمثل بالجاذبية التي تحكم جميع ذرات العالم، وقد سلطت هذه الجاذبية على ذلك الغاز المائع فشدته وحالت دون خروجه من حدوده.

ثم ابتدأت هذه الكتلة العظيمة بالدوران حول نفسها (أو أنّها كانت تدور حول نفسها منذ البداية) وهنا ظهرت قوة الطرد المركزية[٥] وقد أدت قوة الطرد المركزية هذه بتلك الكتلة العظيمة من ذلك الغاز المضغوط أن تقذف في الفضاء الخالي، وعلى حد تعبير نهج البلاغة كما سيأتي في العبارات التالية من هذه الخطبة «فأمرها بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء» ثم ظهرت منها المنظومات والكواكب والكرات الصغيرة والكبيرة للعالم؛ الأمر الذي نعته القرآن ونهج البلاغة بالسموات السبع.

---

[١] **«شق» بمعنى الفتحة في الشيء، ومن هنا اطلق الشقاق على الاختلاف الذي يحدث بين الناس ويفصلهم عن بعضهم البعض الآخر.**

[٢] **«أرجاء» جمع «رجا» (دون همزة) تعني حسب «مقاييس اللغة» أطراف البئر أو أطراف أي شيء آخر،الرجاء بالهمزة فيعني الأمل. بينما يعتقد البعض من قبيل كاتب «التحقيق» أنّ معناها الأصلي الشيء الذي يرجى وقوعه في الجوانب الأطراف، ولذلك يطلق على هذه الجوانب والأطراف المرجوة «رجا» دون همزة.**

[٣] **«سكائك» جمع «سكاكة» على وزن خلاصة، قال صاحب لسان العرب أنّها تعني الفضاء الواقع بين السماء الأرض، وقال ابن أبي الحديد هى أعلى الفضاء.**

[٤] **ينظر كتاب نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي**

[٥] **كل شيء يدور حول نفسه انّما يتعرض إلى قوة تحاول طرده من المركز، كالشعلة التي ندورها بايدينا فاذا تركناها فجأة قذفت إلى نقطة بعيدة، وما هذا إلا لوجود قوة الطرد المركزية، وكلما تضاعفت هذه القوة فان شدة القذف خارجاً تتناسب طردياً وازدياد تلك القوة.**

طبعاً كل ما نريد أن نقوله ـ دون الاصرار على هذا الموضوع ـ هو الانسجام القائم بين عبارته(عليه السلام) والفرضيات والنظريات العلمية الواردة بذات الشأن، حيث يمكن استيعاب كلام الإمام علي(عليه السلام) على ضوء النظريات والأطروحات العلمية المعاصرة بخصوص ظهور السموات والارضين والكواكب والأجرام السماوية وسائر الكرات.

وننتقل الآن إلى أصل عبارته، فقد قال الإمام(عليه السلام) : «فأجرى فيها ماء متلاطماً[1] تياره[2]».

«التلاطم» بمعنى اصدام الأمواج ببعضها، والتيار يعني الموج، ولا سيما الأمواج التي يقذفها الماء خارجاً، أفليس هذا الماء المتلاطم والمتدفق هو تلك الغازات الأولية المضغوطة التي تمثل المادة الأولية للعالم على ضوء نظريات العلماء واطروحاتهم؟ ثم أكد الإمام علي(عليه السلام) على شدة تدفق ذلك الماء وعظم تلاطمه فقال: «متراكم زخاره».

ثم أضاف(عليه السلام) : «حمله على متن الريح العاصفة والزعزعة القاصفة».

فالعاصف بمعنى الضاربة والكاسرة والزعزعة بمعنى المضطربة والشديدة الهبوب وكذلك القاصفة التي تهلك الناس بشدة هبوبها، وكأنّ كل هذه المفردات تأكيدات متتالية لبيان قوة تلك الريح وسعتها وشموليتها.

ثم أمرت هذه العاصفة العظيمة المرعبة بحفظ أجزاء الماء مع بعضها البعض ضمن حدودها «فأمرها برده، وسلطها على شدة، وقرنا إلى حده».أو ليست هذه العاصفة العظيمة والشديدة إشارة إلى أمواج الجاذبية التي سلطها الله على جميع ذرات عالم المادة والتي كانت سبباً لتماسك أجزائها وعدم تشتتها وتناثرها، وتقييدها بالحركة في إطار حدودها؟ فهل هناك من تعبير أروع وأدق من الريح العاصفة القاصفة لتبيين الأمواج العظيمة للجاذبية في ظل تلك الأجواء.

وقد حصلت كل هذه الأمور و«الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق» والفتيق من مادة فتق بمعنى المفتوق؛ المفتوح، ودفيق من مادة دفق بمعنى الحركة السريعة.

نعم إنّ هذه الأمواج المتدفقة إنما تحد بواسطة تلك الريح العاصفة، فتحول دونها ودون تجاوزها لحدودها ـ وهنا يبرز هذا السؤال: كيف تظهر تلك الأمواج المتدفقة على سطح الماء رغم وجود تلك الريح العاصفة الحائلة والمانعة، فالمعروف أنّ تلك الأمواج عادة ما تظهر بفعل حركة الرياح والعواصف، رغم أنّ الرياح هنا تلعب دور المانع والحائل لتلك الأمواج، إذن ما العامل الذي يقف وراء حركة الأمواج.

يبدو أنّ العامل الذي يقف وراء ظهور هذه الأمواج هو شيء كامن في باطنها بحيث يجعله يتلاطم على الدوام.

ولكن ليست لدينا رؤية واضحة لماهية هذا العامل، إلاّ أنّه ينسجم تماماً والنظريات التي أوردها العلماء المعاصرون بهذا الشأن[3]، فهم يقولون أن انفجارات نووية متواصلة وقعت في جوف الغازات الاولى ذات الطبيعة المائعية، وهى هذه الانفجارات التي تحدث اليوم في الشمس.فهذه الانفجارات العظيمة قضت على سكون واستقرار هذه الغازات المائعية وأوجدت تلك التلاطمات في أمواجها المتدفقة.

ولابد لنا من متابعة المقطع الآخر لإكمال هذا القسم فنقف على الصورة الدقيقة التي رسمها الإمام(عليه السلام) لإنبثاق الخليقة.

دور العواصف في انبثاق الخلقة

«ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا وَأَدامَ مُرَبَّهَا وَأَعْصَفَ مَجْراها وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْماءِ الزَّخّارِ وَإِثارَةِ مَوْجِ الْبِحارِ فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقاءِ وعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَها بِالْفَضاءِ.تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلى آخِرِهِ وَساجِيَهُ إِلى مائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُبابُهُ ورَمَى بِالزَّبَدِ رُكامُهُ فَرَفَعَهُ فِي هَواءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَواتٍ جَعَلَ سُفْلاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وعُلْياهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَسَمْكاً مَرْفُوعاً بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُها وَلا دِسارٍ يَنْظِمُها ثُمَّ زَيَّنَها بِزِينَةِ الْكَواكِبِ وضِياءِ الثَّواقِبِ وَأَجْرَى فِيها سِراجاً مُسْتَطِيراً وَقَمَراً مُنِيراً فِي فَلَكٍ دائِرٍ وَسَقْفٍ سائِرٍ وَرَقِيمٍ مائِرٍ».

ثم قال(عليه السلام) : «ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها».

فالريح العقيم هى الريح الخالية من السحب التي تؤدي إلى نزول المطر.

ثم أشار في المرحلة الثانية إلى مهمّة هذه الرياح «فامرها بتصفيق[4] الماء الزخار، واثارة موج البحار» فقامت هذه الريح العاتية العظيمة بمخض الماء كقراب السقاء «فمخضته مخض السقاء».

---

[1] «متلاطم» من مادة «لطم» على وزن ختم بمعنى صفع الوجه باليد، ثم استخدمت هذه المفردة لاحقاً بمعنى اصطدام الأمواج مع بعضها.

[2] «التيار» بمعنى أمواج البحر التي يقذف بها الماء، وقد أطلقها البعض (مقاييس اللغة ولسان العرب) على كل نوع من الأمواج .

[3] وسنورد لاحقا بشيء من التفصيل نظرية الافجار الكوني العظيم وتجربة محاكاة الانفجار الكوني

[4] «تصفيق» من مادة «صفق» على وزن سقف بمعنى تقليب الشيء بعضه على بعض بحيث يصاحبه الصوت، ومن هنا اطلق التصفيق على ضرب الكفين ـ وهى هنا بمعنى تحريك المياه وتقليبها على بعضها (لسان العرب، مقاييس اللغة، شرح محمد عبدة).

«وعصفت به عصفها بالفضاء» ثم قال(عليه السلام) : «ترد أوله إلى آخره وساجيه[1] إلى مائره[2]».
وقال(عليه السلام) في المرحلة الثالثة بشأن تراكم المياه وارتفاعها «حتى عب عباً[3]» بمعنى ارتفع أعلاه «ورمى بالزبد ركامه».
ثم قال(عليه السلام) في المرحلة الرابعة: «فرفعه في هواء منفتق وجو منفهق[4]» فخلق منها تبارك وتعالى السموات السبع «فسوى منه سبع سموات» حيث جعل الأقسام السفلى، كالأمواج المكفوفة الممسوكة والطبقات العليا كالسقف المحفوظ «جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً وعلياهن سقفا محفوظاً وسمكاً[5] مرفوعاً».
ثم أشار(عليه السلام) إلى عدم وجود الأعمدة التي تحملها ولا المسامير التي تحكم وثاقها فقال: «بغير عمد يدعمها ولا دسار[6] ينظمها» وأخيراً تأتي المرحلة الأخيرة ـ الخامسة ـ «ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب».
ثم أشار(عليه السلام) إلى القمر والشمس وتحرك كل منهما ضمن مداره «وأجرى فيها سراجاً مستطيرا وقمراً منيراً في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر».

دراسة العبارة على ضوء الفرضيات المعاصرة

للعلماء المعاصرين نظريات متعددة لا تتجاوز حدود الفرضيات بشأن خلق العالم؛ حيث لم يكن هناك مخلوق قبل مليارات السنين ليشهد كيفية ظهور العالم، مع ذلك هناك بعض الشواهد والقرائن التي تؤيد صحة بعض هذه الفرضيات.
امّا العبارات التي ساقها الإمام(عليه السلام) فهى تنطبق تماماً على بعض الفرضيات المعروفة، سنتعرض لها الآن دون الاصرار على أنّ الإمام(عليه السلام) إنّما أراد هذه الفرضيات.
فكما أسلفنا في الأبحاث السابقة أن العالم كان في البداية كتلة ضخمة من الغازات المتراكمة الكثيرة الشبه بالمائعات بحيث يصح نعتها بالماء، كما يصح الاصطلاح عليها بالدخان على ضوء التصريحات القرآنية.
وقد سلط خالق العالم عليه قوتين عظيمتين، حيث عبر عنهما في العبارة المذكورة بالريح قوة الجاذبية التي حفظته متماسكاً وحالة دون تشتته وزواله، والقوة الدافعة التي تدفعه إلى الخارج إثر الحركة الدورانية حول نفسه وبفعل قوة الطرد المركزية، وهذه هى الريح والعاصفة الثانية.فاذا أقررنا بالحركة الدورانية للعالم الأول على أنّها كانت متذبذبة تشتد أحياناً وتنخفض أحياناً أخرى فمن الطبيعي أن تكون قد ظهرت تلك الأمواج العظيمة في تلك الكتلة الغازية العظيمة الشبيهة بالمائع بحث تراكمت تلك الأمواج على الدوام ثم أخذت بالتساقط.
وفي الختام فان الطبقات الأكثر خفة والأقل وزناً ـ والتي ورد التعبير عنها بالزبد من قبل الإمام(عليه السلام) ـ قد قذف بها نحو الفضاء الخارجي (أنّ مفردة «الزبد» تطلق على ما يطفو من الماء، وكذلك على الزبدة التي تطفو لخفتها على سطح محتويات القربة).
وبهذا فقد اشتدت الحركة الدورانية، فانفصلت أجزاء كبيرة من هذه الكتلة العظيمة وانطلقت إلى الفضاء، فما كان منها أكثر شدة بلغ نقاطاً مرتفعة وأمّا ما كان منها أقل شدة فقد بلغ نقاطاً أوطئ.
لكن الأجزاء التي بلغت نقاطاً مرتفعة أصبحت على هيئة سقف محفوظ وذلك بفعل قوة الجاذبية التي لم تدعها تفلت تماماً، بينما أصبحت الأجزاء السفلى الأقل ضغطاً موجاً مكفوفاً حسب تعبير الإمام(عليه السلام) .
ثم ظهرت في ذلك الفضاء المترامي السموات السبع دون أن تكون هناك عمد ترفعها ومسامير تنظمها وتحكم وثاقها، ولم تستقر في مواقعها وتتزن في حركتها ضمن مداراتها سوى من خلال تعادل القوتين الجاذبة والدافعة.كان الفضاء آنذاك مملوءاً بالكرات الصغيرة والكبيرة، فانطلقت قطع متناثرة من هذه الأمواج إلى الخارج، وقد انجذبت القطع الصغيرة تدريجياً نحو الكرات الكبيرة بحكم الجاذبية فأصبح الفضاء وأضاءت النجوم وزينت بالكواكب وأشرقت الشمس واضيء القمر وأخذت الأجرام تتحرك ضمن أغلفتها ومداراتها.

---

[1] «ساجي» من مادة «سجو» على وزن سهو بمعنى السكون والهدوء.

[2] «مائر» من مادة «مور» على وزن فور بمعنى الحركة السريعة، وتطلق هذه المفردة على الجادة أيضاً لأن الناس يتحركون عليها ذهاباً وإياباً.

[3] «عباب» من مادة «عب» بمعنى شرب الماء سريعاً دون تريث، ومن هنا اطلق العباب على الماء الكثير والمطر الغزير والسيل العظيم، وهى هنا بمعنى تراكم المياه على بعضها.

[4] «منفهق» من مادة «فهق» على وزن فرق بمعنى المفتوح الواسع، ولذلك يصطلح بالمنفهق على الجزء الواسع من الوادي والوعاء المملوء بالماء.

[5] «سمك» بمعنى الارتفاع ولهذا يسمى السقف بالسمك لارتفاعه.

[6] «دسار» بمعنى المسمار والحبل الذي يربط به الشيء.

لقد ورد في بعض الفرضيات بشأن ظهور العالم أنّ العامل الذي أدى إلى انفصال المنظومات والكرات السماوية عن الكتلة الاولى إنّما يعزى إلى الانفجار الداخلي العظيم والذي ظل سببه مجهولاً غامضاً لحد الآن.فالقى الانفجار المذكور بأجزاء عظيمة من الكتلة الغازية الأولى الشبيهة بالمائع إلى الفضاء وكون الكرات والمنظومات ولعل قوله(عليه السلام) : «ثم انشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها وأدام مربها وأعصف مجراها وأبعد منشأها فامرها بتصفيق الماء الزخار...» إشارة إلى هذا الانفجار العظيم الذي انطلق من أعماق المادة الاولى.لكن وكما قلنا سابقاً فان الهدف من هذا الكلام هو ايضاح مدى انسجام عبارات الخطبة مع الفرضيات الواردة بشأن ظهور العالم ولا يمثل إصدار حكم بهذا الشأن أبداً[1].

وسنورد فيما يأتي آخر الفرضيات والتجارب المعاصرة الخاصة بدراسة خلق الكون «**تجربة محاكاة الانفجار الكوني الكبير**».

قال العلماء في سويسرا إن جهاز "صادم الهدرون الكبير "المعروف اختصارا ب (LHC) نجح في إجراء أول تجربة رئيسية من خلال إطلاق أول شعاع من جسيمات تسمى البروتون على امتداد ٢٧ كيلومترا وذلك في أكبر محاولة من نوعها لفهم كيفية نشوء الكون.

ويوفر الجهاز الضخم، الذي كلف إنشاؤه في المنطقة الحدودية بين فرنسا وسويسرا نحو ١٠ مليارات دولار أمريكي، للعلماء قوة أكبر من ذي قبل لتهشيم مكونات الذرات في محاولة لرؤية ما يشكلها.

وتدير المنظمة الأوروبية للبحوث النووية المعروفة باختصارها الفرنسي سيرن جهاز الصادم.

وأعطى مدير المشروع، لين إيفانز، الأمر لإرسال البروتانات إلى جهاز التسريع الواقع تحت الحدود السويسرية الفرنسية.

وبعد سلسلة من التجارب، تمكنت البروتونات من قطع المسافة الكاملة الممتدة على طول جهاز(LHC) .

ويأمل العلماء أن تكون التجربة بمثابة الخطوة الرئيسية باتجاه فهم كيفية نشوء الكون.

والتمعت نقطتان على شاشة أحد أجهزة الكمبيوتر، مشيرة إلى أن البروتونات وصلت إلى النقطة النهائية المحددة لها.

وانتظر نحو ٩ آلاف عالم فيزيائي في مناطق مختلفة من العالم بشغف انطلاق التجربة، ومن المقرر أن يشاركوا في تحليل المعطيات والبيانات المتأتية من التجربة على أمل معرفة أسرار مكونات الذرات من خلال تهشيمها.ويحاول العلماء محاكاة الظروف التي ارتبطت بنظرية الانفجار الكوني الكبير والتي يقول العلماء إنها قادت إلى نشوء الكون.

ومن المقرر في وقت لاحق إرسال البروتونات في اتجاه معاكس بهدف تهشيم الجسيمات بقوة جبارة.وعبر بعض منتقدي هذه التجربة عن خوفهم من أن تصادم البروتونات ببعضها بعضا قد يحدث ثقبا أسود يؤدي إلى نهاية العالم، لكن علماء الفيزياء الذين أجروا التجربة رفضوا هذه المخاوف.

وتقول أستاذة الفيزياء الجزيئية في جامعة ليفربول، الدكتورة تارا شيرز «سوف نتمكن من إمعان النظر في المادة أكثر من قبل».

وأضافت «سوف ندرس مكونات الكون بعد حدوث الانفجار الكوني الكبير.إنه أمر مدهش..إنه حقيقة رائع».

وقال جيم فيردي وهو عالم الفيزياء الجزيئية في كلية لندن الإمبراطورية «على جهاز الصادم الإجابة على سؤال بسيط جدا وهو ما هي الكتلة؟». وأضاف نعرف أن الجواب يمكن العثور عليه في جهاز الصادم.

وتشير أحدث الملاحظات الفلكية إلى أن المادة العادية مثل المجرات والغازات والنجوم والكواكب تشكل نسبة ٤ في المائة من مجموع الكون.

أما بالنسبة إلى باقي أجزاء الكون فتتشكل من المادة السوداء بنسبة ٢٣ في المائة والطاقة السوداء بنسبة ٧٣ في المائة.

ويعتقد علماء الفيزياء أن جهاز الصادم يمكن أن يقدم المفاتيح لفهم طبيعة هذه المادة الغامضة. وتبلورت فكرة إنشاء صادم الهدرون الكبير في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، لكن لم يُعتمد المشروع سوى في عام ١٩٩٦ بميزانية مبدئية هي ١.٣ مليار دولار أمريكي.

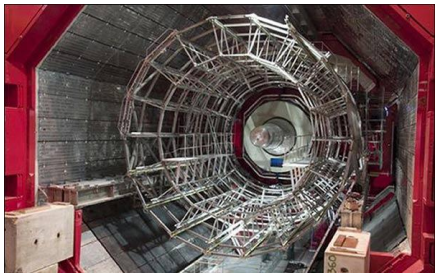

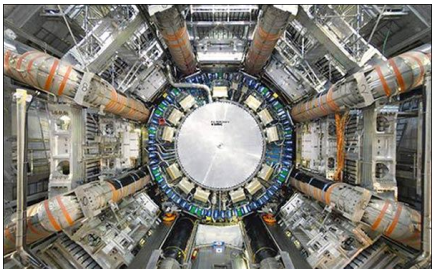

[1] ينظر كتاب نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

جهاز «صادم الهدرون الكبير» _٢٧ كيلومترا أجهزة كشف ضخمة تتولى تحليل البيانات المتأتية ويزن الجهاز ٤٠٠ طن من نتائج تصادم الجزيئات فيما بينه حقائق علمية معاصرة بشأن الانفجار الكوني- في عام ١٩٢٧ عرض العالم البلجيكي: «جورج لو ميتر»
(George Le Maitre) نظرية الانفجار العظيم والتي تقول بأن الكون كان في بدء نشأته كتلة غازية عظيمة الكثافة واللمعان والحرارة، ثم بتأثير الضغط الهائل المتآتي من شدة حرارتها حدث انفجار عظيم فتق الكتلة الغازية وقذف بأجزائها في كل اتجاه، فتكونت مع مرور الوقت الكواكب والنجوم والمجرّات.
-في عام ١٩٦٤ اكتشف العالمان «بانزياس» Penziaz و«ويلسون» Wilson موجات راديو منبعثة من جميع أرجاء الكون لها نفس الميزات الفيزيائية في أي مكان سجلت فيه، سُمّيت بالنور المتحجّر وهو النور الآتي من الأزمنة السحيقة ومن بقايا الانفجار العظيم الذي حصل في الثواني التي تلت نشأة الكون.
-في سنة ١٩٨٩ أرسلت وكالة الفضاء الأمريكية «نازا» (NASA) قمرها الاصطناعي Cobe explorer والذي أرسل بعد ثلاث سنوات معلومات دقيقة تؤكد نظرية الانفجار العظيم وما التقطه كل من بنزياس وويلسن.
ولقد سمى بعض العلماء هذه النظرية بالانفجار العظيم "Big Bang" وبحسب علماء الفيزياء الفلكية اليوم فإن الكون بعد جزء من المليارات المليارات من الثانية (١٠ -٤٣)، ومنذ حوالي خمسة عشر مليار سنة تقريباً كان كتلة هائلة شديدة الحرارة بحجم كرة لا يبلغ قطرها جزءاً من الألف من السنتيمتر.

نبذة تأريخية:

في عام ١٨٤٠ أيد عالم الفلك الأمريكي (من أصل روسي) جورج غاموف (George Gamov) نظرية الانفجار العظيم"Big Bang" :، مما مهد الطريق لكل من العالمين «بانزياس» Penziaz و«ويلسون» Wilsonسنة ١٩٦٤ اللذين التقطا موجات راديو منبعثة من جميع أرجاء الكون لها نفس الخصائص الفيزيائية في أي مكان سجلت فيه، لا تتغير مع الزمن أو الاتجاه، فسميت «النور المتحجّر» أي النور الآتي من الأزمنة السحيقة وهو من بقايا الانفجار العظيم الذي حصل في الثواني التي تلت نشأة الكون.
وقد ذكرت الموسوعة البريطانية انه في عام ١٩٦٣، كلفت مختبرات "Bell" العالِمان أرنو بنزياس و روبرت ويلسون باتباع أثر موجات الراديو التي تشوش على تقدم اتصالات الأقمار الاصطناعية.اكتشف العالِمان «بنزياس» و «ويلسون» أنه كيفما كان اتجاه محطة البث فإنه يلتقط دائماً موجات ذات طاقة مشوشة خفيفة، حتى ولو كانت السماء صافية، أسهل حل كان إعادة النظر في تصميم اللاقطات لتصفي الموجات من التشويش، ولكنهما ظلوا يتتبعون أثر هذه الموجات المشوشة، فكان اكتشافهم المهم للموجات الفضائية التي أثبتت نظرية الانفجار العظيم.

كيفية ظهور العالم[1]

تعد مسألة كيفية ظهور العالم من أعقد المسائل التي واجهها العلماء والمفكرون.فالمسألة المذكورة تعود إلى ماقبل مليارات السنوات، ولعلها القضية التي لم تطرق فكر أحد؛ الأمر الذي حير كبار العلماء والمفكرين رغم الجهود المفنية والتحقيقات والفرضيات الضخمة التي توصلوا إليها في هذا المجال وبالتالي لم يكن أمامهم سوى الاعتراف بالعجز عن سير تحور هذه المسألة.
إلاّ أنّ روح حب الاستطلاع والتعرف على المجهول التي تسود الفكر البشري لم تدعه يقف مكتوف الايدي حيال هذه القضية والصمت إزائها.
فالواقع أنّ لسان حال العلماء هو إننا وإن عجزنا عن بلوغ كنه هذا الموضوع، غير أننا نرغب برسم صورة في أذهاننا من شأنها إشباع حب تطلعنا واقتحامنا لهذا الأمر.
وبالطبع فانّ الآيات القرآنية والروايات الإسلامية قد اكتفت بإشارات مقتضبة بالنسبة لهذا الموضوع؛ الأمر الذي لا يؤدي إلاّ إلى رسم صورة باهتة في الذهن لا ترقى إلى إماطة اللثام عن طبيعتها وكنه حقيقتها.
على كل حال فان العبارات الواردة في هذه الخطبة إنما تتناغم وما ورد في خطبته حيث قال فيها(عليه السلام) : «وكان من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعته أن جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف يبساً جامداً ثم فطر منه أطباقا ففتقها سبع سموات، بعد ارتتاقها».
من جانب آخر فقد شحنت الروايات الإسلامية بعدة أبحاث بهذا الشأن، والواضح أنّ أغلب هذه الروايات تنسجم وخطب نهج البلاغة الواردة بهذا الخصوص مع فارق جاء في أغلبها وهو تصريحها بأنّ الزبد أول شيء ظهر على الماء ثم انبعث منه البخار أو الدخان الذي كوّن السموات.[2]

---

[1] **ينظر كتاب نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي**

[2] للوقوف على هذه الروايات، انظر ٣ / ١٠ و٥٧ من بحار الأنوار، طبعة بيروت. وردت أغلب الأحاديث في ج ٥٧.

ولكن وكما أوردنا آنفاً فانه ليس هنالك من تضارب بين هذه العبارات، لأنّ المادة الاولى على الأقوى كانت عبارة عن غازات مائعية مضغوطة يصدق عليها وصف الماء والبخار والدخان بالنظر لمراحلها المختلفة.والجدير بالذكر هنا هو أنّه ليس هناك من تضاد بين الروايات التي صرّحت بأنّ أول ما خلق الله الماء، أو الشيء الأول الذي خلقه الله كان نور النبي(صلى الله عليه وآله) أو العقل؛ وذلك لأنّ بعض الروايات تحدثت عن خلق عالم المادة بينما تحدث البعض الآخر عن خلق عالم المجردات والأرواح.
كما يتبيّن عدم وجود التناقض بين ما أوردناه من مضامين الروايات وما صرّحت به الآية ١١ من سورة فصلت التي قالت: «**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**».

ما المراد بالسموات السبع؟[١]

لم يقتصر الحديث عن السموات السبع على نهج البلاغة ـ في هذه الخطبة والخطبة ٢١١ ـ فحسب بل سبقه القرآن الكريم للحديث عن هذا الموضوع[٢].
وهناك عدّة تفاسير أوردها العلماء القدماء بشأن السموات السبع، ولا نروح الخوض فيها جميعاً؛ إلا أن التفسير الوحيد الذي يبدو صحيحاً من بينها هو ذلك الذي قال بأنّ المراد بالسموات السبع هو المعنى الواقعي لهذه الكلمة؛ فالسماء هي مجموعة من الكواكب والنجوم في العالم العلوي، والسبع هو العدد سبعة المعروف ولا يراد به الكثرة، غاية مافي الأمر أنّ الذي نفهمه من الآيات القرآنية هو أن ما نشاهده من كواكب وسيارات ثابتة ومتحركة كلها مرتبطة بالسماء الأولى.
وبناءً على هذا فان وراء هذه السماء العظيمة ستة سموات عظيمة أخر لم يتسنى لحد الآن للعلم البشري التوصل إلى معرفتها.
والآية السادسة من سورة الصافات تؤيد هذا المعنى: (**إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ**)، كما ورد هذا المعنى في الآية ١٢ من سورة فصلت (**وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيا بِمَصَابِيحَ**)، وجاء في الآية الخامسة من سورة الملك (**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيا بِمَصَابِيحَ**).
وهنا لابدّ من القول بأنّ الأجهزة العلمية لم تتمكن حتى اليوم من إماطة اللثام عن هذه العوالم الست، إلا انّ الدليل لم يقم على نفيها علمياً، ولعل العلم يكشف أسرار هذا الموضوع مستقبلاً، بل أفادت كشوف العلماء الفلكيين أنّ هناك أشباحاً ترى من بعيد تفيد وجود عوالم أُخرى، على سبيل المثال أوردت بعض المجلات الفضائية نقلاً عن المراصد الجوية المعروفة «بالومار» قولها: لقد تمكن ناظور مرصد بالومار من كشف ملايين المجرات التي يبعد بعضها عنا ألف مليون سنة ضوئية.
لكن هناك فضاء عظيم ومهيب مظلم بعد تلك المسافة البالغة ألف مليون سنة ضوئية، غير أنّه يتعذر رؤية مافيه من أشياء.ومما لاشك فيه أنّ ذلك الفضاء المهيب والمظلم يضم مئات الملايين من المجرات بحيث تكفلت جاذبيتها بحفظ البسيطة التي نعيش على وجهها.
وما هذه الدنيا العظيمة التي تغص بمئات آلاف الملايين من المجرات إلا ذرة تافهة لا قيمة لها مقارنة بدنيا أعظم وأوسع ولسنا متأكدين لحد الآن من وجود دنيا أُخرى عظيمة فيما وراء هذه الدنيا ونخلص ممّا سبق إلى أنّ العوالم التي تمّ كشفها من قبل البشرية ورغم عظمتها وما تنطوي عليه من أسرار وأعاجيب ليست إلا جزءاً ضئيلاً من عالم ضخم عملاق، ولعل المستقبل سيكشف النقاب عن العوالم الست الأخرى.

خلق آدم(عليه السلام)

«ثُمَّ جَمَعَ سُبْحانَهُ مِنْ حَزْنِ الأرْضِ وَسَهْلِها، وَعَذْبِها وَسَبَخِها، تُرْبَةً سَنَّها بِالْماءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلاطَها بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ فَجَبَلَ مِنْها صُورَةً ذاتَ أحْناءٍ وَوُصُولٍ، وَأعْضاءٍ وَفُصُولٍ، أجْمَدَها حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأصْلَدَها حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأمَدٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيها مِنْ رُوحِهِ، فَمَثُلَتْ إنْساناً ذا أذْهانٍ يُجِيلُها، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِها، وَجَوارِحَ يَخْتَدِمُها وَأدَواتٍ يُقَلِّبُها وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِها بَيْنَ الْحَقِّ وَالْباطِلِ وَالأذْواقِ وَالْمَشامِّ وَالألْوانِ وَالأجْناسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الألْوانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالأشْباهِ الْمُؤْتَلِفَةِ وَالأضْدادِ الْمُتَعادِيَةِ، وَالأخْلاطِ الْمُتَباينَةِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ».
يتناول الامام (عليه السلام) خلق آدم ومراحله المختلفة والتي قسمها(عليه السلام) إلى خمس مراحل[٣] تكتنف تمام مسيرة حياته وهي:

---

١ ـ ينظر كتاب نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

٢ ـ الطريف أنّ القرآن أشار إلى السموات السبع في سبع من آياته، وهي الآية ٢٩ من سورة البقرة، ٤٤ من سورة الاسراء، الآية ٨٦ من سورة المؤمنون، الآية ١٢ من سورة فصلت، الآية ١٢ من سورة الطلاق، الآية ٣ من سورة الملك والآية ١٥ من سورة نوح. كما وردت بعض الآيات التي أشارت بعبارات أخرى إلى هذا الأمر.

٣ يقول الشيخ محمد جواد مغنية في ظل نهج البلاغة "خلق الله سبحانه آدم من جسم و روح ، و لكن بالتدريج لا دفعة واحدة".

١ ـ خلقة آدم من ناحية الجسم والروح (يعني في مرحلتين).
٢ ـ سجود الملائكة لآدم وتمرد ابليس.
٣ ـ إسكان آدم الجنّة ثم بيان ترك الاولى الذي صدر من آدم(عليه السلام) وندمه وتوبته وأخيراً قبول توبته وإخراجه من الجنّة والهبوط إلى الأرض.
٤ ـ لقد أصبح لآدم ذرية ثم تكاثرت هذه الذرية فكونت المجتمعات البشرية ثم بعث الله أنبيائه(عليهم السلام) بكتبه السماوية المقدسة من أجل هداية الناس وتنظيم شؤون المجتمعات البشرية والأخذ بأيديها إلى حيث السمو الروحي والرفعة والكمال.
٥ ـ المجتمعات البشرية من جانبها خطت خطوات عريضة نحو التكامل حتى تأهلت لتقبل الدين الخاتم حيث اصطفى الله رسوله محمد(صلى الله عليه وآله) فبعثه بالقرآن الكريم لهداية الإنسانية وإنقاذها من خلال أطروحته التي تتضمن السعادة والفلاح.

خلقة آدم(عليه السلام) من الناحية الجسمية والروحية

قال الإمام(عليه السلام) بشأن خلق جسم آدم(عليه السلام) : «ثم جمع سبحانه من حزن[١] الأرض وسهلها وعذبها[٢] وسبخها[٣] تربة».
فالعبارة تشير إلى خلق الإنسان من التراب من جهة، كما تشير من جهة أخرى أن ذلك التراب مركب من جميع المواد المختلفة على وجه الأرض لتنطوي على مختلف الاستعدادات وتشمل التنوعات والتقلبات التي تحتاجها المجتمعات البشرية في مختلف مجالات حياتها، ثم أشارت إلى مادة أخرى هى الماء والتي اختلطت بالتراب فقال(عليه السلام) بهذا الشأن «سنها[٤] بالماء حتى خلصت ولاطها[٥] بالبلة حتى لزبت[٦]».
فالواقع أنّ دور الماء هو خلط تلك الأجزاء المختلفة مع بعضها وتخليصها من شوائبها وارساء الوشيجة والرابطة بين هذه الأجزاء.
ثم أشار(عليه السلام) إلى مسألة تبلور خلقة الإنسان من ذلك التراب والطين فقال(عليه السلام) : «فجبل منها صورة ذات أحناء[٧] ووصول وأعضاء وفصول».
في الواقع «أحنا» جمع «حنو» إشارة إلى انحناءات البدن من قبيل انحناء الأضلاع والفك العلوي والسفلي وراحة القدم بحيث يتكيف البدن للقيام بمختلف الأعمال والفعاليات، وذلك لتعذر قيامه بمثل هذه الأفعال التي يمارسها اليوم لو كان البدن على هيئة جسم هندسي مكعب أو ما شابه ذلك.
أمّا العبارة «وأعضاء وفصول» فهى تشير إلى الأعضاء المختلفة التي ترتبط مع بعضها من خلال المفاصل؛ الأمر الذي أكسب البدن القدرة العملية على ممارسة مختلف الانشطة فلو كانت يد الإنسان على سبيل المثال مستوية ذات عضو واحد وعظم واحد لا تقوى على أداء الفعاليات التي تؤديها الآن، بينما نعلم أنّ البارئ سبحانه جعلها عدّة عظام وغضاريف وعدّة أعضاء متصلة مع بعضها البعض الآخر؛ الأمر الذي جعل كل اصبع بل كل سلامية من أصابعه واضافة لليد تتمتع بعملية خاصة وهذه بدورها تعدّ آية من آيات حكمته وعظمته سبحانه.
ثم أشار الإمام (عليه السلام) إلى مرحلة لاحقة فقال: «اجمدها حتى استمسكت واصلدها[٨] حتى صلصلت[٩]» وبذلك فقد أعد الإنسان إعداداً تاماً من الناحة البدنية بحيث يسير إلى الغاية المعينة المرسومة له «لوقت معدود وأجل معلوم[١]».

---

[١] «حزْن» على وزن «وزن» بمعنى المواضع الوعرة على الأرض، كما يطلق الحُزن أو الحَزَن على الهم والغم، لأنه نوع وعورة في روح الإنسان.

[٢] «عذب» على وزن «جذب» بمعنى الماء الطاهر والحلو الصالح للشرب.

[٣] «سبخ» وجمعها سباخ بمعنى ما ملح من الأرض.

[٤] «سنّ» من مادة «سن» على وزن ظن بمعنى صب الماء على شيء، كما تأتي بمعنى نعومة الشيء.

[٥] «لاط» من مادة «لوط» على وزن صوت بمعنى خلط الشيء وعجنه.

[٦] «لزبت» من مادة «لزوب» على وزن سكوت بمعنى التصق وثبت واشتد.

[٧] «أحنا» جمع «حنو» على وزن حرص بمعنى الانحناء والجوانب والأطراف.

[٨] «أصلد» من مادة «صلد» على وزن صبر بمعنى أحكم وجعل الشيء صلباً أصلتاً.

[٩] «صلصل» من مادة «صلصلة» بمعنى اليبوسة والجفاف بحيث تخرج منها الأصوات بمجرّد ملامستها لشيء، كما وردت بمعنى الجاف والمحكم.

فقد روي في بعض الروايات عن الإمام الباقر(عليه السلام) أن هذه الحالة دامت أربعين سنة، فكان جسد آدم ملقى في موضع والملائكة تمر به وتقول لأي أمر خلقت؟[٢] ولعل هذه المدّة الزمانية ـ كما صرّح بذلك بعض المحققين ـ كانت اختباراً للملائكة أو إرشاداً وتعليماً للناس بالتأني في الأمور وعدم الاستعجال فيها.
وهنا جاءت المرحلة الثانية؛ مرحلة نفخ الروح في الجسد ليتحول إلى هذه الطبيعة الإنسانية التي زود فيها الإنسان بقوى العقل والإدراك التي تسوقه لممارسة الأعمال: «ثم نفخ فيها من روحه فمثلت[٣] إنساناً ذا أذهان يجيلها»[٤].
العبارة «ذا أذهان يجيلها» إشارة إلى مختلف القوى العقلية والذهنية التي زود بها الإنسان ويوظف كلاً منها في مجال من مجالات حياته بحيث يلائم بينها جميعاً في مسيرته نحو الهدف المنشود (والقوى المذكورة عبارة عن قوة الإدراك وقوة الحفظ وقوة الخيال و...).
وهنا لابدّ من الالتفات إلى أنّ الذهن في الأصل يعني القوة، ثم استعمل بمعنى العقل والفهم والدراية وسائر القوى العقلانية، فالعبارة تشير إلى أنّ الإمام(عليه السلام) قد عنى مختلف هذه القوى معتبراً كل واحدة منها نعمة وعناية من العنايات الإلهية ثم قال(عليه السلام) : «وفكر يتصرف بها».
قد يتصور أحياناً أنّ هذا التعبير من قبيل العطف التفسيري والتعبير الآخر لمفهوم العبارة السابقة، غير أنّ الظاهر هو أنّ كل عبارة من العبارتين تشير إلى حقيقة: فالعبارة «ذا أذهان يجيلها» إشارة إلى مراحل المعرفة والتصور والتصديق وفهم وإدراك الحقائق، وأمّا العبارة «وفكر يتصرف بها» فهى إشارة إلى الأفكار التي تخضع لمرحلة التطبيق ويتصرف الإنسان بواسطتها في مختلف الأشياء (لابدّ من الالتفات هنا إلى أنّ الفكر في الأصل يعني الحركة الفكرية وتوظيف الذهن).
على كل حال فقد جاءت مفردة «فكر» بصيغة الجمع (كالأذهان بصيغة الجمع) لتفيدان القوى العقلية والأفكار الإنسانية كثيرة للغاية ومتنوعة، وهذه نقطة مهمّة أكدها كبار الفلاسفة والمفكرين وعلماء النفس، وإليها تعزى الفوارق في الاستعدادات الفكرية لأفراد البشرية.
فربما كان هناك الأفراد الأقوى في قسم منها وأضعف في القسم الآخر بينما هنالك العكس، فالمسألة تنطوي على أسرار ورموز عجيبة للغاية، وكلما غاص الإنسان في كنهها تعرف أكثر على عظمة الحق خالق هذه القوى الذهنية والفكرية.
ثم يتطرق(عليه السلام) بعد ذلك إلى شيئين يسهمان في إيصال الإنسان إلى هدفه المطلوب وهما الجوارح والأدوات التي زوده بها الله سبحانه ليتسنى له تحقيق ما يصبو إليه «وجوارح يختدمها[٥] وأدوات يقلبها».
فالواقع هو أنّه يجتاز أربع مراحل لبلوغ الهدف: تمثلت المرحلة الاولى بالمعرفة والإدراك والتصور والتصديق ومرحلة الفكر ومن ثم ائتمار الأعضاء والجوارح، وأخيراً الاستعانة بالأدوات المختلفة التي خلقها الله في هذا العالم حين لا تجدي الأعضاء والجوارح بمفردها نفعاً، كما أنّ كل مرحلة من هذه المراحل الأربع متنوعة تتفرع منها عدّة فروع.
ولما كان بلوغ الأهداف المرسومة يتطلب تشخيصاً وتمييزاً للحق من الباطل والصواب من عدمه وكافة المحسوسات المختلفة، فانّه يتحدث عن إحدى قوى النفس المهمّة والتي تعتبر في الواقع المرحلة الخامسة، ألا وهى قوة التمييز ولا يراد بها سوى المعرفة «ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل».كما يتمكن بواسطة هذه القوة من تمييز المحسوسات من قبيل الأطعمة والأذواق و...«والأذواق والمشام والألوان والأجناس»[٦].
والواقع أن قدرة التمييز والتشخيص والمعرفة لمن أهم قوى الإنسان العقلية التي تشمل الأمور المعنوية كالحق والباطل كما تشمل الأمور المادية المحسوسة كالألوان والمشام والأذواق.

---

[١] اللام في «لوقت معدود» بمعنى إلى. ذهب البعض إلى أنّها لام التعليل، بينما احتمل البعض أنّ المراد بهذه العبارة هو أنّ هذا الوضع سيستمر إلى قيام الساعة ثم تتفكك بعد ذلك أعضاء البدن تماماً، إلاّ انّ هذا الاحتمال يبدو مستبعداً للغاية، لأنّه من المراحل المختلفة لخلق الإنسان ولم تطرح لحد الآن قضية نفخ الروح.

[٢] «فبقى أربعين سنة ملقى تمر به الملائكة فتقول لأمر ما خلقت؟». منهاج البراعة ٢ / ٤٤.

[٣] «مثلت» من مادة «مثول» على وزن حصول بمعنى استوت وقامت.

[٤] «يجيل» من مادة «اجالة» (مصدر باب أفعال من جول وجولان بمعنى يدور).

[٥] «يختدم» من مادة «اختدام» بمعنى الاستخدام.

[٦] أنّ العبارة «والأذواق والمشام والألوان والأجناس» هى عطف على عبارة الحق والباطل، بينما عدها البعض عطفاً على المعرفة. في حين يفيد التأمل في كلامه(عليه السلام) أن المعنى الأول هو الأنسب.

فهل قوّة التمييز هذه هي قوة مستقلة، أم داخلة في مفهوم الذهن والفكر في العبارة السابقة؟ يبدو من كلامه(عليه السلام) أنّها قوّة مستقلة، جدير بالذكر أنّ الحديث تطرق لأربعة أصناف من الأمور المادية والمحسوسة وهي: الأذواق، المشام، الألوان والأجناس التي تشير هنا إلى مختلف أنواع الموجودات[1].
من قبيل مختلف أنواع النباتات، الطيور والحيوانات وما إلى ذلك، إما عدم الإشارة إلى المسموعات (الأصوات) والملموسات فلأن بيان الأقسام الثلاث كان على نحو المثال، فذهن كل مستمع سينتقل إلى بقية ذلك من خلال الأقسام الثلاث المذكورة.
ثم ينتقل الإمام علي(عليه السلام) ليشير إلى أهمّ خصائص الإنسان التي تشكل المصدر الرئيسي لأغلب ظواهر حياته فيقول: «معجوناً بطينة الألوان المختلفة».
ولعل هذه العبارة إشارة إلى اختلاف ألوان الناس وأعراقهم المتفاوتة، أو اختلاف لون أجزاء البدن حيث إنّ بعضها تام البياض (كبياض العين والعظام) والآخر تام السواد (كالشعر) وسائر الألوان التي يكسبه خلطها جمالاً خاصاً، كما يمكن أن يكون المراد بها معنى أوسع بحيث يشمل سائر الاستعدادات والغرائز المختلفة.
ثم أضاف الإمام(عليه السلام) قائلاً: «والأشباه المؤتلفة» من قبيل الأوردة والشرايين والأعصاب والعظام التي تشبه إلى حدّ بعيد بعضها البعض الآخر، وفي نفس الوقت تقوم بعدة وظائف ومهام.
وأخيراً قال(عليه السلام) : «والأضداد المتعادية والأخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود»[2].
والعبارة إشارة إلى الطبائع الرباعية المعروفة في الطب التقليدي، والأطباء المعاصرون وأن تنكروا لهذه الطبائع لفظاً، غير أنّهم اوردوها بتعابير أُخرى من قبيل الاستعاضة عن الحرارة والبرودة بارتفاع ضغط الدم وانخفاضه، كما يصطلحون بزيادة ماء الجسم وقلته بدلاً من البلة والجمود.
على كل حال فان عبارات الإمام(عليه السلام) آنفة الذكر إنّما تشير إلى قضية مهمّة في أنّ الله سبحانه قد خلق جسم الإنسان (بل جسمه وروحه) مركباً من مواد مختلفة وكيفيات متنوعة واستعدادات وغرائز متباينة، وأنّ هذه الفوارق والتباينات شكلت أساس التفاوت في أساليب التفكير لدى أفراد الجنس البشري؛ الأمر الذي أدى في خاتمة المطاف إلى تلبية مختلف حاجات الجماعات البشرية واشغال المناصب الاجتماعية على ضوء تلك الاستعدادات بحيث تنتظم الأمور ويوضع كل شيء في موضعه فيتسق النظام العام.

سؤال:

لماذا لم يخلق اللّه آدم بكلمة « كن » ؟ .
و ما هي الحكمة لخلقه من تراب ؟ أليس اللّه على كل شيء بقدير ؟

الجواب:

قال البعض: أراد سبحانه أن يعلّم الناس الروية و الأناة و عدم الاستعجال في أمورهم.وقال آخر انه تعالى أراد أن يعلم الناس انهم في الخلق سواء، لا فضل لأبيض على أسود، كما قال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): كلكم من آدم، و آدم من تراب ..و ان يعتبروا بقدرة اللّه التي خلقت من المادة الصماء إنسانا عاقلا يفعل الأعاجيب و أيضا أن يستدل الانسان على النشأة الثانية بالأولى قال الإمام: «عجبت لمن أنكر النشأة الأخرى، و هو يرى النشأة الأولى » وعلى أية حال فإن الأرض هي البيئة الطبيعية للإنسان، و مصدر حياته و حضارته و فيها يتعرف على خالقه و يعبده، و منها يثب الى السماء و الكواكب، وإليها يعودوا لا غنى له عنها بحال حدوثا و بقاء، وهي في غنى عنه في كل الأحوال.

نظرية التطور والنشوء

نفهم من العبارات التي تضمنتها خطبة الإمام(عليه السلام) أنّ خلق آدم(عليه السلام) قد تمّ بصورة مستقلة متكاملة على هذه الصورة التي نحن عليها اليوم دون أن يطوي مراحل النشوء والارتقاء من الكائنات الحية المتسافلة؛ الأمر الذي أكده القرآن كراراً على لسان آياته الشريفة.طبعاً كلنا نعلم بأن «القرآن الكريم» وكذلك «نهج البلاغة» ليسا من قبيل كتب العلوم الطبيعية، بل هما كتابان تكفلا بهداية الإنسان وتهذيبه بالدرجة الأساس إلى جانب الإشارة حسب المقام وما يتناسب وأبحاثه العقائدية والتربوية إلى بعض مسائل العلوم الطبيعية.امّا النظرية السائدة اليوم في الأوساط العلمية بشأن خلق الإنسان فهي نظرية «تكامل الأنواع».او نظرية التطور
التطور: هي عملية أدت لظهور جماعات المتعضيات الحية، بشكل عام يؤدي التطور لظهور (فروع صغير) خلل جديدة ومتجددة من جيل لآخر، تؤدي في النهاية إلى تغيير كافة مواصفات النوع قيد التطور مما يؤدي إلى نشوء نوع جديد من الكائنات الحية.
مصطلح نشوء عضوي organic evolution أو النشوء البيولوجي يستخدم غالبا لتفريق هذا المصطلح عن استعمالات أخرى.

---

[1] **«الجنس» في اللغة بمعنى الأقسام والأنواع المختلفة، وهناك القرائن الواردة في خطب نهج البلاغة التي تدل على هذا المعنى.**

[2] **يمكن أن تكون جملة «من الحر والبرد» بياناً للاخلاط المتباينة، أو للأضداد والأخلاط معاً.**

بدأ تطور نظرية التطور الحديثة بإدخال مصطلح الاصطفاء الطبيعي في مقالة مشتركة لتشارلز داروين وألفريد راسل والاس.
من ثم حققت النظرية شعبية واسعة بعد الإقبال على قراءة كتاب داروين أصل الأنواع.
كانت نظرية داروين ووالاس الأساسية ان التطور يحدث وفق ميزة قابلة للتوريث تؤدي إلى زيادة فرصة بعض الأفراد الحاملين لهذه الميزة trait بالتكاثر أكثر من الأفراد الذين لا يحملونها.
هذه النظرية كانت جديدة تماما ومخالفة لمعظم أسس النظريات التطورية القديمة خصوصا النظرية المطورة من قبل جان باتيست لامارك.
حسب نظرية داروين ووالاس: يحدث التطور نتيجة تغير أو طفرة في ميزات قابلة للتوريث ضمن مجموعة حيوية على امتداد أجيال متعاقبة، كما يحدده التغيرات في التكرارات الأليلية للجينات.
ومع الوقت، يمكن أن تنتج هذه العملية ما نسميه انتواعاً، أي تطور نوع جديد من الأحياء بدءاً من نوع موجود أساسا.بالنسبة لهذه النظرية فإن جميع المتعضيات الموجودة ترتبط ببعضها البعض من خلال سلف مشترك، كنتيجة لتراكمات التغيرات التطورية عبر ملايين السنين.
التطور أيضاً مصدر للتنوع الحيوي على كوكب الأرض، بما فيها الأنواع المنقرضة المسجلة ضمن السجل الأحفوري أو المستحاثي.
الآلية(الجينات) الأساسية التي ينتج بها التغير التطوري هي ما تدعوه النظرية: الاصطفاء الطبيعي (natural selection) (الذي يتضمن البيئي والجنسي والقرابة مع الانحراف الوراثي).تقوم هاتان العمليتان أو الآليتان بالتأثير على التنوع الجيني المتشكل عن طريق الطفرات، وانسياب المورثات.لذا يعتبر الاصطفاء الطبيعي عملية يتم بها بقاء ونجاة الأفراد ذوي الميزات الأفضل (للحياة) وبالتالي التكاثر.
إذا كانت هذه الميزات قابلة للتوريث فإنها ستنتقل إلى الأجيال اللاحقة، مما ينتج ان الميزات الأكثر نفعاً وصلاحية للبقاء تصبح أكثر شيوعاً في الأجيال اللاحقة.
فبإعطاء وقت كاف، يمكن أن تنتج هذه العملية العفوية تلاؤمات متنوعة نحو تغيرات الشروط البيئية.
الفهم الحديث للتطور يعتمد على نظرية الاصطفاء الطبيعي، التي وضعت أسسها أساساً في ورقة مفصلية عام ١٨٥٨ من قبل تشارلز داروين وألفرد راسل والاس ونشرت ضمن كتاب داروين الشهير أصل الأنواع.في الثلاثينات من القرن العشرين، ترافق الاصطفاء الطبيعي الداروينى مع نظرية الوراثة المندلية لتشكل ما يدعى الاصطناع التطوري الحديث، وعرفت أيضاً بالداروينية-الجديدة.
الاصطناع الحديث يصف التطور كتغير في تكرار وتوافر الأليلات ضمن مجموعة حيوية من جيل إلى الجيل الذي يليه.
هذه النظرية سرعان ما أصبحت المبدأ المركزي المنظم للحياة الحديثة، نسبة لقدرتها التفسيرية والتنبؤية العالية، تربط حالياً بشكل مباشر مع دراسة أصل مقاومة المضادات الحيوية في الجراثيم، (eusociality) في الحشرات، والتنوع في النظام البيئي (ecosystem).
إثباتات التطور

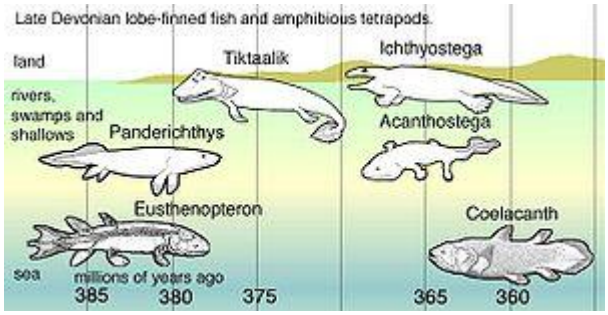

in context: one of many species that track the evolutionary development of *Tiktaalik* fins into tetrapod limbs fish.
يقول العلماء أن التطور قد خلف وراءه العديد من السجلات التي تروي تاريخ الأنواع المختلفة وزمن نشوئها.الأحافير بمجموعها مع التشريح المقارن للنباتات والحيوانات الموجودة حاليا، تشكل سجلا تشريحيا ومورفولوجيا.وبالمقارنة التشريحية والشكلية بين الأنواع الحالية والأنواع المنقرضة يمكن لعلماء المستحاثات ان يقوموا بمعرفة الارتباطات والأصول المشتركة بين هذه الأنواع.
تقوم بعض المستحاثات المهمة بإثبات الصلة بين أنواع منقرضة وأنواع موجودة حاليا عن طريق ما يدعى أنواع «انتقالية»، مثال هذه الأنواع الانتقالية أرخيوبتركس الذي أثبت العلاقة بين الديناصورات والطيورلاحقاً سمح تطور علم الوراثة الجزيئي وخصوصاً إمكانية سلسلة الدنا DNA، للبيولوجيين بدراسة سجل التطور عن طريق البنى الوراثية للمتعضيات الحالية والمنقرضة، مما وسع بشكل كبير وعدل من إمكانية إيجاد الصلات والقرابات بين الأنواع وأحيانا كان يؤدي لتعديلات جذرية في التصنيف الحيوي للأحياء.عن طريق التشابه والاختلاف بين

تسلسلات الدنا DNA للمتعضيات الحية يقوم علماء الحياة حاليا بإيجاد وتعديل العلاقات وصلات القرابة بين الأنواع الحية قديمها وجديدها.
تم جمع إثباتات أخرى من بعض البنى التشريحية الموجودة في بعض الكائنات الحية كما عند الباندا أو شكل الأقدام عند السحالي أو انعدام العيون عند الأسماك الكهفية، مما قدم إثباتات لإمكانية التنامي التطوري.
تقدم دراسات أخرى إثباتات عن طريق تمثيل صلات تطورية تتضمن التوزع الجغرافي للأنواع.
مثلا: أحاديات الفتحة Monotreme، مثل platypus ومعظم الجرابيات marsupials مثل الكنغر والكوالا وجدوا فقط في أستراليا وضحوا أن سلفهم المشترك مع الثدييات المشيمية placental mammals عاش قبل غمر الجسر الأرضي القديم بين أستراليا وآسيا.
جميع هذه الإثباتات من علم الإحاثة، التشريح، علم الوراثة، والجغرافيا، إضافة لمعلومات أخرى حول تاريخ الأرض قام العلماء بربطها سوية ضمن إطار تقدم نظرية التطور من خلاله وتجعلها نظرية علمية متماسكة.فمثلا علم المناخ الإحاثي paleoclimatology يشير إلى العصر الجليدي الدوري الذي كان فيه مناخ الأرض أكثر برودة، مما أدى لنشوء وانتشار أنواع حية قادرة على تحمل البرد القارس ومن أهم هذه الأنواع الماموث mammoth woolly.

*** المورفولوجية**

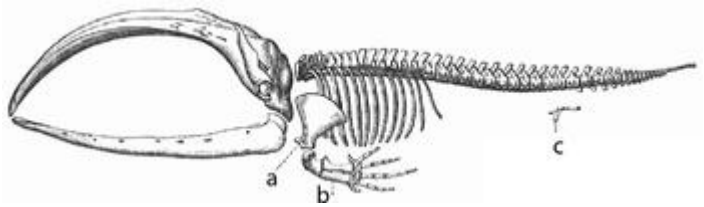

vestigial ،whale baleen legs of a in the picture indicates the undeveloped hind *c* Letter remnants of its terrestrial ancestors.
غالبا ما تعتبر المستحاثات (المستحاثات: هي أثار وبقايا كائنات حية عاشت في الأزمنة الجيولوجية القديمة، بعضها إنقرض و بعضها ما زال يعيش حاليا .هذه الآثار حفظت في الصخور الرسوبية و تتم الإستحاثة في المراحل التالية:
تسقط جثث الحيوانات في أوساط الترسب المائية مثل البحار تطمر في الرواسب بسرعة، تتحلل أعضاءها الرخوة بينما الأجزاء الصلبة مثل العظام والصدفات تقاوم التحلل و تترك بصمات على شكل قوالب في الرواسب، تتصخر ثم تتمعدن أثناء عملية التصخر) إثباتات حرجة لتقييم عمق الصلات بين الأنواع.
بما أن استحاثة متعضية يعتبر أمرا نادر الحدوث، يحدث غالبا بوجود أجزاء صلبة مثل الأسنان والعظام، لذلك فإن المستحاثات غالبا ما تعتبر بأنها تقدم معلومات ضئيلة أو متوسطة الأهمية حول علاقات القرابة بين الأنواع.
مع هذا فيمكن حدوث استحاثة لبعض النواع بدون أجزاء صلبة (أسنان، عظام) في بعض الظروف: rapid burial، بيئات منخفضة الأكسجين، أو تأثير ميكروبيولوجي.
تؤمن السجلات الأحفورية أنماطا متعددة من البيانات المهمة لدراسة التطور.
أولا: يحوي السجل الأحفوري الأمثلة المعروفة المبكرة للحياة، إضافة لحدوث أولى حالات القرابة الفردية بين الأنواع.فمثلا حسب السجل الأحفوري ظهر أول حيوانات معقدة في عصر الكمبري المبكر، أي حوالي ٥٢٠ مليون سنة مضت.
ثانيا: سجلات الأنواع المنفردة تعطي معلومات بخصوص الأنماط والأشكال التي مر بها النوع وسرعة التغير والتطور في هذا النوع.، مظهرة مثلا فيما إذا تطور هذا النوع إلى نوع جديد مختلف (في عملية ندعوها الانتواع speciation) تدريجيا وبشكل متزايد، أو خلال فترات زمنية قصيرة نسبيا ضمن الزمن الأراضي (الجيولوجي).
ثالثا: يعتبر السجل الأحفوري وثيقة للأنماط الكبيرة الانتشار والأحداث المهمة في تاريخ الحياة، والعديد من هذه المستحاثات قد أثرت بشكل فعلي في تصورنا للتاريخ التطوري لعلاقات القربى.
مثلا الانقراض الكبير نتج في عدة أزمنة مؤديا لفقدان مجموعات كاملة من الأنواع، مثل الديناصورات غير الطيارة non-avian dinosaurs، في حين أنها لا تؤثر على مجموعات أخرى من الأنواع.مؤخرا استطاع علماء الحياة الجزيئية أن يستعملوا الزمن منذ تقارب الأنساب lineages المختلفة ليقوموا بمعايرة سرعة أو معدل التراكم التطافري، حساب أزمنة تطور مجينات الأنساب المختلفة.
***علم الوراثة العرقي:** كعلم يدرس أصل الأنواع وأسلافها، قدم وكشف أن البنى ذات التنظيم الداخلي المتشابه يمكن أن تقوم بوظائف متقاربة.أقدام الفقاريات تعتبر مثالا شائعا لهذه البنى المتشابهة.

***علم المناعة**

يعتمد هذا الدليل على تحديد درجة القرابة بين الأنواع المختلفة وفق التفاعلات المناعية التي تحدث بين مولد الضد(المستضد) والضد الذي يشكله جسم الكائن الحي عند دخول مادة غريبة فيه؛ نتيجة لهذا التفاعل المناعي (ضد-مستضد) يحدث ترسيب للمواد المتفاعلة ويتشكل معقد مجرد من السمية.

مثال: عند حقن بروتينات مأخوذة من جسم الإنسان في جسم خنزير الهند يتولد في دمه أضداد(وهذه الأضداد قادرة على حض مولدات الضد عند الإنسان على التفاعل المناعي معها) ؛ عند أخذ الأضداد السابقة وحقنها في بلاسما دم القرد تحرض عنده ارتصاصا (أو ترسيبا) نسبته ٥٠ % ويفسر هذا الترسيب وجود صلة تشابه بين القردة والبشر بنسبة متوسطة؛ مثل هذا الترسيب لا يحصل عند حقن الأضداد في دم الجرابيات أو الطيور لعدم وجود التشابه بينها وبين الإنسان.

*** أسلاف الكائنات الحية**

في علم الأحياء، تعتبر نظرية السلف المشترك العام universal common descent نظرية تفترض أن جميع الأحياء الموجودة على سطح الأرض تنحدر من سلف مشترك وحيد عام أو لنقل حوض جيني أصلي وحيد.تستند نظرية السلف المشترك إلى وجود سمات مشتركة بين كافة المتعضيات الحية.في أيام داروين كانت الاثباتات على التشارك بالسمات يستند فقط إلى الملاحظات المرئية للتشابهات الشكلية، مثل حقيقة أن جميع الطيور حتى التي لا تطير تملك أجنحة.

أما اليوم فهناك إثباتات أقوى تقوم على أساس علم الوراثة تؤكد وجود السلف المشترك.

مثلا، كل خلية حية تستخدم نفس الحمض النووي كمادة وراثية (دنا ورنا)، وتستخدم نفس الحموض الأمينية كوحدات بناء للبروتينات.

إضافة لذلك فإن جميع الأحياء تستخدم نفس الشفرة الوراثية (باختلافات ضئيلة ونادرة) لترجمة الحموض النووية إلى تسلسل الحموض الأمينية الذي تشكل البروتينات في النهاية.

هذه التماثل العام لهذه السمات المشتركة في خلايا جميع الكائنات الحية يطرح بقوة فرضية السلف الواحد للأحياء.

المعلومات حول التطور المبكر للحياة يتضمن مدخلات من حقول معرفية كالاراضة (الجيولوجيا) وعلوم الكواكب planetary science.

هذه العلوم توفر معلومات حول تاريخ الأرض المبكر والتغيرات التي أنتجت الحياة بالرغم من العديد من لامعلومات قد دمرتها الأحداث الجيولوجية عبر الزمن.

معارضوا نظرية التطور

حمل لواء معارضة نظرية التطور عالمين مشهورين في بداية ظهور النظرية وهما أغزيز في الولايات المتحدة وأوين في بريطانيا جان لويس رودلف أغزيز، حصل على دكتوراه من ميونخ ثم أتم دراسة الطب ١٨٣٠ وبعد ذلك أصبح أستاذ التاريخ الطبيعي في Neuchatel في سويسرا، ومن منجزاته دراسة شاملة عن أحافير الأسماك وطبعت في خمس مجلدات ما بين عامي ١٨٣٣ و ١٨٤٤ ودفع تكلفة طباعتها العالم الأوربي المشهور Humbolt وحصل أغزيز على جائزة Wollaston Prize على هذا الإنجاز، وبعد ذلك انتقل Agassiz لدراسة الجليديات glaciers وأصبح مؤسس علم الجليديات وقد أزعجت نتائج أبحاثه مؤيدو دارون لأن النظرية في وقتها كانت تعتمد مبدأ uniformitarianism وهو مبدأ يقضي بعدم وجود تغيرات غير تقليدية في الزمن الغابر.وبعد اشتهاره كعالم أوربي انتقل أغزيز إلى الولايات المتحدة وأمضى ٢٧ عاماً معظمها كأستاذ في جامعة هارفارد وعند طباعة "أصل الأنواع" رفض أغزيز أفكار الكتاب وأصبح من أهم معارضي النظرية.

نظرية التطور و الإيمان باللّه

الكثير ممّن يحاولون تصوير نوع من التضاد بين هذه الفرضية ومسألة الإيمان باللّه، ولعل الحق يعطى لهم من جهة، حيث أنّ العقيدة الداروينية في واقعها قد أوجدت حرباً شعواء بين أصحاب الكنيسة من جانب ومؤيدي داروين من جانب آخر، حتى وصل الصراع ذروته بين الطرفين في تلك الفترة بعدما لعب الظرف السياسي وكذا الإجتماعي دورهما (ممّا لا يسع المجال لشرح ذلك هنا)، فكانت النتيجة أن اتهم أصحاب الكنيسة الداروينية بأنّها لا تنسجم مع الإيمان باللّه[1].

وقد كشفت الأيّام عن عدم وجود تضاد بين الأمرين، فإنّنا سواء قبلنا بفرضية التكامل أو نفيناها لفقدانها الدليل، فلا يمنع من الإيمان باللّه بكلا الإحتمالين.

[1] ينظر كتاب نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

فإذا قبلنا بالفرضية فلكونها قانوناً علمياً مبنياً على العلة والمعلول، ولا فرق في العلاقة بين العلة والمعلول في عالم الكائنات الحية وبقية الموجودات، فهل يعتبر اكتشاف العلل الطبيعية من قبيل نزول الأمطار، المد والجزر في البحار، الزلازل وما شابهها، مانعاً من الإيمان باللّه؟ الجواب بالنفي قطعاً.
إذن فاكتشاف وجود رابطة وعلاقة تكاملية بين أنواع الموجودات الحية لا يؤدي إلى تعارض مع مسألة الإيمان باللّه كذلك.
إذن، فالأشخاص الذين يتصورون أن كشف العلل الطبيعية ينافي الإيمان بوجود اللّه هم الذين يذهبون هذا المذهب وإلاّ فإنّ كشف هذه العلل ليس ـ فقط ـ لا يتعارض مع التوحيد، وإنّما سيعطينا أدلة جديدة من عالم الخليقة لإثبات وجوده سبحانه وتعالى.
وممّا ينبغي ذكره: أنّ داروين قد تبرأ من تهمة الإلحاد وصرح في كتابه (أصل الأنواع) قائلا: إنّني مع قبولي لتكامل الأنواع فإنّي اعتقد بوجود اللّه، وأساسا فإنّه بدون الاعتقاد بوجود اللّه لا يمكن توجيه مسألة التكامل.
وقد كُتب عن داروين بما نصه: (إنّه بقي مؤمناً باللّه الواحد رغم قبوله بالعلل الطبيعية في ظهور الأنواع المختلفة من الأحياء، وقد كان إحساسه بوجود قدرة ما فوق البشر يشتد في أعماقه كلما تقدم في السن، معتبراً أن لغز الخلق يبقى لغزاً محيراً للإنسان)[1].
كان يعتقد أن توجيه هذا التكامل النوعي المعقد والعجيب، وتحويل كائن حي بسيط جدّاً إلى كل هذه الأنواع المختلفة من الأحياء لا يتمّ إلاّ بوجود خطة دقيقة يضعها ويسيرها عقل كلي.
وهو كذلك..إذ كيف يمكن إيجاد كل هذه الأنواع العجيبة والمحيرة والتي لكل منها تفصيلات وشؤون واسعة، من مادة واحدة بسيطة جداً وحقيرة..كيف يمكن ذلك بدون الإستناد على علم وقدرة مطلقين؟!
النتيجة: إنّ الضجّة المفتعلة في وجود تضاد بين عقيدة التكامل النوعي وبين مسألة الإيمان باللّه إنّما هي بلا أساس وفاقدة للدليل (سواء قبلنا بالفرضية أو لم نقبلها).

القرآن وعلماء المسلمين ومسألة التكامل

الجدير بالذكر أن كلا من مؤيدي ومنكري فرضية التكامل النوعي ـ نعني المسلمين منهم ـ قد استدل بآيات القرآن الكريم لإثبات مقصوده، ولكنّهما في بعض الأحيان وتحت تأثير موقفهما قد استدلا بآيات لا ترتبط بمقصودهما إلاّ من بعيد، ولذلك سنتطرق إلى الآيات القابلة للبحث والمناقشة.
أهم آية يتمسك بها مؤيدو الفرضية، الآية الثالثة والثلاثون من سورة آل عمران (إنّ اللّه اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم، وآل عمران على العالمين).
فيقولون: كما أنّ نوحاً وآل إبراهيم وآل عمران كانوا يعيشون ضمن أممهم فاصطفاهم اللّه من بينهم فكذلك آدم، أي ينبغي أنّه كان في عصره وزمانه أناس باسم «العالمين» فاصطفاه اللّه من بينهم، وهذا يشير إلى أن آدم لم يكن أوّل إنسان على وجه الأرض، بل كان قبله أناس آخرون، ثمّ امتاز آدم من بينهم بالطفرة الفكرية والروحية فكانت سبباً لاصطفائه من دونهم.
وما يؤخذ على هذا الإستدلال فهو أنّ كلمة «العالمين» إنْ كانت بمعنى الناس المعاصرين لآدم (عليه السلام) وأنّ الإصطفاء كان من بينهم، كان ذلك مقبولا، أمّا لو اعتبرنا «العالمين» أعم من المعاصرين لآدم، حيث تشمل حتى غير المعاصرين، كما روي في الحديث المعروف عن النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في فضل فاطمة عليها السلام حيث قال: «أمّا إبنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»، ففي هذه الحال سوف لا تكون لهذه الآية دلالة على مقصودهم، وهو شبيه بقول قائل: إنّ اللّه تعالى اصطفى عدّة أشخاص من بين الناس جميعاً في كل القرون والأزمان، وآدم (عليه السلام) أحدهم، وعندها سوف لا يكون لازماً وجود أناس في زمان آدم كي يطلق عليهم اسم «العالمين» أو يصطفي آدم من بينهم، وخصوصاً أن الإصطفاء إلهي، واللّه عزَّوجلّ مطلع على المستقبل وعلى كافة الأجيال في كل الأزمان[2].
وأمّا مؤيدو ثبوت الأنواع فقد اختاروا الآيات مورد البحث وما شابهها، حيث نقول إن اللّه تعالى خلق الانسان من تراب من طين متعفن.
ومن الملفت للنظر أن هذا التعبير قد ورد في صفة خلق «الإنسان» (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**) ـ الآية السادسة والعشرون من سورة الحجر، وأيضاً في صفة خلق «البشر» (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**) الآية الثامنة والعشرون من سورة الحجر، وفي مسألة سجود الملائكة بعد خلق شخص آدم أيضاً (**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** (٢٩) **فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ** (٣٠) **إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ** (٣١))[3].

---

[1] **الداروينية، تأليف محمود بهزاد، الصفحة ٧٥ و ٧٦.**

[2] **وهناك احتمال آخر وهو: أن اصطفاء آدم من بين أولاده بعد أن مرّت عليهم مدّة ليست بالطويلة فتشكل من بينهم مجتمع صغير.**

[3] **الآيات ٢٩، ٣٠، ٣١ من سورة الحجر**

عند الملاحظة الأولى للآيات يظهر أن خلق آدم كان من الحمأ المسنون أوّلاً، ومن ثمّ اكتملت هيئته بنفخ الروح الإلهية فيه فسجد له الملائكة إلاّ إبليس.
ثمّ إنّ أسلوب تتابع الآيات لا ينم عن وجود أيٍّ من الأنواع الأخرى منذ أن خلق آدم من تراب حتى الصورة الحالية لبنيه.
وعلى الرغم من استعمال الحرف «ثمّ» في بعض من هذه الآيات لبيان الفاصلة بين الأمرين، إلاّ أنّه لا يدل أبداً على مرور ملايين السنين ووجود آلاف الأنواع خلال تلك الفاصلة.
بل لا مانع إطلاقاً من كونه إشارة إلى نفس مرحلة خلق آدم من الحمأ المسنون، ثمّ مرحلة خلقه من الصلصال، فخلق بدن آدم، ونفخ الروح فيه.
وذلك ما ملاحظه في استعمال «ثمّ» في مسألة خلق الإنسان في عالم الجنين والمراحل التي يطويها..(**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**)[1].
فهذه الآية المباركة تدلل على أن استعمال «ثم» يعبر عن وجود فاصلة ليس من الضروري أن تكون طويلة، فيمكن كونها فاصلة طويلة أو قصيرة[2].

كيفية علم الإمام(عليه السلام) بهذه الأمور

ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّ عبارات الإمام(عليه السلام) بشأن ظهور العالم ونشوء الخلق لم ترد بصيغة فرضية واحتمال أبداً، بل صورها(عليه السلام) وكأنّه يشهد ذلك الظهور، وهذا دليل على استناد علمه إلى خزانة علم الغيب الإلهي أو تعليمات النبي (صلى الله عليه وآله)- التي تستند إلى الوحي حتى تحدث ابن أبي الحديد بهذا الشأن فقال: «إنّ أمير المؤمنين علي(عليه السلام) كان يعرف آراء المتقدمين والمتأخرين، ويعلم العلوم كلها وليس ذلك ببعيد من فضائله ومناقبه(عليه السلام)[3]».
وكيف لا يكون الإمام(عليه السلام) كذلك وهو القائل: «أنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض».[4]

قائمة المصادر والمراجع

* القران الكريم
* نور الولاية في شرح نهج البلاغة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي
* تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي
* ظل نهج البلاغة الشيخ محمد جواد مغنية
* شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
* أصل الأنواع: نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتقاء الطبيعي أو الاحتفاظ بالأعراق المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة تأليف تشارلس داروين ؛ ترجمة مجدي محمود المليجي ؛ تقديم سمير حنا صادق.القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤.
* مقدّمة الماكروديناميكا الاجتماعية: النمذجة الرياضية لتطوّر المنظومة العالمية قبل سبعينيّات القرن الماضي "مجلة كلية الآداب لجامعة القاهرة مجلد ٦٨ سنة ٢٠٠٨ الجزء الثاني صفحات ١٤٨–١٨١.
* أندريه كاراطائف - مقدمة المكروديناميكا الاجتماعية.النمذجة الرياضية لتطور المنظومة العالمية.ISBN ٥-٤٨٤-٠٠٤١٤-٤
* نظرية التطور عند مفكري الإسلام، دراسة مقارنة محفوظ علي عزام.القاهرة، دار الهداية، ١٩٨٦.

[1] سورة الحج/ الآية ٥٠

[2] ينظر كتاب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

[3] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٨٠

[4] نهج البلاغة، الخطبة ١٨٩.

عالمية الأمام علي أبن أبي طالب عليه السلام وفكره النير

المدرس المساعد: محمد عبد علي حسين القزاز (جامعة الكوفة – مركز دراسات الكوفة)

المقدمة:

الحمد لله الذي يفعل مايشاء ولا يفعل مايشاء غيره الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصلاة والسلام على أشرف أنبياء الله محمد وعلى آله الأشراف الأطهار أما بعد .

فقد حظي كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في نهج البلاغة بما لم يحظ به كلام غيره من البلغاء والعظماء من العناية التامة والاهتمام البالغ من قبل بقية الأدباء والشعراء على مر الأحقاب .

فتراهم على امتداد القرون بين جامع لحكمه، وراو ومحدث لخطبه، وحافظ لأقواله ومتأثر بأسلوبه وناظم لحكمه لأنه (عليه السلام) فتح أمام العلماء والأدباء جوانب فكريه واسعة وآفاق علميه غير متناهية فتوجهوا نحو كلامه، واخذوا معاني أقواله، ومباني ألفاظه وأخرجوها في أشعارهم، ولا أحسب احد من البلغاء على كثرتهم في الجاهلية والإسلام حظي كلامه من العناية مثل كلام الإمام (عليه السلام) فقد دونوه على عهده، وحفظوه في أيامه، وكتبوه ساعة إنشاده، وتداولوه فيما بينهم بعده كما سمعوه .

ولا غرابه إذا ما وجدنا أئمة الأدب وأحبار النظم والنثر وعلماء كلام العرب يندفعون نحو كلام الإمام (عليه السلام) ويرتشفون من مناهله العذبة وموارده ألرغده بعد إن وجدوا كلامه (عليه السلام) ينطق بكلام قد حف بالعصمة، و يتكلم بميزان ألحكمه كلام ألقى الله عليه المهابة فكل من طرق سمعه راعه فهابه، وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة، والطلاوة والفصاحة، لم يسقط منه كلمه ولا بارت له حجة أعجزت الناطقين، إنها ألفاظ يشرق عليها نور النبوة و تحير الإفهام والألباب.

إن كلامه (عليه السلام) بكافه صوره و أشكاله وجوانبه دعامة قويه لتراث الحضارة الانسانيه وركيزة قويمة للشخصية الاسلاميه لا تستأثر به قبيلة أو مجموعه دون أخرى، ولا يختص به أهل مله ونحله دون غيرها، ولا ينحصر في أهل مذهب دون غيرهم من أهل المذاهب، وإنما كان مرجعا حيا ونبعا فكريا متدفقا لكل البشرية و الأجيال والقرون والأحقاب، وأصبح ينبوعا صافيا وثروة فكريه ومناعة علمية لكتاب اللغة العربية والمتطلعين إليها قديما وحديثا ينتهلون من لغته ويقتبسون من معانيه الوهاجة ومبانيه المستقيمة ما يقوم لهم فنهم وينمي من حصيلتهم في اللغة والأدب.

ولا عجب فالإمام ربيب بيت النبوة ومهبط الوحي والتنزيل وأقرب الحواريين إلى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأول المؤمنين به منهم، فلابد أن يمسح فكره بقبس من فكر النبي(صلى الله عليه وآله)، وأن يتأدب بأدب النبي(صلى الله عليه وآله)، وأن تصبح خطبه فلذات من كبد الحقيقة، وآيات من وحي الحديث والسيرة، وقطعاً من سر القرآن وسحره.

وهنا لا عجب إن قلنا أنه خطيب لا كالخطباء وأديب لا كالأدباء سيرة وثقافة والتزاماً وروعة وعلماً، الأمر الذي يجعلنا نرى فرقاً شاسعاً وبونا بعيداً بينه وبين من سبقه وعاصره وجاء بعده من خطباء ما عدا النبي(صلى الله عليه وآله) الذي تتلمذ الإمام علي (عليه السلام) على يديه من هنا كانت عالمية الأمام وتخطيه حدود الزمان والمكان بحيث أصبح موضوعاً خصباً للباحثين العالميين غربيين وشرقيين ومستشرقين.. لما في تلك الشخصية الفريدة من مزايا خارقة ومواهب لا حصر لها.لقد أنتج لنا إمامنا درةً من الدرر، وأعجوبة من العجائب من أولى مزاياها الفائقة إظهاره ماخفي على الباحثين والكتاب والأدباء الفضلاء من الكنوز الفكرية، تلك الكنوز الفكرية والمعارف العقلية والآثار القلمية التي جاءت متظافرة لتدعيم صرح الحق ورفع منارة العدل والأيمان .

قال ابوالحسن على المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦، في مروج الذهب(لم يلبس عليه السلام في أيامه ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعه ولا ريعا إلا شيئا كان له « بينبوع» مما تصدق به وحبسه والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته اربعمائه خطبه ونيف وثمانون خطبه يوردها على البديهة وتداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً)[١].

نظرة في نهج البلاغة:

(نهج البلاغة) اسم وضعه الشريف الرضي على كتاب جمع فيه، المختار من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، في جميع فنونه ومتشعبات غصونه.

هذا النتاج الجليل تصدّى لجمعه وتبويبه السيد الشريف، النقيب أبو الحسن محمّد بن الحسين الرضي الموسوي (٣٥٩ ـ ٤٠٦هـ)، وأطلق عليه اسم «نهج البلاغة»؛ ليشير بذلك إلى أنّ هذا النتاج هو المثال لبلاغة التعبير بعد كتاب الله العزيز، وقد ظهر في عصر ازدهرت فيه الحضارة الإسلاميّة والعربية، وظهر فيه أشهر النوابغ في مختلف العلوم الإنسانية والآداب.

والسيد الشريف الرضي هو مفخرة العترة، وقد جمع إلى شرف النسب النبوي شرف العلم والحلم والأدب، وهو ما تتباهى به العصور.

يقول عنه الثعالبي (٤٢٩هـ): وهو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلّى ـ مع محتده الشريف، ومفخرة المنيف ـ بأدب ظاهر، وفضل باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر[٢].

قد اشتمل على عدد كبير من الخطب والمواعظ والعهود والرسائل والحكم والوصايا والآداب، وزعت على ٢٣٨ خطبة و٧٩ بين كتاب ووصية وعهد، و٤٨٨ من الكلمات القصار، احتوت على عوالم وآفاق متعددة من الزهد والتقوى والعرفان والعبادة والحكمة والفلسفة والنصح والموعظة، والملاحم والمغيبات، والسياسة والمسؤوليات الاجتماعية، والشجاعة والحماسة وغيرها.

ولقد انفرد هذا المصنف بسمات قلما نجد لها مثيلاً في أي كتاب إسلامي آخر سوى القرآن والسنة النبوية، إذ لا نكاد نرى كتاباً تميز بقطعات مختلفة يجمعها سلك واحد من الشخصية الواحدة والأسلوب الواحد كما نراه في (نهج البلاغة).

وهو اليوم وبعد أربعة عشر قرناً من عهده، يحافظ على نفس الحلاوة والطلاوة، ونفس القدرة في تحريك العواطف والأحاسيس، تلك التي كانت له في عهده، رغم كل ما حدث من تحول وتغيير في الأفكار والأذواق والثقافات لأن كلماته لا تحدّ بزمان أو مكان، بل هي عالمية الوجهة، إنسانية الهدف، من حيث أنها تتجه إلى كل إنسان في كل زمان ومكان.

ومنذ أن صدر هذا الكتاب عن جامعه، سار في الناس ذكره، وتألق نجمه، وأعجب به كل من وصل إليه، وتدارسوه في كل مكان، لما اشتمل عليه من اللفظ المنتقى والمعنى المشرف، وما احتواه م٨٩ن جوامع الكلم في أسلوب متساوق الأغراض، محكم السبك يجمع بين البلاغة والشمول

ولقد شغل الإنسان بكل أبعاده، مختلف خطب الإمام علي (عليه السلام) وكلماته بهدف تحريره من ربقة الجهل وإنارة عقله بالعلوم والمعارف، تمهيداً لإيقاظه من سباته وبعثه على التأمل في الكون وما يتخلله من أنظمة خفية دقيقة التنظيم، من ذلك يمكن القول ليس بوسع هذا الإنسان المحدود حياة وقدرة، أن يدرك هذه الحقيقة المطلقة، ما لم يرتفع فوق الصغائر والشهوات، ويتحرر من قيود المادة وأغلالها ويحترز من إغوائها وأهوائها ويفطم طبيعته عن ألبانها، لذلك فقد ركزت خطب الإمام علي (عليه السلام) على التقوى تلك التي تهب النفس القوة والنشاط، وتصونها عن الانحراف والشطط.

---

١ . مروج الذهب- ابوالحسن على المسعودي ج-٢ – ص ٤٣١.
٢ . يتيمة الدهر في محاسن العصر، الثعالبي: ج. ٣، ص. ١٥٥، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت.

ولا يعني ذلك، ترك المجتمع واعتزاله، إذ لا رهبنة في الإسلام، ولا يبدو من كلماته (عليه السلام) أنها تدعو إلى مثل ذلك، بل هي توحي إلى الإنسان بأن يتقي الله في دنياه، ويعمل لدنياه كما لآخرته، ويعيش حياته بكل بساطة وقناعة، في ظل علاقة اجتماعية ورابطة حيوية تنبع من المسؤولية بالتعهدات الاجتماعية والمطالب الحياتية لكافة الناس، هذه المشاركة في الحياة تفرض على الإنسان أن يعيش لغيره كما يعيش لنفسه في مستوى واحد من الحماسة والاهتمام.

ومع هذه الأهمية التي حظي بها كتاب (النهج) فقد امتدت إليه سهام الشك منذ أن صدر عن جامعه وحتى يومنا هذا، اختلفت فيه الآراء، وفي كونه للإمام علي (عليه السلام) أم للشريف الرضي، وما زالت المواقف على حالها ليومنا هذا توجه أصابعها لعبقرية الإمام (عليه السلام) مليئة بالشك والحقد اتجاه فكر الأمام (عليه السلام) وعلمه، وتخطيه حدود الزمان والمكان بحيث أصبح فكراً خصباً للباحثين العالميين الغربيين والشرقيين والمستشرقين، من هنا جاءت عالمية الأمام علي (عليه السلام) لما في تلك الشخصية الفريدة من معاني الصدق والحكمة، فذهب شطر من الكُتاب وفيهم الكاتب المعتزلي عبد الحميد بن أبي الحديد فيلسوف المؤرخين إلى القول بأن المجموع في نهج البلاغة من الدفة إلى الدفة معلوم الثبوت قطعي الصدور من أمير المؤمنين من فمه أو من قلمه.

ونورد من مقاله له في شرحه على نهج البلاغة، ج١٠، ص٥٤٦ بعد إيراده لخطبة ابن أبي الشحناء المشهورة ما نصه: (كثير من أرباب الهوى يقولون أن كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره، وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح ونكبوا بينات الطريق ضلالة وقلة معرفة بأساليب الكلام)[١].

ولذا يمكن القول إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً أو بعضه والأول باطل بالضرورة لأنا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين وقد نقل المحدثون كلهم أوجلهم والمؤرخون كثير منهم وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك؛ والثاني يدل على ما قلناه لأن من قد آنس بالكلام والخطابة وشد طرفاً من علم البيان وصار له ذوق في هذا الباب لابدّ أن يفرق بين الكلام الركيك وبين الفصيح والأفصح وبين الأصيل والمولد. ولو نظرنا لكراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء أو لاثنين منهم فقط فلابدّ أن نفرق بين الكلاميين ونميز بين الطريقتين.

فمثلاً لو تصفحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في القريض؟وخاصة لوعلمنا أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر؟ وكذلك حذفوا من شعر أبي نؤاس شيئاً كثيراً لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه ولا من شعره ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة؟ وإذا تأملنا نهج البلاغة لوجدناه كله ماءاً واحداً وأسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كآخره وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور.

ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك فقد ظهر لنا بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين (عليه السلام). ونعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له به، لأنا متى فتحنا هذا الباب وسلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أبداً وساغ لطاعن أن يطعن ويقول هذا الخبر منحول وهذا الكلام مصنوع.

---

١ . شرح نهج البلاغة –عبد الحميد بن أبي الحديد-ج-١٠ – ص٥٤٦ .

وما أشبه مامني به كتاب النهج بما مني به كتاب الله جل شأنه فقد قال المنكرون للتنزيل أن القرآن من كلام محمد (صلى الله عليه وسلم) وليس من كلام الله وقال المرتابون في النهج أ نه من كلام جامِعَه السيد الشريف وليس من كلام الأمام (عليه السلام)[1].

ولو أنهم أمعنوا النظر جيداً أن لكل من الكلامين طابعه الخاص الذي يمتاز به عن الآخر بصورة واضحة فأين كلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من كلام الله ؟ وأين كلام الشريف الرضي من كلام الأمام علي (عليه السلام) ؟ وكيف أن يشتبه هذا بذاك ؟ وما أشتبه التبر يوماً باللجين) ، وكذلك ما نُقّل أن الخطب والكتب والكلم المرويات في نهج البلاغة حالها كحال الخطب المروية عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) التي بعضها متواتر قطعي الصدور وبعضها غير متواتر فهو ظني السند لا تحكم عليه بالانتحال والافتعال إلا بعد قيام الدليل العلمي على كذبه، كما أننا لا نحكم بصحته جزماً إلا بعد قيام الدليل عليه وعليه فالاعتدال والحق الذي أحق أن يتبع يقضيان علينا بأن نجعل لهذا الكتاب القيمة الدينية ما نجعله غيره من الجوامع الصحاح والكتب الدينية المعتبرة ونعترف بقيمته الأدبية وتفوقها من هذه الجهة على كل كتاب بعد كتاب الله عزّ وجلّ من مزايا خارقة ومواهب لا حصر لها.

وبلغ من اهتمام الناس بكلامه(سلام الله عليه) وشغفهم به أن أطلقوا على بعض خطبه أسماء خاصة للتعريف بها، والتمييز بينها، مثل (التوحيد، والشقشقيه، والهداية،والملاحم،واللؤلؤة، والغراء، والقاصعة، والافتخار،والأشباح، والدرة اليتيمة، والأقاليم،والوسيلة، والطالوتية، والقصبية، والنخيلة، والسلمانية، والناطقة،والدامغة،والفاضحة، والمخزون، والمكاييل، والديباج، والبالغة،والمنبرية، والزهراء، والمونقة وهي الخالية من الألف والعارية عن النقطة)[2].

هذه المعاني الإنسانية الخالدة التي تضمنها نهج الإمام علي (عليه السلام) جعلته موضع اهتمام الباحثين ورجال الفكر في كل عصر وجيل وسوف يبقى كذلك ما دامت العقول تكتشف فهي منطلقات جديدة لبناء هذا الإنسان حتى يعود إلى الصورة التي أراد لها الله أن تكون فكان ابن عباس يقول: (ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كانتفاعي بهذا الكلام)[3].

نهج البلاغة عند الأدباء و المفكرين العرب:

يعتبر كتاب نهج البلاغة من أبرز كتب العلم والمعرفة التي جذبت فكر الكثير من الكتاب والأدباء العرب والأجانب.

الأدباء والمفكرون المسيحيون العرب كانوا السباقون في كتابة وفهم شخصية مولانا أبو الحسن (عليه السلام) العظيمة وإبعادها في سيرته ونهجه وما قدمه للإنسانية جمعاء، ومنهم المفكر والأديب المسيحي الشهير جورج جرداق جرجي زيدان وميخائيل نعيمة وعبد المسيح محفوظ وغيرهم في آثارهم النثرية والشعرية، حيثُ كان أبرزهم:

١- المفكر والأديب المسيحي الشهير جورج جرداق:

هو الكاتب اللبناني المعروف بشخصيته المحبة للخير والحق والتسامح أنحنى أجلالًا وإكبارا لشخصية أمامنا على بن أبي طالب (عليه السلام).

حيثُ تولع كاتبنا منذ الصغر بهذه الشخصية العظيمة حينما أهدى له شقيقه الأكبر كتاب «نهج البلاغة» وحثه على قراءته بكل جدية فهو حب ولع غُرس فيه اتجاه شخصية أمامنا (عليه السلام) .

---

١ . مصادر نهج البلاغة وأسانيده – تأليف السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب –منشورات – مؤسسة الأعلمى للمطبوعات- بيروت – لبنان –ص٨،ص٩ الجزء١ .

٢ . مصادر نهج البلاغة وأسانيده –تأليف السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب – منشورات – مؤسسة الأعلمى للمطبوعات- بيروت – لبنان – ص٤٦،ص٤٧ الجزء١ .

٣ . نهج البلاغة، الرسائل، رقم٢٢، ص١٤٠، ج١٥، من شرح النهج لابن أبي الحديد، ط أبو الفضل.

وأستمر معه هذا الحب منذ دخوله الكلية البطريركية في بيروت حتى تخرجه منها مما حدا به الرجوع إلى قراءة نهج البلاغة من جديد والاعتماد عليه في بحوثه ودراسته حيث كان يدرس الأدب العربي والفلسفة العربية في بعض معاهد بيروت، وقد كان نتاج الإمام علي (عليه السلام) الأدبي والفكري مطلوب في المادتين ـ الأدب العربي و الفلسفة العربية، كبرنامج مقرر ومقدّم هناك. وعلق جرداق على أهمية هذا الكتاب (نهج البلاغة) وموقعيتهُ في الفكر الإنساني واعتبره في القمة وان جميع القيم والمبادئ السامية التي سعى المفكرون وعلماء الاجتماع إلى إدراكها وإشعاع مفهومها لدى الآدميين عبر عشرات القرون يراها كلها في نهج البلاغة.

فقد عمد إلى الارتواء من هذا المنهل العظيم الذي تفيض منه إنسانية الإمام(عليه السلام) بكل عناصرها ودعائمها فهي عطاء وفير من فكر صاف وشعور عميق بمعنى الوجود الحقيقي ومنطلقا لبث الفضيلة بين الناس والدعوة إلى الأيمان والوحدانية.

يمكن الإشارة هنا أن جرداق عمق التقاء القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحية، واستكمالا منه في البحث في أعماق المعارف والخوض في منهجية متعلقة بمبادئه وسيرته والإحاطة بها وبكل أنصاف، واستدراكا لما أهمله المؤلفون بحق هذه الشخصية العظيمة، فقد ألف جرداق عدة مجلدات منها المجلد الأول بعنوان (علي وحقوق الإنسان) اثبت فيه بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة أن الإمام علي (عليه السلام) قد سبق مفكري العالم وأوربا في هذا المجال مجال حقوق الإنسان، والمجلد الثاني بعنوان (بين علي والثورة الفرنسية) أكد فيه سبق الإمام عليه السلام فلاسفة الثورة الفرنسية الكبرى العظام مبينا إن التقاء الإمام (عليه السلام) مع فلاسفة الإنسانيين الكبار في خط ومنهج مقارب بالرغم من سبق الإمام (عليه السلام) لهم مؤكدا على ذلك في مجلده الثالث بعنوان (علي وسقراط) إلى آخر سلسلته المؤلفة من ستة مجلدات وآخرها يحمل عنوان (روائع النهج).

كما ونرى إن استلهام الحقيقة من دوافع الحب والرغبة العميقة التي تأثرت بها نفس هذا المفكر الأديب العربي المسيحي ما هي إلا نزعة مشوقة في التعرف على شخصية الإمام الجليلة وعبقريته النادرة رغم اختلاف العقيدة والثقافة والفكر الذي يحمله إلا إن انجذابه لها تحقق بجزء بسيط في إيصال الفكرة التي كانت لدى الكثير من الناس عن الإمام علي (عليه السلام) انه أشبه بقديس مسيحي مشابها للقول والمنهج الذي سار عليه نبي الله عيسى (عليه السلام)، وهذا ما نجده في التاريخ الأوربي للعصور الوسطى وما كتبوه في الآداب عن الأفكار والمعتقدات في العالم المسيحي أمثال المؤرخ والباحث الفرنسي البارون كاراديفو.

يمكن القول أن الفكر المسيحي هذا هو فكر منفتح و مستنير، وهو بلا ريب فكر قائم على تقبّل الآخر عليه، وهذا ما يجعل المفكّر المسيحي المعاصر أكثر حكمة في التعامل مع تاريخ المنطقة،ونقصد بتأريخ المنطقة الإسلام.فالفكر المسيحي المعاصر في الشرق وخاصة في دولنا العربية والإسلامية فكر ملتزم بالكثير من القضايا الوطنية والقضايا الإنسانية العامة .

إنه فكر يدافع عن الوطن و الأرض والكرامة وعن حرية الهوية وهو بذلك لا يختلف عن الفكر الإسلامي الأصيل إلا في بعض النقاط البسيطة .

وبما أن الفكر المسيحي المعاصر في شرقنا فكر أصيل وملتزم، كان لا بدّ لهذا الفكر الأصيل أن يبحث في أصالة هذه الأمة وفي جذورها وفي صيرورتها التاريخية، وهذا يعني أن يبحث المفكر المسيحي في الرسالة الإسلامية التي لعبت دوراً بارزاً وحاسماً في تاريخ المنطقة بأكملها، وربما أبعد من ذلك بكثير.ولذلك فإن الأدباء والمفكرين المسيحيين في شرقنا العربي عموماً وقفوا موقف الدارس والباحث الحيادي في تحليلهم للكثير من الأحداث المفصلية الهامة في التاريخ ومسيرة الرسالة الإسلامية، وكانوا أقرب للأحكام الموضوعية والمنطقية النابعة من حب البحث عن الحقيقة في تقييمهم لأبرز الشخصيات المسلمة التي لعبت أدواراً حاسمة على مسرح التاريخ الإسلامي المحلي والإنساني العالمي .

٢ـ الأستاذ حسن نائل المر صفي:

أستاذ الفن ومدرس البيان في كلية القرير الكبرى بمصر ولقد أحسن الوصف في مقدمة الشرح لنهج البلاغة بذكر ماهية ومزايا نهج البلاغة قائلاً: (فبهذه الخصال الثلاث – يعني جمال الحضارة الجديدة وجمال البداوة

القديمة وبشاشة القرآن الكريم –امتاز الخلفاء الراشدون ولقد كان المجلي في هذه الحلبة علي (عليه الصلاة والسلام)، وما أحسبنا أن نحتاج في هذا إلى دليل أكثر من نهج البلاغة، ذلك الكتاب الذي أقامه الله حجة واضحة على أن علياً (رضي الله عنه) قد كان أحسن مثال حي لنور القرآن الكريم وحكمته وعلمه وهدايته وإعجازه وفصاحتهً)[1] .

٣- عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين :

يتحدث كتابه (علي وبنوه) - وقد ذكر ما شمخ أمام علي من مصاعب - فيقول:(وجد علي نفسه.. صدق إيمان بالله، ونصحاً للدين، وقياماً بالحق، واستقامة على الطريق المستقيمة، لا ينحرف ولا يميل، ولا يُدهِن في أمر الإسلام في قليل ولا كثير، وإنما يرى الحق فيمضي إليه، لا يلوي على شيء، ولا يحفل بالعاقبة، ولا يعنيه أن يجد في آخر طريقه نجحاً أو إخفاقاً، ولا أن يجد في آخر طريقه حياة أو موتاً، وإنما يعنيه كل العناية أن يجد أثناء طريقه وفي آخرها رضى الله).

ويقول: (له فضائل كثيرة يعرفها له أصحاب النبي على اختلافهم، ويعرفها له خيار المسلمين من التابعين ويؤمن بها أهل السنة، كما يؤمن له بها شيعته)[2].

٤- المفكر الإسلامي الأستاذ عباس محمود العقاد:

يقول تحت عنوان (مفتاح شخصية الإمام علي): (آداب الفروسية هي مفتاح هذه الشخصية النبيلة الذي يفض منها كل مغلق، ويفسر منها كل ما يحتاج إلى تفسير، وقد بلغت به نخوة الفروسية غايتها المثلى، ولا سيما في معاملة الضعفاء من الرجال والنساء،ولقد كان رضاه من الآداب في الحرب والسلم رضى الفروسية العزيزة من جميع آدابها ومأثوراتها ثم يقول: والإمام علي فارس لا يخرجه من الفروسية فقه الدين، بل هو أحرى أن يسلكه فيها، ولا تزال آداب الفروسية بشتى عوارضها هي المفتاح الذي يدار في كل باب من أبواب هذه النفس، فإذا هو منكشف للناظر عما يليه ويتابع قائلاً: وما استطاع أحد قط أن يحصي عليه كلمة خالف فيها الحق الصراح في سلمه وحربه، وبين صحبه أو بين أعدائه، وكان أبداً عند قوله: علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك، وألا يكون في حديثك فضل على علمك، وأن تتقي الله في حديث غيرك .

ثم يقول: إن ثقافة الإمام هي: ثقافة العَلم، المفرد، والقمة العالية بين الجماهير في كل مقام،وإنها هي ثقافة الفارس، المجاهد في سبيل الله،يداول بين القلم والسيف، ويتشابه في الجهاد بأسه وتقواه.. لأنه بالبأس زاهد في الدنيا، مقبل على الله، وبالتقوى زاهد في الدنيا مقبل على الله، فهو فارس يتلاقى في الشجاعة دينه ودنياه وهو عالم يتلاقى في الدين والدنيا بحثه ونجواه .

ثم يقول: كان علي المسلم حق، المسلم في عبادته، وفي علمه، وفي قلبه وعقله، حتى ليصح أن يقال، إنه ُطبعَ على الإسلام وأن الدين الجديد لم يعرف قط أصدق إسلاماً منه، ولا أعمق نفاذاً فيه)[3].

٥- المفكر العربي جبران خليل جبران:

أنه أنبه عباقرة هذا العصر فإنه يرى العظمة متألقة في ثلاثة من البشر يمثلون الكمال الإنساني، هم (نبي الله عيسى عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام،والنبي محمد (صلى الله عليه و آله وسلم)، والأمام علي (عليه السلام).

---

١ . ماهو نهج البلاغة،بقلم سماحة العلامة الكبير السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، مطبوعات مكتبة اعتماد ألكاظمي مطبعة العراق-النجف الأشرف ص٧.

٢ . الدكتور طه حسين، الفتنة الكبرى٢. علي وبنوه: ط/ دار المعارف - مصر.

٣ . عباس محمود العقاد، عبقرية الإمام علي، ص٢٢- ٣١، تحت عنوان (الفصل الثاني والثالث) ط/ دار الهلال – مصر.

يقول في الأمام علي(عليه السلام): في عقيدتي أن ابن أبي طالب كان أول عربي لازم الروح الكلية، وجاورها، وسامرها، وهو أول عربي تناولت شفتاه صدى أغانيها على مسمع قوم لم يسمعوا بها من قبل، فتاهوا بين مناهج بلاغته، وظلمات ماضيهم، فمن أعجب به كان إعجاباً موثوقاً بالفطرة، ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية.

ثم يقول:

مات علي بن أبي طالب شهيد عظمته...

مات والصلاة بين شفتيه...

مات وفي قلبه شوق إلى ربه...

ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره، حتى قام من جيرانهم الفرس أناس يدركون الفارق بين الجوهر والحصى..

مات قبل أن يُبَلِغ العالم رسالته كاملة وافيه، غير أنني أتمثله مبتسماً قبل أن يغمض عينيه عن هذه الأرض .مات شأن جميع الأنبياء الباصرين الذين يأتون إلى بلد ليس ببلدهم، وفي زمن ليس بزمنهم، ولكن لربك شأن في ذلك، وهو أعلم .

لقد رأى المفكر جبران خليل جبران الكمال الإنساني بكل معانيه وأبعاده متجلياً في ثلاث من شخصيات العالم هم: نبي الله عيسى (عليه السلام)، والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والأمام علي (عليه السلام) .

والمفكر جبران يعتقد أن الأمام علي (عليه السلام)هو أول عربي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) عرف الذات الأحدية، ولم يفارقها في حبه، وإخلاصه، وصدق سريرته، وفي خطبه النورُ الساطع الدليل على ذلك، وفي سلوكه الديني، والاجتماعي، والإنساني أيضاً.

والكاتب جبران يعتقد أن الذين أحبوا علياً (عليه السلام) قد لبوا دعوة فطرتهم السليمة التي لم تفسدها السياسة، وشهوات الدنيا الآثمة.

ويرى أيضاً أن الأمام علي(عليه السلام) مات شهيداً؛ شهيد عظمته الإنسانية ورقيه الروحاني وعقيدته الإسلامية الصافية.

وأنه أغمض عينيه الكريمتين عن هذا العالم، وأنوار الصلاة الرحمانية تسطع على شفتيه بهاءً ملكوتياً وأنه ترك هذا العالم قبل أداء رسالته القرآنية بسبب وجوده بين قوم أعشت قلوبهم الأحقاد الجاهلية وشهوة حب التسلط، فلم يقدروه حق قدره، فحاربوه، وحرموا البشرية من تحقيق أمانيه في الحرية والمحبة والإخاء، والمساواة، والعدل الاجتماعي والاقتصادي، تلك الأماني التي كان يريد أن يصبها على الناس أجمعين نعيماً فياضاً بالخير،والمرحمة، والبركات، والعيش البهيج الرغيد.

والأمام علي(عليه السلام) في عقيدة جبران جوهرة بين الحصى، أي أنه تفرد بمعان جعلت منه الإنسان الكامل،وحقاً ما قاله نابغة الشرق جبران، فإن قريشاً أولت علياً حقداً أزرق لأنه قتل أعيان أبطالها في بدر، وأحد، والخندق[1].

٦- الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي:

هو باحث ومفكر إسلامي كان قد ألف كتاباً عن الأمام علي (عليه السلام) أسماه (علي إمام المتقين) وفيه يتحدث المؤلف عن الشهيد الإمام علي بن أبي طالب تحت عنوان (جسد علي النبيل) وفيه يقول: جسد رجل لم تعرف

١ . جورج جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، الجزء الخامس: (علي والقومية العربية) ص١٢٢١و١٢٢٢، تحت عنوان: (المعري وجبران ونعيمه يتحدثون عن الإمام)، ط/ دار الروائع – بيروت .

الإنسانية حاكماً ابتلي بمثل ما ابتلى به من فتن، على الرغم من حرصه على إسعاد الآخرين، وحماية العدل، وإقامة الحق، ودفع الباطل.

ثم يقول: قبض الشهيد، واستقر في وعي الزمن، أنه كلما قيلت كلمة الإمام، فهو الإمام علي، على كثرة الأئمة في الإسلام، وذلك، لأن ما أمتلكه من علم وفقه في الدين، وما أوتي من الحكمة، لم يتوفر قط لفقيه أو عالم، قبض الشهيد الرائع البطولة، الأسطوري، المثالي، واستقر في ضمير الزمن،أنه كلما نطق أحد باسم أمير المؤمنين فحسب، فهو الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، على الرغم من كثرة الخلفاء في كل عصور الإسلام، ذلك أن علياً اجتمع له من عناصر القدرة وشرفها، واجتمع فيه من مقومات القيادة، ونبالتها، وشرفها، ما لم يجتمع قط لحاكم.

وهكذا كان، فريداً حقاً، عالماً، وحاكماً فسلام عليه إذ توارى جسده في التراب، وبقيت كلماته منارات إشعاع ومنابع حكمة ومثار عزائم وعدّة للمتقين والمساكين بعد كتاب الله، والأحاديث النبوية الشريفة، وسيظل القلب ينبض بما قال وتشرق به النفس ويزهو به العقل وكم من الكلمات المشرقة والمواقف المضيئة خلّفها الإمام ميراثاً للإنسانية كلها ودليلاً، ونبراساً ويستمر قائلاً:

عاش يناضل دفاعاً عن الشريعة والعدل والحق والمودة والإخاء والمساواة بين الناس، سلام عليه يوم قال فيه رسول الله (عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم: حيث قال (رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار .

ودار الحق معه حيث دار، وما عاداه في حياته وبعد موته إلا البغاة، وفرسان الضلال، وعبيد الشهوات، وأهل البدع والأهواء[1] .

٧- الأديب العربي الكبير (توفيق الحكيم):

و تمام المفأجاة هو أن الأديب العربي الكبير توفيق الحكيم قد أشار إلى علم الأمام وإلى سمو مكانته في الإسلام وأحقيته بالخلافة بعد رسول الله(صلى الله علبه وآله) ويشير إلى هذه الحقيقة التاريخية في مسرحيته الشهيرة (محمد رسول البشر) والتي طبعت أول مرة عام (١٩٣٦) في القاهرة، وقد ذكر فيها على لسان الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نزول آية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) أن(محمداً صلى الله عليه وآله و سلم) عرض رسالته السماوية الجديدة على جمع من الناس قائلاً لهم:

- ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم بخير الدنيا و الآخرة .

- وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟

وبعد أن يصور الأديب (الحكيم) إحجام الحضور جميعاً عن مؤازرته ومناصرته على ذلك الأمرالعظيم، يتقدم على (عليه السلام) ليقول للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بصوت عربي مبين:

«أنا يا رسول الله عونك، أنا حرب على من حاربت»، ولا داعي للتعليق على نتيجة إجابة علي (عليه السلام) لدعوة الرسول المصطفى (صلى الله عليه و آله وسلم) وكيف أن علياً (عليه السلام)قد بات فعلاً هو الأخ و الخليفة والوصي من بعده .

ولم يكن أثر المفاجأة الجديدة بأقل من أثر مفاجأة الأديب (توفيق الحكيم)[2] .

تأثر الفكر الأوربي بنهج الأمام علي (عليه السلام) وفكرهٌ السامي:

---

١ . عبد الرحمن الشرقاوي، علي إمام المتقين، الجزء الثاني، ص٣٩٤-٣٩٨ الناشر مكتبة غريب مصر.
٢ . الأمام علي (عليه السلام) في الفكر المسيحي المعاصر – راجي نور هيفا – دار العلوم - لبنان – ٢٠٠٥ م-الفصل السادس عشر – ص٤٦٧.

كان لفكر الأمام علي (عليه السلام) أثره الكبير على تيارات الفكر الأوروبي، وكذلك الحال بالنسبة للتيارات الفكرية الإنسانية في أوربا و أمريكا .

وعندما نقول ذلك، فنحن لا نمنن الأوروبيين و لا الأمريكيين بذلك،لأن الإمام علياً عليه السلام في نهاية المطاف – كما قلنا سابقاً – إمام كوني وليس إماماً مُقتصراً في إمامته على المسلمين فحسب .

فمن الدروس التي أستوعبها الفكر الأروبي والأمريكي عن الإمام علي (عليه السلام) على سبيل المثال، شيئاً يسيراً يتعلق بالأديب والمفكر والفيلسوف الأمريكي (إمرسون) الذي كان بمثابة الأب الروحي لعملية استقلال أمريكا عن بريطانيا العظمى، فقد كان هذا الفيلسوف الأمريكي (١٨٨٣-١٨٨٢) شديد التأثر بمبادئ الإمام علي (عليه السلام) الإنسانية و بمنظومته الفكرية الشاملة، وقد حاول أن ينقل شيئاً من أفكار ومبادئ الإمام علي (عليه السلام) إلى عقول و قلوب الشعب الأمريكي من خلال مقالاته وقصائده و مؤلفاته الفكرية الأخرى .

إن هذا الفيلسوف الأمريكي (إمرسون) الذي كان يؤمن أن كل إنسان هو باب ومدخل إلى العقل الكوني، كان على صلة وثيقة بالإمام الكوني وبكل كلمة من كلماته الخالدة، وقد صرح بذلك في مقالة له بعنوان (الذات الحق).

وعندما اطلع ذلك الفيلسوف الأمريكي على كلمات حكيم الإسلام علي (عليه السلام) تغير فكره وكيانه، و كانت الومضة المضيئة لحياة هذا الرجل ومن الجدير بالذكر أن إمرسون هذا كان بالإضافة إلى كونه فيلسوفاً وشاعراً وأديباً، كان أيضاً رجل دين عالي المقام في (كنيسة بوسطن الموحدة) .

وبالرغم من احترامه وتقديره لديانته وعقيدته المسيحية وللسيد المسيح (عليه السلام)، إلا إنه لم يقبل أن يفرض على عقله أي حصار أو حجرٍ فكري بحيث يمنعه من تقبل أي فكر نيّر يمكن أن يأتيه من الخارج . وعن هذه النقطة بالتحديد يشير الباحث الأمريكي(يان ريشار) إلى حقيقة إن المسلمين الحق، سليمي النية، يتخذون من علي(عليه السلام) نموذجاً، كما لو أنه، حتى في القرن العشرين، لا يزال أمثل صورة للنظام الإسلامي السياسي .

ويؤكد الباحث (ريشار) على أن نهج الإمام علي(عليه السلام) ورسالته الأخلاقية النبيلة قد استمر بعدهُ من خلال ابنه الإمام الحسين (عليه السلام)، ولذلك، فإن (ريشار)يرى أن الإمام علي (عليه السلام)، والإمام الحسين (عليه السلام)، حاربا الظلم و العنف لدى الأمويين، الذين كانوا ينسون الفضائل الاجتماعية و الأخلاقية للرسالة الإسلامية، ويمارسون التحيُّز والمحاباة للأقرباء والأنصار، ممارسة شاملة .

ويشيرون أيضا إلى إنسانية التفكير وخيرية العمل وديمقراطية الحكم وإباحة الأرزاق للشعب وحده دون الوجهاء والزعماء والمستنفذين والمترهلين، في حين كان الأمويون من أبرز من يمثلون الملوك في التاريخ و ميلهم إلى الحكم الفردي الاستبدادي وخصائصهم في الاستئثار والاحتكار وجعل الأرض والناس منهبة لهم و عبيداً .

أما الفيلسوف الإنكليزي (كارليل) فقد كان متأثر بشكل كبير بفكر ونهج أمامنا علي (عليه السلام) حيث يُشير في كتابه (محمد المثل الأعلى) (ص٣٤) والذي قام بتعريبه الدكتور محمد السباعي بقوله (أما علي فلا يسعنا إلا أن نحبه ونعشقه، فإنه فتى شريف القدر، عالي النفس، يفيض وجدانه رحمة وبراً، ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة، وكان أشجع من ليث، ولكنها شجاعة ممزوجة برقة، ولطف، ورأفة، وحنان)[١].

هذه عقيدة الفيلسوف الإنكليزي المسيحي في الإمام علي(عليه السلام) إنه يؤكد أن حب علي (عليه السلام)، أخذ من قلبه كل مأخذ ولكن، لماذا؟ لقد أكبره وأحبه لأنه وجد فيه الصفات الرفيعة المتألقة بأقداس الإنسانية، فعلي(عليه السلام) قد استوى على قمة العظمة البشرية عِلماً ومكارماً وأخلاقاً وفضائلاً وعلي يحتل الدرجات العُلى حَسَباً ونَسَباً وشَرفاً، فهو هاشمي أباً وأماً، والهاشميون ذؤابة المحامد في قريش خاصة والعرب عامة .

ومن المفكرين الأجانب الذين أحبوا بشكل كبير شخصية أمامنا (عليه السلام)هو المفكر والفيلسوف الألماني المسلم (غوته) فإن النمط الفكري (لغوته) والآثار الفكرية الهائلة التي خلفها وراءه قد فتحت أبواب الثقافة على

---

١ . مجلة النبأ- العدد ٢- رجب ١٤٢٢ه- تشرين الأول – ٢٠٠١ م.

مصراعيها أمام أدباء و مفكري أوروبا المسيحية كي يعيدوا حساباتهم عن الإسلام وعن رسالة نبينا (محمد صلى الله عليه و آله و سلم)، ومن ثم أن يحسنوا ظنهم بالرسول الكريم(صلى الله عليه و آله و سلم) الذي جاء ليخرج الناس جميعاً من كهوف الظلام إلى مرابع النور والضياء .

حيث نرى أن غوته يصف الإمام علياً (عليه السلام) في كتابه (الشعر والحقيقة) بالمؤمن الأول بالرسالة السماوية إلى جانب السيدة خديجة(عليها السلام) زوجة الرسول(محمد صلى الله عليه وآله و سلم)، ويصف غوته ذلك الإيمان المبدئي من الإمام علي (عليه السلام) بأنه الانحياز الكلي والمطلق إلى رسالة الرسول (محمد صلى الله عليه وآله وسلم)[1] .

ومن الجدير بالذكر الإشارة بكل فخر واعتزاز أن الكاتب الألماني غوته قد ألف مسرحيةً قصيرة تفيض رقة وعذوبة، وتتناول تلك المسرحية دور الإمام علي (عليه السلام) الإيماني إلى جانب زوجته الزهراء فاطمة (عليها السلام) بنت محمد (صلى لله عليه وآله) في محاولتهما الصادقة و الدؤوبة لجعل الدين الجديد ينتشر خارج حدود القبيلة والعشيرة .

ولا بأس هنا في أن نذكر شيئاً منها، كما ذكرتها الأستاذة (كاترينا مومزن) أستاذه الأدب الألماني في جامعة ستانفورد الأمريكية في كتابها القيم (غوته والعالم العربي) .

وقبل أن تذكر الأستاذة (مومزن) تلك المسرحية الموضوعة على لسان الإمام على (عليه السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) هذين المؤمنين والمبشرين بقوة الرسالة الإسلامية القادمة بعزم وإصرار، فقد علقت على تلك المسرحية القصيرة بقولها إن تلك المسرحية (تصور النبي بوصفه هادياً للبشر في صورة نهر يبدأ بالتدفق رقيقاً هادئاً، ثم لا يلبث أن يجيش بشكل مطرد ويتحول في عنفوانه إلى سيل عارم، وهي تصور اتساع هذا النهر وتعاظم قوته الروحية في زحفه الظافر الرائع ليصب أخيراً في البحر المحيط، رمز الإلوهية، وجاءت (هذه المسرحية) على شكل حوار يدور بين السيدة فاطمة (عليها السلام) ابنة النبي (صلى الله عليه وآله)، الحبيبة وزوجها علي(عليه السلام) الصحابي الشجاع[2].

ومن المهم ذكره مااشار إليه السكرتير العام لكتلة نُوّاب الوسط في مجلس الشيوخ الفرنسي ومدرّس مادة (الإستراتيجيا) في جامعة السور بون الأستاذ (فرانسوا توال)،من أنّ الإسلام بمفاهيمه الرّوحية والعقائدية، بما في ذلك التوصيات العلمية التي يدعو إليها، لن يُفهم على حقيقته من قبل الغرب ما لم يَقرأ الغربُ الإسلام الحقيقي وينهل من نبعه الأساسي المتمثل بفكر أهل بيت النبوّة، ذلك الفكر المعروف في الغرب باسم الفكر الشيعي أو المذهب الشيعي، ويشير إلى أن العالم الإسلامي سيبقى غير مفهوم للغرب بشكله السياسي أو بشكله االأجتماعي الصحيح أو بشكل حوار الأديان إذا كان الغرب لا يعرف التشيُّع. فالتشيُّع هو البوّابة الرحبة للحوار السلمي بين الأديان والحضارات .

وما أشار إليه البطريرك (إلياس الرابع)، البطريرك الأسبق للروم الأرثوذكس في إنطاكية وسائر المشرق . ومن المعروف عن البطريرك المذكور عمق ثقافته وموسوعيتها، هذا بالإضافة إلى اهتمامه الكبير والمتميز باللغة وبالأدب العربي تحديداً، حيث أشار على إن كل مثقف عربي، وكل كاتب عربي، وكل شاعر عربي، وكل خطيب عربي مدين للإمام علي (عليه السلام) ولايمكن أن يكون الكاتب عربياً أصيلاً إن لم يقرأ القرآن ونهج البلاغة قراءات عميقة متواصلة.

والجدير بالذكر موقف المستشرق الفرنسي (هنري كوربان)، عندما أشار إلى أهمية كتاب (نهج البلاغة) وأنه يأتي في الأهمية بعد القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ليس على المستوى الإسلامي الشيعي فحسب، بل على المستويين الإسلامي والعربي عموماً.

---

١ . الأمام علي (عليه السلام) في الفكر المسيحي المعاصر – راجي نور هيفا – دار العلوم لبنان – ٢٠٠٥ م- ص١٠٤ ص١٠٣ .
٢ . الأمام علي (عليه السلام) في الفكر المسيحي المعاصر – راجي نور هيفا – دار العلوم -لبنان – ٢٠٠٥م ص١٠٥ .

ولذلك ممكن القول إن الكثير من المفكرين والأدباء والباحثين يعتقدون اليوم أن كتاب(النهج البلاغة) من الآثار اللغوية والبلاغية العظيمة للإمام علي (عليه السلام) الذي أعطى اللغة العربية صيغتها النهائية وألبسها ثوب البلاغة البديع .

ولقد كان هناك عدد من المستشرقين أو الأدباء الغربيين الذين هاجموا الإسلام ورسالته، وركزوا هجومهم على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى خليفة الشرعي علي (عليه السلام)، كما هو الحال عند الشاعر الإيطالي (دانتي) الذي ذكرناه في بداية هذا الفصل كمثال ونموذج لأولئك المتحاملين على الإسلام وعلى رموزه الحقيقة، فإن هناك العديد من المفكرين والأدباء والباحثين لمسيحيين الذي دافعواعن الإسلام و عند رسالته الإنسانية التي حرص محمد صلى الله وعليه وآله و سلم وأهل بيته عليه السلام على تبليغها بصدقٍ وأمانةٍ على أكمل وجه[1].

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف أنبياء الله محمد وعلى آله الأبرار المنتجبين الأخيار واللعنة الدائمة على أعدائهم الى يوم الدين .

الحمد لله الذي مكنني من أتمام هذا العمل المتواضع الذي تناولتُ بالبحث فيه أثر(نهج البلاغة) في الدراسات العربية والعالمية (كتاب نهج البلاغة) رائعة مولانا علي أبن أبي طالب(عليه السلام) لؤلؤة الأدب العا لمي، وتوصلتُ بأيمانٍ منقطع النظير الى مايلي:

١- لقد قدم السيد الشريف الرضي (رحمه الله) بعمله هذا خدمة كبيرة على مرّ العصور للأدب واللغة والأخلاق، وللإنسانية عموماً، من خلال جمعه للكثير من خطب وأقوال وأحاديث مولانا (عليه السلام) في (كتاب نهج البلاغة) وسوف يوفّى أجر المصلحين والمحسنين . فالنهج نسخة فريدة بين آثار بني الإنسان تشتمل على معارف إلهية عالية، ومنهاج للأخلاق، وقوانين في الاجتماع، والسياسة، والحرب، والاقتصاد ودروس في الحكمة، والأدب، والعرفان الخ.

٢- أن كتاب نهج البلاغة قد استودع من خطب الإمام علي بن أبي طالب(سلام الله عليه) ما هو قبس من نور الكلام الإلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي، وليس في أهل هذه اللغة إلاّ قائل بأنّ كلام الإمام عليّ بن أبي طالب(سلام الله عليه) هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيّه، وأغزره مادّة، وأرفعه أسلوباً، وأجمعه لجلائل المعاني .

٣- بما أن الفكر المسيحي المعا صر في شرقنا فكر أصيل وملتزم، كان لا بدّ لهذا الفكر الأصيل أن يبحث في أصالة هذه الأمة وفي جذورها وفي صيرورتها التاريخية، وهذا يعني أن يبحث المفكر المسيحي في الرسالة الإسلامية التي لعبت دوراً بارزاً و حاسماً في تاريخ المنطقة بأكملها، وربما أبعد من ذلك بكثير.ولذلك فإن الأدباء والمفكرين المسيحيين في شرقنا العربي عموماً وقفوا موقف الدارس والباحث الحيادي في تحليلهم للكثير من الأحداث المفصلية الهامة في التاريخ ومسيرة الرسالة الإسلامية، وكانوا أقرب للأحكام الموضوعية والمنطقية النابعة من حب البحث عن الحقيقة في تقييمهم لأبرز الشخصيات المسلمة التي لعبت أدواراً حاسمة على مسرح التاريخ الإسلامي المحلي والإنساني العالمي .

قائمة المصادر والمراجع

١- الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن العصر، ج٣، ص١٥٥، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت.

٢- الحسيني الخطيب، السيد عبد الزهراء، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ص٨،ص٩ الجزء١ منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات،بيروت، لبنان .

١ . الأمام علي (عليه السلام) في الفكر المسيحي المعاصر – راجي نور هيفا – دار العلوم -لبنان – ٢٠٠٥م ص٦٨١ .

٣- الحسيني الخطيب،السيد عبد الزهراء، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ص٤٦،ص٤٧ الجزء١ منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت،لبنان .

٤- الحسيني الشهرستاني، سماحة العلامة الكبير السيد هبة الدين، ماهو نهج البلاغة، ص٧، مطبوعات مكتبة اعتماد ألكاظمي مطبعة العراق،النجف الأشرف .

٥- الشرقاوي،عبد الرحمن، علي إمام المتقين، ج٢، ص٣٩٤-٣٩٨ الناشر مكتبة غريب مصر. ٦- العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام علي، ص٢٢- ٣١، تحت عنوان (الفصل الثاني والثالث)،دار الهلال، مصر.

٧- المسعودي، ابوالحسن على، مروج الذهب، ج٢، ص .٤٣١

٨- بن أبي الحديد،عبد الحميد، شرح نهج البلاغة،ج ١٠،ص٥٤٦ .

٩- بن أبي الحديد، عبد الحميد،شرح نهج البلاغة، الرسائل، رقم٢٢، ص١٤٠، ج١٥، ط أبو الفضل.

١٠- حسين، الدكتور طه، الفتنة الكبرى٢. علي وبنوه، ط دار المعارف، مصر.

١١- جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج٥ (علي والقومية العربية) ص١٢٢٢،١٢٢١، تحت عنوان: (المعري وجبران ونعيمه يتحدثون عن الإمام)، ط- دار الروائع،بيروت .

١٢- هيفا، راجي نور، الأمام علي (عليه السلام) في الفكر المسيحي المعاصر، ص١٠٣، ص١٠٤، دار العلوم لبنان، ٢٠٠٥ م.

١٣- هيفا، راجي نور، الأمام علي (عليه السلام) في الفكر المسيحي المعاصر، ص١٠٥، دار العلوم، لبنان، ٢٠٠٥ م .

١٤- هيفا، راجي نور،الأمام علي (عليه السلام) في الفكر المسيحي المعاصر، ص٦٨١، دار العلوم،لبنان ٢٠٠٥م .

١٥- هيفا، راجي نور، الأمام علي (عليه السلام) في الفكر المسيحي المعاصر، الفصل السادس عشر،ص٤٦٧دار العلوم - لبنان، ٢٠٠٥ م .

١٦- مجلة النبأ، العدد ٢،رجب ١٤٢٢ه- تشرين الأول – ٢٠٠١ م.

مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه

لاية الله العظمى الشيخ هادي كاشف الغطاء

الباحث:مصطفى ناجح الصرّاف-عقيـل حميـد الفتـلاوي (مؤسسة كاشف الغطاء – النجف الاشرف)

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

وبعد:

لا يخفى على كل من أمعن النظر في كتاب (نهج البلاغة) أن يحكم ومن دون أدنى شكٍ بأنه أعظم كتاب بعد القرآن الكريم، وحسبنا ما قالوا فيه: أن لا يوجد إسماً أليق بالدلالة على معناه منه.

لذلك ولغيره من الأسباب وجّه إليه المغرضون جملة من الشبهات قد انبرى لها مؤلفنا الهادي (رحمة الله) وردّ كيدهم بتأليفه لـ(مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه)، والذي نأمل من الله عز وجل أن يوفقنا لإظهاره بالشكل الذي يحقق غرض المؤلِف منه، فضلاً عن نيله جائزة القبول عند صهر الرسول (عليه السلام)، والله الموفق إلى سواء السبيل.

النسخة المحققة:

لقد سعينا جاهدين من خلال البحث في خزائن أسرة آل كاشف الغطاء التي تضم تراثهم، فلم نوفق للوصول إلى نسخة خطية تعيننا في عملنا في التحقيق، إلا ما وجدناه من نسخة عُنيت بطباعتها منشورات مكتبة الأندلس في لبنان، وهي طباعة قديمة لم تجر عليها أصول الطباعة العصرية، وحاولنا الاتصال بنفس هذه الدار للوقوف على النسخة التي اعتُمِدَت في الطباعة فلم نحظ بذلك أيضاً.

وبما أن الميسور لا يسقط بالمعسور، وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما لا يدرك كله لا يترك كله)، لذلك عكفنا على العمل على ما تيسر لنا الحصول عليه من هذه الطبعة.

منهجية التحقيق:

اتبعنا في خطوات التحقيق الأمور التالية:

تصحيح بعض الكلمات التي وردت في المخطوطة محرّفة أو مصحّفة، كما قمنا بمطابقة رسم بعض الحروف لما هو مشهور من كتابتها في اللغة العربية، كالتفريق بين الهاء والتاء في آخر الكلمات، وكذلك بين الياء والألف المقصورة.

الرجوع إلى الكتب المختصة في تفسير المفردات الغريبة، وتوثيق الحوادث التاريخية، وترجمة الأعلام والمدن والمصنفات الوارد ذكرها في المخطوطة.

تخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المذكورة في النسخة الخطية.

كتابة سيرة موجزة عن حياة آية الله الشيخ هادي كاشف الغطاء

ـ مؤلف الكتاب.

سرد المصادر والمراجع التي اعتُمِدت في التحقيق، وترتيبها هجائياً، وذكرها بشكل مفصّل.

عمل فهرس عام للكتاب وموضوعاته.

فضلاً عن ضبط النص وإجراء أدوات التنقيط عليه والأقواس وغيرها، كل في مورده.

ولابد من الإشارة إلى أن المؤلِف (رحمة الله) قد استخدم مصادراً وأشار إلى أجزائها وصفحاتها المعنية، وهي غير التي رجعنا إليها في عملنا الذي يحتم علينا الرجوع إلى آخر الطبعات المنقحة التي لا يُحتمل فيها التحريف والاختلاف، فأبقينا على الأرقام المذكورة من قبل المؤلف، مراعاة للأمانة العلمية في نقل النسخة كما هي.

ذلك، وإن هذا العمل لم ينته بعد، إلا أننا محكومون بموعد اضطررنا لأجله تسليم الكتاب بصيغته الحالية، على أمل مراجعته مراراً للوقوف على زلاتنا قدر الإمكان، فالمرء عرضة للعثرات، والمعصوم من عصمه الله، والحمد لله رب العالمين.

لجنة التحقيق - في مؤسسة كاشف الغطاء العامة

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي عصم أولياءه من ريب الشكوك والشبهات، ونوّر قلوبهم بالهدى فآمنوا بالآيات والمعجزات، والصلاة والسلام على أشرف الكائنات وأفضل الموجودات، وآله الأئمة البررة الهداة معادن الحكم والآداب، وينابيع الحكمة والصواب، ونسأله العصمة عن الزيغ في الطريقة، والبراءة ممّن يريدون إطفاء نور الحق والحقيقة، إنّه مفيض النعمة وولي العصمة.

أما بعد:

فإن كتاب (نهج البلاغة) من أجَلّ الكتب الإسلامية قدراً، وأكبرها شأناً، وأنصعها برهاناً، وأبلغها بياناً، وأفصحها عبارة، وأجمعها حكماً ومواعظ ووصايا ونصائح وأوامر وزواجر وخطباً ورسائل، وإن العلوم الإلهية والمباحث الكلامية والمعارف الحكمية[1] لم تغترف إلا من بحره، ولم تقتطف إلا من زهره، ولم تعرف من كلام غيره[2] وقد وقد احتذى أمثلته ونسج على منواله كل خطيب ماهر، وبليغ واعظ، ولكنه سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا، فكم فيه من شرائف حكم، ونفائس كلم، وعجائب فصاحة وبلاغة، لا تزاحمه عليها المناكب[3]، ولا يلحقه فيها الكادح والجاهد.

ألا وإنّ هذا الكتاب لممّا تبتهج به الشريعة المحمديّة، وتفتخر به الأمّة الإسلاميّة، وتتمجّد به الشعوب العربيّة، ولو قلت: إنّه أكبر الآيات على الدين الإسلامي لما قُلت شططاً، ولا نطقت غلطاً؛ وكيف لا؟! ومصدر هذه الحكم البوالغ والكلم النوابغ، العلوم العقليّة، والمباحث الكلاميّة، والآداب الحقيقيّة، لم يدخل مكتباً ولا مدرسة، ولم يتخرّج من كلّية ولا جامعة، نشأ في عصر[4] همجيّة وتوحش، ودور غباوة[5] وجهل، فكيف ارتقى هذا المرتقى، المرتقى، وتسنّم هذه الذُرة[6]، وبلغ هذا المبلغ من العلم الذي تتقاعس عنه فلاسفة الإسلام، وتتقاصرُ دونه جهابذةُ العلماء، فإذا فحص البصير وجاس خلال الديار[7] وجدَهُ لم يدرُس إلاّ في مدرسة النبوّة، ولم يتخرّج إلاّ من معهد الرسالة، ولم يتربَّ في غير حجرها، ولم يرتضع إلاّ من صفو درّها، فهو يَرِدُ ذلك البحر المُستمدّ من العلوم

---

١. وهي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. المعجم الوسيط: ج١، ص١٩٠.

٢. قال ابن أبي الحديد ص١٢٠ ج٢: إن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية ما عرفت إلا من كلام هذا الرجل (يعني أمير المؤمنين (ع))، وإن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً، ولا كانوا يتصورونه، ولو تصوروه لذكروه، وهذه الفضيلة عندي من أعظم فضائله (ع).

٣. المنكب: مجمع رأس الكتف، فيقال: رجل شديد المناكب، ومنكب القوم: رئيس العرفاء ونقيبهم. الصحاح: ج١، ص٢٢٨.

٤. ولد أمير المؤمنين (ع) بمكة في البيت الحرام يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وقبض (ع) قتيلاً بالكوفة ليلة الجمعة لتسع ليال بقين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، وله يومئذ ثلاث وستون سنة. المقنعة: ٤٢١.

٥. أغبى غباوة: إذا لم تفطن له، وغبي على الشيء كذلك إذا لم تعرفه. الصحاح: ج٦، ص٢٤٤٣.

٦. الصواب: تسنم هذه الذروة؛ لأن ذرى الشيء أعاليه، والواحدة (ذروة) و(ذُروة) بالضم. الصحاح: ج٦، ص٢٣٤٥.

٧. جاسوا خلال الديار، أي تخللوها فطلبوا ما فيها، والجوس: طلب الشيء بالاستقصاء. الصحاح: ج٣، ص٩١٥؛ تاج العروس: ج٨، ص٢٣٣.

الإلهيّة والمعارف الربّانيّة، ويمتح[1] من ذلك اليمّ الزاخر بالحكم والآداب الحقيقيّة، وإنّهُ (صلى الله عليه و آله وسلم) أستاذه الفرد، ومدرّسهُ الوحيد، وهو مربّيه ومؤدّبه ومثقّفه ومهذبه.

فهذا السنا الوضّاح من ذلك السنا وهذا الشذى الفيّاح من ذلك الوادي[2]

فلا غروً إن كان مظهراً للعجائب، ومنبعاً للفضائل والمعارف، وقطباً للعبادة والزهادة، وهو مع تلك العبادة وذلك الزهد والورَع ودماثة[3] الخلق ولين الجانب تراه في ميدان الكفاح وساحة النزال ذلك الفارس الضرغام الذي لا يرهبه العديد، ولا يزعجه الوئيد[4]، يخوض غمرات[5] الحروب، وينغمس فيها، ثم يعود وحسامهُ يقطر مهجاً[6]، وصارمه ينطف دماً.

كـأنّ لعزرائيـل قـد قـال سيفه لـك السلم مـوفوراً ويـوم الكفاح[7] لي[8]

ألا وإنّ من أنكرَ نسبة هذا الكتاب إليه حسداً وعناداً فهو كمن أنكرَ أكبر معجزة لهذا الدين، وجحدَ أعظم آية من آيات ربّ العالمين، فما ذاكَ إلاّ لعمى في قلبه، وسوء في رأيه، وقلّة معرفـــة بشأن الإمام، وعدم إحاطة بذاته القدسيّة

هــامـوا هيــامي فيه لــو أنّهمُ قـد عـرفـوا معنـــاهُ عــرفانـــي

وقد تمسّك أولئك المُنكرون لهذا الرأي الواهي، والزعم الكاسد[9]، بأمور ستُتلى عليك، وتَـعرف مـــا فيها من الخلل والزلل إن شـاءَ الله تعالى.

الشيعة ومعتقدهم في نهج البلاغة ومؤلفه:

إن الشيعة على كثرة فرقهم واختلاف طرقهم، متفقون متسالمون على إن ما في نهج البلاغة هو من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) اعتماداً على رواية الشريف[10] ودرايته ووثاقته، والجميع على اختلاف العصور وتعدد القرون لم يختلجهم في أمره ريب، ولا اعتراهم في شأنه شك، ولم يخامرهم[11] ظن أو وهم في أن فيه وضعاً أو به

---

١. الماتح: المستقي، ومتح الدلو يمتحها متحاً إذا جذبها مستقياً بها. لسان العرب: ج٤، ص٣٦٥١؛ الصحاح: ج١، ص٤٠٣.

٢. من قصيدة للسيد محمد سعيد الحبوبي النجفي (١٨٥٠-١٩١٦م)، عنوانها (لفقد الهدى)، مطلعها:

وحلت عن الأنضاء أرحلها الشيء تشد لعلم أو لنيل وإرفاد

٣. الدمث: المكان اللين ذو رمل، والدماثة: سهولة الخلق، فيقال: ما كان أدمث فلاناً وألينه. الصحاح: ج١، ص٢٨٢.

٤. الوئيد: الصوت الشديد. الصحاح: ج٢، ص٥٤٦.

٥. الغمر: الماء الكثير، وغمرات الموت: شدائده، ورجل مغامر: إذا كان يقتحم الهلكات. الصحاح: ٢، ص٧٧٢-٧٧٣.

٦. المهجة: الدم، ويقال المهجة: دم القلب خاصة، وقيل المهجة: خالص النفس. لسان العرب: ج٤، ص٣٧٩٢؛ الصحاح: ج١، ص٣٤٢.

٧. في الأصل (الكفالي)، والتصحيح من المصدر.

٨. قصيدة للشاعر العراقي جعفر بن محمد بن محمد حسن الحلي (١٨٦٠-١٨٩٧م)، والقصيدة في رثاء سيد الشهداء الإمام الحسين الحسين _ مطلعها:

ألا لا سقت كفي عطاش العواسل إذا أنا لم أنهض بثأر الأوائل

ديوان شعره المسمى (سحر بابل وسجع البلابل): ٣٨٦.

٩. أصل معنى الكساد هو الفساد، فالمراد بالزعم الكاسد: هو الكذب الفاسد. تاج العروس: ج٥، ص٢٢٤.

١٠. الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، أبو الحسن الرضي، نقيب العلويين ببغداد، أخو المرتضى، كان شاعراً مبرزاً، له كتب منها: (مجاز القرآن)، (نهج البلاغة)، توفي (رحمة الله) سنة (٤٠٣هـ). رجال النجاشي: ٣٩٨.

١١. المخامرة: المخالطة. الصحاح: ج٢، ص٦٤٩-٦٥٠.

تدليساً، حتى كاد أن يكون إنكار نسبته إليه (عليه السلام)عندهم من إنكار الضروريات، وجحد البديهيات، أللهمّ إلاّ شاذّ منهم لا يعرف ما خالف في نسبة بعضه إليه (عليه السلام)، ولعلّ جماعة من أكابر علماء أهل السنّة والجماعة ومؤرّخيهم[1] – إن لم يكن أكثرهم – يوافقون على صحّة تلك النسبة، ولا يُبدون أدنى خلاف في ذلك، والمخالف من متقدّميهم في نسبة بعضه إليه قليلٌ نادر، وإنّما نشأ التشكيك والخلاف من ناشئة جديدة تسعى لنقض الحقائق الراهنة تحت ستار طلبها، فأخذوا يتشبّثون لنفي ذلك بكل وسيلة، ويتوصّلون إليه بكلّ ذريعة.

والخلاصة: أنّ اعتقادنا في كتاب نهج البلاغة أنّ جميع ما فيه من الخطب والكتب والوصايا والحكم والآداب حاله كحال ما يُروى عن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) وعن أهل بيته في جوامع الأخبار الصحيحة، وفي الكتب الدينيّة المعتبرة، وإنّ منه ما هو قطعي الصدور ومنه ما يدخله أقسام الحديث المعروفة[2]، وأمّا مؤلّفه الشريف فاعتقادنا فيه أنّهُ مُنزّه عن كُل ما يشين الرواة، ويقدح في عدالتهم، وأنّه لم يُنشيء شيئاً من نفسه وأدخله في النهج، كما أنّه لم يدخل فيه شيئاً يعلم أنّه لغير أمير المؤمنين، بل لم يكن كحاطب ليل[3]، فهو لا يروي شيئاً إلاّ بعد التثبّت، التثبّت، ولا ينقُله إلاّ عَمّن يعتمد عليه من الرواة وأهل السير والتاريخ، فجميع ما في النهج هو من كلام مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) على رواية الثقة العدل، ولا دخيل فيه، ولا وضع.

مؤلف النهج ووثاقته:

أنا لا أريد أن أكتب سيرة المؤلف الشريف، ولا ترجمة حياته، وإنما الذي يهمني أن أذكر ما له من الورع والعلم والتقى والوثاقة وجلالة القدر وعلو المنزلة وطول الباع في المعارف، وسعة الإطلاع والإحاطة بمؤلفات شتى في التاريخ والسير وغيرها، ذهب جلها، ولم يبقَ منها إلى عصرنا إلاّ شيء يسير.

كان (عليه السلام) كما قال الخطيب البغدادي[4]: (من أهل الفضل والعلم والأدب)[5]. وقال غيره[6]: (كان المؤلف فاضلاً عالماً ورعاً، عظيم الشأن، رفيع المنزلة)[7]، (عالي الهمّة، مستلزماً بالدين وقوانينه، لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة)[8]، وقد عرف من الفقه والفرائض طرفاً قوياً، وله مصنفات عديدة، وقفنا منها على (المجازات النبوية)[9]، وكتاب (الخصائص)[10]، وعلى الجزء الخامس من تفسيره الموسوم بـ(حقائق التنزيل ودقائق التأويل)[11]، وهو كتاب يشهد لصاحبه بالسبق في الفضل، وطول الباع في الحكمة والفلسفة والفقه وجميع العلوم

---

١. يأتي ذكرهم فيما بعد.

٢. وهي الأخبار الآحاد، وأقسامها أربعة: الصحيحة والحسنة والموثقة والضعيفة، أما قطعية الصدور فهي الأخبار المتواترة.

٣. يُضرب مثلاً للرجل يجمع كل شيء، ولا يميز الجيد من الرديء؛ لأنه لا يميز ما يجمع في حبله. جمهرة الأمثال: ج٢، ص٣٠٣ ؛ الصحاح: ج١، ص١١٣.

٤. أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر المعروف بالخطيب (٣٩٢-٤٦٣هـ)، مولده في (غزية) -بصيغة التصغير- منتصف الطريق بين الكوفة والبصرة، ومنشأه ووفاته ببغداد، كان فصيح اللهجة، عارفاً بالأدب، يقول الشعر، ولوعاً بالمطالعة والتأليف، من أفضل كتبه: (تاريخ بغداد). الأعلام: ج١، ص١٧٢.

٥. تاريخ بغداد: ج٢، ص٢٤٣. وفي الأصل: كلمة (الأدب) مقدمة على (العلم).

٦. وهما: ابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه (شرح نهج البلاغة) (ت: ٦٥٦)، والعلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ) في كتابه (خلاصة الأقوال).

٧. خلاصة الأقوال: ٢٧. من الخلاصة للعلامة.

٨. شرح نهج البلاغة: ج١، ص٣٣.

٩. مجازات الآثار النبوية، للسيد الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي، المولود في (٣٥٩هـ) والمتوفى بها سنة (٤٠٦هـ)، ويخفف عنوان الكتاب فيقال (المجازات النبوية)، طبع بتحقيق طه محمد الزيني في مؤسسة الحلبي في القاهرة سنة (١٣٨٧هـ). ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج١٩، ص٣٥١؛ فهرس التراث: ج١، ص٤٥٩.

١٠. خصائص الأئمة ،، للسيد الشريف الرضي (رحمة الله)، كان شروعه في التأليف في (٣٨٣) والأسف انه لم يتم الكتاب بجميع مقاصده؛ لاشتغاله بجمع كتابه (نهج البلاغة) كما صرّح بذلك في أوّل النهج، وإنما خرج من الخصائص أبواب وفصول من خصائص أمير المؤمنين (ع). ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٧ ص١٦٤. يوجد في مكتبتنا.

١١. حقائق التأويل في متشابه التنزيل، ويقال له حقائق التنزيل ودقائق التأويل أيضاً، للشريف الرضي، وهو تفسير كبير من أحسن التفاسير، يذكر الآيات المشكلة أو المتشابهة فقط على نسق (الغرر) لأخيه المرتضى، بعنوان مسألة مسألة، فيذكر الآية ويزيل إشكالها وغموضها. ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٧، ص٢٣-٣٣.

العربية، وقد صرح في هذا الكتاب وفي كتاب (المجازات) بنسبة كتاب النهج إليه.[1] وسيأتيك ذكر ما كان في عصره من المؤلفات التي يتيسر له الرجوع إليها متى شاء.

وبعد هذا فلا أخال أن يبقى مجال لمنصف أن يسبق وهمه وخياله إلى أن يرتكب مثل هذا المنصف[2]، الحاوي لتلك الخلال[3] الفاضلة رذيلة الاختلاق والوضع، ثم ينسب ذلك إلى أكبر إمام في الدين، فأن من هو دون السيد الشريف في الشرف والديانة ينزّه عن تعمّد الكذب، وكيف يحتمل في مثله أن يُقدم على هذه الخلّة الذميمة المستهجنة، والكذب من أعظم الكبائر الموبقة، ولاسيّما على أعظم إمام في المسلمين.

إنّ وصمة أمثال السيد من عُلماء الرواة بغير حُجّة ولا برهان بذلك ظُلمٌ للحقيقة، وخروج عن الطريقة، وفتح باب لهدم أصول الشريعة والدين، وزوال الثقة بما في الجوامع الصحيحة.

شروح كتاب النهج:

شرح هذا الكتاب الجليل من فطاحل العلماء، وجهابذة الفن، ما يناهز الأربعين فاضلاً[4] بشروح موجزة ومسهبة عربية وفارسية، ولم يصدر منهم في حق جامعه أدنى غمز[5] أو توهين، ولا أقل تشكيك أو توقف في نسبة الكتاب إلى راويه أو المروي عنه، ومن أفاضل شرّاحه العلامة الشيخ محمد عبده[6]، فقد شرحه بكلمات وجيزة وقد طبع شرحه في بيروت[7]، بالمطبعة الأدبية، سنة (١٣٠٧هـ)، وطبعَتْ مكتبة الأندلس مزيداً من شروح أخرى في سنة (١٣٧٤هـ ـ١٩٥٥م) وقد تضمنت خطبة شرحه هذا أوصافاً للنهج باهرة، وقد حثَّ فيها طالبي نفائس اللغة أن يجعلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم، وذكر أن جماعة من أجلة العلماء[8] قد عني بشرحه، وهذا الشارح مع طول باعه وسعة إطلاعه وحرية أفكاره لم يبن منه في شأن نسبة الكتاب شائبة تردد، ولا في صحته أدنى تشكيك.

ما عول عليه عبد الحميد[9] في نسبة النهج إلى أمير المؤمنين:

وقد عرفتَ مما سبق اتفاق أهل العلم -إلا من شذ- على أن ما في كتاب النهج هو من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ونزيدك هنا بملخص ما عَوّل عليه شارحه في (ص٥٤٦، ج٢) قال:

أولاً: إنه لا سبيل إلى نفي كل ما في النهج عن أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ لثبوت بعضه بالتواتر، وإذا ثبت أن بعضه من كلامه ثبت أن الجميع منه، لاتفاق جميع أبعاضه في النفس والطريقة والمذهب والأسلوب، ولو كان لشخصين أو أكثر لاختلفت في ذلك أبعاضه، وتفاوتت في ذلك أجزاؤه، ولميَّز أهل الذوق والأدب وصيارفة الكلام[10] ونقدته بين الدخيل والأصيل، كما مَيّزوا في شعر أبي تمام[1] وغيره[2].

---

١. ينظر: المجازات النبوية: ٣٩. إذ يذكر فيه كلاماً لأمير المؤمنين (ع) ويقول: (وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم نهج البلاغة، والذي أوردنا فيه مختار جميع كلامه صلى الله عليه وسلم وعلى وعلى الطاهرين من أولاده).

٢. وهو السيد الشريف الرضي، ولعله أراد هنا (المصنِّف) فوقع ذلك سهواً.

٣. الخلة: الخصلة، وجمعها خلال. الصحاح: ج٤، ص١٦٨٧.

٤. يأتي ذكرهم من المؤلف.

٥. قولهم: ليس في فلان غميزة أي: مطعن، والمغموز: المتهم، والمغامز: المعايب. الصحاح: ج٣، ص٨٨٩.

٦. محمد عبدة بن حسن خير الله من آل التركماني (١٢٦٦-١٣٢٣هـ)، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في في الإسلام، ولد في شنرا -من قرى الغربية بمصر، وتوفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة، من كتبه: (تفسير القرآن الكريم). الأعلام: ج٦، ص٢٥٢.

٧. بيروت: بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو والتاء فوقها نقطتان: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيداء ثلاثة فراسخ. معجم البلدان: ج١، ص٥٢٥.

٨. يأتي ذكرهم.

٩. عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد (٥٨٦-٦٥٦هـ)، شارح نهج البلاغة، عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة، له شعر جيّد واطلاع واسع على التاريخ، ولد في المدائن، وانتقل إلى بغداد، وخدم في الدواوين السلطانية، وبرع في الإنشاء، وكان حظي عند الوزير ابن العلقمي، توفي ببغداد. من مؤلفاته: (الفلك الدائر على المثل السائر). الأعلام: ج٣، ص٢٨٩.

١٠. التصريف في الكلام: اشتقاق بعضه من بعض، والصرف: علم تُعرف به أبنية الكلام واشتقاقه. الصحاح: ج٤، ص١٣٨٦.

قلت: وكما حكموا بأن كتاب (التاج) للجاحظ[٣]؛ لأن أسلوبه وسبكه يضاهي أسلوب الجاحظ، وطريقته في السبك والتعبير.

وثانياً: إن القائل بأن بعض النهج منحول[٤]، يطرق على نفسه ما لا قِبَلَ له به؛ لأنّا متى فتحنا هذا الباب، وسلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو، لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) أبداً، وكذلك ما نقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ، وكل أمر جعله هذا الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) والأئمة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والخطباء.

فلناصري أمير المؤمنين أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من النهج وغيره.

شهادة نفس الكتاب بما يزيل الشك والارتياب:

إذا تلوت كتاب النهج حق تلاوته، وكنت من أهل الذوق والأدب وصيارفة الكلام، كشف لك عن الحقيقة الراهنة، ونطق لديك بالحجة الناصعة، وصرح لك بناصع دره محكم زبره[٥]:

أولاً: إنه مما لا مرية فيه ولا ريب أن ما حواه النهج من الكلام قد بلغ من البلاغة والفصاحة أقصى المراتب، وركب منها أعلى ذروة السنام، لا تتفاوت أبعاضه في جزالة الألفاظ، وجلالة المعاني، وبديع الأسلوب، وحسن السبك والانسجام والمتانة والرصانة، فهو كسبيكة من لجين٦ أفرغها صائغها الحاذق في قالب واحد، قد استوت خوافيه وقوادمه وأوائله وأواخره، قد شَهِد له أهل الذوق والصناعة وأئمة الفن وأدباء كل عصر بكل فضيلة باهرة، ومزية فاضلة، وصفة فائقة، وأنه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، بعد كلام سيد المرسلين (صلى الله عليه و آله وسلم)، فمن يا ترى يكون أهلاً لهذا الكلام وحقيقاً به، وجديراً بأن ينسب إليه غير الذي ما سنَّ الفصاحة لقريش إلاّه، والذي (ليس في أهل هذه اللغة إلاّ قائل بأن كلامه [هو] أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه :، وأغزره مادة، وأرفعه أسلوباً، وأجمعه لجلائل المعاني)[٧]، والذي هو (مُشَرّع الفصاحة [ومورِدها]، ومنشأ البلاغة [ومولدها]، منه : ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته[٨] حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، [ومع ذلك] فقد سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا؛ لأن كلامه _ الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي)[٩].

---

١. أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (١٨٨-٢٣١هـ)، الشاعر، الأديب، أحد أمراء البيان، ولد في جاسم –من قرى حوران بسوريا- وتوفي في العراق، كان أسمر، طويلاً، فصيحاً، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع، في شعره قوة وجزالة، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري، له تصانيف منها: (فحول الشعراء). الأعلام: ج٢، ٢٦٥.

٢. فقد سئل المبرّد عنهما فقال: (لأبي تمام استخراجات لطيفة، ومعان ظريفة وجيدة أجود من شعر البحتري، ومن شعر من تقدمه من المحدثين، وشعر البحتري أحسن استواء من شعر أبي تمام؛ لأن البحتري يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن أو عيب عايب، وأبو تمام يقول بيت النادر ويتبعه البيت السخيف). ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ج١، ص١٠؛ الخرائج والجرائح: ج٣، ص٩٨٣.

٣. التاج في أخلاق الملوك، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الشهير بالجاحظ (١٦٣-٢٥٥هـ)، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته في البصرة، فلج في آخر عمره، ومات والكتاب على صدره، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، له تصانيف كثيرة منها: (الحيوان) و(البيان والتبيين)، وهذا الكتاب من أحسن تصانيفه، جمع فيه كل غريبة وأهداه إلى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات. الأعلام: ج٥، ص٧٤.

٤. نحلته القول أنحله نحلاً، بالفتح، إذا أضفت إليه قولاً قاله غيره وادعيته عليه، وانتحل فلان شعر غيره، أو قول غيره، إذا ادعاه لنفسه. الصحاح: ج٥، ص١٨٢٦-١٨٢٧.

٥. الزبور بالفتح: الكتاب، والزبر: الكتابة، وقال البعض: زبرت الكتاب إذا أتقنت كتابته. الصحاح: ج٢، ص٦٦٨؛ تاج العروس: ج٦، ص٤٥٤.

٦. اللجين: الفضة، جاء مصغراً، مثل الثريا والكميت. الصحاح: ج٦، ص٢١٩٣.

٧. من كلام محمد عبدة في خطبة شرحه على النهج: ج١، ص٦.

٨. في الأصل (غراره) والتصحيح من المصدر.

٩. من كلام السيد الرضي في خطبة النهج: ٣٤.

ذاك الذي التقط الآمدي[1] من درر كلمه وغرر حكمه[2] سفراً ضخماً، قال في خطبته: (جمعت يسيراً من قصير حكمه، وقليلاً من خطير كلمه، تخرس البلغاء عن مساجلته، وتبلس[3] الحكماء عن مشاكلته، و ما أنا في ذلك -علم الله- إلا كالمغترف في البحر بكفه، والمعترف بالتقصير وإن بالغ في وصفه، وكيف لا؟! وهو (عليه السلام) الشارب من الينبوع النبوي، الحاوي بين جنبيه العلم اللاهوتي، إذ يقول، وقوله الحق، وكلامه الصدق، على ما أدته إلينا الأئمة النَّقَلة: (إن بين جنبي لعلماً جماً لو أصبت له حملة)[4]، إلى غير ذلك من كلام ذوي العلم، فلا يليق بعد ما قدّمنا أن ينسب هذا الكلام أو شيء منه إلى الشريف الرضي وإن بلغ ما بلغ، (وأنّى للرضي وغيره هذا النمط وهذا الأسلوب؟ قال ابن الخشاب[5]: وقد وقفنا على رسائل الرضي[6] وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور، المنثور، وما يقع من هذا الكلام -يعني الخطبة الشقشقية- في خل ولا خمر[7])[8].

قلت: كما أنا قد وقفنا على شيء من رسائله في الكتاب الموسوم بـ(الدرجات الرفيعة)[9]، فألفيناها لا تضاهي ذلك الطراز، ولا تستقل على عدوة ذلك المجاز، ويمكنك أن تستعرض خطبة من (نهج البلاغة) وشيئاً من رسائل الشريف، وتستجلي الديباجتين، وتتذوق الأسلوبين، لترى مباينتها لكلام النهج، ومخالفتها لطريقته وأسلوبه، وتقاصرها عن شأوه، وترى شعار التوليد[10] عليه ظاهراً، وأثره فيها بيّناً، على أن الشريف ممن مارس كلام النهج وزاوله، وألف طريقته، وعرف أسلوبه وصياغته، وربما سبر[11] في أعماق خواطره فرائد كلمه، وغرر من فقره تزكو بها قريحته، ولكنه مع هذا كله لا يقتدر أن يأتي بمثل كتبه، ولا ببعض عهوده إلاّ ويكون مقاله بالنسبة إلى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) مهوى الأخمص[12] من القمة، وسرة الوادي[13] من رأس الذروة، لا يخفى ذلك على ذي خبرة ولا يشتبه على النيقد بأول نظرة.

ثانياً: إن مَهَرة الفن، وصاغة البلاغة، والمشاركين في العلوم والمعارف، إذا سبروا ما في النهج، وتلمسوا غوره[14]، عرفوا أنه لا يتيسر إلاّ لذي دهاء في السياسة، وخبرة في الأدب، وعصمة في التقوى، وبراعة في الآداب، وتعمّق في الفلسفة العامة، وإن من انحط عن ذلك المقام العلمي، ولم تتوفر فيه تلك الملكات الكاملة، ليس

---

١. عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد، أبو الفتح، ناصح الدين التميمي الآمدي، توفي حوالي (٥٥٠هـ)، قاض من أهل ديار بكر، فاضل عالم محدث إمامي شيعي، له علم بالأدب، من كتبه: (الحكم والأحكام من كلام سيد الأنام). معالم العلماء: ١٧؛ الأعلام: ج٤، ص١٧٧.

٢. وهو كتابه المسمى: (غرر الحكم ودرر الكلم) يذكر فيه أمثال أمير المؤمنين (ع) وحكمه. ينظر: معالم العلماء: ١٧.

٣. أبلس من رحمة الله، أي يئس، ومنه سمي إبليس، وفي تاج العروس أبلس: إذا دهش وتحير وسكت فلم يرد جواباً. الصحاح: ج٣، ج٣، ص٩٠٩؛ تاج العروس: ج٨، ص٢٠٨.

٤. ذلك قوله _ إلى كميل بن زياد، ونص كلامه: (إن هاهنا لعلماً جماً –وأشار بيده إلى صدره- لو أصبت له حَمَلة). نهج البلاغة: ٤٩٦

٥. عبد الله بن أحمد ابن الخشاب (٤٩٢-٥٦٧هـ)، أعلم معاصريه بالعربية، من أهل بغداد مولداً ووفاة، كان عارفاً بعلوم الدين، مطلعاً على شيء من الفلسفة والحساب والهندسة، ... وقف كتبه على أهل العلم قبيل وفاته. من مؤلفاته: (المرتجل في شرح الجمل للزجاجي). الأعلام: ج٤، ص٦٧.

٦. وهي (الرسائل والمكاتبات) الدائرة بين أبي إسحاق الصابي والسيد الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى الموسوي المتوفى (٤٠٦هـ)، وهو المذكور في (فهرست ابن النديم) بعنوان (رسائل الشريف الرضي). الذريعة : ج١٠، ص٢٦٠.

٧. قولهم: (ما عنده خل ولا خمر) مثل يُراد به: ما عنده خير ولا شر. جمهرة الأمثال: ج٢، ص٢٦٦.

٨. ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١، ص٢٠٥، وقد نُقِل بتصرف.

٩. الدرجات الرفيعة، في طبقات الإمامية من الشيعة، للسيد صدر الدين علي ابن نظام الدين أحمد المدني الشيرازي، مرتب على اثنتي عشرة طبقة. الذريعة: ج٨، ص٦٠.

١٠. رجل مولد، إذا كان عربياً غير محض. تاج العروس: ج٥، ص٣٢٩.

١١. السَبْر: بفتح فسكون، إمتحان غور الجرح وغيره، يقال: سبر الجرح يسبره سبراً، نظر مقداره وقاسه؛ ليعرف غور ه. تاج العروس: ج٦، ص٤٩٠.

١٢. الأخمص: ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض، أو هو ما رق من أسفلها، وتجافى عن الأرض. الصحاح: ج٣، ص١٠٣٨؛ تاج العروس: ج٩، ص٢٧٥.

١٣. سرة الوادي: بطنه، أو أفضل مواضعه. القاموس المحيط: ج٢، ص٤٧.

١٤. غور كل شيء: قعره. الصحاح: ج٢، ص٧٧٣.

له من أسباب الطاقة ما يبلغه ذلك المستوى، ومن أين للشريف أو غيره بعض تلك الدرجات العلمية القدسية، وإن من أولئك الذين علموا إن لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) طاقة قدسية يفيض عنها ويتفجر منها الشيخ الأستاذ محمد عبدة فيما أورده في خطبة شرحه على النهج، نوردها هنا باختصار، فإنها تتضمن تصريحاً بأن كلام أمير المؤمنين بما فيه من علوم ومعارف مبدئها غريزة جبارة، وفطرة سماوية شامخة، لا يستطاع أن يحذى حذوه، أو يؤتى بمثاله:

قال: (أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) مصادفة[1] بلا تعمل، [أصبته على تغير حال، وتبلبل وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعطلة من أعمال، فحسبته تسلية، وحيلة للتخلية][2]، فتصفحت بعض صفحاته، وتأمّلت جملاً من عباراته، [من مواضع مختلفات، وموضوعات متفرقات][3]، فكان يخيّل إلي[4] في كل مقام أن حروباً شبّت، وغارات شنّت، وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة، [وإن للأوهام عرامة، وللريب دعارة][5]، وأن جحافل الخطابة وكتائب الذرابة[6] في عقود النظام، وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح[7] الأبلج[8] والقويم الأملج[9]، الأملج[9]، وتمتلج المهج[10] برواضع الحجج، فتفل من دعارة الوساوس[11]، وتصيب مقاتل الخوانس[12]، فما أنا إلاّ والحق منتصر والباطل منكسر، ومَرَج الشك في خمود وهرج الريب في ركود، وأن مُدَبّر تلك الدولة وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد وتحول المعاهد[13]، فتارة كنت أجدني في عالم يغمره[14] من المعاني أرواح عالية في حلل من العبارات الزاهية، تطوف على النفوس الزاكية، وتدنو من القلوب[15] الصافية، توحي إليها رشادها وتقوم منها مرادها، وتنفر بها عن مداحض المزال[16] إلى جواد الفضل والكمال، وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة[17] وأنياب كاشرة[18]، وأرواح في أشباح النمور، ومخالب النسور، قد تحفزت للوثاب، ثم انقضت للاختلاب، فخلبت القلوب عن هواها، وأخذت الخواطر دون مرماها، واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء.

---

١. في الأصل (صدفة)، والتصحيح من المصدر.

٢. الإضافة من المصدر.

٣. الإضافة من المصدر.

٤. في الأصل (لي)، والتصحيح من المصدر.

٥. الإضافة من المصدر.

٦. أصل الذرابة: حدة نحو السيف والسنات، وتستعار لطلاقة اللسان مع عدم اللكنة،وهذا محمود. تاج العروس: ج١، ص٤٩٨.

٧. نفحه السيف: تناوله من بعيد، وتنافح: تضارب أشد المضاربة، والصفيحة: السيف العريض. الصحاح: ج١، ص٤١٣؛ شرح محمد عبدة: ج١، ص٣.

٨. البلوج: الإشراق، والأبلج: اللامع البياض، وكذلك الحق إذا اتضح، يقال: (الحق أبلج، والباطل لجلج). الصحاح: ج١، ص٣٠٠؛ شرح محمد عبدة: ج١، ص٣.

٩. أصل الإملاج: الإرضاع، وتمتلج: أي تمتص، ويقال: المليج هو الرجل الجليل. الصحاح: ج١، ص٣٤٧؛ تاج العروس: ج٣، ص٤٨٨؛ شرح محمد عبدة: ج١، ص٣.

١٠. المهج هنا: اللبن الرقيق ما لم يتغير طعمه. لسان العرب: ج٤، ص٣٧٩٢.

١١. في الأصل (الوسواس)، والتصحيح من المصدر.

١٢. الخنس: التأخر، ومنها تسمية الشيطان بالخنّاس؛ لأنه يخنس إذا ذُكر الله عز وجل. الصحاح: ج٣، ص٩٢٥-٩٢٦.

١٣. المعهد، والمعهود: الذي عهد وعرف، وعهدته بمكان كذا، أي لقيته. الصحاح: ج٢، ص٥١٦.

١٤. في الأصل (يعمره)، والتصحيح من المصدر.

١٥. في الأصل (النفوس)، والتصحيح من المصدر.

١٦. مداحض المزال: موضع الزلل. الصحاح: ج٤، ص١٧١٧.

١٧. وجوه باسرة: أي عابسة. الصحاح: ج٢، ص٥٩٠؛ شرح محمد عبدة: ج١، ص٤.

١٨. في الأصل (كاسرة)، والتصحيح من المصدر.

وأحياناً كنت أشهد عقلاً نورانياً، لا يشبه خلقاً جسدانياً، فصل عن الموكب الإلهي، واتصل بالروح الإنساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسما به إلى الملكوت الأعلى، [ونما به إلى مشهد النور الأجلى][1]، وسكن به إلى عمار[2] جانب التقديس، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس[3]، وآنات[4] كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي باعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأمة، يُعَرّفهم مواقع الصواب، ويبصرهم مواضع الارتياب، ويحذرهم مزالق الاضطراب، ويرشدهم إلى دقائق السياسة، ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة، ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير، ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي [رحمه الله] من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه)[5].

إلى هنا يحصل المقصود من نقل كلام هذا الألمعي البصير، وله بقية حسنة يرجع إليها من أرادها.

ثالثاً: إنا نظرنا في كتاب النهج وتأملناه، فوجدناه متشعب الفنون، مختلف الأنواع، لم يدع غرضاً دينياً إلاّ أصابه، ولا مقصداً عالياً إلاّ جاء به، فأجناسه مختلفة، وأنواعه متشتتة[6]، قد تضمّن الزهد والوعظ والتحذير والتذكير، والحكمة العالية، والعلوم الشريفة الإلهية، والحكم والآداب والأخلاق والسنن والوصايا والنصائح والسياسة والإمارة والحروب والفتن، وقيادة الجيوش، ونظام الأمور، وغير ذلك مما يضمّه ذلك السِفر الجليل الذي جمع ما لم يجمعه كتاب، ولم يحوه مصنَّف، وفي كل الأنواع والمقاصد قد بلغ حد الإعجاز من نوعه، حتى كأن منشأه من المتخصصين فيه والمنقطعين إليه لم يعرف غيره، ولم يمارس سواه.

ثم نظرنا بعد ذلك في الخطباء وأهل النثر والشعر وكتّاب الرسائل والعهود والتقاليد، تالدهم وطريفهم[7] على اختلاف طبقاتهم وأعصارهم، فلم نر في كلامهم ما يضاهي ما في النهج أو يدانيه، ولم نر فيهم من برع في سائر فنون الكلام ومقاصده، ولا من خاض في تلك الأنواع المختلفة، ولئن أجاد في نوع فلا يكاد يجيد في غيره، فإذن لا يصلح هذا الكتاب أن يُنسَب إلى شخص واحد منهم، ولا إلى أشخاص متعددين؛ لتباين الناس في الطريقة ومذاهب الكلام وأساليبه، وقد قلنا: إن كلام النهج كله كسبيكة مفرغة، لا تختلف أبعاضه في الطريقة والأسلوب، فهو كلام لا يصح العارف نسبته إلاّ لمتكلم واحد، قد تَحَمّل العلوم الكثيرة، وعرف الأمور الدينية والسياسية، وصارت تلك الصفات من غرائزه وملكاته، حتى صارت تجري على لسانه بلا تكلف، ولا إمعان نظر، وقد جمع أوصافاً لا تكاد تجتمع في غيره، كعلم وسياسة وعبادة وشجاعة وزهادة وإمارة وحكمة وسخاء وغير ذلك من الأوصاف التي تحويها متفرقة أعاظم الرجال وأبطالهم، ولم نجد كما لم يجد غيرنا ممن هو أطول منا باعاً في العلم والخبرة بأحوال الرجال من حوى جميع تلك الصفات المتضادة والأخلاق المتباينة غير أمير المؤمنين (عليه السلام)، حتى قيل[8] فيه:

جمعت في صفاتك الأضداد	**فلهذا عزت لك الأنداد**
زاهد حاكم حليم شجاع	**ناسك فاتك فقير جواد**
شيم ما جمعن في بشر قط	**ولا نال مثلهن العباد**

وقد ذكر الشريف الرضي (ص١١) من خطب النهج: (إن من عجائبه (عليه السلام) التي انفرد بها، وأمن المشاركة فيها، أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ [والتذكير والزواجر][9] إذا تأمّله المتأمل، وخلع من قلبه أنه

---

١. الإضافة من المصدر.

٢. في الأصل (غمار)، والتصحيح من المصدر.

٣. التلبيس: الاختلاط. الصحاح: ج٣، ص٩٧٣.

٤. في الأصل (وأنا)، والتصحيح من المصدر.

٥. مقدمة شرح نهج البلاغة، محمد عبدة: ج١، ص٣-٤.

٦. في الأصل متشتة.

٧. التليد: الذي ولد ببلاد العجم ثم حُمل صغيراً فنبت ببلاد الإسلام، والطريف: الكريم من الفتيان، والأطراف: الأشراف. الصحاح: ج٢، ص٤٥٠؛ ج٤، ص١٣٩٣.

٨. والقائل هو الشاعر صفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي الحلي، ولد ونشأ في الحلة سنة (٦٧٧هـ-١٢٧٨م)، وتوفي في بغداد سنة (٧٥٠هـ-١٣٤٩م)، وهذه الأبيات من قصيدة مدح فيها أمير المؤمنين (ع) عنوانها (سر النبي). الجامع في تاريخ الأدب العربي: ج١، ص١٠٤٩.

٩. إضافة من المصدر.

أنه كلام مثله، ممن عظم قدره ونفذ أمره، [وأحاط بالرقاب ملكه]١ لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لا حظ له في غير الزهادة، ولا شُغْل له في غير العبادة، [قد قبع في كسر بيت، أو انقطع إلى سفح جبل، لا يسمع إلاّ حسّه، ولا يرى إلاّ نفسه]٢، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلتاً سيفه، فيقط٣ الرقاب، ويجدل ويجدل الأبطال، ويعود به ينطف دماً، ويقطر مهجاً، وهو مع تلك الحال٤ زاهد الزهاد، وبدل الأبدال٥، وهذه من من فضائله العجيبة، وخصائصه [اللطيفة]٦ التي جمع بها بين الأضداد، وألِف٧ بين الأشتات)٨.

وقـال الشـارح[٩] (ص ١٦ ج ل): (كان أمير المؤمنين ذا أخلاق متضادة، منها ما ذكره الرضي (رحمة الله) وهو موضع التعجب)[١٠]، وذكر ما نقلناه عنه، ثم ذكر أموراً أخر نحن نذكرها بإيجاز واختصار:

منها: إن الغالب على ذوي الشجاعة أن يكونوا ذوي أخلاق سبعية، والغالب على أهل الزهادة أن يكونوا ذوي انقباض في الأخلاق، ونفار من الناس، وأمير المؤمنين كان أشجع الناس، وأبعدهم عن ملاذ الدنيا، وأكثرهم وعظاً، وأشدهم اجتهاداً في العبادة، وكان مع ذلك ألطف الناس أخلاقاً، وأسفرهم[١١] وجهاً، وأكثرهم بشراً، وأبعدهم عن انقباض موحش، أو خُلُق نافر.

ومنها: إن الغالب على الشرفاء في النَسَب، سيما إذا أضيف إليه الشَّرف من جهات أخرى، أن يكونوا ذوي كبر وتيه[١٢] وتعظم وتغطرس، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) أشرف الناس بعد ابن عمه (صلى الله عليه و آله وسلم)، مع ذلك كان أشد الناس تواضعاً لصغير وكبير، وألينهم عريكة[١٣]، وأبعدهم عن الكبر.

ومنها: إن الغالب على ذوي الشجاعة وقتل النفوس أن يكونوا قليلي العفو والصفح، وحال أمير المؤمنين (عليه السلام) في العفو والصفح ومغالبة هوى النفس ظاهر معلوم.

ومنها: إن الشجاع لا يكون جواداً كطلحة[١٤] والزبير[١٥] وابنه عبد الله[١] وعبد الملك[٢]، حتى سمي رشح الحجر، وحال أمير المؤمنين في السخاء والشجاعة لا يخفى على أحد.[٣]

---

١. إضافة من المصدر.

٢. إضافة من المصدر.

٣. القط: فصل الشيء عرضاً، وفي الحديث: (كان علي (ع) إذا اعتلى قد، وإذا اعترض قط). الصحاح: ج٣، ص١١٥٣.

٤. في الأصل (وهو مع ذلك)، والتصحيح من المصدر.

٥. بدل الشيء، غيره، والأبدال قوم من الصالحين لا تخلوا الدنيا منهم، إذا مات واحد أبدل الله مكانه بآخر. الصحاح: ج٤، ص١٦٣٢.

٦. إضافة من المصدر.

٧. في الأصل (ألف بها)، والتصحيح من المصدر.

٨. مقدمة الشريف الرضي في (نهج البلاغة): ١٢-١٣.

٩. وهو ابن أبي الحديد شارح النهج، والأرقام المذكورة للجزء والصفحة في نسخة لدى المؤلف تختلف عن التي راجعناها في المصدر.

١٠. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١ ص٥٠.

١١. السفر: بياض النهار، وأسفر وجهه حسناً، أي أشرق. الصحاح: ج٢، ص٦٨٦-٦٨٧.

١٢. التيه: التكبر. الصحاح: ج٦، ص٢٢٢٩.

١٣. العريكة: الطبيعة، وفلان لين العريكة، إذا كان سلساً. الصحاح: ج٤، ص١٦٠٠.

١٤. أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني (٢٨ق هـ-٣٦هـ)، صحابي شجاع، وكان شحيحاً، أمسك عن الإنفاق حتى خلف من الأموال ما لا يأتي عليه الحصر، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة ودفن بالبصرة. ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١، ص٥٣ ؛ الأعلام: ج٣، ص٢٢٩.

١٥. أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي (٢٨ق هـ-٣٦هـ)، الصحابي الشجاع، كان موسراً، كثير المتاجر، وكان شحيحاً، خلف أملاكاً بيعت بنحو أربعين مليون درهم، قتل غيلة يوم الجمل بوادي السباع على سبعة فراسخ من البصرة. ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١، ص٥٢؛ الأعلام: ج٣، ص٤٣.

هذا، والخلاصة أن مَن أحاط بكلام النهج، وعرف مقاصده وفنونه، وما ضمته دفتاه من المعارف والكمالات، وعرف أمير المؤمنين، وعلو شأنه، وما حوته ذاته الشريفة المقدسة، جزم بنسبة كلام النهج إليه، ورآه مظهراً من مظاهر ذلك المتكلم، وممثلاً لشخصيته الغائبة عن العيون، وإني لأقرأه وأراه كمرآة تنطبع لي فيه صورة قائلة على اختلاف الحالات والصفات.

رابعاً: إنا وقفنا على جملة من خطب النهج وكتبه ووصاياه وحكمه مذكورة في مصنفات كتبت قبل زمن الشريف الرضي أو في زمانه، وفي مصنفات كتبت بعد زمان الشريف، ولكن المعلوم من حال الناقل انه لم يعتمد في نقله على ما في النهج، بل اعتمد على مصدر آخر، وهذه الجملة منها ما يوافق ما في النهج، ومنها ما يخالفه في بعض الفقرات والكلمات، وربما زاد على ما نقله السيد شأن الخطب التي ترويها النَقَلة، وتدوّنها الكَتَبَة، وسيأتي إن شاء الله ذكر ما وقفنا عليه مروياً في غير كتاب النهج، وعدم وجود مصدر غير النهج لِما لم نقف له من ذلك غير ضائر ولا قادح، فإن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، مع انه إذا ثبت البعض أمكن دعوى ثبوت الكل؛ لاتحاد الجميع في النفس والأسلوب كما مر بيان ذلك[٤]، وعلى أي حال، فوجود مصدر لتلك الجملة كافٍ لِرَد من ادعى إن كلام النهج كله لغير أمير المؤمنين (عليه السلام) كالرضي وأخيه المرتضى[٥].

خامساً: إن جامع النهج لو بلغ الغاية من الفصاحة والبلاغة، وصارت له اليد الطولى في الوعظ والخطابة وفنون الكلام وأغراضه، بحيث صار ممن يقتدر على إنشاء كلام النهج واختراعه، لَعُد من أكبر الخطباء والوعاظ، وأعظم البلغاء والكتاب، ولنعته أهل العلم والخبرة بأحوال الرجال الذين ترجموا حياته بذلك، ولو قرأت ما كتبوه في شأنه لم ترهم يصفونه بعد العلم وشرف النفس بغير الشعر، وانه اشعر الهاشميين، ولو كانت له هذه الصفة وهذه الملكة لنعت بذلك، ولسارت به الركبان، وظهرت له بعض الخطب والعهود والتقاليد والرسائل مع رواجها في ذلك العصر، وشغف أهله بها.

ولأي شيء لم ينسب هذا الكتاب مؤلفه إلى نفسه، ويتفوق به على أبناء جنسه، ويجعله من غرر فضائله، واكبر آثار محامده؟ أترى أن حب علي(عليه السلام) وولائه قد حتّما عليه أن ينزع هذه الفضيلة عن نفسه، ويخلعها على مولاه، وان ارتكب ذميمة الكذب، واقتحم عقبة الإثم.

كلا، فان هذا لو كان السيد ممن لا يتحرج إلى الإثم، وكان أمير المؤمنين خلواً من الفضائل، وصفراً[٦] من المناقب، ولم يكن ممن قال فيه من سئل عنه: (وما أقول في من كتم محبوه فضائله خوفاً وتقية، واعداؤه بغضاً وحسداً، وظهر من ذين وذين ما ملأ الخافقين)[٧]، ولم يكن ممن شَهد له اعداؤه بالفصاحة والبلاغة، وإن كلامه دون كلام الخالق ورسوله وفوق كلام المخلوقين.

إن نسبة هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين مما يرفع من قدر الكتاب، ويأخذ بيده، ويزيد في جلالة شأنه، وليس مما يرفع قدر أمير المؤمنين أو يزيد في فضله:

---

١. أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي (١-٧٣هـ)، فارس قريش في زمنه، وكان أبخل الناس، ولد في المدينة، وقتل في مكة. ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١، ص٥٢؛ الأعلام: ج٤، ص٨٧.

٢. أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (٢٦-٨٦هـ)، من خلفاء بني أمية ودهاتهم، نشأ في المدينة، وتوفي بدمشق، وكان عبد الملك شجاعاً وكان شحيحاً، يضرب به المثل في الشح، وسمي : (رشح الحجر) لبخله. ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١، ص٥٣؛ الأعلام: ج٤، ص١٦٥.

٣. ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١ ص٥٠-٥٣.

٤. راجع: ص من هذا الكتاب.

٥. علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الإمام موسى الكاظم a، كنيته: أبو القاسم، لقبه: علم الهدى الأجل المرتضى ٥، متوحد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدم في العلوم، مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك، له ديوان شعر يزيد على ألف بيت، وله من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير. الفهرست: ١٦٤.

٦. الصفر: الخالي، وأصفر الرجل فهو مصفر، أي افتقر. الصحاح: ج٢، ص٧١٥.

٧. القائل هو الخليل بن أحمد الفراهيدي بما يقرب من هذا المعنى، ونسب مثله إلى الشافعي. ينظر: حلية الأبرار: ج١، ص٢٩٤؛ تنقيح المقال: ج١، ص٤٠٣.

من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا ضع[1]

سادسا: إن من وقف على مواضع كتاب النهج، وقرأها بإمعان وتدبر، يعرف ما لمؤلفه من التثبت في الرواية، والتحري في النسبة، والتحرز في الإسناد، وانه لا ينسب لشخص ما نسب لغيره إلا بعد التدبر، وترجيح النسبة بالشواهد والدلائل، ومن كان كذلك فهو جدير بأن يُنزّه عن تعمد إدخال أو وضع.

ولرفع كلفة المراجعة أذكر لك أنه في (ص٥١ من طبعة بيروت) يقول: (وهذه الخطبة ربما نسبها مَن لا علم له إلى معاوية، وهي من كلام أمير المؤمنين الذي لا يشك فيه)[2]، ثم يستشهد لذلك بكلام عمرو بن بحر الجاحظ ويقول فيما يرويه لأمير المؤمنين ويروي ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) وقع ذلك منه مكرراً في الباب الثالث من أبواب النهج، وإذا كان الكلام مروياً بروايتين أشار إلى الرواية الثانية كما في الباب الثاني حيث يقول: (ومن كتاب له (عليه السلام) [إلى عبد الله بن عباس][3] قد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية)[4].

ويقول في الباب الثالث (ص٩٠): (ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) وكذلك الذي قبله)[5].

ويقول أيضاً: (ويروى هذا الكلام عن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم)، ولا عجب أن يشتبه الكلامان؛ لأن مستقاهما من قليب[6]، ومفرغهما من ذنوب[7])[8]. ويقول في أواخر الباب الثالث: (وهذا القول الثاني في الأظهر الأشهر من كلام النبي (صلى الله عليه و آله وسلم)، وقد رواه قوم لأمير المؤمنين)[9].

وقال قبل ذلك (ص١٢٧): (ومن الناس من يروي هذا للرسول، ومما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ما حكاه ثعلب[10] عن ابن الإعرابي[11])[12]. انتهى.

فالاطلاع على هذا الكتاب يكاد أن يشرف المرء على الإيمان بأن المؤلف خرّيت[13] هذه الصناعة، وانه مُبَرّأ عن الشين والانتقاد، وأن تأليفه موضع الثقة والاعتماد.

---

١. من قصيدة لأبي الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين بن مرة الجعفي الكندي الكوفي، المولود في الكوفة سنة (٣٠٣هـ) في محلة كندة، صحب الأعراب في البادية فعاد إلى الكوفة عربياً صرفاً، رحل إلى بغداد ثم إلى الشام، ومدح سيف الدولة الحمداني في محافل كثيرة، قتل سنة (٣٥٤هـ). وهذه القصيدة قالها بعد معركة (خرشنة) وهي غزوة لسيف الدولة على الروم، كان أولها انتصاراً وآخرها ذلاً وانكساراً، قال في مطلعها:

غيري بأكثر هذا الناس ينخدعُ إن قاتلوا جَبنوا أو حدّثوا شجعوا

شرح ديوان المتنبي: ج٢، ص٢٣٤؛ الجامع في تاريخ الأدب العربي: ج١، ص٧٨٧.

٢. شرح محمد عبدة: ج١، ص٧٩.

٣. الإضافة من المصدر.

٤. شرح محمد عبدة: ج٣، ص١٢٧.

٥. شرح محمد عبدة: ج٤، ص٢٩.

٦. القليب: البئر قبل أن تطوى. الصحاح: ج١، ص٢٠٦.

٧. الذنوب: الدلو الملأى ماء. الصحاح: ج١، ص١٢٩.

٨. شرح محمد عبدة: ج٤، ص٥٣.

٩. شرح محمد عبدة: ج٤، ص١٠٧.

١٠. في الأصل (ثَغلب)، والصواب (ثعلب)، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوي الشيباني بالولاء المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، سمع ابن الاعرابي... ، وروى عنه الأخفش الأصغر...، وكان ثقة حجة صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم، ولد سنة ٢٠٠هـ، وتوفي سنة ٢٩١هـ ببغداد، من مؤلفاته كتاب (الفصيح). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج١، ص١٠٢.

١١. أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي الكوفي صاحب اللغة، وهو من موالي بني هاشم، كان راوية لأشعار القبائل ناسباً وكان أحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها، ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٣١هـ بسر من راى، من تصانيفه كتاب (النوادر). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج٤، ص٣٠٧. والحكاية هي: (قال المأمون: لولا أن علياً (ع) قال أخبر تقله، لقلت أنا أقله تخبر، والمعنى: اختبر الناس وجربهم تبغضهم). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢٠، ص٨٠.

١٢. شرح محمد عبدة: ج٤، ص١٠١.

١٣. الخرت: ثقب الإبرة والفأس والأذن ونحوها، والجمع خروت، والخريت: الماهر الذي يهتدي لإخراب المفاوز، وهي طرقها الخفيفة ومضايقها، وقيل: أراد أنه يهتدي في مثل ثقب الإبرة. الصحاح: ج١، ص٢٤٨؛ تاج العروس: ج٣، ص٤٤.

الوقوف على جميع المصادر التي وقف عليها الشريف الرضي (رحمة الله)

لا مجال لأن يطمع طامع من أبناء عصرنا هذا أن يقف على جميع ما وقف عليه الشريف و أمثاله من أهل عصره من كتب السير والمغازي والتاريخ والأدب وغير ذلك مما يمكن أن يكون مصدراً للنهج:

أولاً: لوجود كتب كثيرة ومؤلفات شتى كانت في عصر الشريف قد أخنى[1] عليها الدهر، وفرقتها يد الأيام أيدي سبأ[2]، فلم يبقى منها إلى عصرنا هذا ولا من المائة واحد، ويتجلى ذلك نيّراً لمن راجع كتب فهارس المصنفات والمصنفين، كـ(فهرست الشيخ الطوسي)[3]، و(كتاب النجاشي)[4]، و(معالم العلماء)[5] وغيرها، وقد تهيّأ له من الكتب الكتب في عصره ما لم يتهيأ في الغالب لغيره، فقد كان في مكتبة أخيه علم الهدى ما يكاد يتجاوز عشرات الألوف، وكفاك شاهداً أن السيد نفسه صرّح ببعض مصادر كتاب النهج[6] وليس له اليوم عين ولا أثر.

ثانياً: لأن مؤلف النهج لا يروي إلا ما يختاره ويصطفيه، فيختار الأبلغ فالأبلغ، والأفصح فالأفصح، بحسب ذوقه ومعرفته، فربما اختار من الخطبة الطويلة فقرات معدودة وترك الباقي، وربما جمع خطبة واحدة من خطب شتى أو من كلمات متفرقة في مواضع متباينة، وقد صرح بذلك كله في خطبة كتابه، فما كان في النهج من هذا القبيل لا يوقف له على مصدر مطابق.

نعم، يمكن للمتتبع أن يقف على فقرات غير متتابعة ولا متتالية كما اتفق لنا الوقوف على ذلك في بعض المواضع من النهج.

عدم وجود المصدر لبعض الخطب:

ولا ينبغي لك أيها الباحث أن تعجب أو تظن الظن السيء لو فحصت الكتب التي بين أيدي أهل العصر عن مصدر لبعض خطب النهج أو كتبه فرجعت صفر اليد إذا كنت خبيرا بما كان في عصر المؤلف من الكتب والمصنفات، وبما جرى عليها، وانه لم يبق منها إلى عصرنا من المائة ولا عشرة، ومن العشرة ولا واحد.

نعم، لو كانت مصادر النهج ومآخذه محصورة في كتب محدودة موجودة ثم فحصتها فلم تجد ذلك فيها كان لك حق النقد والطعن، فعدم وجود بعض المروي مرسلاً في النهج في كتب السير والتاريخ التي في الأيدي لا يقدح في شأن الكتاب ولا يحط من قدره.

عدم مطابقة ما يروى في النهج لبعض المصادر الموجودة:

قد ترى ما يُروى في النهج من خطبة أو كتاب مخالفاً لما في الكتب التي في الأيدي في الزيادة والنقصان، أو النظم والترتيب، أو الإيجاز والإطناب، أو غير ذلك، فيعتريك الشك والارتياب، ولكنك بعد النظر والتروي، والوقوف على ما يأتي، تزول عنك الحيرة، وتكون من الأمر على بصيرة.

أولاً: إن الروايات تختلف أشد الاختلاف، ولا سيما في الخطب وأمثالها مما يؤخذ عن حفظ وسماع، كما نشاهد ذلك في ما يرويه أهل السير والتاريخ من الخطب والرسائل في الكتب المتداولة، فترى الجاحظ مثلاً يروي

---

١. أخنى عليها الدهر، أي أتى عليه وأهلكه.

٢. قولهم: (ذهبوا أيادي سبأ)، أي متفرقين، شبهوا بأهل سبأ لمّا مزقهم الله في الأرض كل ممزق، فأخذ كل طائفة منهم طريقاً على حدة. تاج العروس: ج١، ص١٧٣؛ مجمع الأمثال: ج١، ص٢٧٥.

٣. فهرست شيخ الطائفة، وهو أحد الأصول الأربعة الرجالية، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى سنة (٤٦٠هـ). الذريعة: ج١٦، ص٣٧٤.

٤. رجال النجاشي: عمدة الأصول الأربعة الرجالية، نظير الكافي بين الكتب الأربعة للعالم النقاد البصير الشيخ أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (٣٧٢-٤٥٠هـ)، وهو أفضل من خط في علم الرجال أو نطق بفم، لا يقاس بسواه ولا يعدل به من عداه، بل قوله المقدم عند المعارضة على غيره من أئمة الرجال. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج١٠، ص١٥٥.

٥. معالم العلماء: في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم، للشيخ الإمام رشيد الدين محمد بن علي بن شهرآشوب السروي السروي المازندراني، المتوفى سنة (٥٨٨هـ)، عن عمر مائة سنة إلا عشرة أشهر، جعله تتمة لفهرست شيخ الطائفة، وقد زاد فيه نحواً من ثلاثمائة مصنف، وذكر في آخره بعض شعراء أهل البيت c. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٢١، ص٢٠١.

٦. يأتي ذكر المصادر من المؤلف.

الخطبة على صورة تختلف مع ما يرويه أبو جعفر الطبري[1] وهكذا، وترى السيد نفسه يروي الكلام ثم يذكر له رواية أخرى، ولو أردنا أن نذكر لك الأمثلة لاتسع المجال.

ثانياً: إن أكثر ما يرويه السيد من مصادر لم نقف عليها، وروايات لم تصل إلينا، وما تعارف اليوم بين كتّاب العصر مِن ذِكر المصدر، وتعيين موضع النقل منه، لم يكن متعارفاً في الأزمنة السابقة، وسيما أهل السير ورواة الخطب ومنثور الكلام ومنظومه، بل غاية ما يتفق لهم أنهم ربما اسندوا ما ينقلونه إلى راوٍ خاص، وناقل معين، وأغلب ما يسطره أهل التاريخ مرسل، لا يُعلم من أي مخبرٍ سُمِع، ولا عن أي مصدر أُخِذ، فراجع كتب التاريخ التي بين أيدينا.

ثالثاً: إن لمؤلف النهج طريقة في الاختيار، ومنهاجاً في جمع الكلام، صرّح به في خطبة كتابه، قال: (وإذا جاء من كلامه (عليه السلام) الخارج في أثناء حوار، أو جواب سؤال، أو غرض آخر من الأغراض في غير الأنحاء التي ذكرتها، وقررت القاعدة عليها، نسبته إلى أليق الأبواب به، وأشدها ملاحمة لغرضه، وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة، ومحاسن كلم غير منتظمة؛ لأني أورد النكت واللمع ولا اقصد التتالي والنسق)[2]، فإذا عرفت منهاج الشريف وطريقته، وعرفت انه لا يروي إلاّ ما يختاره من الخطبة والخطب المتعددة، وانه قد يروي الخطبة قد جمعها من كلمات متشتتة، وفقرات كل فقرة منها في موضع على حدة، فلا تستغرب عدم وقوفك على مصدر لبعض الخطب تُذكَر فيه بتمامها، ولا عدم موافقة ما يرويه في النهج للمنقول في المصادر التي في الأيدي إلاّ في بعض الفقرات.

رابعاً: لما كان جامع النهج بالمنزلة الرفيعة من العلم والوثاقة والورع والتدين، صح الاعتماد على نقله والأخذ بخبره، ولم نحتج إلى التبيّن في أنبائه، ولم يكن الرجوع إلى غيره عند اختلاف النقل أولى، بل لعل روايته هي الأصح والأرجح؛ لأنه ارفع شأناً من أن يعتمد المراسيل، ويحكم بالشيء من غير دليل، وهو بكلام جَدِّه اعرف، وبه أبصر وأخبر.

المنكرون والمشككون:

الذين أنكروا إن كلام النهج كله من كلام أمير المؤمنين طوائف من الناس، وهذه الطوائف لا تعدو أشخاصاً من المسلمين، وأشخاصاً من المسيحيين والطبيعيين، ولا أهمية للفريقين الأخيرين؛ لأن المسيحيين لا يرون في الغالب إلاّ كتب بعض طوائف المسلمين، فينسجون على منوالهم، ويقتصون آثارهم، وفيهم من يختار ما فيه الوقيعة والتوهين، وإن كان من أقوالهم الواهية، وأما الطبيعيون فيشاركون هؤلاء فيما ذكرناه، وينفردون عنهم بأن شعارهم الجحد[3] والإنكار، والطعن في الكتب المقدسة عند المسلمين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وقد رأيت إن الداعي لإنكاره دون سائر الكتب التي ألفها المؤلفون وجمعها الجامعون من الوقائع والسير والأخبار والأحاديث وغيرها فإنها تتلقى بالقبول، وإن كان الجامع مجهول الحال، غير معروف بالصدق والعدالة، هو أحد أمور كل واحد منها حمل فريقاً من الناس على ذلك:

الأول: ما يوجد في الكتاب مما يتنافى مع مذهب المنكر، ويقدح في عقائده، ولا يمكنه الالتزام به، ولا تأويله، وصرفه عن ظاهره، فلا يسعه إلا الإنكار.

الثاني: أن يكون المنكر مريض القلب، فيَدْعوه مرض قلبه إلى أن يجحد أي مكرمة أو مَحْمَدة تضاف إلى إمام ديني، أو تنسب إلى رئيس روحي.

الثالث: الجهل بمقام من تُنسب إليه مندرجات ذلك الكتاب، وعدم عرفان قدره، وعظم شأنه، فيستبعد المنكر صدور تلك الحِكَم البالغة والخطب الباهرة بديهة وارتجالاً من رجل مقسم القلب، مشتغل بالأمور السياسية والحروب الداخلية.

الرابع: حب الشذوذ والافتتان بالمخالفة قد يكون لأمر سياسي، وقد يكون من الغرائز في بعض النفوس.

---

١. ابن جرير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (٢٢٤-٣١٠هـ)، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى، له: (أخبار الرسل والملوك) يعرف بتاريخ الطبري، و(جامع البيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الطبري. الأعلام: ج٦، ص٦٩.

٢. مقدمة الشريف الرضي في كتاب (نهج البلاغة): ٣٥.

٣. الجحود: الإنكار مع العلم. الصحاح: ج٢، ص٤٥١.

الخامس: عدم الوقوف على مصادر ما فيه من الخطب وغيرها، مع عدم معرفة منهاج الشريف الرضي في جمعه ورواياته.

وأياً ما كان مثير الإنكار وباعثه فلا يدحض الحجة، ولا يدفع البرهان، وسأوافيك بكلمات المنكرين والشاكين، وأذكر لك حججهم، وما يتطرق إليها من الخَلل والزَلل، وأرجو منك أيها الناظر أن لا تقودك عصبية أو جامعة مذهبية إلى ظلم إنصافك ووجدانك، واسترقاق حرية ضميرك.

وكان من الممكن أن نختصر ونقتصر ونورد خلاصة حجج المنكرين وأقوالهم، ولكنا تنكبنا هذه الجادة، وأوردنا الحجج والأقوال بنصها وفصها[1]، تخلصاً من الشبهة، وابتعاداً عن التُهَم. والله الموفق وعليه الاتكال.

كلمات لبعض الشاكين والمنكرين:

قال ابن خلكان[2] في ترجمة الشريف المرتضى: (اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب [رضي الله عنه]، هل هو جمعه أم جَمْع أخيه الرضي؟ وقد قيل انه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه والله اعلم)[3].

قلت: أما ما ذكره من الخلاف في كون النهج من جمع المرتضى أو الرضي فهو في غاية السقوط والوهن، ولا ينبغي أن يلتف إليه، كيف وقد صرّح جماعة من أهل العلم بنسبته إلى الرضي بدون تردد أو تشكيك، والإمامية قاطبة متفوقون على ذلك على اختلاف طبقاتهم في خطبة كتاب النهج صراحة بذلك.

قال مؤلفه: (ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة (عليهم السلام) يشتمل على محاسن أخبارهم)[4]، إلى أن يقول: (وسألوني بعد ذلك أن أبتدئ[5] بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)... إلخ)[6].

وكتاب (الخصائص) من مؤلفات الرضي المشهورة، ونص على ذلك الشريف الرضي أيضاً في كتابه الموسوم بـ(المجازات النبوية)، وفي الجزء الخامس من تفسيره الذي سماه بـ(دقائق التأويل وحقائق التأويل)، وهو كتاب جليل، ولم أقف على من صرّح بنسبة النهج إلى المرتضى من علماء أهل السنة سوى أفراد معدودين، كاليافعي في تأريخه[7]، والصلاح الصفدي[8] والحسن بن سليمان[9]، على ما نقل عنهم.[10]

---

١. الفص من الأمر: مفصله، أي محزه، وأصله، يقال: هو يأتيك بالأمر من فصه، أي يفصله لك. تاج العروس: ج٩، ص٣٢٣.

٢. أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الأربلي، أبو العباس (٦٠٨-٦٨١هـ)، المؤرخ الحجة والأديب الماهر، صاحب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً، ولد في إربل بالقرب من الموصل، وانتقل إلى مصر، وتولى نيابة قضائها، وسافر إلى دمشق فولاه الملك الظاهر قضاء الشام. الأعلام: ج١، ص٢٢٠.

٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج٣، ص٣١٣.

٤. نهج البلاغة: ٣٣.

٥. في الأصل (أبدأ)، والتصحيح من المصدر.

٦. نهج البلاغة: ٣٤.

٧. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان وتقلب أحوال الإنسان، مرتباً على سني الهجرة النبوية من السنة الأولى، للإمام أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني، المتوفى سنة ٧٦٨هـ، وهو كتاب ملخص اقتصر فيه على معرفة المهم، وأخذ تراجم الأعيان من وفيات ابن خلكان وشيئاً من تاريخ ابن سمرة، وأطنب في ذكر الصوفيين. كشف الظنون: ج٢، ص١٦٤٧.

٨. الصلاح الصفدي: أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن موسى بن مهران، أبو نعيم الحافظ (٣٣٦-٤٣٠هـ)، تاج المحدثين وأحد أعلام الدين، له العلو في الرواية والحفظ والفهم والدراية، وكانت الرحال تشد إليه، وكان إماماً في العلم والزهد والديانة، ولد ومات في أصبهان، صنف مصنفات كثيرة منها: (حلية الأولياء)، و(المستخرج على الصحيحين). خلاصة عبقات الأنوار: ج٨، ص٢٢١.

٩. أبو علي الحسن بن سليمان بن سلام البصري الفزاري، الملقب قبيطة، نزيل مصر، وُصِف بالحفظ، مات بمصر سنة (٢٦١هـ). تذكرة الحفاظ. ج٢، ص٥٧٢؛ سير أعلام النبلاء: ج١٢، ص٥٠٨.

١٠. ينظر: أعيان الشيعة: ج٣، ص١٨١؛ شرح محمد عبدة: ج٤، ص١١١.

ولعل منشأ الاشتباه ما ذكره بعض أهل التاريخ من أن الرضي قد يُلقب بالمرتضى تعريفاً له بلقب جده إبراهيم[1]، وقال صاحب كتاب (آداب اللغة العربية)[2] في (صفحة ١٩٥) منه: (وأشهر خطباء ذلك العصر الإمام علي بن أبي أبي طالب، فقد جُمِعت خطبه في كتاب نهج البلاغة، جَمَعها الشريف المرتضى المتوفى سنة (٤٣٦هـ)، ولم يذكر مستنده في هذا النقل، ولعل ذلك الاشتباه سرى إليه.

و أمّا الأمر الذي ذكره ابن خلكان، وهو القول بأنه ليس من كلام علي (عليه السلام)، فهو الأمر المهم الذي عُقِد هذا الكتاب لتمحيصه، وقد علمتَ أن القول بذلك شاذ نادر، ولا يُعتمد عليه في قبال إجماع علماء الفريقين، وما سلف من الحجج والإمارات.

وتعبير ابن خلكان عن ذلك بالقيل مشعر بتمريضه، فالعمدة في المقام ذِكر المنكرين التي وقفنا عليها وبيان دلالتها على ذلك.

الذهبي[3] واحتجاجه على السب[4]:

قال في (ميزان الاعتدال)[5] في ترجمة الشريف المرتضى: (انه هو المتهم بوضع كتاب (نهج البلاغة)، ثم قال: ومَن طالع كتابه (نهج البلاغة) جَزَم بأنّه مكذوب على أمير المؤمنين [علي رضي الله عنه]، ففيه السَب الصراح[6]، والحط[7] على السيدين: أبي بكر وعمر، وفيه مِن التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي مَن له معرفة بنَفَس القرشيين الصحابة، وبنَفَس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل)[8]، انتهى.

ولا يمكن أن يَصْدر من أمير المؤمنين سب أو تظليم لهما، ولا نسبة اغتصاب الأمر[9] إليهما، فانه لا تجوز غيبة المسلم، ولا سبه، ولا نسبة المحرم إليه، فضلاً عن الصحابة الكرام. فيلزم من نسبة ذلك إليه أمّا الطعن فيه أو فيهما.

هذا حاصل الاحتجاج، ولا يخفى أن ما ذكر لا يقضي إلا بأن ما اشتمل عليه ذلك من كلام النهج مدسوس فيه، ولا يقضي بأن جميع ما في النهج من المواعظ والحكم والوصايا والآداب مختلق موضوع، فدليله أخص من دعواه، ويلزمه أن يجزم بأن جميع ما ورد عن الصحابة من قدح بعضهم في بعض، وسب بعضهم بعضاً مختلق موضوع، وهو أمر لا يمكنه الالتزام به، وكأنه أراد بما فيه السب والحط في الخطبة الشقشقية وأمثالها[10]، وهي مما ثبت أنها بخصوصها من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد تعرض لذلك ابن أبي الحديد في شرحه، ويأتي إن شاء الله التعرض لذلك، ولو كان في سندها طعن أو غمز، أو في متنها دس أو وضع، لما احتاج الشارح المذكور[11] إلى ارتكاب التعسف الظاهر والتأويل البعيد، قال في (ص٤٩٦ ج٢) من شرحه: (واعلم أنه قد

---

١. ومنهم: أبو الفداء في تاريخه، نقلاً عن شرح محمد عبدة: ج٤، ص١١١. ولم نقف على نص العبارة المذكورة في الشرح.

٢. تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي بن حبيب زيدان (١٢٧٨-١٣٣٢هـ)، مؤرخ صحافي قصصي لغوي، مشارك في بعض العلوم، ولد ببيروت، وتوفي فجأة في القاهرة، أنشأ مجلة الهلال، ومن تصانيفه الكثيرة: (تاريخ آداب اللغة العربية) في أربعة أجزاء، أخذ أكثر معلوماته من كتاب (أدبيات اللغة العربية) باللغة الألمانية، للأستاذ الألماني بروكلمان. معجم المؤلفين: ج٣، ص١٢٥؛ معجم المطبوعات العربية: ج١، ص٥٥٣.

٣. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله (٦٧٣-٧٤٨هـ)، حافظ مؤرخ علامة محقق، تركماني الأصل، من أهل ميافارقين، مولده ووفاته في دمشق، رحل على القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، وكف بصره سنة (٧٤١هـ)، تصانيفه كبيرة كثيرة منها: (دول الإسلام)، و(سير النبلاء). الأعلام: ج٥، ص٣٢٦.

٤. في الأصل (السلب)، والصواب ما أثبتناه.

٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، وهو كتاب في إيضاح نقلة العلم النبوي، ألفه بعد كتابه (المغني) وزاد عليه زيادات حسنة من الرواة المذكورين في الكتاب المذيل على (الكامل) لابن عدي، ورتبه على حروف المعجم. كشف الظنون: ج٢، ص١٩١٧.

٦. في الأصل (الصريح)، والتصحيح من المصدر.

٧. الحط: نقصان الرتبة والانتقاص. لسان العرب: ج٧، ص٢٧٣؛ القاموس المحيط: ج٢، ص٣٥٤.

٨. ميزان الاعتدال: ج٣، ص١٢٥.

٩. أي الخلافة.

١٠. يأتي بيان ذلك.

١١. وهو ابن أبي الحديد المعتزلي.

تواترت الأخبار عنه (عليه السلام) بنحو من هذا القول -يعني قوله اللهم أستعديك على قريش-[1] نحو قوله: ما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) حتى يوم الناس هذا.

وقوله: اللهم أجز[2] قريشاً، فإنها منعتني حقي، وغصبتني أمري، [وقوله][3]: فجزى قريشاً عني الجوازي[4] فإنهم ظلموني حقي، واغتصبوني سلطان ابن أمي (عمي ح ل)[5].

وقوله، وقد سمع صارخاً ينادي أنا مظلوم فقال: هلم فلنصرخ معاً، فإني ما زلت مظلوماً)[6].

وقال بعد أن ذكر أمثال هذه: (وأصحابنا[7] يحملون ذلك كله على ادعائه الأمر بالأفضلية والأحقية وهو الحق والصواب، فان حمله على الاستحقاق بالنص تكفير أو تفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار، ولكن الإمامية والزيدية[8] حملوا هذه الأقوال على ظواهرها، وارتكبوا أمراً صعباً)[9].

وقال في (ص٥٢ ح ل): (وأما أصحابنا رحمهم الله فلهم أن يقولوا انه لما كان أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الأفضل والأحق، وعدل عنه إلى من[10] لا يساويه في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يماثله في سؤدد[11] ولا شرف، ساغ إطلاق هذه الألفاظ)[12] يعني بها التي في الخطبة الشقشقية.

(قيل أما الإمامية[13] من الشيعة فتجري[14] هذه الألفاظ على ظواهرها، وتذهب إلى أن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) نَصّ على أمير المؤمنين، وأنه غُصِب حقه)[15].

قلت: أمّا ما نقله عن الإمامية من أنهم يجرون هذه الألفاظ وأمثالها مما اشتمل على تظلمه، وغصب حقه، واعتداء قريش على ظواهرها، فالظاهر أنهم كذلك؛ لأنهم يذهبون إلى أن الإمامة لا تكون إلا بالنص، وانه (صلى الله عليه و آله وسلم) نَصّ على أمير المؤمنين بالخلافة والإمامة نصاً جلياً، وأنه قد ظُلِم وغُصِب وبايع قهراً وإكراهاً، وقد تواترت الأخبار عندهم عنه (عليه السلام) وعن أولاده وأهل بيته بذلك، حتى صار أمراً غير قابل للإنكار، ولا صالح للتأويل، فيكون وجود الخطبة الشقشقية وأمثالها في النهج مما يؤكد النسبة، ويؤيد صدوره منه عندهم.

وأما الصحابة وهم الذين قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) عنهم، وهم على ما يقال[16] مائة وأربعة عشر ألف صحابي آخرهم موتاً أبو الطفيل عامر بن واثلة[1]، مات سنة (١٠٠) من الهجرة، فحُكمهم عندهم حُكم

---

١. من المؤلف (رحمة الله).

٢. ورد في المصدر (أخز)، وفي غيره (اجز).

٣. الإضافة من المصدر.

٤. هذه كلمة تجري مجرى المثل، تقول لمن يسيء إليك وتدعوا عليه: جزتك عني الجوازي، والجوازي: جمع جازية، بمعنى المكافأة، دعا عليهم بالجزاء على أعمالهم. شرح ابن أبي الحديد: ج١٦، ص١٥١؛ شرح محمد عبدة: ج٣، ص٦١..

٥. من المؤلف (رحمة الله).

٦. شرح ابن أبي الحديد: ج٩، ص٣٠٦-٣٠٧.

٧. في الأصل (إن أصحابنا)، والتصحيح من المصدر.

٨. أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين ع. الملل والنحل: ج١، ص١٥٤.

٩. شرح ابن أبي الحديد: ج٩، ص٣٠٧.

١٠. في الأصل (ما)، والتصحيح من المصدر.

١١. السؤدد: السيادة والشرف. تاج العروس: ج٥، ص٣٢.

١٢. شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص١٥٧.

١٣. في الأصل (ونقل عن الإمامية) والتصحيح من المصدر.

١٤. في الأصل (أنها تجري).

١٥. شرح ابن ابي الحديد: ج١، ص١٥٦.

١٦. ينظر: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ١٠.

غيرهم من المسلمين في العدالة والفسق، وإن الصحبة تزيد المتقي منهم شرفاً ومنزلة، ولا توجب بمجردها النجاة، إلا مع الإيمان والتقوى وحفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل بيته، فهم يوالون من مات على ذلك، ويبرؤون ممن عادى أهل بيته ويعادونه، ويسكتون عمن جهل حاله.

وأما أهل السنة فيوجبون الكف والإمساك عن جميع الصحابة، وعما شجر بينهم، واعتقاد العدالة والإيمان فيهم جميعاً، وحسن الظن بهم قاطبة. ولتحقيق الحق وكشف الحقيقة مقام آخر، فإن المهم هنا إثبات أن ما اشتمل من كتاب النهج على تظلمه (عليه السلام) وغصب حقه هو من كلام أمير المؤمنين، وقد عرفت أن ابن أبي الحديد يوافق على ذلك، ولكنه يصرف الألفاظ عن ظواهرها بلا صارف، ويحملها على ما لا يساعد عليه مساعد، مع أن منع الحق الثابت بالأفضلية والأحقية ينافي الإيمان والعدالة، فما فَرّ منه فقد وقع فيه.

وأما دعوى الذهبي أن ذلك مكذوب عليه (عليه السلام) فهي دعوى واهية، وأنى له بتكذيب ما ورد عن أمير المؤمنين في غير النهج وعن ذريته الطاهرة من أمثال ما ورد فيه وقد بلغ حد التواتر المعنوي، ومن المحقق انه قد وقع بين الصحابة تساب وتشاجر ونزاع وتخاصم وحط واغتياب، ولا يمكن إنكار جميع ذلك وتكذيبه.

وأما باقي كلام الذهبي فهو مما لا ينبغي أن يعرج عليه، أو يلتفت إليه، وآخره ينقض أوله، ولقد تذكرتُ قوله تعالى: [**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**][2] فسكتُ عن الكلام.

بعض المشككين وحججهم:

قال في (نهج البلاغة): ما يَشُكُ الناقد البصير فيه كما يشك في كثير مما يسند إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) من الأحاديث والأخبار؛ لمباينة بعضه لأسلوب الصدر الأول بوفرة أسجاعه وتوليد ألفاظه، كالأزلية والكيفية، ولعزو العلماء بعضه قبل أن يكون جامع النهج إلى غيره، ولما فيه مما كان كرم الله وجهه أعلى قدراً وأدق نظراً من أن يفوه به، كبعض المطاعن والمغامز التي كان ينكرها على أصحابه إذا سمعهم يسبون أهل الشام، فكيف به وكالذي جاء في آخر القاصعة[3]، وفي الخطبة التي يخبر بها عما يكون من أمر التتار[4]، والخطبة التي يومي بها إلى الحجاج[5]، ونحو ذلك مما لا يتفق وأسلوبه الحر المحقق، وكلامه الحكيم في شيء.

أقول: ظاهر كلامه هو القدح في بعض ما تضمنه كتاب النهج لا في جميعه، وإن ذلك من جهة المتن لا من جهة السند، ولكنها ترجع إليه.

وما ذكره من مباينة ذلك لأسلوب الصدر الأول بأمرين هما: وفرة أسجاعه، وتوليد ألفاظه، فيقال له: أما وفرة الأسجاع فهي ممنوعة، وعلى فرض تسليمها فهي غير موجبة لمباينة أسلوب الصدر الأول، ولا قادحة في فصاحة الكلام إذا جاءت عفواً من غير تكلف ولا تعسف، فأما عدم قدحها في الفصاحة والبلاغة فهو أمر لا مرية فيه، وقد عُدَّ السجع والازدواج[6] من محسنات الكلام.

وأما عدم المباينة فلورود أمثال ما يسميه في النهج سجعاً في كلام العرب، وفي الخطب التي قبل الإسلام، وقد ورد كثيراً في القرآن الكريم، وان منع بعض من تسميته سجعاً احتراماً لكلامه تعالى، وورد في كلام النبي وكلام صحابته من ذلك ما لا يخفى على الخبير.

---

١. عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمرو الليثي الكناني القرشي، أبو الطفيل (٣-١٠٠هـ)، شاعر كنانة، وأحد فرسانها، ومن ذوي السيادة فيها، ولد يوم وقعة أحد، وروى عن النبي محمد g: تسعة أحاديث، وحمل راية الإمام علي (ع) في بعض وقائعه، وعاش إلى أيام معاوية وما بعدها، ثم خرج على بني أمية مع المختار الثقفي مطالباً بدم الإمام الحسين (ع)، توفي بمكة، وهو آخر من مات من الصحابة. الأعلام: ج٣، ص٢٨٥. وقد ورد في الأصل (وائلة).

٢. سورة الفرقان، من الآية: ٧٢.

٣. من ضمن أسباب تسميتها بالقاصعة أنها كالقاتلة لإبليس وأتباعه، مثل قولهم (قصعتُ القملة) إذا هشمتها وقتلتها. صفوة شروح نهج البلاغة: .

٤. وهم الذين خرجوا من أقاصي المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام وبلاد ما وراء النهر وبخراسان وما والاها من بلاد العجم، وفعلوا ما فعلوا بما لم تحتو التواريخ على مثله، وهؤلاء دوخوا المشرق كله. شرح ابن أبي الحديد: ج٨، ص٢١٨.

٥. الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد (٤٠-٩٥هـ)، قائد داهية سفاك خطيب، ولد ونشأ في الطائف، قلده عبد الملك بن مروان أمر عسكره، وكان سفاكاً سفّاحاً باتفاق معظم المؤرخين، وأخبار الحجاج كثيرة، مات بواسط، وأجري على قبره الماء فاندرس. الأعلام: ج٢، ص١٦٨.

٦. ازدوج الكلام وتزاوج: أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن، أو كان لإحدى القضيتين تعلق بالأخرى. تاج العروس، ج٣، ص٣٩٦.

ولو أردنا بسط الكلام في هذا لاتسع المجال، فراجع إن شئت (شرح ابن أبي الحديد) (صفحة ٤١) (ج ل) فانه ذكر إنّ قوماً عابوا السجع، وادخلوا خطب أمير المؤمنين في جملة ما عابوه، إلى آخر ما فصله[١].

وراجع كتاب (الصناعتين)[٢] لأبي هلال العسكري (صحيفة ١٩٩)، وكتاب (المثل السائر)[٣] (صحيفة٧١) وغيرها من كتب الفن؛ لتتضح لك صحة جميع ما ادعيناه.

وأما دعوى توليد بعض الألفاظ الواردة في النهج كالأزلية والكيفية فهي كدعوى التوليد في ألفاظ وردت في كلام عربي يوثق بعربيته، وفي ذلك ما لا يخفى فان المولد هو ما يوجد في كلام من لا يحتج بكلامه من الألفاظ المحدثة التي لم يذكرها أهل اللغة، وأما ما يوجد في الكلام العربي الذي عليه يعتمد وإليه يستند فلا معنى لوصفه بالتوليد، فما يوجد في الكتاب الكريم وفي كلامه (صلى الله عليه و آله وسلم) وكلام صحابته لا يحتاج في شانها إلى كلام كتب اللغة وأهل اللسان، وقد روى لنا جميع ما في النهج راوٍ ثقة معتمد من أئمة العربية عن عربي صراح[٤]، لا تقل روايته في القبول والاعتبار عما يرويه بعض أهل اللغة عن امريء القيس[٥] ونحوه من العرب، ومع ذلك فقد تسلم طوائف كثيرة من المسلمين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم على قبول المروي في النهج وصحة نسبته، أفيصح بعد هذا كله أن يقول قائل فيما رواه ذلك الثبت الخبير عن أفصح العرب إن فيه لفظاً مولداً؟! كلا، ولم لا نشك فيما رواه فلان وفلان من أهل اللغة عن شاعر عربي، ثم نحكم بأن لفظاً في كلامه مولداً وننفي كون ذلك للعرب.

هذا، ولكن الإنصاف إن وجود لفظ لا وجود له في اللغة في كلام يشك فيه انه للعرب يزيد الشك، ولكني لا أدري وليتني دريت بالذي أثار الشك في نفس ذلك الكاتب، وسبب ذلك له، وحيث إنا لسنا على شك نرى ان كل ما في النهج من مفردات الألفاظ ومركباتها مما يحتج به ويصلح شاهداً ودليلاً، ولا نعبأ بما في (أساس البلاغة)[٦] ولا بما بما في (صفحة٣٢٠) من (شفاء الغليل) من أن الأزل والأزلية كله خطأ لا أصل له في كلام العرب، ولا يصح ذلك في اشتقاق ولم يسمع وان أولع به أهل الكلام، انتهى.

بعد ورود هذه الكلمة في كلام أفصح العرب، ولعل صدور مثل هذا الكلام من جهة عدم الاطلاع والإحاطة، ولا يقبل اجتهاد اللغوي في قبال النص العربي، ولذا جعل ابن أبي الحديد قول أمير المؤمنين (عليه السلام) (وقد أرعدوا) حجة على الأصمعي[٧] لما أنكر ذلك[٨]، وزعم انه لا يقال الارعد وابرق، على أن (الصحاح)[٩] و(القاموس)[١٠] و(المجمع)[١] قد ذكرت فيها هذه الكلمة، وشرح معناها، وهي اصح واثبت من (الأساس) و(الشفاء)، وعليها المعوّل واليها المرجع.

---

١. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص١٢٦.

٢. صناعة النظم والنثر لأبي هلال حسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفى سنة (٣٩٥هـ)، وهو عالم بالأدب وله شعر، نسبته إلى (عسكر مكرم) من كور الأهواز، وكتاب الصناعتين على عشرة أبواب. كشف الظنون: ج٢، ص١٠٨٢؛ الأعلام: ج٢، ص١٩٦.

٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير الجزري، المتوفى سنة (٦٣٧هـ)، جمع فيه وأستوعب، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره. كشف الظنون: ج٢، ص١٥٨٦.

٤. الصرح، بالتحريك: الخالص من كل شيء، وكأس صراح: إذا لم تشب بمزاج. الصحاح: ج١، ص٣٨٢.

٥. امرؤ القيس (نحو ١٣٠-٨٠ق هـ)، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يمأني الأصل، مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن، اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل جندج، وقيل مليكة، وقيل عدي، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام. الأعلام: ج٢، ص١١.

٦. أساس البلاغة، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، وهو كتاب كبير الحجم، عظيم الفحوى، من أركان أركان فن الأدب...، ذكر فيه المجازات اللغوية والمزايا الأدبية وتعبيرات البلغاء على ترتيب موادها. كشف الظنون: ج١، ص٧٤.

٧. الأصمعي (١٢٢-٢١٦هـ)، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، نسبته إلى جده أصمع، ومولده ووفاته في البصرة، كان كثير التطواف في البوادي يقتبس علومها ويتلقى أخبارها ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة، أخباره كثيرة جداً، وتصانيفه كثيرة منها: (خلق الإنسان). الأعلام: ج٤، ص١٦٢.

٨. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص٢٣٧.

٩. صحاح اللغة، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، قال في خطبته: (وقد أودعت في هذا الكتاب ما صح صح عندي من هذه اللغة... على ترتيب لم أسبق عليه، وتهذيب لم أغلب عليه، بعد تحصيلها بالعراق رواية وأتقانها درايه ومشافهتي بها العرب في ديارهم بالبادية. الصحاح: ج١، ص٣٣؛ كشف الظنون: ج٢، ص١٠٧١.

١٠. القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، المتوفى سنة (٨١٧هـ)، وقد ميز في هذا الكتاب زياداته على (الصحاح)، بحيث لو أفردت لجاءت قدر (الصحاح). كشف الظنون: ج٢، ص١٣٠٦.

وأما الكيفية فيجري فيها ما جرى في أختها، وقد ذكرها الفيومي في (المصباح)[٢] قال: (وكيفية الشيء حاله وصفته، وأما عزو بعض ما في النهج إلى غيره فهو غير قادح، فان كثيراً مما ينسب إلى شخص ينسب إلى غيره على رواية أخرى، والمعوّل على اصح الروايتين وأصحهما لعلها هي رواية النهج، فقوله: (قبل أن يكون صاحب النهج) كلام لم نجد له فائدة كثيرة، وأما قوله: ولما فيه من المطاعن والمغامز فهي عمدة ما استند إليه الذهبي في نفي كون ما في النهج من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد قدمنا الكلام على ذلك، ونوهنا بما تعتقده فرق المسلمين في ذلك، ونزيد الأمر هنا إيضاحا فنقول: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يكره أن تكون شيعته وأصحابه سبابين شتامين، وكان ينهاهم عن ذلك؛ لأنهم كانوا لا يعرفون مواضع السب، ومواقع الشتم، والأحوال والأوقات والمصالح والمفاسد التي قد تترتب على ذلك، فربما وقع شيء من ذلك في غير موقعه، وحل في غير موضعه، وربما ترتب عليه فساد أو عناد أو إصرار على ظلم أو باطل، كما انه من الممكن أن يترتب عليه إقلاع عن باطل، أو انقياد إلى هدى، وإنصات إلى حجة، وعليه فيكون الطعن والغمز والسب والشتم مما ينقسم باعتبار المصالح والدواعي والأغراض والأسباب والآثار والأحوال والأزمان إلى الأحكام الخمسة التكليفية[٣]، وأمير المؤمنين أبصر بمواقع ذلك، وأعلم وأبر وأتقى، وليس لنا والحال كما عرفت أن نقطع على كلام نشك في نسبته إليه بوجود طعن فيه أو لعن أو غمز أو تظلم ان ذلك ليس من كلامه، وان نسبته إليه باطلة، ولولا ما تضمنه كلامه (عليه السلام) وكلام عترته الهداة لما اتضح الحق وأهله، واستبان الضلال من الهدى، وامتاز الولي من الغوي، والشقي من السعيد.

ثم ان المعروف عنه (عليه السلام) كراهة أن يكون أصحابه سبابين شتامين يكثر منهم السب والشتم ويتكرر منهم، ويكون لهم عادة ثابتة وسجية راسخة بحيث يصدر منهم ذلك لأدنى موجب وأهون سبب، وبحيث يكونون معروفين بهذه الصفة القبيحة والخصلة المستهجنة.

و أما ما جاء في آخر الخطبة المعروفة بـ(القاصعة) فليس هو إلاّ (حديث الشجرة) التي دعاها رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم)، والحديث الوارد فيه كثير مستفيض، ذكره المحدثون في كتبهم، والمتكلمون في معجزاته (صلى الله عليه و آله وسلم)، والأكثرون رووا الخبر فيها على الوضع الذي جاء في خطبة أمير المؤمنين، ومنهم من يروي ذلك مختصراً،[٤] ولا أعلم جهة القدح التي يوجبها ذكر هذه المعجزة في هذه الخطبة حتى اعرج عليها وانشر بساط البحث فيها، كما اني لا اعلم ان ذلك لم صار مما كان كرم الله وجهه أعلى قدراً وأدق نظراً من أن يفوه به، واني ليسبق ألي من كلام هذا الكاتب معنى أنزهه وكل مسلم عنه.

وأما الخطبة التي يخبر بها عما يكون من أمر التتار، والخطبة التي يومي بها إلى الحجاج وغيرهما من خطبه المشتملة على الأخبار عن المغيبات فلا ينبغي أن يستغرب ذلك، ولا يستنكره إلا من لم يعرف قدر أمير المؤمنين ومقامه، وانه باب مدينة العلم، وانه إلى ما يضيق عنه نطاق الحصر، ولا غرو إن لم يصدر أمثال ذلك من أحد الصحابة، فانه قد امتاز عنهم بأمور كثيرة خصه (صلى الله عليه و آله وسلم) بها، وله معه خلوات لم تتهيأ لغيره، وقد استفاد من علومه ما لم يستفده غيره ولا أحاط به سواه، وقد اخبره بما سيكون بعده من الحوادث والوقايع والماجريات، وقد صرح (عليه السلام) بذلك للكلبي[٥] بقوله: (يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم)[٦]، وكان (عليه السلام) كثيراً ما يخبر بالمغيبات والحوادث قبل وقوعها، فلا يستغرب من الكلام المنسوب إليه إذا اشتمل على ذلك؛ بل لعل ذلك مما يؤيد نسبته إليه ويؤكدها، والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، ولكنه يعلمه لمن يشاء من عباده الصالحين. هذا إن قصد الكاتب هذا المعنى، وإن قصد معنى آخر فلفظه قاصر عن إفادته.

---

١. مجمع البحرين ومطلع النيرين، في غريب القرآن والحديث، للشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن طريح النجفي، المتوفى سنة (١٠٨٥هـ)، وقد كتبه بعد (غريب الحديث) مستقصياً لهذا اكتاب، واستخرجه غالباً من (الصحاح)، و(القاموس)، و(النهاية)، و(المجمل)، و(المعرب)، وأمثالها، وقد فرغ منه في ١٦ رجب سنة ١٠٧٦هـ. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٢٠، ص٢٢.

٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للشيخ أحمد بن محمد بن علي الفيومي، أبو العباس (ت: ٧٧٠هـ)، اللغوي المشتهر بكتابه المذكور، والذي جمع فيه غريب شرح الوجيز للرافعي، وأضاف إليه زيادات من لغة غيره، ومن الألفاظ المشتبهات، جمع أصله من نحو سبعين مصنفاً مطولاً ومختصراً، فرغ من تأليفه في سنة (٧٣٤هـ)، كشف الظنون: ج٢، ص١٧١٠.

٣. وهي الوجوب والحرمة والندب والكراهة والإباحة.

٤. ينظر: شرح ابن ابي الحديد: ج١٣، ص٢١٢.

٥. الوارد في (نهج البلاغة): (وقال للرجل وكان كلبياً).

٦. نهج البلاغة: ١٨٦.

وأما قوله في آخر كلامه: (مما لا يتفق وأسلوبه الحر وكلامه الحكيم في ذلك) فلا يخفى ان معرفة الأساليب إنما تكون لأهل الذوق والخبرة التامة بعلمي المعاني والبيان، والأنس الكامل بذلك الكلام، وليس كل من اشتغل بنحو وصرف حتى تمكن من تقويم لسانه يكون من أهل الذوق، وممن يصلح لانتقاد الكلام والتمييز بين أساليبه، قال ابن أبي الحديد في شرحه (ص٢٣٥ج٢): (إنما[١] أهل الذوق [هم][٢] الذين اشتغلوا بعلم البيان، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر، وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة، فإلى أولئك ينبغي أن ترجع في معرفة الكلام [وفضل بعضه على بعض][٣] إن كنت عادماً لذلك من نفسك)[٤]، ولعل هذا الكاتب من هؤلاء، وممن مارس كلام أمير المؤمنين وأنس به حتى صار عارفاً بأساليبه، ومقتدراً على معرفة ما يوافق أسلوبه الحر وما لا يوافقه.

فجر الإسلام ونهج البلاغة:

جاء في كتاب (فجر الإسلام)[٥] – وهو كتاب لا يخلو من تخرص وظنون وحدس وتخمين– ما نصه في (ص١٧٨) ونسبوا إليه -يعني إلى أمير المؤمنين- ما في (نهج البلاغة) وهو يشتمل على كثير من الخطب والأدعية والكتب والمواعظ والحكم، وقد شك في مجموعها النقاد قديماً وحديثاً كالصفدي وهوار، واستوجب هذا الشك أمور ما في بعضه من سجع منمق، وصناعة لفظية لا تعرف لذلك العصر كقوله: (اكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير)[٦]، وما فيه من تعبيرات إنما حدثت بعد أن نقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية، وبعد أن دونت العلوم كقوله: (الاستغفار على ستة معان)[٧]، (والإيمان على أربعة دعائم)[٨]، وكالذي وكالذي فيه من وصف الدار، وتحديده بحدود هي أشبه بحدود الموثقين كقوله: (وتجمع هذه الدار حدود أربعة الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات... الخ)[٩]، هذا إلى ما فيه من معان دقيقة منمقة على أسلوب لم يعرف إلا في العصر العباسي كما ترى في وصف الطاووس.[١٠]

انتهى ما له دخل من كلامه في المقام، وظاهره الشك في نسبة كلام النهج إلى أمير المؤمنين؛ بل لعل الظاهر منه بعد إمعان النظر فيه الجزم بالعدم، وعلى أي حال فاللازم البحث والنظر في كلماته.

أما قوله: (وقد شك في مجموعها النقاد)، ففيه إن هذا غير ضائر بعد أن تيقنه جمهور العلماء قديماً وحديثاً، وأهل التاريخ والأدب والسير والمغازي من جميع فرق المسلمين، وبعد أن رواه الثقة الثبت المعتمد الذي لا مغمز فيه، وقد تلقاه بالقبول أكثر طوائف المسلمين بلا تشكيك ولا تردد، وفيهم من هو أغزر من الصفدي وهوار علماً، وأوسع إحاطة، وأطول باعاً في الخبرة والاطلاع، وما يعمل تشكيك هذين مع جزم الجم الغفير من فطاحل العلم وخريتي الصناعة، ولو كان تشكيك الشاذ وتردد النادر ذا قيمة وأهمية لما اتسع لكاتب ولا لمؤرخ ما اتسع له من إثبات الوقائع ونسبتها لأحد، ولما تسنى لصاحب (الفجر) نفسه أن يكتب هذا الكتاب الضخم، فإن كثيراً من منسوباته لا يسلم من مشكك في النسبة أو قادح فيها بل أو متيقن للخلاف.

---

١. في الأصل (إن).

٢. الإضافة من المصدر.

٣. الإضافة من المصدر.

٤. شرح ابن أبي الحديد: ج٧، ص٢١٦.

٥. فجر الإسلام، لأحمد أمين ابن الشيخ ابراهيم الطباخ (١٢٩٥-١٣٧٣هـ)، عالم بالأدب...، من كبار الكتاب، اشتهر باسمه (أحمد أمين) وضاعت نسبته إلى (الطباخ)، مولده ووفاته بالقاهرة، وقد كان لكتابه (فجر الإسلام) عام انتشاره سنة (١٩٥٢م) دوي واسع النطاق في الأوساط الإسلامية...، وقد رد عليه أعلام العصر بأنواع الردود، فألف الشيخ المصلح كاشف الغطاء (أصل الشيعة وأصولها) رداً عليه، كما رد عليه العلامة الشيخ عبد الله السبيتي بكتاب أسماه (تحت رأية الحق). الأعلام: ؛ أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: ٦٨.

٦. نهج البلاغة: ٤٠٥.

٧. نهج البلاغة: ٥٤٩.

٨. نهج البلاغة: ٤٧٣.

٩. نهج البلاغة: ٣٦٥. وتتمة قول أمير المؤمنين (ع): (والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات، والحد الثالث ينتهي إلى الهوى المودي، والحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي).

١٠. ينظر: فجر الإسلام: ١٤٨.

وأما ما ذكره من موجبات الشك ومثيراته فهو على ما يزعم أمور:

الأول: ما يوجد فيه من سجع منمق وصناعة لفظية، وقد تقدم منا الكلام على ذلك وذكرنا ان القرآن المجيد قد اشتمل على كثير من الفواصل[1]، ومن الصناعة اللفظية، وأنواع البديع، ويوجد مثل ذلك في خطب العرب قبل الإسلام وبعده.

الثاني: ما فيه من تعبيرات إنما حدثت بعد أن نقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية، وبعد أن دونت العلوم، يعني: والتدوين والنقل لم يكونا إلا بعد انقضاء عصر الصحابة وتصرمه، وهذا الأمر كالأمر الثالث الذي ذكره من اشتماله على معان دقيقة وأساليب لم تعرف إلا في العصر العباسي مرجعها إلى أمر واحد؛ بل مرجع الأمور الثلاثة إلى انه قد اشتمل على ما يشابه كلام العرب في صدر الإسلام، وكلام الصحابة الذين في عصره، وهذه الدعوى تحتاج إلى إحاطة تامة واستقراء كامل، ولا يكفي فيها الحدس واستقراء موارد جزئية، على أن أهل العصر الواحد لا يجب أن تتفق أساليب كلامهم ومناهجهم في الكتاب والعبارة إلى زمن انقراضهم، كما هو المشاهد لنا فإنا نشأنا وللشعر والنثر وكتابة الكتب والرسائل منهج وطريقة يسير عليها الكتاب والشعراء، وأخيراً تغيّر ذلك المنهاج، وتبدلت تلك الطريقة، وهُجر ذلك الاستعمال في الشعر والنثر والكتب والرسائل، ومنشأ ذلك إما تبدل الأذواق والأميال لسبب من الأسباب، أو حصول الرقي بواسطة انتشار العلوم، أو غير ذلك من الدواعي والأغراض، وربما يوجد في أهل عصر واحد من ينفرد بطريقة ويختص بأسلوب لا يوجد في كلام الفرد الآخر من أهل ذلك العصر، فعليك بالتروي في هذا المجال وإمعان النظر فيه، فانه يحتمل من المقال أكثر مما حررناه، لكن الوقت لم يتسع لبسط القول فيه، ولا ينبغي الحكم على كلام بأنه ليس لأهل العصر الفلاني إلاّ إذا اشتمل على شيء يجزم بأنه لا يوجد في كلام أهله على اختلاف طبقاتهم وتباين أذواقهم ومعارفهم، وهو أمر يحتاج إلى استقراء تام، وإحاطة كاملة بأحوال الرجال، وتفاوت مراتبهم في الكمال، بعد[2] فمما لا شك فيه إن الإسلام قد أثر في لغة أهله وفي نظمها وتراكيبها أثراً بيناً، وأدخل فيها أموراً لم تكن قبله كما ان القرآن المجيد قد علم قراءه من الصناعة اللفظية ودقائق المعاني وبديع الأساليب شيئا لم تعرفه عامة أهل العصر من العرب وأهل البوادي والوبر[3]، وكذلك السنة الشريفة، على انه من الممكن إن لم يكن من المحقق الثابت ان في الصحابة من العلماء الكبار المطلعين على الفلسفة اليونانية وغيرها المحيطين بالعلوم وكيفية تدوينها قبل انتشارها في عصرهم؛ بل وفي العصور المتأخرة وقبل تداولها بين الناس، وكان كاتب (الفجر) ينظر إلى الناس بعين واحدة من غير تفرقة بين الآحاد[4] ولا ميزة بين الأشخاص، فلا يفرق بين الذرة والطود[5]، ولا بين عالم صحابي أحاط بالعلوم، وثقفته يد النبوة، وتخرّج من الكلية الإلهية، وبين إعرابي بدوي درج بين مراتع الوحش، ومنابت القطر، وكان عصر النبوة يجمع بين الفريقين، وكلامهم يتفاوت بقدر تفاوت أشخاصهم، ثم يقال له بعد هذا كله إن احتمال الوضع والدس لو كان له مجال لكان بما هو أشبه بكلام أهل ذلك العصر أولى وأحرى؛ لأن أهل الوضع غالباً لهم معرفة تامة بأساليب كلام من يريدون أن ينسبوا إليه ما ليس له، فلا ينسبون ما لا يعرف إلاّ في العصر العباسي مثلاً إلى من تقدم على ذلك العصر؛ لأنه من نقض الغرض وتفويت المقصود كما لا يخفى على كل ذي بصيرة.

وأما قوله: (كما ترى في وصف الطاووس) فهو قول بين الوهم، فانك لا ترى أي ميزة بين (الخطبة الطاووسية) وبين غيرها من الخطب تخص بالذكر وينوه عنها كشاهد على الدعوى، فان من انس بكلام النهج وعرف أساليبه لا يجد فرقاً بينه وبين غيرها في تنميق الألفاظ، والتفنن في الأوصاف، ودقائق المعاني، وبدائع النظم، وحسن الانسجام.

نعم، ربما اعترض شاك أو مرتاب فقال: أين العرب وهذا الطائر، ومتى رآه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحابه حتى يقول في هذه الخطبة (أحيلك من ذلك على معاينه)[6] مشيراً إلى حاله في سفاده[1]، ورؤية ذلك إنما

---

١. وهي فواصل الآي، والفاصلة: كلمة آخر الآية كقافية الشعر، وقرينة السجع، وفائدتها الوقف، والدلالة على أن الكلام قد انقطع، وأن ما بعده مستأنف. ينظر: تفسير جوامع الجامع: ج٣، ص٨٣؛ الإتقان في علوم القرآن: ج٢، ص٢٦٠.

٢. كذا.

٣. ورد في الحديث: (أحب إلي من أهل البوادي والوبر)، أي أهل البوادي والمدن والقرى، وهو من وبر الإبل؛ لأن بيوتهم يتخذونها منه. تاج العروس: ج٧، ص٥٧٩.

٤. الآحاد: جمع للواحد، لا للأحد الذي لا يجمع. ينظر: تاج العروس: ج٤، ص٣٣١.

٥. الطود: الجبل العظيم. الصحاح: ج٢، ص٥٠٢.

٦. نهج البلاغة: في وصف الطاووس، ٢٣٧.

تكون لمن تكثر الطواويس عنده، ويطول مكثها لديه، وقد ذكر هذا الاعتراض شارح النهج في (ص٤٨٤ج٢) وأجاب عنه بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يشاهد الطواويس بالمدينة بل بالكوفة، وكانت يومئذ تُجبى إليها ثمرات كل شيء، وتأتي إليها هدايا الملوك، ورؤية المسافدة مع وجود الذكر والأنثى غير مستبعدة، وهذا كله من الجهل بمقام أمير المؤمنين، وفضله ومبلغه من العلم.

المقتطف ونهج البلاغة:

كتب في (المقتطف) في (ص٢٤٨ من المجلد الـ٤٢) تحت عنوان (عهد الإمام علي وكتاب السلطان بايزيد الثاني) ما نورد منه هنا الشيء الذي له دخل بالخطة التي نتوخاها، قال: (لا يخفى أن عهد الإمام علي هذا وارد في نهج البلاغة، ونهج البلاغة كله مظنون في نسبته إلى الإمام علي، ويقال انه من وَضْع الشريف الرضي، وليس هذا محل البحث في ذلك، ولكن هذه النسخة المخطوطة نحو خمسمائة سنة -يعني بها كتاب السلطان المذكور وهو كتاب كتب فيه عهد الإمام إلى مالك الأشتر[٢] حين ولاه مصر سنة ٨٥٨هـ- تدل على أن البعض من كتّاب العربية يستحلون أن يقحموا أقوالهم وآراءهم بين أقوال غيرهم وآرائه وينسبونها إليه، ومن كان كذلك لا يكبر عليه أن يؤلف كتاباً وينسبه إلى غيره مبالغة في إكرامه وإثباتاً لغرض يقصده؛ بل قد استحل كتابنا ورواتنا سامحهم الله ما هو أعظم من ذلك فوضعوا الشيء الكثير من الأحاديث وجعلوها أركاناً تبنى عليها المعاملات، كما استحل الرواة قبلهم نظم الأشعار ونسبتها إلى الجاهلية ليبيعوها من الخلفاء والأمراء). قال: (وقد نشرنا فيما يلي بضع صفحات من هذا العهد كما هو في نسخة السلطان بايزيد التي عندنا، وكما هو في نهج البلاغة المطبوع في مصر، وذلك في حقلين متقابلين لإظهار ما في الثاني -نهج البلاغة- من الزيادات المقحمة فيه، ثم نقل ما في النهج وما في نسخة السلطان بايزيد في أربعة صفحات تقريبا، ثم عَقّب ذلك بقوله: (ترى من ذلك ان الذين تطاولوا على صورة هذا العهد التي كانت متعارفة منذ خمسمائة سنة، وزادوا فيها هذه الزيادات الكثيرة، زادوها غير متعمدين ضرراً، ولعلنا لو وقع لنا نسخة خطت قبلها بخمسمائة سنة لرأينا في نسختنا -يعني نسخة السلطان بايزيد- من الزيادات الشيء الكثير حتى نصل إلى النسخة الأولى التي نسبت إلى الإمام علي فلا نجدها ربع ما هي الآن، وسواء كتب هذا العهد الإمام علي نفسه أو كتبه آخر ونسبه إليه فيبعد عن التصديق أن يكتبه مطولاً مسهباً على هذه الصورة التي نراه فيها الآن، وأهل ذلك العصر كان يعوزهم القرطاس[٣]، حتى أنهم كانوا يكتبون على الجلود والعظام، وما وجد مكتوباً من عهودهم نراه في غاية الإيجاز، والعهد في صورته الحاضرة لا يكتبه إلا رجل متأنق حرفته صوغ الكلام، لا أمير مشغول بالحرب والجهاد كما كان الإمام علي، وقس عليه كل الخطب المنسوبة إليه، والأشعار التي قيل أنه نظمها.

ثم ختم هذه المقالة الشنيعة التي حط فيها من كرامة رجال الدين والأدب بقوله: (والنصائح التي فيه من أبلغ وأحكم ما كتبه الحكماء والفلاسفة في كل عصر، وما أحراها أن تكون مرشداً لكل من ولي أمر الناس).

هذا نص ما كتبه (المقتطف) في (الجزء الثالث من المجلد ٤٢(١مارس) آذار سنة ١٩١٣، الموافق٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٣١هـ)، وفي هذه المقالة جملة أمور مهمة منها ما يمكن للمنكر أن يتمسك به ويستند إليه، ومنها أمور أخَر يلزم كشف الحقيقة عنها استطراداً، وسنشير إلى جميع ذلك إن شاء الله.

قوله: (نهج البلاغة كله مظنون... إلخ) إن هذا القائل لا خبرة له بمثل هذه الموضوعات ولا قيمة لكلامه فيها، وقد ذكر انه لا محل للبحث في نسبة النهج ولكن الناظر في كلامه يرى أنه لم يترك في الكنانة[٤] سهماً إلا رماه.

قوله: (لكن النسخة المخطوطة تدل على أن البعض من كتّاب العربية يستحلون أن يقحموا أقوالهم... إلخ) هذا الكلام في غاية السقوط والوهن، والدلالة بأقسامها ممنوعة أشد المنع كما سيتضح لك ذلك؛ أن المقتطف قايس بين العهد الذي في النهج والعهد الذي في نسخة السلطان المخطوطة سنة (٨٥٨)، فوجد أن نسخة النهج أبسط وأطول من نسخة السلطان، فاستنتج من ذلك أن هذه الزيادات إنما حدثت من سنة (٨٥٨) إلى زمن طبع نسخة النهج في مصر أو بيروت سنة (١٣٠٧)، وبنى على هذا الأساس ما بنى، وفرّع على هذا الأصل ما فرّع، ولم يلتفت إلى

---

١. نزو الذكر على الأنثى. يقال ذلك في التيس والبعير والثور والطير. الصحاح: ج٢، ص٤٨٩.

٢. مالك بن الحارث الأشتر النخعي، جليل القدر، حاله أشهر من أن ينبه عليهما، لما بلغ أمير المؤمنين (ع) موته تأوه حزيناً وقال: (رحم الله مالكا، وما مالكاً أعز على هالكا، ولو كان صخراً لكان صلدا، ولو كان جبلاً لكان فندا وكأنه قدمني قدا). رجال ابن داود: ١٥٧.

٣. القرطاس: الذي يكتب فيه. الصحاح: ج٣، ص٩٦٢.

٤. الكنانة: التي تجمع فيها السهام. الصحاح: ج٦، ص٢١٨٨.

أن نسخة النهج أقدم وأسبق تأريخاً من نسخة عهد السلطان؛ لأن نسخة النهج التي طُبع عليها كتبت سنة (٤٠٠)، وهي متلقاة من جامعها الشريف يداً بيد، وعصراً بعد عصر، ولو كان فيها إقحام أو زيادة لنبه على ذلك أحد الشرّاح على كثرتهم، أو أحد أهل العناية بهذا الكتاب من رواته وحامليه، وفي إحدى مكتبات النجف الاشرف ألآن نسخة من النهج مخطوطة سنة (٧٠٦)، ونسخة العهد فيها مطابقة للعهد المذكور في نسخة النهج المطبوعة.

ثم إن عبد الحميد شارح النهج قد شرح العهد المذكور على الصورة الموجودة في النسخة المطبوعة، وقد توفي عبد الحميد سنة (٦٥٥) وكذا شارح النهج الفيلسوف الحكيم بن ميثم المتوفي سنة (٦٧٩)، ومن هذا كله يتضح لك أن نسخة السلطان إما مختصرة من نسخة النهج، أو أنها نُسِخت على رواية أخرى، فان روايات الخطب والعهود تختلف اشد الاختلاف، وصاحب (المقتطف) رأى نسخة السلطان فكأنه ظفر بالوحي المنزل والحقيقة الراهنة، وقد راقه حسن خطها وبديع زبرجها ونسبتها إلى السلطان بايزيد، وهذه أمور عرضية لا تزيد الكتاب قيمة أدبية ورفعة شأن، وإنما المجدي في ذلك أن يكون الكتاب مصححاً مقروءاً على الأساتذة، مطابقاً لأصل معتبر، نقل منه بشهادة أهل الفضل بجميع ذلك، ونسخة السلطان لم تحو صفة من هذه الصفات، وعلى فرض صحتها فلا يمكن الحكم والجزم بأن نسخ العهد في العصر الثمانمائة في جميع نسخ النهج مطابقة لنسخة السلطان، وصاحب (المقتطف) لم ير غير تلك النسخة، ولم يبحث عن النسخ من زمن الأربعمائة إلى زمن خط نسخة السلطان؛ بل استكشف نسخة السلطان من أن جميع النسخ المنسوخة من الثمانمائة إلى الأربعمائة الذي هو زمن فراغ مؤلف النهج منه كلها مطابقة وموافقة لنسخة السلطان، وان مصدرها هو نفس نهج البلاغة دون غيره من المصادر، وكل هذه الأمور لم تثبت، ودون إثباتها خرط القتاد[1]، واحتمال كونها في الواقع كذلك لا يوجب الجزم والحكم، وهذا أظهر من أن يخفى.

ثم ان هذا الكاتب الكبير الذي نرى له الميزة على أترابه والتفوق على أقرانه بعد أن حكم بالزيادة والإقحام في العهد المذكور من بعض الكتّاب، حكم بمثل ذلك على جميع كتّاب العربية بأنهم يستحلون إقحام أقوالهم بين أقوال الغير ونسبتها إليه، وقد علمت أن أصل الزيادة غير محققة؛ بل محققة العدم، وعلى فرض تحققها فلا معنى للحكم على جميع الكتاب بواسطة ثبوت ذلك لفرد منهم على فرض ثبوته، فيا قرّاء (المقتطف) وأنصاره هل يتسع لمقتطفكم بمثل هذه الأسس الواهية أن يصم[2] جميع كتاب العربية بالتدليس وتشويه الحقائق وفيهم أهل الورع والدين والفضيلة والكمال، وهم جديرون بأن ينزهوا عن الكذب والغش، ويبرؤوا عن التدليس والوضع، ولا يستحلوا الكذب والباطل؟! ولعمر الحق إن هذا أمر لم نعرفه في كاتب عربي ولا شاعر إسلامي أو جاهلي، والذين يقولون شعراً وينسبونه لغيرهم أشخاص معروفون ساقطون لا يعتمد عليهم ولا يوثق بهم، ولا تكاد تجد طائفة من أهل العلوم والآداب من سائر الملل والأديان إلاّ وتجد فيهم أفراداً ساقطين لا يؤبه بهم ولا يعول عليهم.

ثم إن كاتب المقتطف لم يقتنع بذلك المقدار من وصم كتاب العرب ورواة الشعر بما يوجب القدح فيهم والحط من شأنهم حتى ارتقى إلى رواة الأحاديث والأخبار التي عليها تدور رحى الديانة الإسلامية، فنسبهم إلى الوضع والاختلاق والتدليس، وهو افتراء بلا امتراء[3]، وكذب وبهتان.

كيف يستحل رواة الأحاديث أن يكذبوا على الله تعالى أو على رسوله أو على أحد أئمة الدين، وأن يدخلوا في الدين ما ليس منه؟! والكذب عندهم من الكبائر الموبقة والمحرمات الفضيعة.

نعم، يوجد بعض الكذابين والوضاعين في الرواة وهم معروفون، وقد كتب علماء المسلمين في معرفة رجال الحديث ومقدار ما لهم من الوثاقة والصدق وفي أحوال المدلسين والوضاعين وفي الأحاديث الموضوعة كتباً تفوق الحصر، وليس في جميع المسلمين من يستحل الوضع، والواضع منهم يعلم أنه قد أقدم على ما لا يحل له، كالعاصي الذي يرتكب بعض المحرمات والآثام.

قوله: (ولعلنا لو وقع لنا نسخة خطت قبلها بخمسمائة سنة... إلخ) لا وقع لهذا الترجي عندنا أصلاً، وقد وقعت لنا نسخ من نهج البلاغة وفيها صورة العهد المنوّه عنه، وقد خطت قبل نسخة السلطان بأكثر من مائة سنة، والآن توجد نسختان منها أحدهما في النجف الأشرف والثانية في بغداد عند فاضل نجفي.

---

١. الخَرْط: قشرُك الورق عن الشجرة اجتذاباً بكفك، والقتاد: شجر له شوك أمثال الأبر، فيقال (دون ذلك خرط القتاد) وهو مثل يضرب للأمر دونه مانع. مجمع الأمثال: ج١، ص٢٦٥.

٢. وصم الشيء وصماً: إذا عابه، وزاد بعضهم: بأشد العيب. تاج العروس: ج١٧، ص٧٣١.

٣.الامتراء في الشيء: الشك فيه. الصحاح: ج٦، ص٢٤٩٢.

قوله: (ويبعد عن التصديق أن يكتبه مطولاً مسهباً على هذه الصورة، أهل ذلك العصر كان يعوزهم القرطاس) إعواز القرطاس كان في مبدأ الإسلام قبل أن ينتشر في الآفاق وتكثر فتوحاته وتتسع بلاده، وأما في زمن ظهور خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) فلم يكن الأمر كذلك، فإن المسلمين قد فتحوا بلاداً كثيرة، وملكوا دول الأكاسرة[1] والقياصرة[2]، فلم يكن يعوزهم ذلك، قال ابن أبي الحديد في (ص٤٨٤ ج٢): (وكانت الكوفة يومئذ-يعني يوم كان فيها أمير المؤمنين- تُجبى لها ثمرات كل شيء، وتأتي إليها هدايا الملوك من الآفاق)[3]، على أنه قد وُجِد من الكتب السماوية والصحف الدينية ما هو أطول من هذا العهد.

قوله: (والعهد في صورته الحاضرة لا يكتبه إلا رجل متأنق حرفته صوغ الكلام، لا أمير مشغول بالحرب والجهاد كما كان الأمير علي، وكذا الخطب المنسوبة إليه) إن كاتب (المقتطف) لا يعرف قدر أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولا يدري ما له من القيمة والمنزلة، ولا يعلم ما جَبَله الله عليه من الفصاحة والبلاغة، وما أتاه من العلم والحكمة، وإنما يراه كرجل عادي، ولو تكلمنا معه على هذا الفرض وعلى مبلغه من العلم فيه لقلنا فيه: إن عليا من أفصح بيت في العرب، وأعلاهم ذروة في البلاغة، وقد مُنِح لساناً طلقاً، وفكرة وقادة، وفهماً ثاقباً، وقد رَبِي ودَرج مع أفصح من نطق بالضاد[4]، حتى صارت الفصاحة من غرائزه وملكاته، فلا يتكلم إلا بالفصيح والأفصح والبليغ والأبلغ، ولا يحتاج في صوغ الألفاظ ونظمها إلى تأنق ولا إعمال فكر وروي؛ بل تنقاد له أزمة الكلام العالي طوعاً بلا تكلف، وتجري معه صعابه طبعاً وعادة، فلا يشغله حرب ولا جهاد، ولا يصده جدال ولا جلاد، وقد فات هذا الكاتب إن الحروب والفتن مما تنبه الخواطر وتهيج النفوس، وتدعو الأمير والقائد إلى الاستنهاض والاستنفار وإثارة العزائم والوعد والوعيد والحث والتهييج والوعظ والإرشاد وإقامة الحجة والبرهان وغير ذلك من المقاصد والأغراض، وكان ينبغي أن ينتشر عنه (عليه السلام) من الخطب والمقالات والكتب والرسائل والحكم والنصائح أكثر مما تناقلته الصحف وأثبتته الرواة؛ لأن أيام خلافته الظاهرية أكثرها أيام أمور هائلة، تشحذ اللسان وتصقل الأفكار والخواطر[5]، وكان (عليه السلام) يصرف أيام حياته وأوقات صحته ونشاطه في الأمور التي نوهنا عنها، لا يشغله عن أمر الإصلاح الديني والنجاح الحقيقي وإعلاء كلمة الحق وإزهاق الباطل لذة من لذائذ الدنيا ولا شهوة من شهواتها، بسنانه ولسانه وأقواله وأفعاله يعترف له بذلك المبغض والودود والوامق[6] والحسود، ومن قرأ كتب التاريخ يقف على ذلك.

وأما قوله: (لا يكتبه إلا رجل متأنق حرفته صوغ الكلام) فهو كلام رجل قليل الخبرة بأحوال العرب، وبما منحهم الله من الفصاحة وعلمهم من البيان، والعرب كانت ترتجل الشعر الرجز والقصيد، وتقوله بداهة وبلا روية، وقد ذكر ابن ظافر من ذلك شيئاً كثيراً، وإذا كان الشعر وهو أشد كلفة وأكثر قيوداً من النثر المسجوع مما ترتجله العرب وتقوله بلا روية، ولا يعجزها أمره، ولا يأبى عليها صعبه، وان لم يكن لها ذلك حرفة ولا عمله صنعة، فكيف بالنثر المسجوع، وهو أهون من النظم وأقل كلفة وأسهل مؤونة؟! أفيستبعد بعد هذا من إمام البلاغة ومالِك أزمّة الفصاحة الذي يقول فيه عدوه[7]: (لو جُمعت ألسن الناس فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان علي)[8] أن يرتجل الكلام المنثور الذي يتفق فيه السجع، ولا يستبعد ارتجال الشعر والخطب من أذناب العرب وصعاليكهم؟!

---

١. الأكاسرة جمع كسرى بفتح الكاف وكسرها، وهم الفرس المجوس، ملكوا العراق والعجم نحواً من خمسمائة سنة، وأول ملوكهم دارا، وعدة ملوكهم خمسة وعشرون نفساً منهم امرأتان، وكان آخر القوم يزدجرد الذي هلك في زمن عثمان. تاريخ الإسلام: ج٣، ص١٦٠؛ المواقف: ج١، ص١٨.

٢. القياصرة: من أعظم ملوك العالم وأشهرهم، وكان لهم الاستيلاء على جانب البحر الرومي من الأندلس إلى روما إلى القسطنطينية إلى الشام إلى مصر والاسكندرية إلى أفريقيا والمغرب، وحاربوا الترك والفرس بالشرق، والسودان بالمغرب، كانوا أولاً على دين المجوسية ثم بعد ظهور الحواريين ونشر دين النصرانية بأرضهم وتسلطهم عليهم بأرضهم أخذوا بدينهم. تاريخ ابن خلدون: ج٢، ص٢١٠.

٣. شرح ابن أبي الحديد: ج٩، ص٢٧٠.

٤. وهو رسول الله g القائل: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أفصح من نطق بالضاد). شرح أصول الكافي: ج٩، ص٣٣٢.

٥. الخاطر: ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر، وقال ابن سيدة: هو الهاجس. تاج العروس: ج٦، ص٣٥٧.

٦. المقة: المحبة، وقد ومقه يمقه بالكسر فيهما: أي أحبّه ، فهو وامق. الصحاح: ج٤، ص١٥٦٨.

٧. وهو معاوية بن أبي سفيان.

٨. الإمامة والسياسة: ج١، ص١٠١.

وأما خطبه في التوحيد والعدل والمباحث الإلهية التي لم تعرف إلا من كلامه (عليه السلام) كما نبّه على ذلك عبد الحميد في شرحه (ص١٢٠ من ج٢)، وعَدّ ذلك من أعظم فضائله ومميزاته على أقرانه، فلا ينبغي أن يرتاب فيها من علم مقام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعلم ما استمده من علوم مَن لا ينطق عن الهوى [**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**][1].

صاحب دائرة المعارف المصرية[2] ونقده:

قال في مادة (الك) (ص٤٦٨): (إن ما روي عن علي (عليه السلام) حظه من عدم الثقة حظ سابقه؛ لأن هذه الجملة منقولة عن نهج البلاغة - يعني بها جملة قدم ذكرها في كلام نقله عن النيسابوري في تفسيره[3]- وقد حكم نقدة الكلام ان هذا الكتاب ليس له، بل تقوله عليه المتقولون، وقد غري[4] أهل البطالة[5] قديماً وحديثاً بنسبته إليه (عليه السلام) ما لم يقله ترويجاً لبضائعهم)[6]. انتهى كلامه.

ولا يخفى عليك إن ارتيابه وعدم وثوقه؛ بل حجته على مرامه ملفقة من تقليد محض، ودعاوى بلا بينة، فلا يحتاج منكرها إلى حل ولا نقض ولا معارضة، ولعل مراده بنقدة الكلام بعض من تقدمت الإشارة إليهم ممن ذكرنا حجته ووهّنا أدلته، وهم أفراد معدودون لا يقاسون بغيرهم من أرباب الفضيلة الذين حكموا بنسبة ما في الكتاب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) في العلوم والمعارف وطول الباع في التاريخ والآداب.

وأما ترويج البضائع فكان الأولى أن يكون بالنسبة إلى النبي (صلى الله عليه و آله وسلم)، فان ذلك أروج للبضاعة، ولِم لم يكن ذلك بالنسبة إلى غيره من الصحابة الكرام، ليته أبان الوجه في ذلك.

مَن اعتقد إن في النهج دخيلاً:

ذهب جماعة من المتأخرين إلى أن في النهج دخيلاً، منهم صاحب كتاب (ترجمة علي بن أبي طالب (عليه السلام))[7] قال في (ص١٢٥): (إنّا نعتقد أن فيه -نهج البلاغة- دخيلاً، وفي (ص١٣٢)، على أنا نحس ريبة في هاتين الخطبتين: الخطبة المسماة بـ(القاصعة) وخطبة (الأشباح)[8]، ونرجّح أن فيهما دخيلاً من وضع الشيعة والصوفية، حداهم إلى دَسّه مغالاتهم في حب الإمام، وحرصهم على أن يرفعوه مكاناً علياً يقرب من درجة الرسول).

أقول: إن الدخيل الذي يرجحه هذا الكاتب بل يعتقده أما أن يكون من الشريف الرضي أو من غيره، أما كونه من الشريف فنحن لا نوافق عليه ولا نحتمله أصلاً، وقد مَر فيما تقدم ما هو كبرهان على امتناع صدوره من الشريف، ولمّا كان هذا الكاتب يوافقنا على ذلك، كما يأتي فيما نذكره من كلامه فلا حاجة إلى إقامة الدليل هنا على ذلك.

وأما إذا كان من غيره فلا يخلو الأمر من أن يكون ذلك أما بعد زمن الشريف وبعد ظهور كتاب نهج البلاغة أو قبله؛ بأن يكون في الخطب وغيرها مما رواه السيد دخيل وكلام موضوع لغير أمير المؤمنين (عليه السلام)، أما

---

١. سورة النجم: ٤.

٢. هو محمد فريد بن مصطفى وجدي (١٢٩٥-١٣٧٣هـ)، مؤلف (دائرة المعارف)، من الكتاب الفضلاء الباحثين، أصدر مجلة (الحياة)، وأنشأ مطبعة أصدر بها مجلة (الدستور)، ثم (الوجدانيات) وهي شبه مجلة أسبوعية، ونشر كتاب (دائرة معارف القرن الرابع عشر) في أجزاء متتابعة اكتملت في عشرة مجلدات، تولى تحرير مجلة (الأزهر). الأعلام: ج٦، ص٣٢٩-٣٣٠.

٣. غرائب القرآن ورغائب الفرقان في التفسير، لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، المعروف بالنظام النيسابوري، وهو تفسير معنوي ولغوي أيضاً لغرائب القرآن. والكلام المنقول المشار إليه في المتن في: ج١، ص١٥١ من التفسير المذكور. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج١٦، ص٣١.

٤. غري به بالكسر: أولع به، والغرو: العجب. الصحاح: ج٦، ص٢٤٤٦.

٥. البطالة بالكسر والمبطل: من يقول شيئاً لا حقيقة له. تاج العروس: ج١٤، ص٥٦.

٦. دائرة المعارف: ج١، ص٤٦٨.

٧. هو الأستاذ احمد زكي صفوة باشا أستاذ اللغة العربية بدار العلوم العليا.

٨. الأشباح: الأشخاص، والمراد بهم ها هنا (الملائكة)؛ لأن الخطبة تتضمن ذكر الملائكة. شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٣٩٨.

احتمال أن يكون بعد ظهور كتاب النهج ووقوعه في الأيدي فهو ممتنع كسابقه؛ لأن ما اتفقت عليه نسخ النهج الموجودة الآن لا تخالف النسخة الأصلية التي أظهرها السيد وأُخِذت منه يداً بيد وخَلفاً عن سَلف، وقد ذكر بعض أهل العلم والفضيلة إن نسخة عصر الشريف موجودة، والتي وشّحت بخطه الشريف مشهورة.

انتهى. وحيث ان هذا الاحتمال مما لا يوافق عليه الكاتب أيضاً فلا حاجة إلى إطالة الكلام في شأنه.

وأما أن يكون ذلك في الخطب الموجودة قبل ظهور النهج، وان السيد رواها مع ما فيها من الدخيل والكلام الموضوع من غير تمحيص ولا تدبر؛ بل بمجرد وجودها منسوبة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أيّاً كان الناسب والراوي، وهذا الاحتمال هو الذي اختاره صاحب الكتاب (كتاب ترجمة علي) قال في الكتاب المذكور (ص١٥٩): (وصفوة الرأي إنّا نعتقد ان الشريف قبل كل ما نمي[١] إليه من كلام الإمام معتمداً في ذلك على رواية رواية الرواة دون أن يتوخى التمحيص الدقيق، لا عن قصر نظر أو قلة اضطلاع بصناعة الأدب، وإنما صَرَفه عن ذلك باعث الحب الشديد لجده، والافتتان ببلاغته أيما افتتان، فوقع فيما جمعه الصحيح والمشوب، أما انه انتحل بعضه فذلك ما لا نرى السبيل إلى اتهامه به سهلاً). انتهى.

وفي كلامه هذا من النقد والمؤاخذة ما سنبديه إن خفي عليك، وقد تلخّص بعد ضم هذا الكلام إلى ما نقلناه عنه سابقاً انه يعتقد أن فيما رواه السيد في النهج دخيلاً من وَضْع الشيعة والصوفية، والسيد رواه بلا تمحيص ولا تحقيق، وأن الحامل للواضع والناقل لما فيه الوضع هو الحب -والحب يعمي ويصم-[٢]. هذا رأيه ومعتقده ونحن نمحصه ونحلله.

قوله: (إن الدخيل من وضع الشيعة والصوفية)، إن الدَس في الخطب البليغة التي هي في أقصى مراتب الفصاحة، والمحتوية على كنوز علوم الحكمة والمعرفة، ليس كالدس والإدخال في الحديث والرواية، فان ذلك لا يقتدر عليه كل من عرف اللغة العربية ومارس الأدب والشعر، ولا نعرف شيعياً أو صوفياً قبل زمن الشريف أو في عصره بلغ في الفصاحة والبلاغة شأواً يقتدر به أن يساجل أمير المؤمنين (عليه السلام) في فصاحته، ويأتي بمثل كلامه، ويدخله فيه، فلا يُعْرَف ولا يُتَمَيّز حتى يخفى أمره على صَيارفة الكلام ونقدته، ولو كان في الشيعة أو في الصوفية من لديه هذه القدرة، لاشتهر أمره وعرف خبره، ولَعُد من أعاظم الخطباء و أكابر الحكماء، هذا السيد الرضي مع علمه و أدبه ومعرفته باللغة وفنون العربية، وبلوغه في الشعر والأدب رتبة صَحّت أن يُقال فيه: (انه اشعر قريش)[٣] لم يرض أهل العلم أن يُنسب إليه بعض ما في النهج؛ لأنه وان بلغ ما بلغ لا يستطيع أن يأتي بمثل ما في النهج من الخطب والكتب والوصايا والعهود.

ولقد نُقِل عن ابن الخشاب لمّا قيل له في بعض خطب النهج إن كثيراً من الناس يقولون أنها من كلام الرضي أنه قال: (أنى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الأسلوب، قد أوقفنا على رسائل الرضي، وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور، وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا خمر)[٤].

فقل لي أي رجل من الشيعة أو الصوفية أفضل من الرضي في الأدب واقدر منه على إنشاء كلام يضاهي كلام أمير المؤمنين؟ يعرفه هذا الكاتب المترجم ويجوز صدور الدخيل منه، ولا نعرفه نحن ولا غيرنا من أهل التراجم والخبرة التامة بأحوال الرجال.

ولا أعلم مَن أراد بالصوفية، الصوفية من الشيعة أم أهل السنة؟ والظاهر انه أراد صوفية الشيعة، وهم على قلتهم وعدم معروفيتهم في تلك الأزمنة، وعدم عنايتهم بالنثر والشعر العربيين أكثرهم ليسوا من أهل اللسان العربي، فكيف يَحتمل المحتمِل أنهم أدخلوا من كلامهم في خطب النهج شيئاً، وصاغوا من فرائده عقوداً[٥].

---

١. نما: زاد وكثر. تاج العروس: ج٢٠، ص١٥٩.

٢. (حبك الشيء يعمي ويصم)، حديث للرسول g وجرى مثلاً، وأراد أن حبك للشيء يعميك عن مساوئه، ويصمك عن استماع العذل. العذل. جمهرة الأمثال: ج١، ص٣٥٦.

٣. يتيمة الدهر: ج١، ص٣٥٧.

٤. وممن أورد هذا النص السيد علي خان المدني في كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٣٦.

٥. الفرد: الدر إذا انتظم، ويقال: فرائد الدر، كبارها. العقد، بالكسر: القلادة، وهي الخيط ينظم فيه الخرز. الصحاح: ج٢، ص٥١٨؛ تاج العروس: ج٥، ص١١٥.

وهل هذا إلاّ كاحتمال أن بعض الأوربيين صنعوا بعض لامية أمري القيس أو ميمية ابن أبي سلمى[1].

ثم إن المغالاة في حب الإمام إنما تدعو إلى أن يختلقوا له كرامات أو معجزات غير منقولة، أو يفتعلوا أحاديث في فضله غير مأثورة، ولا تقضي بأن يدخلوا في كلامه ما ليس منه ليقال انه خطيب ماهر، وهم يرونه أفضل المخلوقات بعد أخيه المصطفى (صلى الله عليه و آله وسلم)، وان نسبة الكتاب إليه مما تزيد الكتاب شرفاً وتغلي قيمته، وهو لا يزداد بذلك مرتبة ونبلاً:

من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيئاً ولا يضع[2]

وكيف يكون إدخال بعض الفقرات في كلامه مما يرفعه مكاناً علياً يقرب به من درجة الرسول، وكيف ساغ له أن يجوز الكذب على من أحب علياً ووالاه، وعلياً ممن يمقت الكذب وأهله، ولا يرضى بالقليل منه واليسير.

ثم انه كيف خفي ذلك على الشريف الرضي مع تبحره في العلم، وثقافته الأدبية، ومزاولته لكلام جده، ومعرفته بنَفَسه وأسلوبه. ثم ان ذلك لو خفي على السيد أو أخفاه عليه حبه لجده كما يزعم كاتب الترجمة فكيف خفي ذلك على جميع شرّاح النهج، وهم أكثر من أربعين شارحاً[3]، وفيهم من فيهم من العلماء وأرباب الفضيلة.

---

١. زهير بن أبي سلمى ربيعة، ولد بنجد ونشأ في غطفان، وأخذ الشعر والحكمة عن خال أبيه، وكان شيخاً مقعداً، وغنياً برجاحة العقل والمال، فلزمه زهير وحفظ له، كما تتلمذ لزوج أمه أوس بن حجر واتخذ طريقته في الشعر، ولزهير معلقة مشهورة مطلعها:

أمن أم أوفى دِمنة لم تكلم بحومانة الدرّاج فالمتكلّم

وتوفي زهير وله من العمر نحو ٩٧سنة، قضاها حكيماً داعياً إلى الخير والصلاح، منصرفاً إلى الحق بكل جوارحه. الجامع في تاريخ الأدب العربي: ج١، ٢١٤.

٢. من قصيدة للمتنبي، ذُكِرت في الصفحات السابقة.

٣. ومن هؤلاء الشرّاح:

شرح العلامة علي بن الناصر المعاصر للرضي، واسمه (اعلام نهج البلاغة).

شرح الشيخ أبي الحسن البيهقي المتوفى سنة (٥٦٥هـ).

شرح قطب الدين الراوندي سعيد بن هبة الله المتوفى سنة (٥٧٣هـ)، المسمى (منهاج البراعة).

شرح قطب الدين الكيدري أبو الحسين محمد بن الحسين الموسوم بـ(حدائق الحقائق).

شرح الشيخ أفضل الدين الحسن بن علي الماهابادي.

شرح فخر الدين الرازي محمد بن عمر المتوفى سنة (٦٠٦هـ) ولم يتم.

شرح عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزلي، المتوفى ببغداد سنة (٦٥٦هـ).

شرح السيد علي بن طاوس المتوفى سنة (٦٦٤هـ).

شرح ابي طالب تاج الدين المعروف بابن الساعي علي بن أنجب البغدادي، المتوفى (٦٧٤هـ).

شرح الشيخ كمال الدين ميثم بن علي البحراني، المتوفى سنة (٦٧٩هـ). وله شرح متوسط وآخر صغير ويسمة (مصباح السالكين في شرح النهج).

شرح أحمد بن الحسن الناوندي، من أعلام القرن السابع.

شرح يحيى بن بن حمزة العلوي اليمني، من أئمة الزيدية، المتوفى (٧٤٩هـ).

شرح لبعض علماء أهل السنة اسمه (النفائس)، كتابته سنة (٧٥٩هـ)، موجود في الخزانة الرضوية.

شرح ابن العتائقي الحلي عبد الرحمن بن محمد.

شرح سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المتوفى سنة (٧٩٢هـ).

الشرح الموسوم بـ(التحفة العلية في نهج البلاغة الحيدرية)، للسيد أفصح الدين محمد بن حبيب الله الحسيني.

شرح العلامة الحلي، المتوفى سنة (٧٣٦هـ).

شرح المولى قوام الدين يوسف بن حسن الشهير بقاضي بغداد، المتوفى (٩٢٢هـ).

شرح المولى كمال الدين الحسين بن عبد عبد الحق الأردبيلي المتوفى (٩٥٠هـ)، واسمه (منهج الفصاحة).

وكيف خفي ذلك على جامعي كلام أمير المؤمنين ممن تقدم على عصر السيد وممن تأخر عنه، وهم عدد كثير وجم غفير، فلم يسمع عن أحد منهم انه احتمل أن في كلامه (عليه السلام) دخيلاً أو وضعاً، والخَطْب[1] الأفظع أن يجعل ذلك السيد الورع البر ممن يميل مع الهوى ويقهره هوى نفسه، وميل عواطفه إلى ما لا يليق به وبأمثاله من أهل التقوى والفضيلة.

نظرة في كلمات المترجم:

ولنعرج بعد هذا على كلمات لهذا المترجم أوردها في كتابه هذا، قال في (ص١٢٢): (ومبعث هذه الشكوك) وذكر شكوكاً ستة:

الأول: خلو الكتب الأدبية والتاريخية التي ظهرت قبل الشريف من كثير مما في النهج، وقد أجاب عنه بما يزيله، كما أنا قد تعرضنا لذلك فيما تقدم، وبقي هنا ما لا بأس بأن نلفت إليه النظر وهو:

أولاً: إن ما ذكره من خلو الكتب لابد وان يريد به خلو الكتب الموجودة بين أيدينا اليوم، وأما الكتب التي كانت في عصر الشريف وقد أخنى عليها الدهر فلم يعلم خلوها من ذلك، فإن مكتبة أخيه المرتضى كانت تشمل على ألوف من المجلدات، وكتب الصاحب إسماعيل بن عباد[2] كان يحتاج لحملها إلى مئات من الإبل، وحُكي عن الشيخ

شرح عماد الدين علي القارئ الاسترابادي بنحو الحاشية.

شرح أبي الحسن علي بن الحسن الزواري، فارسي اسمه (روضة الأبرار) فرغ منه سنة (٩٤٧).

شرح تلميذ المولى فتح بن شكر الله الكاشاني بالفارسية، المتوفى (٩٨٨).

شرح عز الدين الآملي (القرن العاشر).

شرح علي المعروف بالحكيم الصوفي بالفارسية، فرغ منه سنة (١٠١٦).

شرح المولى عبد الباقي الخطاط الصوفي التبريزي، المتوفى (١٠٣٩هـ)، شرحه بالفارسية وسماه (منهاج الولاية).

شرح الشيخ حسين بن شهاب الدين الكركي العاملي، المتوفى (١٠٧٦هـ).

شرح السيد ابن المطهر بن محمد الجرموزي اليماني، المتوفى (١١١٠هـ).

شرح السيد نعمة الله بن عبد الله الجزائري التستري، المتوفى (١١١٢هـ).

شرح المولى محمد رفيع بن فرج الجيلاني، المتوفى حدود (١١٦٠هـ).

شرح ميرزا باقر النواب بالفارسية، في القرن الثالث عشر.

شرح السيد عبد الله بن محمد محمد رضا الشبر الحسيني الكاظمي، المتوفى (١٢٤٢هـ).

شرح السيد محمد تقي الحسيني القزويني، المتوفى (١٢٧٠هـ).

شرح الشيخ محمد عبدة، المتوفى (١٣٢٣هـ).

شرح الشيخ جواد الطارمي الزنجاني، المتوفى (١٣٢٥هـ) بالفارسية، الموسوم (شرح الاحتشام على نهج الإمام).

شرح ميرزا ابراهيم بن الحسين الدنبلي الخوئي، المستشهد سنة (١٣٢٥هـ)، واسمه (الدرة النجفية).

شرح السيد حبيب الله بن محمد الموسوي الخوئي، المتوفى حدود (١٣٢٦هـ).

شرح الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد، المدرس في كلية اللغة العربية بالأزهر.

شرح الشيخ طه ياسين الهنداوي، نزيل الأهواز، سماه (الصياغة من نهج البلاغة).

شرح آية الله المولى محمد كاظم بن الحسين الخراساني النجفي صاحب (الكفاية)، المتوفى سنة (١٣٢٩هـ).

شرح العلامة الشيخ هادي ابن المولى حسين بن محسن البرجندي.

شرح محي الدين الخياط، وهو انتخابات من شرح ابن أبي الحديد.

ينظر: أعيان الشيعة: ج١٢، ص٣٢٥؛ الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج١٤، ص١١١؛ الغدير: ج٤، ص١٨٦.

١. الخطب: الشأن، والحال، والأمر، وقيل هو سبب الأمر، وجل الخطب أي عظم الأمر والشأن. تاج العروس: ج١، ص٤٦٧.

٢. هو اسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، وزير، غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً وجودة رأي، استوزره مؤيد الدين ابن بابويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة، ولقب بالصاحب؛ لصحبته مؤيد الدولة من صباه، فكان يدعوه بذلك، ولد في الطالقان (من أعمال قزوين) وإليها نسبته، سنة (٣٢٦هـ)؛ وتوفي بالري سنة (٣٨٥هـ)، ونقل إلى أصبهان فدفن فيها، له تصانيف جليلة منها: (المحيط). الأعلام: ج١، ص٣١٦.

الرافعي[1] أن كتبه أكثر من مائة ألف مجلد، ويُحْكى عن بعض علماء الحجاز أنه رأى بمصر مجموعاً من كلام علي في نيف وعشرين مجلداً، إلى غير ذلك مما يغني عنه الرجوع إلى الكتب التي تبحث عن هذا الشأن، وقد كانت هذه الكتب عيناً ثم أثراً ثم لا عين ولا أثر.

ثانياً: إن ما بأيدينا اليوم من كتب الشيعة من الجوامع وكتب الآداب والسنن والأخلاق والمواعظ غير خالٍ مما في النهج، وأمّا التالف من كتبهم فهو فوق حد الإحصاء، فكم ألّفوا وصنّفوا ولكنها كانت في زوايا الكتمان وأعماق الخفاء، مَنَع من إظهارها خوف الهلاك والعطب فلا يطّلع عليها ولا يستمد منها إلا النادر منهم.

ثالثاً: إن المصادر التي بالأيدي اليوم لم تُؤَلّف لمثل ذلك الغرض الذي أُلف له الشريف كتاب النهج من جمع كلام شخص وتدوينه، فلا يكون عدم ذكرها لشيء من كلامه دليلاً على عدم وجوده في مصدر آخر لم تَصِل إليه أيدينا اليوم.

وأما الشك الثاني فقد أورده وأجاب عنه.

الثالث: يخالج نفوسنا الشك في عهد الأشتر من حيث طوله وإسهابه لاعتبارات نوردها لك:

الأول: إن الخلفاء عهدوا إلى ولاتهم فلم يؤثر عنهم ذلك الإسهاب في عهودهم.

أقول: إن الإطناب والإيجاز والمساواة لا يحتاج فيها إلى أن تُؤثر عن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم)، أو عن أحد خلفائه الراشدين، ولم يَكن أحدها مرسوماً في الإسلام بحيث يجب اتباعه؛ بل هي تابعة لما تقتضيه المصلحة وتفرضه الحاجة، وربما كانت أحوال وغايات لا بد فيها من ذلك، وشتان ما بين زمانه (عليه السلام) وأزمنة الخلفاء، والقياس لو قيل به في شيء فالقول به هاهنا أوهى من بيت العنكبوت[2].

ثم أن هاهنا ملاحظة يجب أن يستلفت النظر إليها، وبها تندفع الشكوك التي يستثيرها الإسهاب في عهد أو خطبة، وهي: إن السيد الشريف ربما لفّق الخطبة الواحدة من خطب يختار فصولها، وفقرات يضم بعضها إلى بعض، وربما كان ذلك من خُطَبٍ شتى وكلمات متشتتة، فيجمع ما يختاره ويجعله كخطبة واحدة، وقد ألمعنا إلى ذلك فيما سلف، ووجدت شرّاح: النهج الشارح الفاضل والشارح العلامة والأستاذ محمد عبده نبهوا على ذلك في شرح قوله: (فقمت بالأمر حين فشلوا)[3]، قال الشيخ محمد عبده في شرحه (ص٥٥): (هذا الكلام ساقه الرضي كأنه قطعة واحدة لغرض واحد، وليس كذلك؛ بل هو قطع غير متجاورة، كل قطعة منها في معنى غير ما لِلأخرى، وهو أربعة فصول... إلى آخره)[4].

أقول: وهذا الأمر ربما يُستفاد من خطبة كتاب النهج فانه (رحمة الله) قد نبّه على ذلك فيها، وبين عذره، فلا اعتراض عليه، وإذا تم هذا الأمر كان من الجائز أن يكون الشطر الأوفى من العهد لمالك، والسيد[5] قد ضم إليه جملاً وفصولاً من عهود أخرى لأمير المؤمنين (عليه السلام) كانت لمالك أو لغيره من الولاة، ويجري مثل هذا في الخطب التي يكون الإسهاب فيها مثيراً للشك من أمثاله.

الثاني: إن الإمام ولّى محمداً وغيره ولم يعهد لهم بمثل هذا العهد.

أقول: وهذا في الوهن كسابقه وجوابه يظهر مما حررناه في جوابه.

---

١. أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني الشافعي، فقيه أصولي محدث مفسر مؤرخ، ولد سنة (٥٥٥هـ)، وتوفي بقزوين، وهو من كبار الشافعية، كان له مجلي بقزوين للتفسير والحديث، من تصانيفه: (فتح العزيز على كتاب الوجيز). معجم المؤلفين: ج٦، ص٣؛ الأعلام: ج٤، ص٥٥.

٢. مثل متداول. ينظر: جمهرة الأمثال: ج٢، ص٣٢٩.

٣. نهج البلاغة: ٨٠.

٤. شرح محمد عبدة: ج١، ص٨٨.

٥. السيد: لقب مشهور للشريف الرضي.

الثالث: قال في(ص١٣٠): (إن مالك بن الحارث الأشتر الذي كتب له ذلك العهد كان الإمام...) إلى آخر ما سطره، وملخصه إن مالكاً كان موضع ثقة من أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلا يحتاج إلى التوصية وإلى الإسهاب في الحيطة[١]، وأن محمد ابن أبي بكر أولى بهذا العهد من الأشتر.

أقول: إن مالكاً كما ذكر وفوق ذلك، ولكن الحال اقتضت أن يكتب له الإمام (عليه السلام) هذا العهد ليقرأه على الناس، فيعلموا ما لأمير المؤمنين من الحكمة واليقظة والعناية بأمور الرعية وغير ذلك، فإن مصر لمّا سار إليها الأشتر كانت مختلة الأمر[٢]، قد أفسدها معاوية بكتبه ودسائسه، فاحتاج ذلك إلى كتاب يُقرأ على أهلها يعلمون منه شدة عنايته بالرعية، والعطف على ضعفائها، ورعاية شؤونهم، وقد ذكر المترجم في آخر هذا البحث انه يرى العهدين -عهد الأشتر، وعهد طاهر بن الحسين[٣] لابنه عبد الله- يجريان في سبيل واحد أسلوباً وغرضاً وروحاً.

أقول: ولكن أين الثرى وأين الثريا ونحن لا نستبعد أن أكثر كتّاب العهود كانوا يقرؤون عهود أمير المؤمنين (عليه السلام)، ويجعلونها قدوة وإماماً، فينسجون على منوالها، ويطبعون على غرارها، ولكن الأديب البصير إذا أنصف يرى الفرق واضحاً جلياً، ويشهد لذلك قول السيد في خطبة النهج: (وعلى أمثلته حذا كل [قائل][٤] خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ)[٥].

وقال في (ص١٣١): (ويستوقفنا أيضاً مِن طِوال خطبه خطبتان، هما أطول ما أثر عنه بعد عهد الأشتر (القاصعة) وخطبة (الأشباح)، إلى أن قال: ونحن لا نقول إن هذا القدر من الطول في الخطب غير مقبول عقلاً؛ ولكنّا نقول إن المعروف في ذلك العهد والمتداول بين أيدينا من خطب النبي وخطب أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية لا يبلغ هذا الحد؛ بل ولا نصفه).

أقول: إن المسلمين الذين كانوا في عهده (صلى الله عليه و آله وسلم) ما عدا أفراداً منهم لم يتأهلوا لاستماع الخطب الطويلة المشتملة على العلوم والمعارف ودقائق الحكم، والنبي (صلى الله عليه و آله وسلم) أعلم وأدرى بما يقتضيه الحال من الإطناب في الخطب والإيجاز فيها، وبما يليق أن يُودِع خطبه من العلوم والمعارف والآداب.

والذي اعتقده ان مثال هاتين الخطبتين لا يمكن أن يصدر من النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) أو من أمير المؤمنين، وما كنت أظن أن حال أمير المؤمنين وحال غيره مما يخفى على أهل الكمال والأدب وذوي الخبرة بأحوال الرجال، وكان (عليه السلام) مدة خلافة الخلفاء التي تنيف على العشرين سنة منقطعاً إلى التعليم والإرشاد، ونشر العلوم والمعارف، وبث الآداب والأخلاق، وهو بحر العلم المتلاطم والعرفان، فلا يستبعد من مثله أمثال ما روي عنه وأسند إليه.

وقال في (ص١٣٢): (واعتقادنا أن علياً انفرد بأنه اخطب الخطباء بعد الرسول لا يحملنا على التسليم بأنه انفرد بطول الخطب دونهم).

أقول: إن اعتقادنا انه كما انفرد بأنه أخطب الخطباء بعد الرسول، انفرد بطول الخطب والإطناب فيها؛ لطول باعه وسعة اطلاعه وفراغه من الأمور الشاغلة برهة من الزمان؛ إذ لعل هذه الخطب مما أنشأه قبل زمن خلافته، والظاهر أن الغالب هو التلازم بين الاعتقادين.

وقال في (ص١٣٣): (ثم اقرأ ما ورد فيها من قصة الشجرة، وما في تضاعيف هذه القصة مما يرمي إلى إظلال علي بما أظل الرسول).

---

١. احتاط الرجل لنفسه: أي أخذ بالثقة. الصحاح: ج٣، ص١١٢١.

٢. مختلة الأمر: متفرقة. ينظر: تاج العروس: ج١٤، ص٢٠٤.

٣. أبو الطيب، وأبو طلحة طاهر بن الحسين مصعب الخزاعي (١٥٩-٢٠٧هـ)، من كبار الوزراء والقواد أدباً وحكمة وشجاعة، وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي، ولد في بوشنج (من أعمال خراسان) وسكن بغداد، وقد ظفر بالأمين في بغداد وقتله سنة (١٩٨هـ)، قيل أن المأمون قتله لقتله (أخاه) الأمين بغير مشورة، وقيل مات مسموماً، ولقب بذي اليمينين، له وصية لأحد أبنائه، أظن أنها المشار إليها في المتن. الأعلام: ج٣، ص٢٢١.

٤. الإضافة من المصدر.

٥. نهج البلاغة: ٣٤.

أقول: الإظلال بالظاء المعجمة من الظل، وقد تضمنت الخطبة إن الشجرة ظللت النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) وعلياً، ولا أرى أي مانع من أن تكون الشجرة ظِلالاً للرسول ولعلي إذا كان معه؛ بل لو كان غير علي (عليه السلام) معه (صلى الله عليه و آله وسلم) لجاز أن تظلله الشجرة، ولعل هذا المترجم أراد بكلامه هذا غير المعنى الذي فهمناه، وقد مر الكلام على ذلك، وأن حديث الشجرة رواه أكثر الناس[1].

وقال: (ثم تدبر الخطبة الثانية... إلى آخر كلامه، وحاصله أنها اشتملت على كلمات لم تُعْرَف إلاّ بعد نشأة العلوم، وذلك بعد عصر علي (عليه السلام).

أقول: إنّ علياً كان مدينة العلم، ومن الجائز أن يكون قد عرفها دون غيره قبل انتشارها، ومنه أُخِذَت ومن كلماته عُرِفَت، على أنّ من الممكن منع ما ادعاه من أنها لم تُعرف إلاّ بعد عصر علي، ويؤيّد ذلك إن الدخيل في كلامه لابد وأن يكون مما يمكن نسبته إلى صاحب ذلك الكلام، وهو من جنس كلامه؛ لأن إدخال غير ذلك مما ينافي غرض المدخل ومطلوبه.

وقوله: (على أن بعض جملها لا تتجلى فيه روح الإمام).

لا يُعلم ما أراد بالروح هنا، وهي دعوى يمكن لغيره أن يدعي خلافها.

وقوله: (هو بأسلوب متفلسفة القرن الرابع أشبه).

لعلّ هذا الأسلوب وقع في كلام أمير المؤمنين أولاً، وإن أهل القرن الرابع نسجوا على منواله.

ثم إن المترجم ذكر الشك الرابع في (ص١٣٤)، وانه لا سبيل لاتهام الرضي بانتحال الخطبة (الشقشقية) ؛ لأنها كانت معروفة قبل مولد الرضي من أكثر من طريق.

ثم قال ولكنا مع ما نرى فيها من جزالة اللفظ وروعة الأسلوب التي تُغرينا أن ننظمها مع كلام علي في سلك نتراجع حين يبدو لنا شبح الشك ماثلاً فيها. أجل، يستوقفنا منها -ثم ذكر الأمور التي تستوقفه- وهي ما اشتملت عليه الخطبة من التعرض لأكابر الصحابة.

وأقول: لا يمكن إنكار ما وقع بين الصحابة من التنازع والتخاصم، وكتب التاريخ مشحونة منه، وذلك مما يستلزم الطعن والقدح بين المتخاصمين غالباً، وقد ذكر هذا المترجم في (ص١٤٠) ما روي من شديد كلامه (عليه السلام) بشان معاوية وابن العاص.

وقال في (ص٤٢) هذا الكلام وأشباهه -يعني كلاماً للإمام (عليه السلام) نقله فيهما- نلتمس لعلي فيه العُذر، وإنْ هو إلاّ نفثة مصدور[2]... الخ، وعلى هذا فلا ينبغي أن يستوقفه ما في الخطبة؛ بل يلتمس لعلي فيه العذر كما التمسه في غيرها. ثم اخذ يذكر ما استوقفه من الخطبة، وهو التعريض أولاً بعمر، ثم بمَن بعده، وبمَن قبله، ونعتهم بصفات يرجع من أراد الوقوف عليها إلى كتب السير والتاريخ، وكان على المترجم أن يقول: يستوقفني ما اشتملت عليه من التعريض، ولا يتصدى لذكر أمور سِتْرها أولى من نشرها، والأعجب من ذلك انه يقول بملء فمه، ويكتب بقلمه (ص٣٧) من كتابه (ترجمة علي بن أبي طالب) مطبعة العلوم سنة (١٣٥٠): فلقد كان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء ظاهر وعنجهية[3] ظاهرة، وإن أصلحها بزعمه حيث وصفها بأن السامع لها يحسبها أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد، فقد كان الواجب عليه أن لا يذكر ذلك، وأن يحسن الأدب مع أكبر أئمته وأعظم أقطاب مذهبه، والحرية التي تتباهى بإظهارها كَتَبَة هذا العصر لا ينبغي أن تتجاوز الأدب والاحترام مع رؤساء دينهم.

وقال قبل هذا وذلك إلى انه ورد في (نهج البلاغة) نفسه كلام لعلي يثني فيه على عمر إذ يقول: (لله بلاء فلان)[4]، فهل يسوغ مع هذا الثناء أن يرميه بتلك التهمة النكراء.

---

١. ينظر: المناقب: ١٤٣؛ تاريخ مدينة دمشق: ج٤١، ٣٣٥؛ ميزان الاعتدال: ج٢، ص٣٠٦؛ كنز العمال: ج١١، ص٦٠٨.

٢. المصدور: الذي يشتكي صدره، وهو يستريح ويشفى بالنفث الذي هو شبيه بالنفخ. مجمع الأمثال: ج٢، ص٢٤١.

٣. العنجهية: الكبر والعظمة، ويقال: الجهل والحمق. الصحاح: ج٦، ص٢٢٣٩-٢٢٤٠.

٤. نهج البلاغة: ٢٦٧.

وأقول: نقل عن شاذ لا يعرف إلى أنه دخيل في النهج، وآخر إلى أنه من التقية واستصلاح العمريين، وأوله ثالث بما لا ينافي ما في الخطبة، ونقول على فرض المعارضة بين الكلامين وإن أحدهما ساقط عن الاعتبار في البين، أن الترجيح لكلام الخطبة لأنه مروي بأكثر من طريق، وهو مشهور معروف معتضد بما في النهج وغيره مما رُوي عن أمير المؤمنين من تَظلّمه من قريش، ومن اعتدائها عليه وغصبه حقه، ولعلّ اشتمال الخطبة على ذلك مما يؤيد صدورها عن الإمام في نظر بعضهم، وأما الكلام فهو خبر مرسل، لا شهرة تؤيده، ولا حديث يعضّده. هذا ما ذكروه هنا والله تعالى أعلم بحقائق الأحوال ونوايا الرجال.

وقال في (ص١٤٣): (فهاك اقرأ خطبته التي يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وانظر قوله فيها: (أول الدين معرفته)، إلى قوله: (فاعل لا بمعنى الحركات، والإله... الخ)، تر أن هذا الأسلوب قصي[1] عن نهج الإمام ومسلكه، إلى أن قال: (وهذا الأسلوب المنطقي لم يعهد في كلام العرب، ولم يستعمله العلماء إلاّ بعد ترجمة المنطق والعلوم الدخيلة، وذلك عصر لم يدركه الإمام.

وأقول: لقد قرأنا كلام أمير المؤمنين في غير النهج، وأحطنا بالكثير منه في كتب لا إنها وصلت إلى المترجم؛ بل ولا إلى سمعه، فلم نر أسلوب هذه الخطبة قصيّاً عن نهج الإمام ومسلكه، ولا أظن أن المترجم اطلع على غير النهج من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) وعلم منه النهج والمسلك حتى يحكم بأن هذا الأسلوب قصي عنهما، ولا نعلم أي كلام للعرب قبل الإسلام وقف عليه لم يعهد فيه هذا الأسلوب، وهم لم يخوضوا هذه المباحث ولم يصل إلينا شيء من كلامهم فيها، وهذا المسلك والمنهج لو لم يكن معروفاً قبل أمير المؤمنين فلا يستبعد منه أن يكون هو المبتكِر له، ومنه أُخِذ وعلى مثاله احتذي.

وقال في (ص١٤٨): (إقرأ هذه النبذة وتفهمها جيداً تحكم غير مرتاب إنها من وضع عالم من علماء الكلام، لا من كلام الإمام.

وأقول: ليته أشار إلى هذا العالم، ولو في ضمن جماعة محصورين، وهذا العالم لابد وأن يكون من الشيعة في زمان السيد أو قبله، وجميع من نعرفه من الشيعة على كثرة أدبائهم وكتابهم لا نعرف أحداً يليق أن يُنسب إليه هذا الكلام؛ بل لا تصح نسبته لغير أمير المؤمنين، ولا يقتدر عليه سواه.

وقال أيضا في (ص١٤٧): (وشيء آخر ننبهك إليه وهو قوله: وكل قائم في سواه معلول، فان علماء اللغة يخطئون الكلاميين في استعمال كلمة معلول. ثم كلمة الأزل والأزلي والأزلية لا أصل لها في كلام العرب).

وأقول: أما كلمة الأزل فقد قدمنا الكلام عليها وذكرنا نصوص اللغويين فيها، وإن هذه اللفظة لو وُجدت في كلام أي عربي لكانت حجة على علماء اللغة، فضلاً عن كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد احتج الفاضل عبد الحميد على صحة أن يقال أبرق وأرعد بقوله (عليه السلام): (أبرقوا وأرعدوا)[2].

وأما كلمة معلول فالكلام فيها طويل الذيل، والقول الذي لا يتطرقه ريب أن يقال: إن هذه اللفظة بمادتها وهيئتها موجودة في كلام العرب بمعنى يمكن التجوّز فيه؛ لأن باب المجاز واسع، فإذا انتفى كون العلة لغة بمعنى السبب، أمكن [أن][3] يقال إن إطلاقها عليه من باب المجاز؛ لأن السبب يؤثر في المسبب كتأثير العلة والمرض في البدن، فاستعير له هذا اللفظ، وقال في (شرح القاموس)[4]: (العلة بالكسر معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل، وسمي المرض علة؛ لأنّ بحلوله يتغير الحال من القوة إلى الضعف... الخ)[5]، وعلى هذا تكون العلة بمعنى المؤثِر والمغير فيكون إطلاقها على السبب حقيقة.

---

١. قصي: بعيد. الصحاح: ج٦، ص٢٤٦٢.

٢. نهج البلاغة: ٥٤.

٣. إضافة يستقيم معها السياق.

٤. وهو كتاب (تاج العروس في شرح القاموس) لأبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بالسيد المرتضى الحسيني اليماني الزبيدي الحنفي، شرع في تأليفه حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلداً، وكانت مدة اشتغاله بهذا التصنيف أربع عشرة سنة ونيف، استعان به على عدة كتب منها (الصحاح) للجوهري. معجم المطبوعات العربية: ج٢، ص١٧٢٦.

٥. تاج العروس: ج١٥، ص٥١٧.

ثم إن المترجم ذكر ان من بواعث الشك ما في النهج من كلام مسجّع، وفقر[1] قصار، ومن صناعة بديعية، ونظام ونظام منسق لا يأتي عفو الخاطر وبديهة الارتجال.

وقد تقدم منا الجواب، ويظهر ان المترجم كلما ازداد كلام النهج حُسناً، واشتمل على المحسنات البديعية، يزداد بُعداً عن احتمال صدوره عن الإمام، وكأنه لم يَعلم إن كلامه إنما امتاز عن كلام غيره بما حوى من المحاسن والمحسنات، وبذلك تفوّق على كلام الخطباء، ولو كان عاطلاً مثل كلام أهل عصره لما كان له ما كان.

ثم ذكر: ان بعض المروي في النهج قد يوجد منسوباً لغيره، ولا يستبعد أن يكون ذلك مأخوذاً من كلامه (عليه السلام) أو من بعض من يرويه عنه من أصحابه، ورواية السيد سيدة الروايات؛ لأنه صيرفي الكلام ونيقده وهو اعرف بكلام جده وأسلوبه.

ثم ختم المترجم كتابه بكلام ابن أبي الحديد وجعله ممن يتعصب للنهج ويرى إن جميعه للإمام، وبعد أن أورده بتمامه قال في آخر صفحة من كتابه (ص١٦٢): (واعتقادنا إن نزوع ابن أبي الحديد هذه النزعة لأنه ألف كتابه ذلك للوزير مؤيد الدين بن العلقمي[2] وزير المستعصم العباسي، وكان ابن العلقمي رئيس الشيعة في عصره)، انتهى كلام المترجم.

أقول: وهذا منه غير لائق في مثل عبد الحميد الذي لا يخفى على أمثال الأستاذ المترجم فضله وكماله، فانه قد انتصر في موارد من كتابه لأهل السنة والجماعة، وقد أنكر النص الصريح على خلافة أمير المؤمنين، ولم يلحظ ابن العلقمي ولا غيره.

ثم إن هذا المترجم الفاضل قد يعرض في مواضع من هذا الكتاب للشيعة، وينطق بما يجرح العواطف، ويثير الشحناء والتفرقة بلا سبب موجب، ولا اضطرار ملجأ، ونحن في عصر يجب فيه التآلف والتناصر بين فرق المسلمين المحمديين؛ ليكونوا يداً واحدة على أعدائهم الذين أحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم، وملكوا أزمة بلادهم وأوطانهم، ولا لوم على المترجم وحده، فإن له أمثالاً في مصر وفي سوريا وفلسطين، فلا زالت مؤلفاتهم وكتبهم تأتينا فلا نرى مصنَّفاً لهم خالياً من وخز أو طعن أو همز أو لمز[3]، ولا يثمر ذلك إلا البغضاء والنفرة والعداء والوحشة، ولقد كان يقع بين علماء المسلمين في الأزمنة السابقة ردود ونقود وتعرّض للمذاهب والأديان، ذلك حيث كان المسلمون في عِزة ومنعة، وحيث كانوا يأملون أن يهتدي مهتد أو يتبصر متبصر، أما الآن وقد علمنا أن ما أجهدوا به أفكارهم وأقلامهم لم يرجع به سنّي عن تسننه، ولا شيعي عن تشيعه؛ بل كل من الفريقين ثابت على مبادئه الدينية لا يردعه برهان ولا يصده دليل، فالتعرض للمذاهب والأديان، والحط من كرامة بعض دون بعض؛ حيث لا يرجى بذلك إقلاع عن عقيدة، ولا رجوع عن نحله[4]، لغو وعبث، وضرب في حديد بارد[5]، بارد[5]، ونصيحتي اليوم للعلماء والكتاب أن يطووا بساط التعرّض للأديان والمذاهب، ولا ينظروا إلى ما جرى بين علماء الفرق من الرد والنقد والطعن والسباب، فتلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ويكون واجبهم اليوم أن تَحتَرم كل فرقة الأخرى، ولا تتعرض لها إلاّ بما يوجب التعاطف والتكاتف، ويكون الجميع يداً واحدة في حفظ كلمتي الشهادة وإعلاء منارها، وليحترزوا من كيد الأعداء ودهائهم وخدعهم، فإنهم يمزجون السم بالعسل ويسرون حسوا في ارتغاء،[6] والله حسبنا ونعم الوكيل.

---

١. يقال: ما أحسن فقر كلامه، أي نكته، وهي في الأصل حُلي تُصاغ على شكل فقر الظهر. تاج العروس: ج٧، ص٣٥٩.

٢. أبو طالب مؤيد الدين محمد بن أحمد بن علي الأسدي البغدادي المعروف بابن العلقمي (٥٩٣-٦٥٦هـ)، وزير المعتصم العباسي، العباسي، إشتغل في صباه بالأدب، وارتقى إلى رتبة الوزارة سنة (٦٤٢هـ)، فوليها أربعة عشر عاماً، ووثق به المعتصم، فألقى إليه زمام أموره، وكان حازماً، خبيراً بسياسة الملك، كاتباً فصيح الإنشاء، إشتملت خزانته على عشرة آلاف مجلد، ومات ودفن في مشهد موسى بن جعفر (ع) (الكاظمية) ببغداد. الأعلام: ج٥، ص٣٢١.

٣. الهمزة: المغتاب في الوجه، واللمزة: المغتاب في القفا. تاج العروس: ج٨، ص١٤٦.

٤. النحلة: الديانة. الصحاح: ج٥، ص١٨٢٦.

٥. مَثَل تقوله العامة، يُضرب للحاجة التي تطلب في غير موضعها، أو من غير أهلها. جمهرة الأمثال: ج١، ص١٦٨.

٦. مثل يضرب لمن يظهر أمرا ويريد به غيره.

كتاب النهج مصدر لا يحتاج إلى مصدر:

إن كتاباً يرويه ثقة عدل بصير ثَبْت، ثم تمر عليه قرون وعصور تتداوله الناس وتتناقله الأيدي، وتتلقاه العلماء بالقبول، ويبلغ من الاعتبار والعناية أن تعلّق عليه شروح جَمّة من الأفاضل والأعلام، لجدير بأن يكون أعظم مصدر وأكبر مرجع

وليس يصح في الإفهام شيء إذ احتاج النهار إلى دليل[1]

ذاك كتاب (نهج البلاغة)، وما أدراك ما (نهج البلاغة)، كتاب دونه أكثر المصادر شأناً، وأوثق المراجع منزلة، استعرضته الأفكار ونخبته[2] الآراء، وقد أظهره الشريف لذلك الملأ، وفي ذلك القرن الذي ازدهرت فيه الآداب، ومُحِّصت الآثار، ونبغ النوابغ، وأنتج للأمة العربية أعظم ثروة علمية، لا يخفى على رجاله دَس ولا وضع، ولا يفوتهم رد ولا نقد، والعهد قريب، والأسانيد عالية، والمصادر بالأيدي، أظهره الشريف بصراحة، وجلاه[3] على منصّة الأسماع والأبصار لسائليه ذلك من إخوانه وغيرهم، مطمئن الجأش[4]، أمن السرب،[5] فلو لم يكن على يقين يقين منه وثقة به لمَا نوّه به وشهّر بتأليفه، والأضداد[6] كثيرون، والحسّاد أكثر، وبما إنّا فيما سلف منا قد أزلنا الشكوك والشبهات، ودفعنا الردود والنقود، فلم يحتج الكتاب بعد هذا إلى ذكر مصدر، ولا إلى بيان مرجع، ولكنّا جرياً على رغبة ثُلّة من أهل العصر في ذكر ما تصل إليه اليد من المصادر، عزمنا على الفحص والتنقيب قدر ما يتسع الوقت له، ويتهيأ لنا الرجوع إليه، فإن من الكتب الموجودة في عصرنا ما لم يتيسر لنا الاطلاع عليها، وقد اكتفينا بما ظفرنا به، والذي نراه إن المتتبع البصير يقف على أكثر مِن ذلك، إلاّ إنا قد منعتنا من الاستقصاء والإمعان في الفحص كثرة الإشغال، وضيق المجال، ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد[7].

المصادر المذكورة في كتاب النهج:

كتاب (البيان والتبيين) لعمرو بن بحر الجاحظ.

كتاب (المقتضب) للمبرد في باب اللفظ بالحروف.

كتاب (المغازي) لسعيد بن يحي الأموي.

كتاب (الجمل) للواقدي.

كتاب (المقامات) في مناقب أمير المؤمنين لأبي جعفر الاسكافي.

(تاريخ ابن جرير الطبري).

(حكاية أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)).

(رواية اليماني عن ابن قتيبة).

---

١. بيت شعر للمتنبي من قصيدة قالها في حضرة سيف الدولة، وقد عارض بعض الحاضرين، مطلعها:

شديدُ البُعدِ من شرب الشمول تُرنجُ الهندِ أو طلعُ النخيل

شرح ديوان المتنبي: ج٣، ص١٥٧.

٢. أي اختارته، والانتخاب: الاختيار. الصحاح: ج١، ص٢٢٣.

٣. أي أظهره. ينظر: تاج العروس: ج١٩، ص٢٩٣.

٤. يقال: فلان رابط الجأش، أي يربط نفسه عن الفرار؛ لشجاعته. الصحاح: ج٣، ص٩٩٧.

٥. أمن السَّرْب: لا يُغترى ما له ونَعَمُه؛ لِعِزّه، فهو آمن في أهله وماله وولده. لسان العرب: ج٢، ص١٧٩٢.

٦. الأضداد: الأنداد. تاج العروس: ج٥، ص٧٣.

٧. هذا القول يجري مجرى المثل، وأصله: (حَسبُكَ من القلادة ما أحاك بالعنق)، أي اكتفِ بالقليل من الكثير. مجمع الأمثال: ج١، ص١٩٦.

ما وجد بخط هشام بن الكلبي.

خبر ضرار بن حمزة الضبابي.

رواية أبي حجيفة.

حكاية ثعلب.

ذُكرت هذه المصادر في كتاب (النهج) متفرقة في أبوابه؛ لخصوص بعض من الخطب والكتب والكلم القصار، والظاهر أن الوجه في تخصيص ذلك البعض بذكر المصدر دون غيره من مندرجات الكتاب هو أن ذلك البعض مما لم تتحقق عند المؤلف نسبته إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، بخلاف غيره، فانه على ثقة منه ويقين، فلا يحتاج إلى ذكر مصدر له تكون العهدة عليه في النقل والنسبة، وهذه عادة القدماء من أهل التأليف والنقل، فان ما يثقون بصدوره من شخص ينسبونه إليه ولا يذكرون الواسطة، بخلاف ما لم يثقوا بصدوره، وقد يكون الوجه في ذلك وقوع الخلاف في النسبة أو وجود النسبة إلى الغير، فيذكر المصدر مؤيداً لما يراه المؤلف، كما يظهر ذلك من نقله عن الجاحظ في كتاب (البيان والتبيين).

مرادنا بمصادر النهج:

قد أسلفنا الكلام مكرراً في أنه لا ينبغي أن يطمع معاصر في العثور على مصادر جميع ما في النهج من الخطب والكتب والحكم وغيرها، وكذا الحال في أمثاله مما صنّف وأُلف في القرون السالفة والعصور الخالية من كتب اللغة والأخبار وكتب التاريخ وغيرها؛ لما قدمناه من اندراس ما يصلح للمصدرية، ولئن كان ذلك إنما يعلم غالباً من مصنف الكتاب أما تصريحاً أو تلويحاً، والتنصيص على المصادر لم يكن متعارفاً عند المؤلفين المتقدمين على هذه العصور المتأخرة، وحيث قد عزمنا على تطلب مصادر ما في النهج فإنا نقصد بالمصادر الكتب والمؤلفات المتداولة المعتمد عليها من كتب التاريخ والحديث والسير والمغازي وكتب الآداب والأخلاق والحكم المؤلفة قبل عصر الرضي أو بعده، مع عدم استناد راويها إلى كتاب (النهج) واعتماده في روايتها عليه، فإذا وُجد المروي في (النهج) في أحد هذه الكتب المذكورة سواء وُجد المروي في (النهج) بتمامه في أحد تلك الكتب أو مع اختلاف في النقص والزيادة أو في بعض الكلمات أو الفقرات، فان ذلك مما يدل على رواية ذلك بنحو آخر، فان الخطبة الواحدة تختلف روايتها في الكتب التي بالأيدي، فيرويها لنا الجاحظ بخلاف ما يرويها ابن جرير[1]، وتراها في كتاب (مروج الذهب)[2] تخالف التي نراها في (العقد الفريد)[3]، وما ذاك إلاّ لاختلاف الروايات.

والشريف الرضي إن لم يكن من أفضل الرواة وأوثقهم فهو ليس دون غيره في جميع الصفات المعتبرة في الراوي، كما يذعن بذلك كل خبير بترجمة السيد وعارف بحاله، وأما ما لم يوقف على روايته في غير النهج فقد قدمنا الوجه فيه، وان ذلك أما لقصور في التتبع، أو لعدم علم بمنهاج السيد في الجمع والاختيار، فانه قد يجمع الخطبة من كلمات متفرقة في مواضيع شتى.

قال الشارح الفاضل في شرح قوله (عليه السلام): (وإنما سمّيت الشبهة شبهة... الخ)[4]، هذان فصلان غير ملتئم أحدهما مع الآخر، وإنما الرضي كان يلتقط الكلام التقاطاً، ومراده أن يأتي بفصيح كلامه (عليه السلام)، وقد قال الرضي ذلك في خطبة الكتاب.[5] انتهى مختصراً.

وقال في شرح قوله (عليه السلام): (فقمتُ بالأمر حين فشلوا)[1] نحو ذلك، ويكون ذلك لعدم وجود ما كان مأخذاً ومصدراً للسيد من الكتب التي قد اندرست ولم يبق منها إلى اليوم عين ولا أثر، ولا أدري لأي سبب يقع الريب

---

١. أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في طبرستان، واستوطن بغداد، وتوفي بها، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى، من مؤلفاته: (أخبار الرسل والملوك) يعرف بتاريخ الطبري. الأعلام: ج٦، ص٦٩.

٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، المتوفي سنة (٣٤٦هـ). كشف الظنون: ج٢، ص١٦٥٩.

٣. العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن محمد المعروف بابن عبد ربه القرطبي، توفي سنة (٣٢٨هـ). كشف الظنون: ج٢، ص١١٤٩.

٤. نهج البلاغة: ٨١.

٥. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص٢٩٨.

من العصريين المتفلسفين حتى في اللغة والدين فيما يرويه الشريف المذكور على جلالة قدره وعظيم منزلته وثقته وورعه دون مرويات الجاحظ وابن جرير و أمثالهما من العلماء والرواة، فيؤخذ بما يرويه هؤلاء بدون تردد، ولا تشكيك ولا مطالبة بمصدر لذلك أو مستند، وعلى أي حال فلا يهمنا البحث عن ذلك، ولا داعي لبيان ما نظنه السبب فيه، فليكن هذا أوّل الشروع في المقصود، والله المعين.

قال السيد الشريف (عليه السلام):

(ومن خطبة له (عليه السلام) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم (عليه السلام): الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون... الخ)[٢].

وهذه الخطبة رواها صاحب (بحار الأنوار)[٣] في (صفحة١١٣)، من كتاب (عيون الحكم والمواعظ)[٤]، لعلي بن محمد الواسطي.[٥]

ورواها قطب الدين في شرحه بسند متصل بمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) على ما قيل. ورواها الشيخ أبو منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في كتاب (الاحتجاج على أهل اللجاج)[٦] إلى قوله (عليه السلام): (ثم انشأ سبحانه فتق الأجواء)[٧].

ورواها الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتاب (مطالب السؤول)[٨] إلى قوله (عليه السلام): (ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم)[٩]، وروى بدله: (ومنهم الكرام الكاتبون أعمال خلقه الشاهدون على بريته يوم يبعثون، ومنهم غلاظ شداد [ينتقمون من المجرمين][١٠] لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)[١١].

وروى القاضي محمد بن سلامة القضاعي[١٢] بعض هذه الخطبة قال: وقال (عليه السلام) في توحيد الله عز وجل: (إن أول الديانة معرفة الله)[١] ثم اتبع هذه الكلمة بجمل من الفقرات المذكورة في هذه الخطبة.

---

١. نهج البلاغة: ٨٠.

٢. نهج البلاغة: ٣٩.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار c، هو الجامع الذي لم يكتب قبله ولا بعده جامع مثله؛ لاشتماله مع جمع الأخبار على تحقيقات دقيقة، وبيانات وشروح غالباً لا توجد في غيره، مؤلفه العلامة المجلسي محمد باقر بن محمد تقي الاصفهاني، المولود سنة (١٠٣٧هـ)، والمتوفى سنة (١١١١هـ). الذريعة: ج٣، ص١٦.

٤. عيون الحكم والمواعظ وذخيرة المتعظ والواعظ، لعلي بن محمد الليثي الواسطي، جمع فيه مؤلفه الحكم والكلمات القصار المنسوبة إلى الإمام علي a، فرغ منه سنة (٤٥٧هـ). الذريعة: ج١٥، ص٣٧٩.

٥. ينظر: بحار الأنوار: ج٧٤، ص٣٠٠.

٦. الاحتجاج على أهل اللجاج، للشيخ الجليل أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، المتوفى سنة (٥٨٨هـ)، فيه احتجاجات النبي : والأئمة الأطهار c وبعض الصحابة وبعض العلماء وبعض الذرية الطاهرة، وأكثر أحاديثه مرسل إلا ما رواه من تفسير العسكري a. كشف الحجب والأستار: ٢٥؛ الذريعة: ج١، ص٢٨١.

٧. الاحتجاج: ٢٩٤.

٨. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول c، لكمال الدين محمد بن طلحة الشافعي، المتوفى بحلب سنة ٦٥٢هـ، كتبه بعد ما سلب عنه كتاب (زبدة المقال في فضائل الآل)، مرتباً على اثنتي عشر باباً، وكل باب في اثني عشر فصلاً، طبع بإيران سنة (١٠٣٢هـ) والنجف. ذيل كشف الظنون: ٩١.

٩. نهج البلاغة: ٤١. في وصف الملائكة.

١٠. الإضافة من المصدر.

١١. مطالب السؤول: ١٥٦.

١٢. القاضي القضاعي، بضم القاف، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر الفقيه الشيعي أو الشافعي، صاحب كتاب (الشهاب)، كان مثقفاً في عدة علوم، تولى القضاء بمصر، وله عدة تصانيف غير الشهاب، والذي يدل على تشيعه أنه كام يخدم الدولة العبيدية، توفي سنة (٤٥٤هـ). الكنى والألقاب: ج٣، ص٥٥.

وقال السيد ومن خطبة له (عليه السلام) بعد انصرافه من صفين:

قال الشارح الفاضل في شرح آخر فصل منها: (واعلم أن هذه الكلمات وهي قوله (عليه السلام) (ألآن [إذ][2] رجع الحق إلى أهله... الخ)[3] يبعد عندي أن تكون مقولة عقيب انصرافه من صفين؛ لأنه انصرف عنها وقتئذ مضطرب الأمر، منتشر الحبل بواقعة التحكيم، ومكيدة ابن العاص، وما تم لمعاوية عليه من الاستظهار، وما شاهد في عسكره من الخذلان، وهذه الكلمات لا تقال في مثل هذه الحال، واخلق بها أن تكون قيلت في ابتداء بيعته قبل أن يخرج من المدينة إلى البصرة، وأن الرضي (رحمة الله) نقل ما وَجَد، وحَكى ما سمع، والغلط من غيره والوهم سابق له)[4]. انتهى.

وهذا الاستنتاج من مثل هذا الشارح عجيب، فان ما ذكره مسهباً فيه إنما يجري بالنسبة إلى غير أمير المؤمنين (عليه السلام)، ممن يقعقع[5] له بالشنان، ويضطرب أمره من ماجريات الزمان، وأما أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو ليس كغيره ممن يعتريه وهن أو ضعف أو فشل أو ذل، ولا ممن تزيده كثرة الناس أنساً وقوة وتفرقهم ضعفاً ووحشة، على أن المطلوب من الرجل العظيم -وإن كان دون أمير المؤمنين- أن يتجلّد ويتظاهر بمظاهر الفتوة، وعدم المبالاة بالنوائب والحوادث.

قال السيد (رحمة الله): ومن خطبة له (عليه السلام) وهي المعروفة بـ(الشقشقية) واسماها في القاموس بـ(الشقشقية العلوية)[6]، وغيره بـ(المقمصة)[7]، وقد رواها عن أمير المؤمنين (عليه السلام) جَمع كثير من أهل العلم بالأخبار والسير والتاريخ من الخاصة والعامة، ممن وجدوا قبل عصر الشريف الرضي وقبل مولده، قال الشارح العلامة الفيلسوف الشيخ كمال الدين ميثم في شرحه: (لقد وجدت هذه الخطبة في موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة:

أحدهما: إنها مضمّنة كتاب (الإنصاف) لأبي جعفر بن قبة[8] تلميذ أبي القسم الكعبي[9]، أحد شيوخ المعتزلة، وكانت وفاته قبل مولد الرضي.

الثاني: وجدتها بنسخة عليها خط الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات[10]، وكان وزير المقتدر بالله، وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة.[11]

---

١. هذا القول من كلام الإمام الكاظم (ع)، أما قول أمير المؤمنين فهو: (أول الدين معرفته). ينظر: الكافي: ج١، ص٢٣؛ نهج البلاغة: ٣٩.

٢. الإضافة من المصدر.

٣. نهج البلاغة: ٤٧.

٤. شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص١٤٣.

٥. في الأصل (يقعفع)، ولعل الصواب ما أثبتناه. والتقعقع: التحرك. الصحاح: ج٢، ص١٢٧٠.

٦. ينظر: القاموس المحيط: ج١، ص١١٦٠.

٧. وهي من قوله (ع): (تقمصها ابن أبي قحافة)، أي جعلها كالقميص.

٨. ابن قبة، بكسر القاف وفتح الموحدة المخففة كعِدة، أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن ابن قبة الرازي، فقيه رفيع المنزلة، من متكلمي الإمامية، صاحب كتاب (الإنصاف) في الإمامة لذي ينقل عنه الشيخ المفيد رحمه الله تعالى في (العيون والمحاسن)، كان قديماً من المعتزلة وتبصر. الكنى والألقاب: ج٢، ص٣٨٢؛ معجم المؤلفين: ج١٠، ص١٤٩.

٩. أبو القسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الحنفي المعتزلي البغدادي، الفاضل المشهور، كان رأس طاشنفة من المعتزلة، يُقال لهم الكعبية، وهو صاحب مقالات، وله اختيارات في علم الكلام، توفي سنة (٣١٧هـ)، والكعبي بفتح أوله وكسر ثانيه نسبة إلى بني كعب، والبلخي نسبة إلى بلخ إحدى مدن خراسان، من مصنفاته (أدب الجدل). هدية العارفين: ج١، ص٤٤٤؛ الكنى والألقاب: ج٣، ص١١٦.

١٠. أبو الحسن علي بن محمد بن موسى ابن الفرات (٢٤١-٣١٢هـ)، وزير، من الدهاة الفصحاء الأدباء الأجواد، وهو ممهد الدولة للمقتدر العباسي، ولد بالنهروان الأعلى (بين بغداد وواسط)، واتصل بالمعتضد بالله، فولاه ديوان السواد، ثم بلغ مرتبة الوزارة في أوائل أيام المقتدر، فتولاها ثلاث مرات، قبض عليه سنة (٣١٢هـ)، فسجن (٣٣) يوماً، وضُرب عنقه، وطرحت جثته في دجلة. الأعلام: ج٤، ص٣٢٤.

١١. ينظر: شرح كمال الدين ميثم لنهج البلاغة: ج١، ص٢٥٢-٢٥٣. باختلاف يسير في النقل.

قال: (والذي يغلب على ظني ان تلك النسخة كانت كُتِبت قبل وجود ابن الفرات بمدة)[1]، وقال الشارح الفاضل الشيخ عز الدين عبد الحميد في شرحه: (وقد وجدت كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الإمامية، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب (الإنصاف)، وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي (رحمة الله)، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي (رحمة الله) موجوداً)[2].

ونُقِل عن الشيخ أبي عبد الله بن احمد المعروف بابن الخشاب أنه قال: (والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صُنِّفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو احمد والد الرضي).

ونُقِل عن شيخه أبي الخير مصدق بن شبيب الواسطي أنه لما قال لابن الخشاب: (أتقول إنها منحولة؟ فقال: لا والله وإني لأعلم أنها كلامه (عليه السلام) كما اعلم انك مصدق، قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرضي، فقال: أنى للرضي ولغير الرضي هذا النَفَس وهذا الأسلوب! قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور، وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا خمر، ثم قال: والله لقد وقفتُ...)[3] إلى آخر ما تقدم ذكره.

هذا ما ذكره الشارحان[4]، وهو مما لا يدع سبيلاً لاتهام الشريف بانتحالٍ أو وَضْع، وفيه من الدلالة على أنها من كلام أمير المؤمنين ما يقتنع به المنصِف مع ما يراه في الخطبة من جزالة الألفاظ وروعة الأسلوب وحسن الانسجام وبديع النظام والاشتمال على محاسن الصنعة التي لا تجدها في كلام أي خطيب غير كلام أمير المؤمنين (عليه السلام).

ثم ان في وصف السيد لها دون غيرها من سائر خطب الكتاب بالمعروفة بـ(الشقشقية) دليلاً على شهرتها ومعروفيتها بين الناس، وقد ذكرها اللغويون كصاحب (النهاية)[5] وصاحب (القاموس)[6] وصاحب (مجمع البحرين)[7]، ورواه العلماء والمحدثون في زبرهم، فمنهم الشيخ الثقة الصدوق فإنه رواها في كتابيه: كتاب (علل الشرائع)[8] في باب (العلة التي من أجلها ترك الناس عليا مع معرفتهم بفضله)[9] بسند معتبر من رجاله: البرقي[10] وابن أبي عمير وأبان بن عثمان وأبان بن تغلب[11] عن عكرمة عن ابن عباس، وكتاب (معاني الأخبار)[1] في باب

---

١. ينظر: شرح كمال الدين ميثم لنهج البلاغة: ج١، ص٢٥٣.

٢. شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص٢٠٥-٢٠٦.

٣. شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص٢٠٥.

٤. ابن أبي الحديد والعلامة ابن ميثم.

٥. ينظر: النهاية: ج٢، ص٤٨٩.

٦. ينظر: القاموس المحيط: ج٣، ص٢٥١.

٧. ينظر: مجمع البحرين: ج٢، ص٤٨، وص٥٢٨.

٨. علل الشرائع والأحكام، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي، المتوفى سنة (٣٨١هـ)، طبع على الحجر بإيران مع (معاني الأخبار) في ١٢٨٩ و١٣٠١هـ. الذريعة: ج١٥، ص٣١٣.

٩. علل الشرائع: ج١، ص١٤٥.

١٠. أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (٢٧٤هـ)، باحث إمامي، من أهل برقة (من قرى قم)، أصله من الكوفة، له نحو مائة كتاب، منها (المحاسن)، كان ثقة في نفسه، يروي عنه الضعفاء، واعتمد المراسيل. رجال النجاشي: ٧٤؛ الأعلام: ج١، ص٢٠٥.

١١. أبان بن تغلب بن رباح البكري الجريري (ت ١٤١هـ)، مولى بني جرير بن عبادة، مفسر قارئ، محدث فقيه، أديب لغوي ونحوي، عظيم المنزلة، لقي علي بن الحسين وأباجعفر وأبا عبد الله ×، وروى عنهم وكانت له عندهم منزلة وقدم، وكان مقدماً في كل فن من العلم في القرآن والفقه والحديث والأدب واللغة والنحو، له مؤلفات منها: (الفضائل). رجال النجاشي: ١٢.

(معنى[2] خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام))[3] بسند آخر فيه جماعة من الثقاة عن علي بن خزيمة عن عكرمة، وليس فيها التمثل بقوله: (شتان ما يومي على كورها... الخ)[4].

وعبارات هذه الخطبة المروية شتى ولكن المعنى واحد، وقد رواها الشيخ المفيد أستاذ الشريف الرضي في كتابه (الإرشاد)[5] قال: وقد (روى جماعة من أهل النقل بطرق مختلفة عن ابن عباس)[6]، وقد رُويَت في كتب جماعة من العلماء كما في الكتب المتقدّم ذكرها، وفي كتاب (نثر الدر)[7]، وعن (نزهة الأديب) وهما للوزير أبي سعيد الآبي[8]، وكتاب (الاحتجاج)[9] و(تذكرة ابن الجوزي)[10] وغيرها، ولم يظهر منهم التعويل في نقلها على كتاب (النهج)، فلا بد وأن يكونوا قد نقلوها عن مصادر أُخَر.

كما أن المصادر لا بد وأن تكون مختلفة لاختلاف مروياتهم في بعض الألفاظ وبعض الفقرات، فلا يبقى إذن مجال للتشكيك في نسبتها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولئن تطرق الريب أو الشك في بعض خطب (النهج) فهذه مما لا يتطرّق ذلك إليها أصلاً.

والذي أظنه: إن هذه وما أشبهها مما يوجد في النهج هي التي ألجأت جماعة من الناس إلى الجحد والإنكار؛ لِما يترتب على الاعتراف بها من أمور لا يمكنهم دفعها، ولا يمكنهم الالتزام بها، وأما التشكيك فيها فلما اشتملت عليه من القدح والثلب[11]، وهو أمر قد جرى بين الصحابة؛ بل جرى ما هو أعظم من ذلك.

ولِما فيها من الجَهْر بالكلام على قوم لهم في نفوس عامة الناس أكبر منزلة وأرفع مرتبة، وهذا كسابقه في الوهن، فإن الرواة لم يذكروا أنه (عليه السلام) ألقاها على جمهور من الناس، فلعلّه ألقاها على جماعة من أصحابه وخواصه، فإنها لم تكن مسبوقة بما تسبق به الخطب من النداء بالصلاة جامعة، والتصدير بالحمد والصلاة فكان الأجدر أن يقال: (ومن كلام له (عليه السلام))، وإن أمكن تصحيح إطلاق الخطبة عليها.

قوله (عليه السلام): (بنا اهتديتم في الظلماء)[1] رواه الشيخ المفيد في (الإرشاد)[2] مع اختلاف يسير وقال الشارح العلامة: (روي أن هذه الخطبة خَطبها أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد قتل طلحة والزبير)[3].

---

١. معاني الأخبار، للشيخ الأجل والسند الأكمل الشيخ أبي جعفر محمد بن علي القمي الشهير بالصدوق، نزيل الري (ت ٣٨١هـ)، ذكر فيها الأحاديث التي ورد في معاني الحروف والألفاظ، وهو من أحسن الحروف في هذا الباب. كشف الحجب والأستار: ٥٣٣.

٢. في الأصل (معاني)، والتصحيح من المصدر.

٣. ينظر: معاني الأخبار: ج٢، ص.

٤. نهج البلاغة: ٤٨. من الخطبة الشقشقية، وهو قول الأعشى:

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

٥. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي البغدادي، المولود سنة (٣٣٨هـ)، والمتوفى سنة (٤١٣هـ)، فيه تواريخ الأئمة الطاهرين الإثني عشر ،، والنصوص عليهم، ومعجزاتهم، وطرف من أخبارهم من ولاداتهم ووفياتهم، ومدة أعمارهم، وعدة من خواص أصحابهم، وغير ذلك. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج١، ص٥٠٩.

٦. الإرشاد: ج١، ص٢٨٧.

٧. ينظر: نثر الدر: ج١، ص٥٢.

٨. منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد أو أبو سعيد الآبي (ت ٤٢١هـ)، وزير، من العلماء بالأدب والتاريخ، إمامي من أهل الري، نسبته إلى (آبة) من قرى ساوة، ولي أعمال جليلة، وصحب الصاحب بن عباد، واستوزره مجد الدولة رستم بن فخر الدولة البويهي صاحب الري، له مصنفات منها: (نثر الدر). الأعلام: ج٧، ص٢٩٨.

٩. ينظر: الاحتجاج: ج١، ص٢٨٤.

١٠. تذكرة الخواص من الأمة في ذكر مناقب الأئمة، أو تذكرة خواص الأئمة بذكر خصائص الأئمة، لأبي المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي الحنفي، المتوفى سنة (٦٥٤هـ)، طبع في طهران سنة (١٢٨٥هـ)، ذيل كشف الظنون: ج١، ص٢٧٤؛ معجم المطبوعات العربية: ج١، ص٦٩.

١١. ثلبه ثلباً: إذا صرّح بالعيب، والمثالب: العيوب، الواحدة: مثلبة. الصحاح: ج١، ص٩٤.

قوله (عليه السلام): (أيها الناس: شقوا أمواج)[٤] رواها في (تذكرة الخواص)، ورواها غيره.

قال (رحمة الله): (ومن كلام له في ذم أهل البصرة)[٥] ذكر جملاً من هذا الكلام في كتاب (مروج الذهب)[٦] وذكر إنها من خطبة طويلة، وذكرها أيضاً في كتاب (الأخبار الطوال)[٧] مع اختلاف في بعض الفقرات.

ورُوي في كتاب (الاحتجاج) عن ابن عباس أنه قال: (لمّا فرغ علي (عليه السلام) من قِتال أهل البصرة وضع قتباً[٨] على قتب، ثم صعد عليه فخطب، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: يا أهل البصرة... الخ)[٩]، وفيه بعض الفقرات المذكورة، ورواها في (العقد الفريد) عن عكرمة عن أبن عباس[١٠].

قوله (عليه السلام): (ذمتي بما أقول رهينة)[١١] هذا إلى قوله: (صرحت له العبر)[١٢] مروي في كتاب (عيون الأخبار)[١٣] لابن قتيبة (ص٦ ج ل).

ومن قوله (عليه السلام): (ألا وان بليتكم... الخ)[١٤] مذكور في خطبة رواها الكليني في (روضة الكافي) أوّلها: (الحمد لله الذي على فاستعلى)[١٥]، وقال الشارح هذه الخطبة من جلائل خطبه (عليه السلام) ومن مشهوراتها، قد رواها الناس كلهم، وفيها زيادات حذفها الرضي أما اختصاراً أو خوفاً من إيحاش السامعين، وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب (البيان والتبيين) على وجهها، ورواها عن أبي عبيدة عن معمر بن المثنى قال: (أول خطبة خطبها علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالمدينة في خلافته حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه)[١٦]، ثم قال: (ألا لا يرعين مرع إلاّ على نفسه)[١٧] إلى آخر ما ذكره في الشرح، ثم قال شيخنا أبو عثمان: قال أبو عبيدة:

---

١. نهج البلاغة: ٥١.

٢. ينظر: الإرشاد: ج١، ص٢٥٣.

٣. شرح نهج البلاغة: ج١، ص٢٧٠.

٤. نهج البلاغة: ٥٥، خطبته (ع) بعد وقعة الجمل.

٥. نهج البلاغة: ٥٥.

٦. ينظر: مروج الذهب: ج١، ص٣٢٠.

٧. الأخبار الطوال: ١٥١.

٨. القتب، بالتحريك: رحل صغير على قدر السنام.

٩. الاحتجاج: ج١، ص٢٥٠.

١٠. ينظر: العقد الفريد: ج٢، ص١٠٨.

١١. نهج البلاغة: ٥٧.

١٢. نهج البلاغة: ٥٧.

١٣. عيون الأخبار: ج١، ص٢٥.

١٤. نهج البلاغة: ٥٧.

١٥. روضة الكافي: ج٨، ٦٧.

١٦. في الأصل (على النبي وآله)، والتصحيح من المصدر.

١٧. البيان والتبيين: ج١، ص٢٣٧؛ نهج البلاغة: ٥٨.

وزاد فيها في رواية جعفر بن محمد (عليه السلام) عن آبائه ، (إلا أن أبرار عترتي، وأطايب أرومتي[1])[2] إلى آخر آخر ما ذكره فيه.

قلت: وقوله ومن هذه الخطبة (شغل من الجنة والنار أمامه... الخ)[3] يروي أيضاً في (روضة الكافي)[4] مع اختلاف اختلاف يسير. وذكر الجاحظ في الكتاب المذكور خطبة له (عليه السلام) وفيها جملة من فقرات هذه الخطبة التي هنا، وقد روى هذه التتمة من قوله (عليه السلام): (شغل... الخ) في كتاب (عيون الاخبار) (ج٢ص٢٣٦)، وقال الشيخ كمال الدين ميثم في شرحه بعد قوله: (ذمتي بما أقول رهينة... الخ).

أقول: في هذا الفصل فصول من الخطبة التي أشرنا إليها، ثم قال: (ونحن نوردها بتمامها)[5]، وهي: (الحمد لله أحق محمود بالحمد، وأولاه بالمجد... إلى آخر الخطبة)[6].

قوله (عليه السلام): (إن ابغض الخلائق... الخ)[7]، أقول وروى هذا الكلام الشيخ الكليني في أصول الكافي (ص٣٠ طبع إيران)[8]، وروى ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار (ص٦٠ج ل)[9] أكثر فقرات هذا الكلام مع اختلاف بين ما هنا وما هنالك في كثير من الفقرات وقيل إن الاجود والأفصح الرواية الأخرى يذرو الروايات ذرو الريح الهشيم وهكذا ذكر ابن قتيبة في (غريب الحديث) لما ذكر هذه الخطبة عن أمير المؤمنين[10].

قوله (عليه السلام)(ألا وإن الشيطان ذمر حزبه... الخ)[11]، قال الشارح العلامة: (أكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا انه (عليه السلام) خطبها حين بلغه أن طلحة والزبير خلعا بيعته وفيه زيادة ونقصان وقد أورد السيد بعضه فيما قبل)، إلى أن قال: (ونحن نورد الخطبة بتمامها ليتضح المقصود وهي بعد حمد الله)[12]، ثم ذكرها إلى آخرها، وفي الشرح: (أن هذه الخطبة ليست من خطب صفين كما ذكره الراوندي بل من خطب الجمل وقد ذكر كثيراً منها أبو مخنف... الخ)[13]، ثم ذكر في الشرح جملة خطب والظاهر أن السيد اختار منها ما أثبته في النهج أو انه وقف عليه مروياً بتمامه برواية لم يقف عليها الشارحان.

قوله (عليه السلام): (أما بعد فإن الأمر ينزل من السماء... الخ)[14]، أقول: روى بعض فقرات هذه الخطبة ابن قتيبة في (ج ل ص١٨٩)[1]، ورواه اليعقوبي في تاريخه[2].

---

١. الأرومة: الأصل. تاج العروس: ج١٦، ص١٤.

٢. البيان والتبيين: ج١، ص٢٣٨. وهي غير موجودة في كتاب النهج.

٣. نهج البلاغة: ٥٨.

٤. روضة الكافي: ج٨، ص٦٨.

٥. شرح ابن ميثم: ج١، ص٢٩٦.

٦. شرح ابن ميثم: ج١، ص٢٩٦.

٧. نهج البلاغة: ٥٩.

٨. ينظر: روضة الكافي: ج١، ص٥٥، باختلاف يسير.

٩. عيون الأخبار: ج١، ص٢٥.

١٠. ينظر: غريب الحديث: ج١، ص٣٦٠.

١١. نهج البلاغة: ٦٣.

١٢. شرح ابن ميثم: ج١، ص٣٣٣.

١٣. شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص٣٠٥.

١٤. نهج البلاغة: ٦٤.

قوله (عليه السلام): (ما هي إلا الكوفة... الخ)[3]، قال في الشرح: (هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد فراغه من صفين وانقضاء أمر الحَكَمين والخوارج وهي من أواخر خطبه (عليه السلام))[4]، وقد ذكر السبب فيها الشارح العلامة[5].

قوله (عليه السلام): (ولم يبايع حتى شرط... الخ)[6]، قال الشارح الفاضل: (هذا فصل من كلام يذكر فيه عمرو بن العاص)[7]، وفي النسخة التي عليها شرح العلامة الشارح (لم يبايع معاوية حتى شرط أن يعطيه مصر طعمة[8])[9].

قوله (عليه السلام): (أمّا بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة)[10] هذه الخطبة من مشاهير خطبه، وقال الشارح العلامة: (هذه الخطبة مشهورة)[11].

وأقول: هي مروية في كتاب (الجهاد) من كتاب (الكافي)[12]، وقد ذكرها الجاحظ في كتاب (البيان والتبيين)[13] مع اختلاف يسير، وذُكِرت في كتاب (الأخبار الطوال)[14] وفي (الكامل)[15] للمبرد وفي عقد ابن عبد ربه[16]، مع اختلاف في بعض الألفاظ والفقرات.

وقوله: (فيا عجباً [عجباً][17] والله يميت القلب... الخ)[18] مروي في كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة، قال: (خطب علي حين قُتِل عامله بالأنبار فقال في خطبته... الخ)[19]، وقال الشارح الفاضل بعد أن ذكر أن أبا العباس المبرد

---

١. ينظر: الإمامة والسياسة: ج١، ص١٢١.

٢. ينظر: تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٠٧.

٣. نهج البلاغة: ٦٦.

٤. شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص٣٤٨.

٥. ينظر: شرح ابن ميثم: ج٢، ص١٨.

٦. نهج البلاغة: ٦٨.

٧. شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص٦٠.

٨. يقال: جعل السلطان ناحية كذا طعمة لفلان، أي مأكلة له. تاج العروس: ج١٧، ص٤٤١.

٩. شرح ابن ميثم: ج٢، ص٢٧. وقد ورد في الأصل: (لم يبايع معاوية حتى شرط أن يؤتيه على البيعة ثمناً).

١٠. نهج البلاغة: ٦٩.

١١. شرح ابن ميثم: ج٢، ص٣١.

١٢. ينظر: الكافي: ج٥، ص٤.

١٣. ينظر: البيان والتبيين: ج١، ص٢٣٨.

١٤. ينظر: الأخبار الطوال: ٢١١.

١٥. الكامل في اللغة والأدب: ج١، ص٢٠.

١٦. ينظر: العقد الفريد: ج١، ص٤٩٤.

١٧. الإضافة من المصدر.

١٨. نهج البلاغة: ٧٠.

١٩. ينظر: عيون الأخبار: ج١، ص٢٢٣. باختلاف بين المصدرين.

ذكرها في (الكامل)[1]، وأنه (أسقط من هذه الرواية ألفاظاً وزاد فيها ألفاظاً)[2]، وكان فيها (وسيما الخسف) قال (ونحن نقول: إن السماع الذي حكاه أبو العباس غير مرضي، والصحيح ما يتضمنه نهج البلاغة وهو (سيم الخسف)[3] -فعل ما لم يسم فاعله- و(الخسف) منصوب؛ لأنه مفعول... الخ)[4]، ما ذكره وهو كما قال؛ لأن رواية السيد أصح وأعلى، وأما ما ذكره من التعليل فيحتاج إلى ملاحظة.

قوله (عليه السلام): (أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت... الخ)[5] هذه الخطبة رواها الجاحظ في كتاب (البيان والتبيين)[6]، والتبيين)[6]، والمسعودي في (مروج الذهب)[7]، وابن قتيبة في كتاب (عيون الأخبار)[8]، مع اختلاف في بعض الفقرات، ورواها صاحب كتاب (إعجاز القرآن)[9]، ورواها في كتاب (تحف العقول)[10] من جملة الخطبة المعروفة بالديباج، ورواها ابن عبد ربه في عقده[11].

قال الشارح العلامة: هذا الفصل من الخطبة التي في أولها: (الحمد لله غير مقنوط من رحمته... الخ)[12]، وسيجيء بعد، وإنما قدمه الرضي عليها لما سبق من اعتذاره في خطبة الكتاب انه لا يراعي التتالي والنسق في كلامه.[13]

قوله (عليه السلام): (أيها الناس المجتمعة... الخ)[14] ذُكِرت هذه الخطبة في كتاب (البيان والتبيين)[15] مع اختلاف وزيادة، وروى بعض فقراتها ابن قتيبة[16]، وروى قسما منها في (مطالب السؤول)[17]، ورواها في (العقد الفريد)[18]

---

١. ينظر: الكامل في اللغة والأدب: ج١، ص٦.

٢. شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص٧٦.

٣. نهج البلاغة: ٦٩.

٤. شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص٧٦.

٥. نهج البلاغة: ٧٢.

٦. ينظر: البيان والتبيين: ج١، ص٢٤٠.

٧. ينظر: مروج الذهب: ج١، ص٣٤٥.

٨. ينظر: عيون الأخبار: ج١، ص٢٢٣.

٩. ينظر: إعجاز القرآن: ١٤٥.

١٠. ينظر: تحف العقول: ١٥٣.

١١. ينظر: العقد الفريد: ج١، ص٤٩٣.

١٢. نهج البلاغة: ٧١.

١٣. ينظر: نهج البلاغة: ٣٥.

١٤. نهج البلاغة: ٧٢.

١٥. ينظر: البيان والتبيين: ج١، ص٢٤٠.

١٦. ينظر: الإمامة والسياسة: ج١، ص١٩٨.

١٧. ينظر: مطالب السؤول: ٢٩٢.

١٨. ينظر: العقد الفريد: ج١، ص٤٩٤.

مع اختلاف يسير، وقال الشارح: (هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين (عليه السلام) في غارة الضحاك بن قيس)[1].

قوله (عليه السلام): (أيها الناس إنّا قد أصبحنا... الخ)[2] نُسِبت إلى معاوية، وهي من كلامه (عليه السلام) كما نص نص على ذلك الشريف الرضي وعمرو بن بحر الجاحظ[3].

وقوله (عليه السلام): (إن الله بعث محمداً... الخ)[4] روى هذه الخطبة الشيخ في (الإرشاد)[5] مع زيادة بيتين من الشعر في آخرها، وتوجد في (النهج) الذي عليه (شرح ابن أبي الحديد) زيادة (والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمري شربك المحض صابحاً وأكلك بالزبد المقشرة التمرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكـــــن علياً وحطنا حولك الجرد والسمرا[6]

ولا توجد هذه الزيادة في (النهج) الذي عليه (شرح العلامة ابن ميثم)، ولا في الذي عليه شرح الشيخ محمد عبده، ولا في نسخة رأيناها مطبوعة في إيران.

قوله (عليه السلام): (أف لكم لقد سئمت عتابكم... الخ)[7] روى الطبري شيئاً منها،[8] وقال الشارح الفاضل: أما قوله: (أنت فكن ذاك... وردت الرواية بأنه خاطب بذلك الأشعث بن قيس)[9]؛ ثم قال: (إن أمير المؤمنين خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج)[10].

وقوله (عليه السلام): (والحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح... الخ)[11] رواها الطبري في المجلد السادس،[12] وفي هذه زيادة على ما رواه الطبري، كما إن فيه زيادة لم تذكر هنا، وقال الشارح الفاضل: (هذه الألفاظ من خطبة خطب بها (عليه السلام) بعد خديعة ابن العاص لأبي موسى وافتراقهما، وقبل وقعة النهروان)[13]، (قال نصر: وكان علي (عليه السلام) لما خَدَع عمرو أبا موسى بالكوفة، وكان قد دخلها منتظراً ما يحكم به الحكمان،

---

١. شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص٢١٣.

٢. نهج البلاغة: ٧٤.

٣. ينظر: البيان والتبيين: ج١، ص٢٤٢.

٤. نهج البلاغة: ٧٧.

٥. ينظر: الإرشاد: ج١، ص٢٤٨.

٦. شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص١٨٥.

٧. نهج البلاغة: ٧٨.

٨. ينظر: تاريخ الطبري: ج٤، ص٦٧.

٩. شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص١٩١.

١٠. شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص١٩٢.

١١. نهج البلاغة: ٧٩.

١٢. تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٧.

١٣. شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص٢٠٦.

فلما تم على أبي موسى ما تم من الحيلة، غَمّ ذلك عليا وساءه ووجم[1] له، [وخطب الناس][2] فقال: (الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل)، الخطبة التي ذكرها الرضي (رحمة الله) وهي التي نحن في شرحها، وزاد في آخرها بعد الاستشهاد ببيت دريد[3]: (ألا إنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب... الخ)[4].

الخ)[4].
قوله (عليه السلام): (فأنا نذيركم... الخ)[5] روى بعض فقراتها الطبري في (ج٦)[6].

قوله (عليه السلام): (فقمتُ بالأمر... الخ)[7] ذكر الشارح في الشرح إن هذا الكلام مركّب من فصول أربعة لا يمتزج بعضها ببعض، التقطه السيد الرضي من كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) قاله بعد وقعة النهروان،[8] وتبعه الشيخ محمد عبده وهو محتمل.[9]

قوله (عليه السلام): (مُنيت بمن لا يطيع... الخ)[10]، قال الشارح العلامة: يُروى أن هذه الخطبة خطب بها (عليه السلام) في غارة[11] النعمان بن بشير بعين التمر[12]، ثم ذكر السبب في ذلك[13].

قوله (عليه السلام): (أيها الناس إنّ أخوَف ما أخافه عليكم... الخ)[14] هذا الكلام من خطبة رواها الكليني في (روضة الكافي)[15]، ومن جملة خطبه ذكرها نصر بن مزاحم[16] في كتاب (صفين) (ص٤٠) طبع إيران،[17] وذكر في (تذكرة السبط) منه فقرات في ضمن خطبة قال إنها تُعرف بـ(البالغة).

---

١. الواجم: الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام. الصحاح: ج٥، ص٢٠٤٨.

٢. الإضافة من المصدر.

٣. وهو قوله:

أمرتكم أمري بمنعَرج اللّوَى فلم تستبينوا النُصح إلا ضُحى الغد

٤. شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص٢٥٩.

٥. نهج البلاغة: ٨٠.

٦. تاريخ الطبري: ج٤، ص٦٢.

٧. نهج البلاغة: ٨٠.

٨. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص٢٨٤.

٩. ينظر: شرح محمد عبدة: ج١، ص٨٨.

١٠. نهج البلاغة: ٨١.

١١. في الأصل (غزاة)، والتصحيح من المصدر.

١٢. عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، منها يُجلب التمر إلى سائر البلاد، إفتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد سنة (١٢هـ)). معجم البلدان: ج٣، ص٢٦٨.

١٣. شرح ابن ميثم: ج٢، ص٩٩.

١٤. نهج البلاغة: ٨٣.

١٥. ينظر: روضة الكافي: ج٨، ص٥٨، باختلاف يسير.

١٦. نصر بن مزاحم المنقري العطار، أبو الفضل، كوفي، مستقيم الطريقة، صالح الأمر، غير أنه يروي عن الضعفاء، كتبه حِسان منها: (كتاب الجمل). رجال النجاشي: ٤١٠.

١٧. ينظر: كتاب صفين: ٣.

قوله (عليه السلام): (اللهم إني أعوذ... الخ)[1]، قبل ذِكر هذا نصر بن مزاحم في كتاب صفين وذكره غيره أيضا من رواة السير.[2]

قوله (عليه السلام): (الحمد لله كلما وقب ليل وغسق[3]... الخ)[4]، هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو بالنخيلة[5] خارجاً من الكوفة متوجهاً إلى صفين، لخمسٍ بقين من شوال، سنة سبع وثلاثين، ذكرها جماعة من أصحاب السير وزادوا فيها).[6]

قوله (عليه السلام): (إنما بدء وقوع الفتن... الخ)[7]، هذا من خطبة مروية في (روضة الكافي)[8]، وهو مروي في (أصول الكافي)[9] أيضاً.

قوله (عليه السلام): (قد استطعموكم القتال)[10] في شرح الفاضل: (حدّث عمرو بن شمر عن جابر قال: خطب علي (عليه السلام) يوم الماء[11] فقال: (أمّا بعد: فإن القوم قد بدؤوكم بالظلم، وفاتحوكم بالبغي، واستقبلوكم بالعدوان، وقد استطعموكم القتال حيث منعوكم الماء، فأقروا على مذلة وتأخير مهلة... الفصل إلى آخره)[12].

قوله (عليه السلام): (إن الدنيا قد تصرّمت[13]... الخ)[14]، وقوله (عليه السلام): (ومن الأضحية[15]... الخ) مُلتقط من خطبة طويلة خطبها (عليه السلام) يوم الأضحى، وقد رواها الشيخ في (المصباح)[16]، وهي بسندها مذكورة فيه مع اختلاف في الألفاظ بين رواية السيد هنا وبين رواية الشيخ هناك.

قوله (عليه السلام): (ولقد كنا مع رسول الله : نقتل[17] آباءنا... الخ)[1] قيل إن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) في قصة ابن الحضرمي، وقيل إنه صدر منه يوم صفين حين أقر الناس [بالصلح][2]، وأوله: (إن هؤلاء

---

١. نهج البلاغة: ٨٦.

٢. ينظر: السيرة النبوية: ج٣، ٧٥١؛ السيرة الحلبية: ج٢، ص٦٧٧.

٣. الغسق: أول ظلمة الليل، وقوله تعالى: (ومن شر غاسق إذا وقب) الليل إذا دخل. الصحاح: ج٤، ص١٥٣٧.

٤. نهج البلاغة: ٨٧.

٥. النخيلة: تصغير نخلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام، وهو الموضع الذي خرج إليه الإمام علي _ لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها، وخطب خطبة مشهورة ذم فيها أهل الكوفة. معجم البلدان: ج٤، ص٢٢٢.

٦. شرح ابن أبي الحديد: ج٣، ص٢٠١، باختلاف يسير في النقل.

٧. نهج البلاغة: ٨٨.

٨. ينظر: روضة الكافي: ج٨، ص٥٨.

٩. ينظر: أصول الكافي: ج١، ص٥٤.

١٠. نهج البلاغة: ٨٨.

١١. وهو يوم من أيام صفين.

١٢. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٣، ص٣٢٥.

١٣. تصرمت: تقطعت. الصحاح: ج٥، ص١٩٦٥.

١٤. نهج البلاغة: ٩١.

١٥. في الأصل: (ومن كمال الأضحية)، والتصحيح من المصدر.

١٦. ينظر: مصباح المتهجد: ٦٦٤.

١٧. في الأصل (يقتل)، والتصحيح من المصدر.

القوم لم يكونوا لينيبوا إلى الحق[٣] ولا ليجيبوا إلى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر[٤] تتبعها العساكر)[٥] إلى آخر ما ذكر من كلامه (عليه السلام) المتصل بقوله: (ولقد كنّا مع رسول الله... الخ).[٦]

قوله (عليه السلام): (أصابكم حاصب[٧])[٨] رويت فقرات منه في (تاريخ الطبري)[٩].

قوله (عليه السلام): (مصارعهم دون النطفة[١٠]... الخ)[١١]، قال الشارح الفاضل: (هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لاشتهاره ونقل الناس كافة له، وهو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب)[١٢].

قوله (عليه السلام): (الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالا) إلى أن قال: (لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان)[١٣] من قوله: (لم يخلق ما خلقه) إلى آخر قوله: (لم يحلل) مذكور في خطبته الشهيرة المسماة بـ(الغراء).

ومن قوله (لم يحلل) إلى قوله: (بأين) موجود في الخطبة المعروفة بـ(الوسيلة)، وعليه فهذه الخطبة ملتقطة من خطب متعددة اختار منها السيد ما أثبته هنا والله العالم، واحتمال أنها رواية وقف عليها الشريف غير بعيد.

قوله (عليه السلام): (معاشر المسلمين استشعروا الخشية... الخ)[١٤] رواه ابن قتيبة في كتاب (عيون الأخبار)[١٥] عن ابن عباس بنحو أخصر مما هنا، مع اختلاف في بعض الألفاظ والفقرات، ورواه في (الحدائق الوردية)[١٦] بالإسناد إلى ابن عباس أيضاً، وقال الشارح الفاضل: (وهذا الكلام خطب به أمير المؤمنين (عليه السلام) في اليوم

---

١. نهج البلاغة: ٩١.

٢. الإضافة من المصدر.

٣. ورد في الأصل (ليفيئوا إلى حق)، والتصحيح من شرح ابن أبي الحديد.

٤. المناسر: قطعة صغيرة من الجيش تمر أمام الجيش الكبير. الصحاح: ج٢، ص٨٢٦.

٥. نهج البلاغة: ١٨١. وقد أبدلت لفظة (العساكر) بـ(المناسر).

٦. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص٢٣٩.

٧. الحاصب: الريح الشديدة التي تثير الحصى، وأصابه حاصب: كناية عن العذاب. الصحاح: ج١، ١١٢.

٨. نهج البلاغة: ٩٢.

٩. ينظر: تاريخ الطبري: ج٤، ص٦٣.

١٠. يعني بالنطفة: ماء النهر. صفوة شروح نهج البلاغة: ١٣٥.

١١. نهج البلاغة: ٩٣.

١٢. شرح ابن أبي الحديد: ج٥، ص٣.

١٣. نهج البلاغة: ٩٦.

١٤. نهج البلاغة: ٩٧.

١٥. ينظر: عيون الأخبار: ج١، ص٤٥.

١٦. الحدائق الوردية في أحوال الأئمة الزيدية، للفقيه حميد بن أحمد الشهيد، المعروف بفقيه الشهيد اليماني، ذكر فيه تراجم أئمتهم مفصلاً، بدأ بأمير المؤمنين (ع) ثم الحسن السبط ثم الحسين الشهيد ثم الحسن المثنى ثم زيد الشهيد ثم ابنه يحيى ثم النفس الزكية، وهكذا إلى منتهم الثلاثين من أئمتهم، وفي خاتمة الكتاب ذكر جملة من مناقب أهل البيت، وبعض مثالب بني العباس. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٦، ص٢٩١.

الذي كانت عشيته ليلة الهرير[1] في كثير من الروايات، وفي رواية نصر بن مزاحم: إنه خطب به في أوّل أيام اللقاء والحرب بصفين، وذلك في صفر من سنة سبع وثلاثين).[2]

قوله (عليه السلام): (وقد أردت تولية مصر... الخ)[3] رُوي عن المدائني: (إنّ علياً (عليه السلام) قال: رحم الله محمداً كان غلاماً حدثاً، لقد كنت أردتُ أن أولي المرقال هاشم بن عتبة[4] مصراً، فإنه والله لو وليها لما خلى لابن العاص وأعوانه العرصة[5]، ولا قُتِل إلاّ وسيفه في يده بلا ذمٍ لمحمد، فلقد أجهد نفسه، وقضى ما عليه)[6]، والاعتماد والاعتماد على ما رواه السيد.

قوله (عليه السلام): (اللهم داحي المدحوات... الخ)[7]، ذكر هذه كثير من الناس، وهي مذكورة في (الصحيفة العلوية)، وفي (تذكرة ابن الجوزي)، وذكرها أبو علي القالي البغدادي في (نوادر الأمالي)، مع اختلاف في بعض الألفاظ وزيادة ونقصان، وفي (البحار) إن الحسن بن عرفة ذكرها عن سعيد بن عمر... الخ[8].

قوله (عليه السلام): (أو لم يبايعني قبل قتل عثمان... الخ)[9]، روي هذا الخبر من طرق كثيرة، ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب نهج البلاغة، وهي قوله (عليه السلام) في مروان: (يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه[10])[11].

قوله (عليه السلام): (رحم الله امرءاً سمع حكماً فوعى)[12] في (كنز الفوائد) للشيخ الفقيه الثقة أبي الفتح محمد علي الكراجكي[13] المتوفي سنة ٤٤٩ انه جاء في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): انه قال تكلم أمير المؤمنين

---

١. ليلة الهرير: وهي من ليالي صفين، وقعت بين الإمام علي _ وأهل الشام، قتل فيها ما يقرب من سبعين ألف في ١٢ صفر سنة ٣٧هـ، ولمولانا أمير المؤمنين ولأصحابه في تلك الليلة مواقف شجاعة يذكر مع الأبد، وسميت بالهرير؛ لأنهم لما عجزوا من القتال صار بعضهم يهر على بعض كما تهر السباع، وهو صوت دون النباح، وفي صباح تلك الليلة رفعت المصاحف على الرماح. ينظر: الخرائج والجرائح: ج١، ص٢٢٢؛ السنن الكبرى: ج٣، ص٢٥٢؛ الغدير: ج٧: ص١٦.

٢. شرح ابن أبي الحديد: ج٥، ص١٧٥.

٣. نهج البلاغة: ٩٨.

٤. هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (ت ٣٧هـ)، حامل الراية العظمى بصفين، لُقّب بالمرقال؛ لأنه كان يرقل في الحب، أي يسرع، كان من أفاضل أصحاب النبي g، أسلم يوم فتح مكة، ونزل الشام بعد فتحها، شهد القادسية مع (سعد بن أبي وقاص) وأصيبت عينه يوم اليرموك، فقيل له (الأعور)، قتل (عليه السلام) في نصرة أمير المؤمنين (ع) بصفين، يوم شهادة عمار (رحمة الله) . الكنى والألقاب: ج٣، ص١٨٠؛ الأعلام: ج٨، ص٦٦.

٥. يعني عرصة مصر، والعرصة: كل بقعة واسعة بين الدور. صفوة شروح نهج البلاغة: ١٤٧.

٦. شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٩٣.

٧. نهج البلاغة: ١٠٠.

٨. ينظر: بحار الأنوار: ج٧٤، ص٢٩٧.

٩. نهج البلاغة: ١٠٢.

١٠. الصدغ: ما بين العين والأذن، ويسمى الشعر المتدلي عليها صدغاً. الصحاح: ج٤، ص١٣٢٣.

١١. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص١٤٦.

١٢. نهج البلاغة: ١٠٣.

١٣. أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، من أجلة العلماء والفقهاء والمتكلمين، رأس الشيعة، وصاحب التصانيف الجليلة، كان نحوياً لغوياً وعالماً بالنجوم طبيباً محدثاً، أسند اليه جميع أرباب الإجازات، ومن تلامذة الشيخ المفيد والشريف المرتضى والشيخ الطوسي، روى عنهم وعن آخرين من علماء الشيعة والسنة، وروى عنه وقرأ عليه جماعة من علماء عصره. أعيان الشيعة: ج٩، ص٤٠٠-٤٠١؛ فهرس التراث: ج١، ص٥١٧.

صلوات الله عليه بأربع وعشرين كلمة قيمة كل [كلمة][1] منها وزن السماوات والأرض، قال: (رحم الله امرءاً سمع فوعى ودعى إلى رشاد فدنا)[2] إلى آخر ما هنا مع زيادة تبلغ بها أربعاً وعشرين كلمة؛ أي فقرة.

وذكرت هذه الكلمات عنه (عليه السلام) في كتاب (زهر الآداب وثمر الألباب) لأبي إسحاق القيرواني المالكي[3]، وذكرها غيره.

قوله (عليه السلام): (إن بني أمية ليفوقونني تراث... الخ)[4]، أصل هذا الخبر رواه أبو الفرج في كتاب (الأغاني)[5] (الأغاني)[5] على ما يقال.

قوله (عليه السلام): (اللهم اغفر لي ما أنت اعلم به مني... الخ)[6]، ذكر عبد الحميد في شرحه جملة من أدعية (الصحيفة السجادية)، وقال: إنها من أدعية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وإن الإمام السجاد زين العابدين (عليه السلام) كان يدعوا بها، ولا نعلم مستنده في ذلك، ولعله وقف على ما يقضي بذلك، أو انه عرف ذلك من جهة النَفس والأسلوب والنظم والطريقة ولكن كلامه شبيه بكلام جده أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك، والله العالم.[7]

قوله (عليه السلام): (معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان... الخ)[8] رواه السبط في (التذكرة)، ورواه غيره[9].

وقوله (عليه السلام): (الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله... الخ)[10]، هذه الخطبة الجليلة في البلاغة والفصاحة وحسن الانسجام والجَمْع للمحسنات البديعية لا تجارى ولا تبارى، وفيها من اللطائف والدقائق ما عدّه الشارح الفاضل من معجزاته (عليه السلام) التي فات[11] بها البلغاء واخرس الفصحاء.

وقال السيد الشريف بعد انتهائها: وفي الخبر انه (عليه السلام) لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود وبكت العيون ورجفت القلوب ومن الناس من يسمي هذه الخطبة (الغراء). انتهى.[12]

ونقل الشارح المذكور إن الشيخ أبا عثمان قال: (حدثني ثمامة قال: سمعت جعفر بن يحيى - وكان من أبلغ الناس وأفصحهم – يقول: الكتابة ضم اللفظة[13] إلى أختها، ألم تسمعوا قول شاعر لشاعر وقد تفاخرا: أنا أشعر منك؛

---

١. الإضافة من المصدر.

٢. كنز الفوائد: ١٦٢.

٣. زهر الآداب وثمر الألباب: ج١، ص١٧.

٤. نهج البلاغة: ١٠٤.

٥. الأغاني: ج٣، ص٣٤٤.

٦. نهج البلاغة: ١٠٤.

٧. ينظر: شرح نهج البلاغة: ج٦، ص١٧٨.

٨. نهج البلاغة: ١٠٥.

٩. ينظر: المسترشد: ٤١٨؛ عيون الحكم والمواعظ: ٤٩٠.

١٠. نهج البلاغة: ١٠٧-١١٤.

١١. الفوات: السبق. تاج العروس: ج٣،ص١٠٤.

١٢. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٢٤٣.

١٣. في الأصل (الكلمة)، والتصحيح من المصدر.

لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه! ثم قال: وناهيك حسناً بقول علي بن أبي طالب (عليه السلام): هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ [أو فرار أو محار][1].

قال أبو عثمان: وكان جعفر يعجب بقول علي (عليه السلام): أين من جد واجتهد، وجمع واحتشد، وبنى فشيد، وفرش فمهد، [وزخرف فنجد][2]، قال: ألا ترى إن كل لفظة منها آخذة بعنق قرينتها، جاذبة إياها إلى نفسها)[3].

ثم ذكر الشارح فصاحته (عليه السلام) وانه أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين. إلى آخر ما كتبه في (ص٩٩) من المجلد الثاني[4].

ويتجلى لك مما كتبناه هنا أن هؤلاء الأفاضل الأعلام يرون إن هذه الخطبة من كلام مولانا أمير المؤمنين، لا يخالجهم في ذلك شك ولا يخامرهم فيها ريب، وكفى بهؤلاء حججاً على صحة الإسناد وأدلة على ثبوت الرواية على أن هذه الخطبة تشهد بنفسها لنفسها، فان مفرداتها سهلة سلسة، لا وحشية ولا معقدة، وجملها حسنة المعاني، سريعة الوصول إلى الافهام، وقد اشتملت على أكثر المحسنات البديعية من المقابلة والمطابقة وحسن التقسيم، ورد الكلام على صدره، والترصيع، والتسهيم، والتوشيح، والمماثلة، والاستعارة، والموازنة، والتكافؤ، والتسميط، والمشاكلة، وغير ذلك.

قال الشارح الفاضل: (ولا شبهة أن هذه الصفات كلها موجودة في خطبه وكتبه، مثبوتة متفرقة في فرش كلامه (عليه السلام)، وليس يوجد هذان الأمران، ما يعتبر في مفردات الكلام وما يعتبر في مركباته، في كلام أحد غيره. ا هـ[5]

وقد تلخص من ذلك أن من قرأ هذه الخطبة، وكان من أهل الذوق والتمييز والمعرفة بأساليب الكلام، وقد تذوّق كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) واستضاء بنوره واستنشق أريج شذاه[6]، يكاد يجزم بأن هذا الثمر من ذلك الشجر، وهذه الغرفة من ذلك البحر، فالمتن شاهد لا يحتاج إلى تعديل، وسند عال للأخبار المراسيل، وقد ختم الشارح الفاضل شرحه لهذه الخطبة بقوله: (واعلم ان تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب، وصاحبه منسوب إلى السفه، وليس جاحد الأمور المعلومة علماً ضرورياً بأشد سفهاً ممن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها)[7].

وقوله (عليه السلام): (عباد مخلوقون اقتداراً... الخ)[8] رواه في (تحف العقول) الحسن بن علي بن شعبة المتوفى سنة (٣٣٢هـ) مرسلاً، قال: (وقال (عليه السلام): إنكم مخلوقون اقتداراً، ومربوبون اقتساراً[9])[10].

ثم ذكر بعده جملة من الفقرات المذكورة في هذه الخطبة، وكذلك القاضي القظاعي[1]، فانه ذكر في الباب الثالث فيما روي عنه (عليه السلام) من المواعظ قوله: (إنكم مخلوقون) واتبعه بجمل من هذه الخطبة، ثم أدخل فيما رواه جملاً من خطب أخرى مذكورة في (النهج) وجعل الجميع كلاماً واحداً.

---

١. الإضافة من المصدر.

٢. الإضافة من المصدر.

٣. شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٢٧٧.

٤. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٢٧٨.

٥. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٢٧٨.

٦. شدة ذكاء الريح الطيبة. لسان العرب: ج٢، ص١٩٩٨.

٧. شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٢٧٩.

٨. نهج البلاغة: ١٠٩.

٩. قسره على الأمر قسراً: أكرهه عليه وقهره، وكذلك اقتسره عليه. الصحاح: ج٢، ص٧٩١.

١٠. تحف العقول: ٢١٠.

قوله (عليه السلام): (عجباً لابن النابغة[2]... الخ)[3]، ذكر هذا في كتاب (عيون الأخبار)[4] لابن قتيبة مع اختلاف يسير وزيادة في هذه الرواية على تلك.

قوله (عليه السلام): (وأشهد أن لا الله إلاّ الله وحده لا شريك له... الخ)[5]، قال عبد الحميد في شرحه (ص١٢٠ ج٢) بعد أن ذكر أن هذا الفصل على اختصاره من مسائل التوحيد ثمانياً وعددها، (واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية ما عرفت إلاّ من كلام هذا الرجل، وأن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً، ولا كانوا يتصورونه، ولو تصوروه لذكروه.

قال: وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله (عليه السلام))[6]. وذكر مثل هذا الكلام في (ص٢٢٨ ج٢)، قلت: وهذا مما يؤيد صدور هذا الكلام منه ونسبته إليه دون غيره من أهل عصره.

قوله (عليه السلام): (حتى يظن الظان أن الدنيا... الخ)[7]، قيل: إن هذه الخطبة طويلة وان الرضي (رحمة الله) قد حذف منها كثيراً، ومن جملة ذلك (أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة[8]... الخ)[9].[10]

قوله (عليه السلام): (أمّا بعد: فان الله لم يقصم جباري دهر... الخ)[11]، روى هذه الخطبة الشيخ الثقة الكليني في (روضة الكافي)[12]، ورواها الشيخ المفيد في (الإرشاد)[13]، والروايات مختلفة في اللفظ والمقدار.

قوله (عليه السلام): (أرسله على حين فترة من الرسل... الخ)[14]، روى الكليني (رحمة الله) في (أصول الكافي)[15] شيئاً منها، وذكر الشارح الفاضل اختلاف الرواية في بعض ألفاظها.

قوله (عليه السلام): (الحمد لله الذي لا يفره المنع والجمود... الخ)[1]، هذه الخطبة الجليلة رواها في (النهج) الذي عليه شرح الفاضل ابن أبي الحديد[2]، والذي عليه شرح العلامة ابن ميثم عن مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) انه قال: (خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه الخطبة على منبر الكوفة... الخ)[3].

---

١. ينظر: دستور معالم الحكم: ٥٩.

٢. نبغ الشيء نبوغاً: أي ظهر، وعنه ابن النابغة لعمرو ابن العاص؛ لظهورها وشهرتها في البغي. مجمع البحرين: ج٥، ص٨

٣. نهج البلاغة: ١١٥.

٤. ينظر: عيون الأخبار: ج١، ص٦٩.

٥. نهج البلاغة: ١١٥.

٦. شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٣٤٦.

٧. نهج البلاغة: ١٢١.

٨. النسمة محركة: الروح، وبرأها: خلقها. شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص٢٠٢.

٩. ذكر هذا المقطع في الخطبة الشقشقية في صفة (٥٠) من نهج البلاغة.

١٠. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٣٨٢. بتقديم وتأخير في النقل.

١١. نهج البلاغة: ١٢١.

١٢. ينظر: روضة الكافي: ج٨، ص٦٠.

١٣. ينظر: الإرشاد: ج١، ص٢٩١.

١٤. نهج البلاغة: ١٢١. وقد تكررت هذه العبارة في مواضع أخرى من النهج.

١٥. أصول الكافي: ج١، ص٦٠.

وقد رواها الشيخ الصدوق في كتابه المعروف بـ(توحيد الصدوق)، قال: (حدثنا علي بن [أحمد بن] محمد بن عمران الدقاق قال: حدثنا محمد بن [أبي] عبد الله الكوفي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثني علي بن العباس، قال: حدثني إسماعيل بن مهران الكوفي، عن إسماعيل بن إسحاق الجهني، عن فرج بن فورة، عن مسعدة بن صدقة، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: بينما أمير المؤمنين (عليه السلام) يخطب على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا ربك تبارك وتعالى لنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب أمير المؤمنين _ ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غصّ المسجد بأهله، ثم قام متغير اللون فقال: (الحمد لله الذي لا يفرّه المنع ولا يكديه[٤] الإعطاء)[٥] إلى آخر ما رواه الصدوق منها في الكتاب المذكور، وما رواه السيد هنا أطول مما رواه الصدوق منها، ومخالف له في بعض الألفاظ وبعض الفقرات[٦].

قال الشارح الفاضل في شرح الفصل المتضمن لصفة الملائكة من هذه الخطبة: هذا موضع المثل: (إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل)[٧]، إذا جاء هذا الكلام الرباني، واللفظ القدسي، بطلت فصاحة العرب، وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى النضار[٨] الخالص، ولو فرضنا إن العرب تَقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة، أو المقاربة لهذه الألفاظ، مِن أين لهم المادة التي عبّرت هذه الألفاظ عنها، ومِن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) هذه المعاني الغامضة السمائية؛ ليتهيأ لها التعبير عنها! أما الجاهلية فإنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة، أو صفة جبال أو فلوات، ونحو ذلك، وأما الصحابة فالمذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة إمّا في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا، أو ما يتعلق بحرب وقتال، من ترغيب أو ترهيب.

فأما الكلام في الملائكة وصفاتها وصورها وعباداتها وتسبيحها ومعرفتها بخالقها وحبها له وولهها إليه، وما جرى مجرى ذلك مما تضمّنه هذا الفصل على طوله، فانه لم يكن معروفاً عندهم على هذا التفصيل. نعم، ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم، ولا مرتبة هذا الترتيب، بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم، وأما من عنده علم من هذه المادة، فلم تكن لهم هذه العبارة، ولا قدروا على هذه الفصاحة، فثبت أن هذه الأمور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة، لم تحصل إلاّ لعلي وحده.[٩]

قوله (عليه السلام): (أما بعد: أيها الناس فأنا فقأت... الخ)[١٠]، قال الشارح الفاضل في (ص١٧٨ ج٢): (هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السير[١١]، وهي متداولة منقولة مستفيضة، خطب بها علي (عليه السلام) بعد انقضاء أمر النهروان، وفيها ألفاظ لم يوردها الرضي (رحمة الله)... الخ)[١].

---

١. نهج البلاغة: ١٢٤. وتسمى خطبة الأشباح.

٢. شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٣٩٨.

٣. شرح ابن ميثم: ج٢، ص٣٢٢.

٤. لا يكديه: لا يفقره، يقال: الأرض تكدو فهي كادية: إذا أبطأ نباتها، وقلّ خيرها.

٥. ينظر: التوحيد: ٤٨.

٦. ومن هذه الفقرات قوله (ع) في ذكر بني أمية: (يظهر أهل باطلها على أهل حقها، حتى تملأ الأرض عدواناً وظلما...)، ومنها: (ألا مثل انتصار العبد من مولاه، إذا رآه أطاعه، وإن توارى عنه شتمه...). ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٧، ص٥٧.

٧. من أمثال العامة والخاصة (إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وإذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى)، ونهر عيسى ببغداد، ونهر معقل بالبصرة، وهو منسوب إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزني، ذكر ياقوت عن الواقدي: أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يحفر نهراً بالبصرة وأن يجريه على يد معقل بن يسار، فنسب إليه. وإنما يريدون بنهر الله البحر والمطر والسيل، فإنها تغلب سائر المياه والأنهار. شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٤٢٥؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ج١، ص٨.

٨. النضار: الذهب، وكذلك النضير، ويقال النضار: الخالص من كل شيء. الصحاح: ج٢، ص٨٢٩.

٩. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٤٢٥-٤٢٦.

١٠. نهج البلاغة: ١٣٧.

١١. ينظر: تاريخ البعقوبي: ج٢، ص١٩٣؛ تاريخ الطبري: ج٦، ص١٩٣.

قوله (عليه السلام): (فتبارك الله الذي لا يبلغه بُعد الهمم... الخ)[2]، كثير من فقرات هذه الخطبة رواها الكليني في (الكافي)[3]، والشيخ الصدوق في كتاب (التوحيد)[4]، وابن عبد ربه في (العقد الفريد)[5] في الخطبة التي سماها بـ(الغرّاء).

قوله (عليه السلام): (نحمده على ما كان ونستعينه... الخ)[6]، رواها في (مستدرك الوسائل)[7] في خطب يوم الجمعة عن زيد بن وهب.

قوله (عليه السلام): (الحمد لله الذي شَرَع الإسلام... الخ)[8]، بعض الفقرات من هذه الخطبة مروي في (أصول الكافي)[9]، في صفة الإسلام، ومن أوّل هذه الخطبة إلى قوله (عليه السلام): (والجنة سبقته) مروي في (أمالي الشيخ الطوسي)[10] مع اختلاف يسير، والمروي فيها بعد هذا غير ما ذكره السيد هنا بقوله ومنها.

قوله (عليه السلام): (وقد رأيت جولتكم... الخ)[11] رواه الطبري بأبسط مما هنا[12]، ولعل ما ذكره السيد هو مختارة منها، أو أنها رواية أخرى من بعض المصادر التي لم يبق منها إلاّ القليل[13].

قوله (عليه السلام): (إن أفضل ما توسّل به المتوسلون... الخ)[14]، هذه من خطبة طويلة تُعرَف بـ(الديباج)[15]، أولها: (الحمد لله فاطر الخلق)، وقد رواها الحسن بن علي ابن شعبة المتوفى سنة (٣٣٢) في كتابه الشهير وهو كتاب (تحف العقول)[16].

وقوله (عليه السلام): (أمّا بعد: فاني أحذركم الدنيا... الخ)[17] أيضاً مروي في كتاب (تحف العقول)[1] كما في (النهج) باختلاف يسير.

---

١. شرح ابن أبي الحديد: ج٧، ص٥٧.

٢. نهج البلاغة: ١٣٨.

٣. ينظر: الكافي: ج١، ص١٣٥.

٤. ينظر: التوحيد: ٤٢.

٥. العقد الفريد: ج١، ص٤٩٦.

٦. نهج البلاغة: ١٤٤.

٧. ينظر: مستدرك الوسائل: ج٦، ص٣٠.

٨. نهج البلاغة: ١٥٣.

٩. ينظر: أصول الكافي: ج٢، ٤٩.

١٠. أمالي الشيخ الطوسي: ٣٧.

١١. نهج البلاغة: ١٥٥.

١٢. تاريخ الطبري: ج٤، ص١٧.

١٣. ينظر: الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٠٤؛ وقعة صفين: ٢٥٦؛ جواهر المطالب: ج١، ص٣٢٦.

١٤. نهج البلاغة: ١٦٣.

١٥. الديباج: النقش والتزيين، وهي كلمة فارسية معرّبة. تاج العروس: ج٣، ص٣٥٦.

١٦. ينظر: تحف العقول: ١٤٩.

١٧. نهج البلاغة: ١٦٤.

قوله (عليه السلام): (اللهم قد انصاحت٢ جبالنا... الخ)[٣] رواها الشيخ في (مصباح المتهجد)[٤] مع اختلاف في المقدار، وفي بعض الكلمات والفقرات، وفي تقديم بعض وتأخير بعض.

قوله (عليه السلام): (لو تعلمون ما أعلم مما طوي[٥] عنكم... الخ)[٦]، قيل إن هذا الفصل من خطبة له بالكوفة، استنهض فيها أصحابه إلى حرب الشام، ويتبرم[٧] من تقاعدهم. وقول السيد الوذحة هي الخنفساء؛ أي هي التي سماها به الحجاج تجوّزاً على سبيل الاستعارة[٨].

وقوله (عليه السلام): (ما بالكم لا سددتم لرشد)[٩]، هذا كلام قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض غارات أهل الشام على أطراف أعماله بالعراق بعد انقضاء أمر صفين والنهروان على ما قيل، وقال في الشرح: (قد ذكرنا سببه وواقعته فيما تقدم)[١٠].

قوله (عليه السلام): (هذا جزاء من ترك العقدة[١١]... الخ)[١٢]، روى هذا ابن عبد ربه في (العقد الفريد)[١٣] بنحو آخر في فقرات كثيرة من رواية السيد هنا، وروى نحو ذلك كمال الدين بن طلحة في ضمن كلام طويل،[١٤] ورواية السيد سيدة الروايات.

وقوله (عليه السلام): (فقدموا الدارع[١٥]... الخ)[١٦] هذا مروي في (فروع الكافي) في كتاب الجهاد،[١٧] وفي (تاريخ أبي جعفر الطبري)[١٨] (ص٩ ج٦).

---

١. ينظر: تحف العقول: ١٨٠.

٢. انصاحت: يبست من الجدب، وتشققت. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٧، ص٢٦٢؛ شرح محمد عبدة: ج١، ص٢٢٦.

٣. نهج البلاغة: ١٧١.

٤. ينظر: مصباح المتهجد: ٥٢٩.

٥. طوي: خفي. تاج العروس: ج١٩، ص٦٤٤.

٦. نهج البلاغة: ١٧٣.

٧. برم به بالكسر: سئمه، ويتبرم به وأبرمه: أي أضجره. الصحاح: ج٥، ص١٨٦٩.

٨. وهذا القول: (إيه أبا وذحة) يومئ به إلى الحجاج، وله مع الوذحة حديث، إذ أن الحجاج رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها، فعادت فأخذها بيده فقرصته قرصاً فورمت يده منه، وكانت فيه حتفه. ينظر: مستدرك سفينة النجاة: ج١، ص٢٧٣.

٩. نهج البلاغة: ١٧٥.

١٠. شرح ابن أبي الحديد: ج٧، ص٢٨٥.

١١. ترك العقدة: يعني من ترك الرأي الوثيق. شرح ابن أبي الحديد: ج٧، ص١٩٢.

١٢. نهج البلاغة: ١٧٧.

١٣. ينظر: العقد الفريد: ج١، ص٤٩٥.

١٤. ينظر: مطالب السؤل: ٢٩٤.

١٥. رجل دارع: أي عليه درع، والحاسر: الذي لا درع عليه. الصحاح: ج٣، ص١٢٠٧.

١٦. نهج البلاغة: ١٨٠.

١٧. ينظر: فروع الكافي: ج٥، ص٣٩.

١٨. تاريخ الطبري: ج٤، ص١١.

وقوله (عليه السلام): (وأنتم لهاميم[1] العرب)[2] مروي فيه أيضاً[3].

وقوله (عليه السلام): (إنهم لن[4] يزولوا عن مواقفهم... الخ)[5]، هذه الفقرة مروية في كتاب (صفين) لنصر بن مزاحم[6].

قوله (عليه السلام): (يا أحنف... الخ)[7]، قال الشارح العلامة: (هذا الفصل من خطبة له (عليه السلام) بالبصرة بعد وقعة الجمل، ذكرنا منها فصولاً فيما سبق، والخطاب مع الأحنف بن قيس)[8].

قوله (عليه السلام): (يا أبا ذر... الخ)[9] رواه في (روضة الكافي) مع زيادة هنا واختلاف في المروي يسير،[10] وقال الشارح الفاضل: (روى هذا الكلام أبو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب (السقيفة) عن عبد الرزاق عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس)،[11] إلى آخر ما كتبه (ص٣٧٥ ج٢).

قوله (عليه السلام): (أيها النفوس المختلفة، والقلوب المتشتتة... الخ)[12]، هذه الخطبة رواها ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) بسند ينتهي إلى عبد الله بن صالح العجلي، قال: (خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) يوماً على منبر الكوفة، وذكر فيها انها تعرف بـ(الخطبة المنبرية)، وان أوّلها: (الحمد لله أحمده وأؤمن به واستعين به واستهديه)١٣، وفي آخرها: (فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما تقول في رجل مات وترك امرأة وابنتين وأبوين؟ فقال: لكل واحد السدس وللابنتين الثلثان.

قال: فالمرأة؟ قال: صار ثمنها تسعاً). وجاء في طريق آخر انه (عليه السلام) كان يخطب على منبر الكوفة قائلاً: (الحمد لله الذي يحكم بالحق قطعاً ويجزي كل نفس بما تسعى واليه المآب والرجعى) ؟ فسُئل عن هذه المسألة فقال ارتجالاً: (صار ثمن المرأة تسعاً)، وليست هذه الزيادة فيما رواه السيد هنا، والباقي مما رواه السيد لا يختلف مع رواية (التذكرة) إلاّ يسيراً.

---

١. لهاميم: السادات الأجواد من الناس، والجياد من الخيل، والواحد لهموم. صفوة شروح نهج البلاغة: ٣٠٧.

٢. نهج البلاغة: ١٨١.

٣. ذكرت في الصفحات السابقة.

٤. في الأصل: (لم)، والتصحيح من المصدر.

٥. نهج البلاغة: ١٨١.

٦. وقعة صفين: ٣٩٢.

٧. نهج البلاغة: ١٨٢.

٨. شرح ابن ميثم: ج٣، ص١٣٧.

٩. نهج البلاغة: ١٨٨.

١٠. ينظر: روضة الكافي: ج٨، ص٢٠٧.

١١. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٨، ص٢٥٢.

١٢. نهج البلاغة: ١٨٨.

١٣. فتح الوهاب: ج٢، ص١٥.

هذا، والمعروف من مذهب أهل البيت عدم القول بالعول[1] في الفرائض، وقد تأولوا هذه الزيادة على فرض صحتها، وقد تعرّض السيد الشريف المرتضى في كتابه (الانتصار)[2] لذلك، وذكر: (ان ابن عباس ما تلقى إبطال العول إلاّ عنه (عليه السلام))[3].

قوله (عليه السلام): (وقد توكل[4] الله لأهل هذا الدين... الخ)[5]، ويُروى وقد تكفّل، وهذه الغزاة هي غزاة فلسطين التي فتح فيها بيت المقدس على ما في الشرح،[6] وقال الشارح العلامة: (ذلك حين خرج قيصر الروم في جماهير أهلها إلى المسلمين، وانزوى خالد بن الوليد فلازم بيته، وصعب الأمر على أبي عبيدة وشرحبيل وغيرهما من أمراء سرايا المسلمين)[7].

قوله (عليه السلام): (لن[8] يسرع أحد قبلي... الخ)[9] هذا من جملة كلام له (عليه السلام) قاله لأهل الشورى[10] على على ما ذكره الشارحان[11].

قوله (عليه السلام): (إن هذا الأمر)[12]، قيل انه (عليه السلام) قاله في غزوة القادسية، وقيل في غزوة نهاوند، وقد روى هذا الكلام محمد بن جرير الطبري[13].

قوله (عليه السلام): (أيها الناس: كل امريء لاق ما يفر منه... الخ)[14]، رواه الشيخ الكليني في (أصول الكافي) (ص١١١) بإسناده قال: (لمّا ضرب أمير المؤمنين (عليه السلام) حف به العواد[15] وقيل له: يا أمير المؤمنين

---

١. والمراد به: زيادة الفريضة لقصورها عن سهام الورثة، على وجه يحصل به النقص على الجميع بالنسبة، من العول بمعنى الزيادة أو النقصان أو الميل أو الارتفاع. جواهر الكلام: ج٣٩، ص١٠٦.

٢. الانتصار في انفرادات الإمامية: للسيد الشريف المرتضى علم الهدى أبي القاسم علي بن الحسين بن موسى الموسوي، المتوفى سنة (٤٣٦ هـ)، صنفه للأمير الوزير عميد الدين في بيان الفروع التي شنع على الشيعة بأنهم خالفوا فيها الإجماع، فأثبت أن لهم فيها موافقاً من فقهاء سائر المذاهب، وأن لهم عليها حجة قاطعة من الكتاب والسنة. الذريعة: ج٢، ص٣٦٠.

٣. الانتصار: ٥٦٦.

٤. توكل لهم: صار وكيلاً، ويُروى (وقد تكفل): أي صار كفيلاً. شرح ابن أبي الحديد: ج٨، ص٢٩٦.

٥. نهج البلاغة: ١٩٢.

٦. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٨، ص٢٩٨.

٧. شرح ابن ميثم: ج٣، ص١٦٢. باختلاف يسير.

٨. في الأصل: (لم)، والتصحيح من المصدر.

٩. نهج البلاغة: ١٩٦.

١٠. لما طعن عمر جعل الأمر شورى بين ستة نفر: علي بن أبي طالب (ع)، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن مالك. شرح ابن أبي الحديد: ج٩، ص٤٩.

١١. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٩، ص٤٩؛ شرح

١٢. نهج البلاغة: ٢٠٣.

١٣. ينظر: تاريخ الطبري: ج٣، ص٢١١.

١٤. نهج البلاغة: ٢٠٧.

١٥. العواد: جمع عائد، وهو الذي يذهب إلى المصاب للتسلي وإذهاب الغم عنه، أو ليداويه، أو ليرشده إلى المصاب مما هو فيه، أو ليتزوّد من رؤيته وسماع كلامه، أو غير ذلك مما يقصده العيادة، وحفّ به: أي أحدقوا به، واستداروا عليه. تاج العروس: ج١٢، ص١٤١؛ نهج السعادة: ج٧، ص٨٨.

أوص، فقال: اثنوا لي وسادة، ثم قال: (الحمد لله قدره متبعين أمره، وأحمده كما أحب، ولا إله إلا الله الواحد الأحد [الصمد][1] كما انتسب، أيها الناس: كل امريء... الخ)[2].

قوله (عليه السلام): (الحمد لله الدال على وجوده بخلقه... الخ)[3]، هذه الخطبة الجليلة رواها الشيخ الكليني في كتاب (الأصول من الكافي)[4] في باب (جوامع التوحيد) في ضمن خطب لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام). ولعل ما رواه السيد هنا رواية أخرى من غير (أصول الكافي) من المصادر التي اعتمد عليها في ذلك.

قوله (عليه السلام): (قد طلع طالع، ولمع لامع[5]... الخ)[6]، قال في الشرح: (هذه خطبة خطب بها بعد قتل عثمان، عثمان، حين أفضت الخلافة إليه)[7].

قوله (عليه السلام): (إن الناس ورائي وقد استسفروني[8]... الخ)[9] قال في الشرح: (ذكر أبو جعفر محمد بن جرير جرير الطبري في (التاريخ الكبير)[10] هذا الكلام) إلى أن قال: (وروى الكلام إلى آخره بألفاظه)[11].

قوله (عليه السلام): (إن الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً... الخ)[12] قيل إنها أول خطبة خطبها (عليه السلام) حين استخلف، وقد رواها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ص١٥٧ ج٥)[13].

قوله (عليه السلام): (اللهم رب السقف المرفوع)[14] ويُروى (المحفوظ)[15]، رواه الطبري إلى قوله: (واعصمنا من الفتنة)[16] ورواه غيره[17].

---

١. إضافة من المصدر.

٢. أصول الكافي: ج١، ص٢٩٩.

٣. نهج البلاغة: ٢١١.

٤. ينظر: أصول الكافي: ج١، ص١٣٩.

٥. طلع طالع، وكذلك لمع لامع، ولاح لائح: كل ذلك يراد به معنى واحد، وهو عود الخلافة إليه. شرح ابن أبي الحديد: ج٩، ص١٥٢.

ص١٥٢.
٦. نهج البلاغة: ٢١٢.

٧. شرح ابن أبي الحديد: ج٩، ص١٥٣.

٨. في الأصل: (استفسروني)، والتصحيح من المصدر.

٩. نهج البلاغة: ٢٣٤.

١٠. ينظر: تاريخ الطبري: ج٣، ص٣٧٦.

١١. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٩، ص٢٩٤.

١٢. نهج البلاغة: ٢٤٢.

١٣. تاريخ الطبري: ج٣، ص٤٥٧.

١٤. نهج البلاغة: ٢٤٥.

١٥. وممن أوردها بهذه اللفظة: العلامة النوري في مستدرك الوسائل: ج١١، ص١٠٧؛ وابن أبي الحديد في شرحه للنهج: ج٥، ص١٧٧.

١٦. تاريخ الطبري: ج٤، ص١٠.

١٧. ومنهم ابن كثير في البداية والنهاية: ج٧، ص٢٩١.

قوله (عليه السلام): (وقد قال قائل: انك على هذا الأمر [يابن أبي طالب][1] لحريص)[2]، هذا من خطبة يذكر فيها ما ما جرى يوم الشورى.

قال الشارح: والذي قال له سعد بن أبي وقاص، مع روايته فيه: (أنت مني بمنزلة هرون من موسى)[3]، ثم قال: (وقالت الإمامية: هذا الكلام يوم السقيفة، والذي قال له: إنك على هذا الأمر لحريص أبو عبيدة بن الجراح، والرواية الأولى أظهر وأشهر)[4] . انتهى.

قوله (عليه السلام): (لا تدركه العيون... الخ)[5]، في كتاب (الأصول من الكافي)[6]، روى كلامه (عليه السلام) لذعلب، وفيه بعض الجمل المذكورة هنا.

قوله (عليه السلام): (أما بعد: فإن الله سبحانه خلق الخلق... الخ)[7]، قال الشارح العلامة: (من هاهنا اختلفت نسخ النهج، فكثير منها تكون هذه الخطبة فيها أول المجلد الثاني منه بعد الخطبة المسماة بـ(القاصعة)، ويكون عقيب كلامه للبرج بن مسهر قوله: ومن خطبة له (عليه السلام): (الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد[8]... الخ)[9]، وكثير من من النسخ تكون هذه الخطبة فيها متصلة بكلامه للبرج، إلى أن قال: (وعليه -أي على كون خطبة همام له بعد كلامه للبرج- جماعة من الشارحين[10]، كالإمام قطب الدين أبي الحسن الكيدري[11] والفاضل عبد الحميد، ووافقتهم في هذا الترتيب لغلبة الظن باعتمادهم على النسخ الصحيحة)[12] . انتهى.

ونحن نوافقهم على هذا الترتيب أيضاً، وهذا الاختلاف غير قادح في الاعتماد على الكتاب، والظاهر انه وقع من بعض الناسخين في تقديم بعض أجزاء الكتاب على البعض الآخر.

وهذه الخطبة رواها كثير من أهل العلم بروايات مختلفة، فقد رواها في كتاب (تحف العقول)[13]، في (ص٣٧) طبع إيران، ولم يذكر قصة همام، وذكرها الكراجكي[14] في (ص٣١) بأبسط مما ذكرنا هنا، مع اختلاف في بعض

---

١. الإضافة من المصدر.

٢. نهج البلاغة:

٣. شرح ابن أبي الحديد: ج٩، ص٢٤١.

٤. شرح ابن أبي الحديد: ج٩، ص٢٩١.

٥. نهج البلاغة: ٢٥٨.

٦. ينظر: أصول الكافي: ج١، ص٩٨. باختلاف يسير.

٧. نهج البلاغة: ٣٠٣.

٨. الشواهد هنا: يريد بها الحواس. شرح ابن أبي الحديد: ج١٣، ص٤٤.

٩. نهج البلاغة: ٢٦٩.

١٠. ورد في شرح ابن ميثم: (جماعة الشارحين).

١١. أبو الحسن محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي النيسابوري الإمامي، الشيخ الفقيه، افاضل الماهر، والأديب الأريب، كان معاصراً للقطب الراوندي، وتلميذاً لابن حمزة الطوسي، من مؤلفاته شرحه على للنهج الموسوم (حدائق الحقائق في تفسير دقائق أحسن الخلائق)فرغ منه سنة (٥٧٦هـ). الكنى والألقاب: ج٣، ص٧٤.

١٢. شرح ابن ميثم: ج٣، ص٤١٣.

١٣. ينظر: تحف العقول: ١٥٩.

١٤. ينظر: كنز الفوائد: ٣١-٣٢.

الفقرات، وقد ذكرها ابن حجر في (الصواعق)[1] بأخصر مما هنا، وذكر قصة همام، وأنه ابن عباد بن خيثم[2]، وفي (الشرح): (انه [بن][3] شريح بن يزيد)[4].

وروى الكليني في (أصول الكافي)[5] كلاماً لأمير المؤمنين (عليه السلام) في صفة المؤمن، وقد طلب منه همام أن أن يصفه له، وهو غير ما روي هنا؛ لأنه في صفة المتقين. وتلك رواية أخرى في صفة المؤمن.

قوله (عليه السلام): (السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك... الخ)[6] روى هذا الكليني في (أصول الكافي)[7] الكافي)[7] (ص١٨٥).

قوله (عليه السلام): (أيها الناس: إنما الدنيا دار مجاز... الخ)[8]، قال في الشرح: (ذكر المبرد عن الاصمعي قال: خطبنا إعرابي في البادية فقال)، وذكر هذا إلى قوله: (ولغيرها خلقكم)، ثم قال: (وأكثر الناس على أن هذا الكلام لأمير المؤمنين (عليه السلام)، ويجوز أن يكون الإعرابي حفظه فأورده)[9]، ولا يخفى ما في السند والمسند إليه من الوهن والضعف.

قوله (عليه السلام): (ما كنت تصنع بسعة هذه الدار... الخ)[10]، رواه في (أصول الكافي)[11]، وفي (العقد الفريد) لأبن عبد ربه[12].

قوله (عليه السلام): (إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً... الخ)[13]، رواه الكليني في (أصول الكافي)[14] (ص٢٣)، وفي (تذكرة ابن الجوزي) انه (عليه السلام) سُئل عن اختلاف الناس في الحديث فقال، وذكر ما رواه السيد هنا مع اختلاف يسير، وتقديم وتأخير، وروي فيها بعض هذا الكلام عن الشعبي عمّن سمع علياً (عليه السلام)، وبعضاً منه عن كميل بن زياد عن علي (عليه السلام).

---

١. ينظر: الصواعق المحرقة: ج٢، ص٤٥٠.

٢. في الأصل: (خيزم)، والتصحيح من الصواعق المحرقة.

٣. الإضافة من المصدر.

٤. شرح ابن أبي الحديد: ج١٠، ص١٣٤.

٥. ينظر: أصول الكافي: ج٢، ص٢٢٦.

٦. نهج البلاغة: ٣١٩.

٧. ينظر: أصول الكافي: ج١، ص٤٥٨-٤٥٩.

٨. نهج البلاغة: ٣٢٠.

٩. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج١١، ص٣-٤. باختلاف يسير في النقل.

١٠. نهج البلاغة: ٣٢٤.

١١. ينظر: أصول الكافي: ج١، ص٤١١.

١٢. ينظر: العقد الفريد: ج١، ص٢١٠.

١٣. نهج البلاغة: ٣٢٥.

١٤. ينظر: أصول الكافي: ج١، ص٦٢.

قوله (عليه السلام): (أما بعد: فقد جعل الله لي عليكم حقاً... الخ)[1]، رواها الكليني في (روضة الكافي) (ص٢٥٩) (ص٢٥٩) بسند ينتهي إلى جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) إلى قوله: (فأجابه الرجل الذي أجابه من قبل)[2] والاختلاف بين الروايتين يسير.

قوله (عليه السلام): (والله لإن أبيت على حسك السعدان[3]... الخ)[4]، رواها الشيخ المجلسي في كتاب (الأربعين)[5] (الأربعين)[5] في(ص١١٦)، قال: (الحديث الخامس والعشرون ما رويته بأسانيدي المتقدمة إلى الشيخ الصدوق رئيس المحدثين محمد بن بابويه القمي مما أورده في أماليه[6]، ثم أورد السند إلى المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه قال أمير المؤمنين: (والله ما دنياكم عندي، إلى أن يقول: والله لأن أبيت على حسك السعدان[7] مرقداً... الخ)[8]، وأكثر الفقرات المروية هنا فيها، ولعل ما رواه السيد رواية أخرى أو مختارة منها.

قوله (عليه السلام): (الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد... الخ)[9]، ذكرها الطبرسي في (الاحتجاج)[10].

قوله (عليه السلام): (ما وحده من كيفه، إلى أن قال: لا يشمل بحد، ولا يحسب ببعد... الخ)[11]، قال في (الاحتجاج): وقال (عليه السلام) في خطبة أخرى: لا يشمل بحد... الخ[12].

قوله (عليه السلام): (الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء... الخ)[13]، قال السيد (عليه السلام): ومن الناس من يسمي هذه الخطبة بـ(القاصعة)، ذكر الشرّاح وجوهاً في تسميتها بـ(القاصعة)، وذكروا أن السبب فيها هو ان أهل الكوفة كانوا قد فسدوا في آخر خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكثرة الفتن، وإثارة الشر بين قبائلها، فخرج (عليه السلام) إليهم على ناقة فخطبهم بهذه الخطبة[14].

---

١. نهج البلاغة: ٣٣٢.

٢. ينظر: روضة الكافي: ج٨، ص٣٥٢-٣٥٧.

٣. مرَّ بيان ذلك.

٤. نهج البلاغة: ٣٤٦.

٥. الأربعون حديثاً، للمولى محمد تقي بن مقصود المجلسي المتوفى (١٠٧٠هـ)، كان وحيد عصره وفريد دهره، أورع أهل زمانه وأزهدهم وأعبدهم، كتبه لاستدعاء ميرزا شرف الدين علي كلستانة، وفيه ذكر مشايخه. الكنى والألقاب: ج٣، ص١٤٧؛ الذريعة: ج٢، ص٤١٣.

٦. الأمالي، للشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين القمي، المتوفى سنة (٣٨١هـ)، وأماليه في الأحاديث المتفرقة التي كان يحدث بها، ويسمى المجالس أيضاً، طبع بطهران سنة (١٣٠٠هـ)، وهو في سبعة وتسعين مجلساً. كشف الحجب والأستار: ٥٩؛ الذريعة: ج٢، ص٣١٥.

٧. الحسك: الشوك، والسعدان: نبات ذو شوك، وهذا النبت من أفضل مراعي الإبل. تاج العروس: ج٥، ص٢٠؛ شرح ابن أبي الحديد: ج١١، ص٢٤٥.

٨. أمالي الصدوق: ٧١٩.

٩. نهج البلاغة: ٢٦٩.

١٠. الاحتجاج: ج١، ص٣٠٥.

١١. نهج البلاغة: ٢٧٢.

١٢. الاحتجاج: ج١، ص٢٩٩.

١٣. نهج البلاغة: ٢٨٥.

١٤. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج١٣، ص١٦٧.

قوله (عليه السلام) (في هذه الخطبة): (ولو أراد الله بأنبيائه) إلى قوله: (دُللاً لعفوه)[1]، رواه الكليني في لمجلد الأول من كتاب (فروع الكافي)[2] (ص٢١٩) طبع إيران.

الباب الثاني - باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)

ومن عهوده ووصاياه

كتابه (عليه السلام) لشريح القاضي[3]: رواه جماعة من المحدّثين وأهل الأخبار بروايات يختلف بعضها مع البعض الآخر اختلافاً يسيراً، وقد رواه ابن الجوزي تحت عنوان (قصة دار شريح القاضي)، وروي بدل (أشخاصهم جميعاً) (اشخصوا والله جميعاً)، وخاتمة الكتاب (شهد على ذلك التواني بن الفاقة والغرور بن الأمل... الخ)، ورواه الصدوق في (الامالي)[4]، والشيخ البهائي في (أربعينه) (ص٧٦).

قوله (عليه السلام): (إن عملك ليس لك بطعمة)[5]، روى هذا الكتاب ابن قتيبة (ص١٥١ من ج ل)[6] مع زيادة على على ما هنا.

قوله (عليه السلام): (انه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر... الخ)[7]، رواه نصر بن مزاحم في كتاب (صفين)[8] (ص١٨) طبع إيران.

قوله (عليه السلام): (أما بعد: فقد أتتني منك موعظة... الخ)[9]، رواه ابن قتيبة إلى قوله: (وقاده الضلال فاتبعه)[10] في (ص٢٦٧).

قوله (عليه السلام): (فأراد قومنا قتل نبينا... الخ)[11]، روى نصر بن مزاحم كتاباً طويلاً في كتاب (صفين) (ص٤٧)، وفي ضمنه فقرات من هذا الكتاب المروي هنا[12].

قوله (عليه السلام): (لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم... الخ)[13]، روى شيئاً من هذه الوصية في كتاب (الجهاد) من كتاب (الكافي)[14] (ص٣٣٨).

---

١. نهج البلاغة: ٢٩٤.

٢. ينظر: فروع الكافي: ج٤، ص١٩٨-٢٠١.

٣. نهج البلاغة: ٢٦٩.

٤. أمالي الصدوق: ٣٨٨-٣٨٩.

٥. نهج البلاغة: ٣٦٦.

٦. الإمامة والسياسة: ج١، ص٨٣.

٧. نهج البلاغة: ٣٦٦.

٨. وقعة صفين: ٢٩.

٩. نهج البلاغة: ٣٦٧.

١٠. ينظر: الإمامة والسياسة: ج١، ص٩١. باختلاف يسير.

١١. نهج البلاغة: ٣٦٨.

١٢. ينظر: وقعة صفين: ٨٨، ٩١.

١٣. نهج البلاغة: ٣٧٣.

١٤. ينظر: الكافي: ج٥، ص٣٨.

قوله (عليه السلام): (اللهم إليك أفضت القلوب)[1]، رواه في (الصحيفة العلوية)، وقال الشارح العلامة: روي انه كان (عليه السلام) إذا اشتد القتال ذكر اسم الله حين يركب، ثم يقول: (الحمد لله على نعمه علينا وفضله العميم، سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون)، ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه ويقول: (اللهم إليك نقلت الأقدام، واليك أفضت القلوب) الفصل.

قوله (عليه السلام): (أما طلبك إلي الشام... الخ)[2]، روى ابن قتيبة كتاباً له (عليه السلام) فيه فقرات من هذا الكتاب،[3] وذكر الشارح العلامة كتاب معاوية، وطلبه الشام، وان أمير المؤمنين (عليه السلام) قرأه وتعجب منه، ثم دعا عبد الله بن رافع وقال له: اكتب إليه: (أما بعد: فقد جاءني كتابك تذكر انك لو علمت وعلمنا إن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعض على بعض، وأنا وإياك في غاية لم نبلغها بعد، وأما طلبك إلي الشام)[4] الفصل.

قوله (عليه السلام): (إن البصرة مهبط إبليس... الخ)[5]، روي أن ابن عباس كان قد أضر ببني تميم حين ولي البصرة، لِما عرفهم به من العداوة يوم الجمل؛ لأنهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعائشة، فتنكّر عليهم، وسماهم شيعة الجمل، وأنصار عسكر، وحزب الشيطان، فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي (عليه السلام) من بني تميم منهم حارثة بن قدامة، فكتب بذلك إلى علي يشكو ابن عباس، فكتب (عليه السلام) إلى ابن عباس: (أما بعد: فإن خير الناس عند الله أعملهم بطاعته فيما له وعليه، وأقولهم بالحق وإن كان مرّاً، ألا وانه بالحق قامت السماوات والأرض فيما بين العباد) إلى أن قال: (واعلم إن البصرة) الفصل.

قوله (عليه السلام): (أمّا بعد: فإن المرء قد يسره... الخ)[6]، روي في (روضة الكافي)[7] مع اختلاف يسير، ورواه ورواه ابن الجوزي في (التذكرة).

قوله (عليه السلام): (وصيتي لكم أن لا تشركوا... الخ)[8]، قال الشارح العلامة هذا الفصل قاله (عليه السلام) قبل موته، وسيأتي شرح حال مقتله ووصيته... الخ[9].

وهذه الوصية روي بعضها في (مروج الذهب)[10] (ص٣٥ من ج٢)، ورواها الشيخ الكليني في (أصول الكافي)[11] (ص١١١)مع زيادة كثيرة.

قوله (عليه السلام): (هذا ما أمر به عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين في ماله... الخ)[12]، قال الشارح العلامة: رويت هذه الوصية بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان، وقد حذف السيد منها فصولاً، ولنوردها برواية يغلب على الظن صدقها عن عبد الرحمن بن الحجاج، ثم ذكر الوصية وفي آخرها: (وشهد بهذا أبو سمر بن

---

١. نهج البلاغة: ٣٧٣.

٢. نهج البلاغة: ٣٧٤.

٣. ينظر: الإمامة والسياسة: ج١، ص١٠٣-١٠٤.

٤. شرح ابن ميثم: ج٤، ص٣٩٠.

٥. نهج البلاغة: ٣٧٥.

٦. نهج البلاغة: ٣٧٨.

٧. ينظر: روضة الكافي: ج٨، ص٢٤٠.

٨. نهج البلاغة: ٣٧٨.

٩. ينظر: شرح ابن ميثم: ج٤، ص٤٠٤.

١٠. ينظر: مروج الذهب: ج١، ص٣٤٥.

١١. ينظر: أصول الكافي: ج١، ص٢٩٩.

١٢. نهج البلاغة: ٣٧٩.

ابرهة، وصعصعة بن صوحان، وسعيد بن قيس، وهياج بن أبي الهياج، وكتب علي بن أبي طالب لعشرة خلون من جمادي الأولى سنة سبعة وثلاثين.

قوله (عليه السلام): (انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له... الخ)[1]، روى هذه الوصية الكليني في (الكافي)[2] الذي هو من أصح كتب الأخبار والحديث عند الشيعة الإمامية، ورواها الشيخ في كتاب (التهذيب)[3] (ص٢٤٤)، وهو أحد الكتب الأربعة المعتبرة عندهم، وأحد المراجع الدينية لديهم.

قوله (عليه السلام): (فاخفض لهم جناحك... الخ)[4]، رواه في (تحف العقول)[5] مع زيادة، وروى الشيخ في (الأمالي)[6] ص١٦ فقرات منه.

قوله (عليه السلام): (من الوالد الفان المقر للزمان... الخ)[7]، هذه الوصية الشريفة رواها جماعة من العلماء، وقد نقل السيد ابن طاووس (رحمة الله) أن الشيخ الكليني رواها في كتاب (الرسائل)[8]، وقد رواها في (تحف العقول)[9] العقول)[9] مع اختلاف في بعض الفقرات، وذكر شيئاً منها ابن عبد ربه في عقده،[10] ورواها في كتاب (منتخب كنز كنز الأعمال) مع اختلاف أيضاً في بعض الألفاظ، وفي كتاب (الكافي) (ص٧ ج٢) بإسناده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: (قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في رسالته إلى الحسن (عليه السلام): إياك ومشاورة النساء)، إلى قوله: (وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل)[11]، ثم روى مثل ذلك عن الأصبغ بن نباتة، إلاّ أنه قال: (كتب بهذه الرسالة... الخ)[12].

وهذه الفقرات مذكورة في آخر الوصية المذكورة، وقال الشارح العلامة أقول روى جعفر بن بابويه القمي (أبو جعفر ظ): إن هذه الوصية كتبها إلى ابنه محمد بن الحنفية، وهي من أفصح الكلام... الخ[13]، والأصح الأشهر ما قدمناه.

قوله (عليه السلام): (أمّا بعد: فقد بلغني موجدتك[14]... الخ)[1]، هذا الكتاب رواه الطبري في تاريخه[2] (ص٥٥ ج٦).

ج٦).

---

١. نهج البلاغة: ٣٨٠.

٢. ينظر: الكافي: ج٣، ص٥٣٦.

٣. تهذيب الأحكام: ج٤، ص٩٦.

٤. نهج البلاغة: ٣٨٣.

٥. ينظر: تحف العقول: ١٧٦-١٧٧.

٦. ينظر: أمالي الشيخ الطوسي: ٢٥.

٧. نهج البلاغة: ٣٩١.

٨. ينظر: كشف المحجة: ١٥٩.

٩. ينظر: تحف العقول: ٦٨.

١٠. ينظر: العقد الفريد: ج١، ص٣٠٦.

١١. نهج البلاغة: ٤٠٥.

١٢. ينظر: الكافي: ج٥، ص٣٣٨.

١٣. ينظر: شرح ابن ميثم: ج٥، ص٢.

١٤. موجدتك: أي غضبك، وأنشدوا:

كلانا رد صاحبه بغيظ على حنق ووجدان شديد

قوله (عليه السلام): (أمّا بعد: فإن مصر قد افتتحت، ومحمد بن أبي بكر (عليه السلام) قد استشهد... الخ)[٣]، روي هذا الكتاب في (تاريخ الطبري)[٤] (ص٦٣ من ج٦) مع زيادة واختلاف في بعض الفقرات.

قوله (عليه السلام): (فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين... الخ)[٥] رواه ابن قتيبة[٦]، ورواه في (الحدائق الوردية) مع اختلاف في الروايتين في بعض الفقرات.

قوله (عليه السلام): (من عبد الله علي... الخ)[٧]، رواه الطبري في تاريخه (ص٥٥ ج٦)[٨]، وقد لقب أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا الكتاب مالك بن الاشتر بأنه سيف من سيوف الله كما ان خالد بن الوليد لقبه بذلك أبو بكر لقتاله أهل الردة وقتله مسيلمة، وقيل لقبه به رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم)[٩]، والصحيح أن الذي لقبه بذلك هو أبو بكر كما في (ص٥٩) من (ج٤) من (شرح ابن أبي الحديد)[١٠].

قوله (عليه السلام): (فإنك قد جعلت دينك... الخ)[١١]، ذكر نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) هذا الكتاب بزيادة لم تذكر هنا، واختلاف في بعض الفقرات.

قوله (عليه السلام): (أمّا بعد: فإني كنت قد أشركتك في أمانتي... الخ)[١٢]، ذكر هذا الكتاب ابن قتيبة في (عيون الأخبار)[١٣] (ص٥٧ ج ل) بأخصر مما هنا، وذكر إن الكتاب لابن عباس حين أخذ من مال البصرة ما اخذ، ورواه ابن الجوزي في (التذكرة)، وذكر ان الكتاب لعبد الله بن العباس. وعن الراوندي: إن المكتوب إليه هو عبيد الله بن عباس لا عبد الله، قال الشارح وليس ذلك بصحيح؛ لأنه لم ينقل عنه إنه أخذ مالاً ولا فارق طاعة، ثم قال: وإن قلت هذا الكلام موضوع على أمير المؤمنين (عليه السلام) خالفت الرواة، فإنهم أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه (عليه السلام)، وإن صرفته إلى عبد الله بن عباس صدّني ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين في حياته وبعد وفاته، إلى أن قال: فإنا في هذا الموضع من المتوقفين اهـ.[١٤]

والأقرب إلى الصواب هنا أن يقال أن ابن عباس لم يكن معصوماً وإن كان له ما له من المنزلة والفضل، وعلي (عليه السلام) لا يرقب في الحق أحداً ولو كان أعز ولده، وغلظته عليه وعتابه له لا توجب مفارقته وشقاقه، فانه

شرح ابن أبي الحديد: ج١٦، ص١٤٣.

١. نهج البلاغة: ٤٠٧.

٢. ينظر: تاريخ الطبري: ج٤، ص٧٢.

٣. نهج البلاغة: ٤٠٨.

٤. ينظر: تاريخ الطبري: ج٤، ص٨٣.

٥. نهج البلاغة: ٤٠٩.

٦. ينظر: الإمامة والسياسة: ج١، ص٥٤.

٧. نهج البلاغة: ٤١١.

٨. ينظر: تاريخ الطبري: ج٤، ص٧٢. مع اختلاف في بعض الفقرات.

٩. ينظر: شرح ابن أبي الحديد:ج١٦، ص١٥٩.

١٠. شرح ابن أبي الحديد: ج١٦، ص١٥٨-١٥٩.

١١. نهج البلاغة: ٤١١.

١٢. نهج البلاغة: ٤١٢.

١٣. ينظر: عيون الأخبار: ج١، ص٢٣.

١٤. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج١٦، ص١٧١.

بعد توبته واستيفاء حق الله منه يعود إلى ما كان عليه من الحب والصفاء ولا ينحرف عن موالاته بمثل هذا التقريع والتوبيخ.

قوله (عليه السلام): (أمّا بعد: فانك... الخ)[1] روى بعض هذا الكتاب ابن جرير في تاريخه إلى قوله: (الثغر المخوف)[2].

قوله (عليه السلام): (أوصيكما بتقوى الله... الخ)[3]، روى هذه الوصية الشيخ الصدوق في كتاب (من لا يحضره الفقيه) ورواها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري[4].

قوله (عليه السلام): (أمّا بعد: فإن الدنيا مشغلة... الخ)[5]، عن نصر بن مزاحم إن هذا الكتاب كتبه (عليه السلام) إلى عمرو بن العاص، وفيه زيادة واختلاف يسير[6].

قوله (عليه السلام): (هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر... الخ)[7] في كتاب (تحف العقول)[8] للشيخ الجليل محمد الحسن بن علي ابن شعبة المتوفي سنة (٣٣٢) قال: عهده إلى الأشتر حين ولاه مصر وأعمالها (هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين) إلى آخر العهد المذكور هنا، وبين العهدين - عهدي النهج والتحف- اختلاف في زيادة بعض الفقرات ونقصانها، وفي بعض الألفاظ والكلمات.

قال الفاضل ابن أبي الحديد في شرحه (ص ٢٨ ج٢) إن الأليق أن يكون الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه، ويفتي به ويقضي بقضاياه وأحكامه هو عهد علي (عليه السلام) إلى الأشتر، فانه نسيج وحده، ومنه تعلّم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة، وحقيق بمثله أن يقتنى في خزائن الملوك.[9]

قوله (عليه السلام): (أمّا بعد: فقد علمنا... الخ)[10]، ذُكِر هذا في كتاب (كشف الغمة)[11].

قوله (عليه السلام): (أمّا بعد: فإن المرء ليفرح... الخ)[12] ذُكِر في (تحف العقول)[13] مع اختلاف في بعض الألفاظ، وكذلك ذكره في كتاب (إعجاز القرآن)، وذكر اليعقوبي كتاباً إلى ابن عباس وفيه فقرات من هذا الكتاب، قال: (وكان ابن عباس يقول: ما اتعضت بكلام قط اتعاضي بكلام أمير المؤمنين (عليه السلام))[14].

---

١. نهج البلاغة: ٤٢٠.

٢. ينظر: تاريخ الطبري: ج٤، ص٧١. باختلاف يسير.

٣. نهج البلاغة: ٤٢١.

٤. ينظر: تاريخ الطبري: ج٤، ص١١٣.

٥. نهج البلاغة: ٤٢٣.

٦. ينظر: وقعة صفين: ١١٠؛ وفي موضع آخر في: ٤٩٨.

٧. نهج البلاغة: ٤٢٦.

٨. ينظر: تحف العقول: ١٢٦.

٩. شرح ابن أبي الحديد: ج٦، ص٧٢.

١٠. نهج البلاغة: ٤٤٥. من كتاب له (ع) إلى طلحة والزبير.

١١. ينظر: كشف الغمة: ج١، ص٢٤٠.

١٢. نهج البلاغة: ٤٥٧.

١٣. ينظر: تحف العقول: ٢٠٠.

١٤. ينظر: تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٠٥.

قوله (عليه السلام): (أمّا بعد: فإن صلاح أبيك... الخ)[1]، ذكر احمد بن أبي يعقوب المتوفى سنة (٢٨٤) في كتابه المعروف بـ(تاريخ اليعقوبي)[2] كتاباً لأمير المؤمنين (عليه السلام) إلى المنذر بن الجارود وهو على اصطخر[3]، وفيه فقرات من هذا الكتاب المذكور هنا.

قوله (عليه السلام): (انه لنظار في عطفيه[4]... الخ)[5]، وذكر اليعقوبي بعد إيراده الكتاب المذكور: انه (عليه السلام) قال هذه الكلمات الثلاثة في المنذر[6].

الباب الثالث - في المختار من حكم مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)

قوله (عليه السلام): ([إذا] قدرت على عدوك... الخ)[7]، هذا من المائة كلمة التي جمعها الجاحظ من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)[8].

قوله (عليه السلام): (أقيلوا ذوي المروات... الخ)[9]، قال الشارح الفاضل: (قد رويت هذه الكلمة مرفوعة، ذكر ذلك ابن قتيبة في عيون الأخبار)[10].

قوله (عليه السلام): (قرنت الهيبة بالخيبة... الخ)[11]، ذكره ابن عبد البر في (جامع بيان العلم) (ص٧٧) إلى قوله: (بالحرمان)[12].

قوله (عليه السلام): (لنا حق فإن أعطيناه... الخ)[13] قال الشارح الفاضل: (هذا الفصل قد ذكره أبو عبيدة الهروي في (الجمع بين الغريبين)، وصورته: (أن لنا حقاً إن نعطه نأخذه وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السرى[14])[15].

---

١. نهج البلاغة: ٤٦١.

٢. ينظر: تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٠٣.

٣. إصطخر: بالكسر، وسكون الخاء المعجمة، والنسبة إليها اصطخري واصطخرزي بزيادة الزاي: بلدة بفارس من الأقاليم الثلاثة، وهي من أعيان وحصون فارس ومدنها وكورها، قيل: كان أول من أنشأها إصطخر بن طهمورث ملك الفرس. معجم البلدان: ج١، ص٢١٢.

٤. نظار: كثير النظر، عطفيه بالكسر: جانبيه، يريد أنه ينظر تارة هكذا وتارة هكذا، ينظر لنفسه، ويستحسن هيئته ولبسه، وينظر هل هل عنده نقص في ذلك أو عيب فيستدركه بإزالته، كما يفعل أرباب الزهو ومن يدعي لنفسه الحسن والملاحة. شرح ابن أبي الحديد: ج١٨، ص٥٤.

٥. نهج البلاغة: ٤٦٢.

٦. ينظر: تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٠٤. والنقل بتصرف.

٧. نهج البلاغة: ٤٧٠.

٨. الكلمات المائة من حكم أمير المؤمنين: ٢٩٢.

٩. نهج البلاغة: ٤٧١.

١٠. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج١٨، ص١٢٨.

١١. نهج البلاغة: ٤٧١.

١٢. جامع بيان العلم وفضله: ج١، ص٩١.

١٣. نهج البلاغة: ٤٧٢

١٤. يعني: أن راكب عجز البعير يلحقه مشقة وضرر، فاراد: إنا إذا منعنا حقنا صبرنا على المشقة والمضرة، كما يصبر راكب عجز البعير، وسرى وسريت: إذا سرت ليلاً. الصحاح: ج٦، ص٢٣٧٥؛ شرح ابن أبي الحديد: ج١٨، ص١٣٢.

١٥. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج١٨، ص١٣٢.

قوله (عليه السلام): (الإيمان على أربع دعائم... الخ)[1]، رواه في (أصول الكافي)[2] للكليني (رحمة الله)، وروي وروي أيضاً في كتاب (منتخب كنز الأعمال)[3] في حاشية مسند الإمام احمد بن حنبل (٣١٨ ج٦) مع اختلاف يسير، وقال الشارح الفاضل: (من هذا الفصل أخذت الصوفية وأصحاب الطريقة والحقيقة كثيراً من فنونهم فيعلومهم، ومن يتأمّل كلام سهل بن عبد الله التستري وكلام الجنيد والسري وغيرهم رأى هذه الكلمات في فرش كلامهم تلوح كالكواكب الزاهرة... الخ).[4]

قوله (عليه السلام): (لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق... الخ) هذا من المائة كلمة التي جمعها الجاحظ من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)[5] وهذه الكلمة آخرها، وقال الجاحظ: معناه أن العاقل لا يطلق لسانه إلاّ بعد مراجعة فكره ومفاحصة رأيه، فكان لسان العقل تابعاً لقلبه وكان قلب الأحمق وراء لسانه.

قوله (عليه السلام) في (ص٧٧): (إذا قدرت على عدوك... الخ)[6] من المائة كلمة التي جمعها الجاحظ[7].

قوله (عليه السلام): (كن في الفتنة... الخ)[8]، المشهور انه من كلامه (عليه السلام)، وقد يزاد عليه (ولا وبر فيسلب)[9].

قوله (عليه السلام): (من أطال الأمل... الخ)[10]، أورده في (التذكرة) مع زيادة (وسيئة تسوؤك خير من حسنة تسرك).

قوله (عليه السلام): (لا تكن ممن يرجو الآخرة... الخ)[11]، رواه أبو الحسن بن هذيل في كتاب (عين الأدب والسياسة).

قوله (عليه السلام): (عاتب أخاك بالإحسان... الخ)[12]، رواه أبو إسحاق في كتاب (غرر الخصائص)[13] بإبدال كلمة الأنعام بالافضال.

قوله (عليه السلام): (جعل الله ما كان من شكواك)[14] روى هذا ابن جرير الطبري في تاريخه[1] (ص٣٤ ج٦).

---

١. نهج البلاغة: ٤٧٣.

٢. ينظر: أصول الكافي: ج٢، ص٥٠.

٣. منتخب كنز العمال، انتخبه الميرزا محمد بن عنايت أحمد خان الكشميري الدهلوي، المتوفى سنة (١٢٣٥هـ)، وقد انتخب منه الأحاديث الدالة على إمامة الأمير، وسائر الأئمة، ومثالب أعدائهم. الذريعة: ج٢٢، ص٤٢٥.

٤. شرح ابن أبي الحديد: ج١٨، ص١٤٣.

٥. الكلمات المائة من حكم أمير المؤمنين: ٢٩٢.

٦. نهج البلاغة: ٤٧٠.

٧. الكلمات المائة من حكم أمير المؤمنين: ٢٩٢.

٨. نهج البلاغة: ٤٦٩.

٩. ينظر: العدد القوية: ٣٥٨.

١٠. نهج البلاغة: ٤٧٥.

١١. نهج البلاغة: ٤٩٧.

١٢. نهج البلاغة: ٥٠٠.

١٣. غرر الخصائص الواضحة: ج١، ص٢٤٠.

١٤. نهج البلاغة: ٤٧٦.

قوله (عليه السلام): (رحم الله خبابا... الخ)[٢]، ذكر هذا الكلام مع زيادة يسيرة في كتاب (أسد الغابة)[٣] (ص١٠٨ ج٢).

قوله (عليه السلام): (ويحك لعلّك... الخ)[٤] رواه في (منتخب كنز العمال) في هامش مسند احمد (ص٧٧ ج ل) وفي (أصول الكافي)[٥] (ص٥٤) ورواه في (الفصول المختارة)[٦] من كتاب (المحاسن والعيون) بأبسط مما هنا ولعله المراد بالكلام الطويل.

قوله (عليه السلام): (الحكمة ضالة المؤمن)[٧]، رواه في (تحف العقول) بإضافة (فليطلبها ولو في أيدي أهل الشر)[٨].

قوله (عليه السلام): (قيمة كل امريء ما يحسنه)[٩] وقال اليعقوبي في تاريخه: وقال (عليه السلام) (قيمة كل امريء ما يحسن)[١٠]، وفي (تحف العقول): (وقال عليه السلام[١١] قيمة... الخ)[١٢].

وقال ابن عبد البر في كتابه (مختصر الجامع)[١٣] (ص٥٠): (روى ابن عائشة وغيره ان علياً (عليه السلام) قال في خطبة خطبها: واعلموا أن الناس أبناء من[١٤] يحسنون، وقدْر كل امرئ ما يُحسن، فتكلّموا في العلم تتبين أقداركم)، ويُقال إن قول علي (عليه السلام): قيمة كل امرئ ما يحسن لم يسبقه إليه أحد، وقالوا: ليس كلمة أحض[١٥] على طلب العلم منها، إلى أن قال: قول علي قيمة كل امريء... الخ من الكلام العجيب، وقد نظمه جماعة من الشعراء إعجاباً به وكلفاً[١٦] بحسنه، فمن ذلك ما يعزى إلى الخليل ابن أحمد:

لا يكون السري[١٧] مثل الدني لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي

---

١. ينظر: تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٤. مع اختلاف يسير في بعض الفقرات.

٢. نهج البلاغة: . وقد ورد في الأصل: (يرح الله خباب).

٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة: ج٢، ص١٠٠.

٤. نهج البلاغة: ٤٨١.

٥. ينظر: أصول الكافي: ج١، ص١٥٥.

٦. ينظر: الفصول المختارة: ٧١.

٧. نهج البلاغة: ٤٨١.

٨. ينظر: تحف العقول: ٢٠١.

٩. نهج البلاغة: ٤٨٢.

١٠. ينظر: تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٠٦.

١١. في الأصل (صلوات الله عليه).

١٢. ينظر: تحف العقول: ٢٠١.

١٣. وجدنا النص في كتاب جامع بيان العلم وفضله: ج١، ص٩٩-١٠٠.

١٤. ورد في الأصل (ما)، والتصحيح من المصدر.

١٥. حضه عليه: حثه، وحرّضه، والحض: أن تحثه في شيء. تاج العروس: ج١٠، ص٣٦.

١٦. الكلف، بالكسر: الولوع بالشيء مع شغل قلب ومشقة. تاج العروس: ج١٢، ص٤٦٤.

١٧. السري: الشريف النفيس من الناس. النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٣، ص٤٧٦.

قيمة المرء كل ما يحسن المرء قضاء من الإمام علي[1]

وذكر شعراً لغيره بهذا المعنى، وفي (التذكرة) رواه السدي عنه وقال: ومن هاهنا أخذ القائل قوله:

قول علي بن أبي طالـــــب وهو الإمام العالم المتقـــن

كل امريء قيمته عندنا وعند أهل الفضل ما يحسن

قوله (عليه السلام): (أوصيكم بخمس لو ضربتم... الخ)[2]، ذكر هذا في (العقد الفريد)[3] مع اختلاف يسير وزيادة كثيرة، وروي في (صحيفة الرضا (عليه السلام))[4]، وذكره في (الحدائق الوردية) إلى قوله: (أن يتعلمه)، وفي (كفاية الطالب) (ص٢٤٥) قال أبو نعيم في (حلية الأولياء)[5] (حدثنا عبد الله بن سواد... الخ)[6]، وقال عبد البر في في (جامع بيان العلم) قال علي (عليه السلام): (خمس احفظوهم... الخ)[7] باختلاف يسير.

وقوله (عليه السلام): (من أصلح بينه وبين الله... الخ)[8] مذكور في (تذكرة الخواص) بنصه.

قوله (عليه السلام): (الفقيه كل الفقيه... الخ)[9] رواه في (تحف العقول)[10] مع زيادة عليه، وروى هذه الفقرات في (كفاية الطالب) (ص٥٤٦) بإسناده إلى ابن حمزة عنه (عليه السلام) مع اختلاف يسير وفقرات أخرى لم تذكر هنا، ورواها علي بن هذيل في كتاب (عين الأدب والسياسة) بزيادة واختلاف، وفي (إحياء العلوم)[11] قال (عليه السلام): (الفقيه... الخ) إلى قوله: (ما سواه)[12].

قوله (عليه السلام): (إن الله افترض عليكم... الخ)[13]، روى الصدوق في الحدود من كتاب (من لا يحضره الفقيه) نحو هذه الفقرات مع اختلاف يسير[14].

---

١. ينظر: جامع بيان العلم وفضله: ج١، ص١٠٠. بإسقاط بعض الفقرات.

٢. نهج البلاغة: ٤٨٢.

٣. ينظر: العقد الفريد: ج١، ص٣٠٢.

٤. ينظر: صحيفة الرضا (ع): ٢٥٤.

٥. حلية الأولياء في الحديث، للحافظ أبينعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المتوفى سنة (٤٣٠هـ)، مجلد ضخم، وهو كتاب حسن معتبر، يتضمن أسامي جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة والأعلام المحققين والمتصوفة والنساك وبعض أحاديثهم وكلامهم، بعشرة أجزاء. كشف الظنون: ج١، ص٦٨٩؛ الذريعة: ج٧، ص٨١.

٦. حلية الأولياء: ج١، ص٣٩. باختلاف يسير.

٧. ينظر: جامع بيان العلم وفضله: ج١، ص٩٠.

٨. نهج البلاغة: ٤٨٣.

٩. نهج البلاغة: ٤٨٣.

١٠. تحف العقول: ٢٠٤. باختلاف يسير في بعض الفقرات.

١١. إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي، المتوفى بطوس سنة (٥٠٥هـ)، وهو من أجل كتب المواعظ وأعظمها، حتى قيل فيه: أنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عما ذهب، وهو مرتب على أربعة أقسام، ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات، في كل منها عشرة كتب. كشف الظنون: ج١، ص٢٣.

١٢. إحياء علوم الدين: ج١، ص٣٢.

١٣. نهج البلاغة: ٤٨٧.

١٤. ينظر: من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٧٥.

قوله (عليه السلام) : (لقد علق بنياط[1] هذا الإنسان... الخ)[2]، رواه في (منتخب كنز العمال) (ص٧٩) على هامش هامش (ح ل) مسند احمد مع اختلاف يسير.

قوله (عليه السلام): (كم من مستدرج... الخ)[3]، رواه في (تحف العقول)[4] مع إضافة: (قال الله عز وجل [**إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا**][5]).

قوله (عليه السلام): (لأنسبن الإسلام نسبة... الخ)[6]، مروي في (أصول الكافي)[7] (ص٢٥١).

قوله (عليه السلام): (عجبت للبخيل يستعجل الفقر... الخ)[8]، رواه الزمخشري في (ربيع الأبرار)[9]، وأضيف إليه إليه في بعض الروايات: (وعجبت لمن يجتنب الطعام مخافة الداء ولا يجتنب الذنوب مخافة النار)[10] ورواه في (غرر الخصائص)[11] باختلاف يسير.

قوله (عليه السلام): (تَوَقوا البرد... الخ)[12] قال النويري في (نهاية الأرب في فنون الأدب)[13]: روي عن علي (عليه السلام) انه قال: (توقوا البرد) إلى آخر ما ذكر هنا.

قوله (عليه السلام) في (ص٩٠): (أيها الذام للدنيا)[14]، رواه المسعودي في (مروج الذهب)[15] مع اختلاف (ص٣٣ ج٢)، وذكره الجاحظ في كتاب (المحاسن والأضداد)[16] (ص١١٣) مع اختلاف في التقديم والتأخير وزيادة ونقيصة، وكذلك ذكره في كتاب (البيان والتبيين)[17] (ص٢١٩)، وقال في (عيون الأخبار) في (ص٣٢٩ ج٢): (ذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال علي (عليه السلام): الدنيا دار صدق لمن

---

١. النياط: عرق علق به القلب من الوتين. الصحاح: ج٣، ص١١٦٥.

٢. نهج البلاغة: ٤٨٧.

٣. نهج البلاغة: ٤٨٩.

٤. ينظر: تحف العقول: ٢٠٣.

٥. سورة آل عمران: من آية: ١٧٨.

٦. نهج البلاغة: ٤٩١.

٧. ينظر: أصول الكافي: ج٢، ص٤٥-٤٦.

٨. نهج البلاغة: ٤٩١.

٩. ينظر: ربيع الأبرار: ج١، ص٢٩٦.

١٠. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٧، ص٨٢، وقد ورد فيه: (عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء...).

١١. ينظر: غرر الخصائص الواضحة: ١٥٧.

١٢. نهج البلاغة: ٤٩١.

١٣. ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: ج١، ص٤٦.

١٤. نهج البلاغة: ٤٩٢.

١٥. ينظر: مروج الذهب: ج١، ص٣٤٣.

١٦. ينظر: المحاسن والأضداد: ج١، ص٥٣.

١٧. البيان والتبيين: ج١، ص٣١٢.

صدقها)[1]، وذكر ما هنا مع تقديم واختلاف يسير، وذكر اليعقوبي في تاريخه هذا الكلام مع اختلاف يسير وتقديم وتقديم لبعض الفقرات وتأخير[2].

قوله (عليه السلام): (الناس ثلاثة... الخ)[3]، ذكر هذا اليعقوبي في تاريخه،[4] ورواه الشيخ الطوسي في أماليه[5] بسند أماليه[5] بسند متصل إلى كميل بن زياد (عليه السلام)، وروى جملة منه ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العلم)[6]، العلم)[6]، ورواه الشيخ المفيد في مجالسه[7]، والشيخ الصدوق في كتاب (إكمال الدين)[8].

وقوله (عليه السلام): (المرء مخبو تحت لسانه... الخ)[9]، رواها الجاحظ ونسبها إليه (عليه السلام) من كلمات تسع.

وقوله (عليه السلام): (هلك امرؤ لم يعرف قدره)[10] الذي رواه الجاحظ: (ما هلك امرؤ عرف قدره)[11].

قوله (عليه السلام): (لا تكن ممن يرجو الآخرة... الخ)[12]، رواها علي بن هذيل في كتابه (عين الأدب والسياسة).

والسياسة).
قوله (عليه السلام): (الفقر: الموت الأكبر... الخ)[13]، ذكر هذه الكلمة مع كلمات أخرى في كتاب (تحف العقول)[14].

وقوله (عليه السلام): (كلمة حق يراد بها باطل)[15]، رويت هذه الكلمة في (تاريخ الطبري)[16] وغيره[17].

---

١. عيون الأخبار: ج١، ص٢٥٩.

٢. ينظر: تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٠٨.

٣. نهج البلاغة: ٤٩٦.

٤. ينظر: تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٠٥.

٥. ينظر: أمالي الشيخ الطوسي: ٢٠.

٦. ينظر: جامع بيان العلم وفضله: ج١، ص٢٩.

٧. وهي المجالس المحفوظة في فنون الكلام، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ)، فيه ذكر مناظراته، ومناظرات ومناظرات الأئمة c، ومناظرات هشام بن الحكم وغيرهم. ينظر: الذريعة: ج١٩، ص٣٦٤.

٨. ينظر: كمال الدين وإتمام النعمة: ٢٩٠.

٩. نهج البلاغة: ٤٩٧.

١٠. نهج البلاغة: ٤٩٧.

١١. البيان والتبيين: ج١، ص٢٢٤.

١٢. نهج البلاغة: ٤٩٧.

١٣. نهج البلاغة: ٥٠٠.

١٤. تحف العقول: ١١١.

١٥. نهج البلاغة: ٥٠٤.

١٦. ينظر: تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٣.

١٧. ومنهم: ابن كثير في كتاب (البداية والنهاية): ج٧، ص٣١٢؛ وابن مزاحم في كتاب (وقعة صفين): ٤٨٩.

قوله (عليه السلام): (أكثر مصارع... الخ)[1]، هذه من المائة كلمة التي رواها الجاحظ عنه (عليه السلام)[2].

قوله (عليه السلام): (كالياسر الفالج[3])[4]، ذكر اليعقوبي في تاريخه كلاماً لأمير المؤمنين (عليه السلام) بعد تلاوته تلاوته قوله تعالى [**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى...** الخ][5] وفي ضمنه هذه الفقرة وبعدها (توجب له المغنم وتدفع عنه المغرم) إلى آخر كلامه (عليه السلام)[6].

قوله (عليه السلام): (طريق مظلم... الخ)[7]، رويت هذه الكلمات في (منتخب كنز العمال)[8] وغيره[9] من جملة كلام كلام له (عليه السلام).

قوله (عليه السلام): (يا أشعث إن صبرت... الخ)[10]، روى هذه الفقرة المبرد في (الكامل)[11] (ص٢٥١) وسيأتي ذكرها في شعر الشيخ أبي تمام، وفي (تحف العقول) انه قالها للأشعث[12].

قوله (عليه السلام): (يا بني أخاف عليك الفقر... الخ)[13]، رواها في (غرر الخصائص)[14] أبو اسحق الكتبي باختلاف يسير.

وقوله (عليه السلام): (أتغلبكم نساؤكم... الخ)[15]، هذه الكلمة والتي بعدها مرويتان في (تاريخ ابن جرير)[16].

قوله (عليه السلام): (المؤمن بشره[17] في وجهه... الخ)[1]، هذه فقرات من كلام طويل رواه عنه (عليه السلام) في (أصول الكافي) في صفة المؤمن[2] (ص٣٢٠).

---

١. نهج البلاغة: ٥٠٧.

٢. ينظر: الكلمات المائة لأمير المؤمنين: ٢٩٢.

٣. كالياسر الفالج: أي كاللاعب بالقداح المحظوظ منها. شرح ابن أبي الحديد: ج١، ص٣١٤.

٤. نهج البلاغة: ٥١٩.

٥. سورة يس: من آية: ١٢.

٦. ينظر: تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٠٧.

٧. نهج البلاغة: ٥٢٦.

٨. وجدناه في كتاب (كنز العمال) لعلي بن حسام المتقي الهندي: ج١، ص٣٤٦.

٩. منهم: ابن عساكر في كتاب (تاريخ مدينة دمشق). ج٤٢، ص٥١٢-٥١٣.

١٠. نهج البلاغة: ٥٢٧.

١١. ينظر: الكامل في اللغة والأدب: ج٤، ص٣.

١٢. ينظر: تحف العقول: ٢٠٩. باختلاف في بعض الفقرات.

١٣. نهج البلاغة: ٥٣١.

١٤. ينظر: غرر الخصائص الواضحة: ج١، ص١٧٠.

١٥. نهج البلاغة: ٥٣٢.

١٦. ينظر: تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٥.

١٧. البشر، بالكسر: البشاشة والطلاقة، أي لا يظهر عليه إلا السرور وإن كان في قلبه حزيناً، كناية عن الصبر والتحمل.

قوله (عليه السلام): (العلم علمان... الخ)[3]، المعروف أن هذا من كلامه (عليه السلام)، وفي كتاب (إحياء علوم الدين)[4] لأبى حامد الغزالي قال علي كرم الله وجهه وينسب إليه:

رأيت العلم علمين[5] **فمطبوع ومسمـوع**

ولا ينفع مســـموع **إذا لم يك مطبوع**

كما لا تنفع الشمس **وضوء العين ممنـوع**

قوله (عليه السلام): (لا شرف أعلى من الإسلام... الخ)[6]، الفقرة الأولى واللتان بعدها من خطبة رواها في كتاب (من لا يحضره الفقيه)[7] والباقي من خطب أخرى.

قوله (عليه السلام): (للمؤمن ثلاث ساعات... الخ)[8]، وفي (تحف العقول) انه (عليه السلام) قال للمؤمن ثلاث ساعات إلى آخر ما ذكر هنا، إلاّ أن الذي في التحف بدل وساعة يرم[9]، وساعة يحاسب فيها نفسه،[10] وذكر بعض أن هذا الكلام لابن المقفع[11] في بعض رسائله، ولا شك في انه أخذه من كلام أمير المؤمنين قبل تدوين النهج، كما أخذ غيره من كلامه (عليه السلام) ونسبه لنفسه.

قوله (عليه السلام): (للأشعث بن قيس معزياً [عن ابنٍ له][12] إن صبرت صبر الأكارم وإلا سلوت[13] سلو البهائم)[14]، قال الشيخ أبو تمام حبيب بن اوس الطائي المتوفى سنة (٢٢٨) أو سنة (٢٣١) من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق[15] ويعزيه:[1]

---

١. نهج البلاغة: ٥٣٣.

٢. ينظر: أصول الكافي: ج٢، ص٢٢٦.

٣. نهج البلاغة: ٥٣٤.

٤. ينظر: إحياء علوم الدين: ج١، ص٨٦.

٥. ورد في كتاب (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء): رأيت العقل عقلين.

٦. نهج البلاغة: ٥٤٠.

٧. ينظر: من لا يحضره الفقيه: ج٤، ٣٨٥.

٨. نهج البلاغة: ٥٤٥.

٩. يرم، من رممت الشيء: إذا أصلحته. الصحاح: ج٥، ص١٩٣٦.

١٠. ينظر: تحف العقول: ٢٠٣.

١١. عبد الله بن المقفع (١٠٦-١٤٢هـ)، من أئمة الكتاب، وأول من عُني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ولد في العراق مجوسياً (مزدكياً)، وأسلم على يد عيسى بن علي (عم السفاح)، وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم له كتب (أرسطوطاليس) الثلاثة في المنطق، وكتاب (المدخل إلى علم المنطق) المعروف بـ(إيساغوجي)، وترجم عن الفارسية كتاب (كليلة ودمنة) وهو أشهر كتبه، اتهم بالزندقة، فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبي. الأعلام: ج٤، ص١٤٠.

١٢. الإضافة من المصدر.

١٣. سلوا، بالفتح، وسلوا، بالضم، وسلياً: نسيه وذهل عن ذكره. تاج العروس: ج١٩، ص٥٣٣.

١٤. نهج البلاغة: ٥٤٨.

١٥. مالك بن طوق بن عتاب التغلبي، أبو كلثوم (ت ٢٥٩هـ)، أمير، كان من الأشراف الفرسان الأجواد، ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي، وبنى بمساعدة الرشيد بلدة (الرحبة) التي على الفرات، وتعرف برحبة مالك نسبة إليه، وكثر سكانها في أيامه، كان فصيحاً، وله شعر. الأعلام: ج٥، ص٢٦٢.

وقال علي في التعازي لأشعث وخاف عليه بعض تلك المآثم

تصبر للبلوى عزاء وحسبـــــة فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

وقد تقدم له كلام يعزي به الأشعث ويشتمل على مضمون صدر البيت الأخير.

قوله (عليه السلام): (الزهد كله... الخ)[٢] رواه ابن الجوزي في (التذكرة) بإبدال بين بفي وبدل (فقد أخذ... الخ فهو الزاهد.

قوله (عليه السلام): (ما مزح أمرؤ... الخ)[٣]، رواه في (التذكرة) أيضاً بإبدال امريء بأحد.

قوله (عليه السلام): (ما زال الزبير [رجلاً][٤] منا... الخ)[٥]، ذكر هذا ابن عبد البر في كتاب (الاستيعاب)[٦] عنه (عليه السلام) ولم يذكر فيه لفظة (المشوم)[٧]، وهذا القول ذكره ابن أبي الحديد[٨] ولم يذكر في النسخة التي عليها شرح الشيخ محمد عبده.

ثم أن هذه الحِكَم والكَلِم لو تتبعنا وذكرنا مصدر كل كلمة منها لاحتجنا إلى إسهاب وإطناب، وقد رويت عنه (عليه السلام) في كتب كثيرة ككتاب (تحف العقول) وكتاب (مطالب السؤول) وتذكرة ابن الجوزي و(دستور الحكم) وغيرها وقد انتهى، وتم بعون الله تعالى ما قصدنا جمعه من تعليقاتنا على حواشي كتاب (نهج البلاغة) المشتملة على ذكر المآخذ والمدارك لبعض ما تضمنه الكتاب المذكور، وقد كنا أثبتناها في سالف الزمان في أوقات مختلفة وأزمنة متشتتة من كتب متنوعة وزبر متفرقة، ولم تساعد الظروف والصروف[٩] على أكثر من ذلك، وقد بادرنا لجمعها خوفاً عليها من الضياع، وإني لعلى يقين من أن الباحث إذا ساعده التوفيق يقف من المصادر على أكثر من ذلك، فإني كلما راجعت كتاب أدب أو تاريخ لم أكن نظرتُ فيه أو كانت نظرتي له عجل أو من ذي قبل وقفت على ما لم أقف عليه ولم أدونه مما يصلح لأن يكون مدركاً أو مستدركاً، ولا يتهيأ لمثلي في مثل حالي الحاضرة أن أستوفي ما له مساس بالموضوع من الكتب التي لم أحط بها ولم أقف عليها من كتب الشيعة الإمامية وكتب غيرهم من فرق المسلمين، وما كتبناه وجمعناه وإن كان غير وافٍ بتمام الغرض ولا قاطع لسان الخصم الألد[١٠] إلاّ أن فيما قدمناه من دفع الشبه والشكوك ما يزيل الريب ويقنع ذي النصفة، وقد طلبنا مصادر كثيرة يؤمل أن تكون الغاية المتوخاة وإن يقدر الله لنا عند حصولها ما نرومه من استيفاء الباقي من مآخذ ما في الكتاب إن شاء الله، والله الموفق والمعين. وكان ذلك صبيحة يوم الجمعة رابع محرم الحرام من السنة الثامنة والخمسين بعد الألف والثلاثمائة سنة (١٣٥٨هـ).

---

١. ديوان أبي تمام: ١٦٠، من قصيدة في تعزية بوفاة أخي مالك القاسم بن طوق.

٢. نهج البلاغة: ٥٥٣.

٣. نهج البلاغة: ٥٥٥. وفي طبعة: (ما فرح امرؤ).

٤. الإضافة من المصدر.

٥. نهج البلاغة: ٥٥٥.

٦. ينظر: الاستيعاب: ج٣، ص٩٠٦. وورد فيه: (ما زال الزبير يعد منا).

٧. الشؤم: نقيض اليمن، يقال: رجل مشوم ومشؤوم، ويقصد به هنا عبد الله بن الزبير. ينظر: الصحاح: ج٥، ص١٩٥٧.

٨. ينظر: شرح ابن أبي الحديد: ج٢٠، ص١٠٢.

٩. الصروف: الحوادث، أي حوادث الدهر. خزانة الأدب: ج٤، ص١٠٦.

١٠. رجل ألد: أي شديد الخصومة. الصحاح: ج٢، ص٥٣٥.

إلحاق

وقفت على مقالة حول كتاب (نهج البلاغة) نشر في (مجلة الحديث) في عددها الثاني من السنة (١٣) (ص١٥٧)، وقد فات الموضع اللائق لذكره من هذا الكتاب، فعقدنا له هذا الفصل، ولسنا نتعرض فيه لما مر منا الكلام عليه من الشبه والشكوك التي ذكر صاحب هذا المقال كثيراً منها، وإنما نذكر ما لم يسبق منا التعرض له كقوله:(إن الكتاب جمع بعد الإمام بأكثر من ثلاثة قرون ونصف).

وأقول: أن كثيراً من كتب الحديث والتاريخ والأدب كتبت بعد من نقلت عنه بأكثر من ذلك فلا وقع لهذا النقد.

وكقوله: (والعجب أنك لا تجد في الكتاب كلاماً للإمام إلاّ بعد مقتل عثمان، فأين كلامه قبل ذلك؟!).

وأقول: أنه يوجد في الكتاب كلام في حياة عثمان؛ بل قبل خلافته، ويوجد فيه كثير من الخطب وغيرها لا يعلم أنها بعد مقتل عثمان أو قبل ذلك، ولعلها كانت قبله

وكقوله: (ثم تضخم الكتاب بالزيادات على توالي الأيام بعد وفاة الرضي والمرتضى؛ بل بعد وفاة شارحه عبد الحميد سنة ٦٥٥).

وأقول: أن دعوى الزيادات بعد وفاة الشريفين ممنوعة أشد المنع، ولا دليل عليها، والنسخة التي كان عليها خط الشريف كانت موجودة في زمان الشارح، ولعله رآها أو رأى من اطلع عليها، وهي متلقاة يداً بيد بلا زيادة كلمة واحدة. نعم، تختلف النسخ بتقديم بعض الخطب على بعض. وأما الزيادة بعد وفاة الشارح عبد الحميد فقد استند صاحب المقال في إثباتها إلى قوله: (أن في النسخة التي علق عليها الشيخ محمد عبده المطبوعة بنفقة محمد كمال بكداش في بيروت نحو خمسين صفحة في الجزء الأول من (ص ٣٨٨) إلى (ص ٤٣٣) لم يروها ابن أبي الحديد في شرحه.

وأقول: لقد أبهر هذا بكلامه وأتى بما لو تم لقرأنا على كتاب النهج السلام. وكيف لا يتم والمسألة بسيطة والكاتب بحاثة خبير، فتريثت وقلت عسى ولعل،ثم تطلبت النسخة البكداشية المنوّه عنها، واستقريت صفحاتها من (ص٣٨٨) إلى (ص٤٣٣) ج ل، فوجدت جميع الخطب التي في النسخة المذكورة من العدد الأول إلى آخر العدد الثاني قد رواه ابن أبي الحديد ولم يغادر منه صغيرة ولا كبيرة إلاّ وقد شرحه، كما شرح غيره من خطب النهج وذلك من (ص١٩٤) إلى نهاية (ص٢٨٢) من المجلد الثالث من شرحه على النهج طبع مطبعة دار الكتب العربية بمصر، فعجبت من ادعائه هذه الدعوى والكتاب منه بمرأى ومسمع، وقد ازددت تعجباً واستغراباً من تعليق قرأته على هامش صفحة (٣٨٨) مصدّر بحرف (م) من النسخة المذكورة (نصه): لم يذكر ابن أبي الحديد هذه الخطبة وما بعدها إلى الخطبة التي أولها روي أن صاحباً لأمير المؤمنين ولذلك لا ترى بعد الان كلاماً لابن أبي الحديد إلى أن تمر هذه الخطب. انتهى.

وقد كتب في تعليق على أول كتاب النهج كل كلام يصدر بحرف (م) هو من كلام مصحح الكتاب الشيخ محي الدين الخياط، فغلب على ظني أن هذا هو سند تلك الدعوى، ولكن كان على المدعي أن يشير في كلامه إلى من اعتمد عليه ليخرج من العهدة ويسلم من التبعة، وأما الشيخ محي الدين فهو ذلك الرجل الذي لا يستهان به في التاريخ والأدب، فهو أولى بلوم نفسه، وكم للجياد من كبوات وللصوارم من نبوات[1].

وكقوله: (وصاحب الكتاب نفسه يقول في المقدمة ما يشعر بعدم القطع بصحة ما جمعه).

وأقول: إنا أشرنا فيما سلف في أوائل الكتاب إلى ما تراه الشيعة الإمامية ومنهم الشريف الرضي في كتاب النهج فإنهم يرون ما روي فيه عن أمير المؤمنين مماثلاً لما روي في (الصحاح) عن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) وعن صحابته الكرام وليس في الأحاديث والأخبار ما يقطع بصدوره غير المتواترات وغير ما حُفّ بالقرائن العلمية على ما فصل في محله في بيان حجية الأخبار.

وكقوله: (وهناك كلام نراه منسوباً إلى غير الإمام في غير النهج كقوله في صفة صديق: كان لي في ما مضى أخ في الله، وهذا الكلام يروى لابن المقفع، وكذلك قوله (عليه السلام): ليس للعاقل أن يكون شاخصاً... الخ، وقوله

---

١. نبا السيف: إذا لم يعمل في الضربة. صحاح: ج٦، ص٢٥٠٠.

(عليه السلام): للمؤمن ثلاث ساعات، وذكر أن قوله (عليه السلام): أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز مروي لسحبان وائل[1] ولغيره)[2].

وأقول: أما عبد الله بن المقفع فلا نستبعد أن يكون قد أخذ هذه الكلمات من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ إذ لا ريب في أنه كان مطلعاً عليه وعارفاً بما له من علو المنزلة وجليل الرتبة، وكيف يخفى عليه وصديقه وعشيره الكاتب الشهير عبد الحميد كاتب مروان الجعدي[3] لما قيل له: ما الذي مكنك من البلاغة؟ قال: حفظ كلام الأصلع، يعني به أمير المؤمنين (عليه السلام)،[4] أفترى أن ابن المقفع لم يقف على كلام أمير المؤمنين ولم يرتو من فيض معينه وهو يقول في أوائل كتابه (الأدب الصغير)، وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عون على عمارة القلوب وصقالها... الخ،[5] والشريف يقول في ديباجة كتابه وبكلامه (عليه السلام): استعان كل واعظ بليغ، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب،[6] وقد روى في كتاب (تحف العقول) قوله (عليه السلام): للمؤمن ثلاث ساعات عن أمير المؤمنين كما رواه الرضي عنه، ومؤلفه الحسن بن علي بن شعبة الحراني من الفقهاء الثقاة الاثبات توفي سنة (٣٣٢)[7].

وأما ما روي عن سحبان وقد روي عن غيره من العرب فقد ذكر ابن أبي الحديد أن المشهور انه من كلام أمير المؤمنين... الخ.

وكقوله: (في الكتاب مواطن تحول دون طمأنينة الباحث إلى صحة نسبتها إلى الإمام إلى آخر ما كتبه).

وقد تقدم منا ما يصلح لأن يكون جواباً عن ذلك كله والله العالم بالصواب.

قائمة المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به كتاب الله المجيد، القرآن الكريم.

الإتقان في علوم القرآن: الشيخ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق سعد المندوب، ط١ سنة الطبع ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، مطبعة دار الفكر – لبنان، الناشر دار الفكر.

الاحتجاج الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تعليقات السيد محمد باقر الخرسان، سنة الطبع ١٣٨٦هـ ١٩٩٦م، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الاشرف – العراق.

الأخبار الطوال: أبو حنيفة احمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١ سنة الطبع ١٩٦٠م، الناشر دار إحياء الكتاب العربي – عيسى البابي الحلبي وشركاه.

الأدب الكبير والأدب الصغير: عبد الله بن المبارك ابن المقفع (ت ١٤٢هـ).

الإرشاد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد

---

١. سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، (ت ٥٤هـ)، من باهلة، خطيب يُضرب به المثل في البيان، يُقال: (أخطب من سحبان)، و(أفصح من سحبان)، اشتهر في الجاهلية، وعاش زمناً في الإسلام، وكان إذا خطب يسيل عرقاً، ولا يعيد كلمة، ولا يتوقف، ولا يقعد حتى يفرغ، أسلم في زمن النبي محمد : ولم يجتمع به، أقام في دمشق أيام معاوية، وله شعر قليل وأخبار. الأعلام: ج٣، ص٧٩.

٢. خزانة الأدب: ج١٠، ص٣٩٧.

٣. مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي، أبو عبد الملك، يعرف بالجعدي وبالحمار، آخر ملوك بني أمية في الشام (٧٢-١٣٢هـ). الأعلام: ج٧، ص٢٠٨.

٤. ينظر: الوافي بالوفيات: ج١٨، ص٥٣.

٥. ينظر: الأدب الكبير والأدب الصغير: ج١، ص٢.

٦. ينظر: مقدمة الشريف الرضي في نهج البلاغة: ٣٤.

٧. ينظر: تحف العقول: ٢٠٣.

(ت ٤١٣هـ)، مؤسسة آل البيت ﴿ لتحقيق التراث، ط٢ سنة الطبع ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الناشر دار المفيد للطباعة والنشر – بيروت – لبنان.

الاستيعاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي

(ت ٤٦٣هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١ سنة الطبع ١٤١٢هـ، مطبعة دار الجيل - بيروت، الناشر دار الجيل.

أسد الغابة في معرفة الصحابة:عز الدين علي بن محمد بن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، الناشر دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

أضواء على عقائد الشيعة الامامية وتاريخهم: آية الله الشيخ جعفر السبحاني، ط١ سنة الطبع ١٤٢١هـ، الناشر مؤسسة الإمام الصادق (ع)- قم.

إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، السيد احمد صقر، ط٣، الناشر دار المعارف مصر.

الأعلام: خير الدين الزركلي (ت ١٤١٠هـ)، ط٥ سنة الطبع ١٩٨٠م، الناشر دار العلم للملايين بيروت – لبنان.

أعيان الشيعة: الإمام السيد محسن الأمين، تحقيق السيد حسن الأمين، ط٥ سنة الطبع ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الناشر دار التعارف للمطبوعات بيروت.

الأغاني: أبو فرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق سمير جابر، ط٢، الناشر دار الفكر – بيروت.

الأمالي: أبو جعفر محمد بن علي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة – قم، ط١ سنة الطبع ١٤١٧هـ، الناشر مؤسسة البعثة.

الأمالي: شيخ الطائفة الإمام أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة، ط١ سنة الطبع ١٤١٤هـ، الناشر دار الثقافة – قم.

الإمامة والسياسة: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقق طه محمد الزيني، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

الانتصار: السيد الشريف المرتضي أبي القاسم علي بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، سنة الطبع ١٤١٥هـ، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

بحار الأنوار: محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت ١١١١هـ)،ط٢ سنة الطبع ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الناشر مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان.

البداية والنهاية: الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري، ط١ سنة الطبع ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق المحامي فوزي عطوي، ط١ سنة الطبع ١٩٦٨م، الناشر دار صعب – بيروت.

تاج العروس من جواهر القاموس: للإمام محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق علي شيري، سنة الطبع ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، مطبعة دار الفكر بيروت، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر.

تاريخ ابن خلدون: القاضي عبد الرحمن بن محمد الخضرمي المالكي (ت ٨٠٨هـ)، ط٤، الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

تاريخ الإسلام: الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، ط١ سنة الطبع ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، المطبعة دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، الناشر دار الكتاب العربي.

تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط٤ سنة الطبع ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الناشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.

تاريخ بغداد: الإمام الحافظ أبي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١ سنة الطبع ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق علي شيري، سنة الطبع ١٤١٥هـ، مطبعة دار الفكر – بيروت، الناشر دار الفكر – بيروت – لبنان.

تاريخ اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ)، الناشر دار صادر بيروت.

تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني (ت ق٤)، تعليق علي اكبر الغفاري، ط٢ سنة الطبع ١٤٠٤هـ، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

تذكرة الحفاظ: الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، ط٧، الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

ترجمة حياة الشيخ الهادي (مخطوطة).

تفسير جوامع الجامع: الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، ط١ سنة الطبع ١٤١٨هـ، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

تهذيب الأحكام: شيخ الطائفة الإمام أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق السيد حسن الموسوي الخرسان، ط٣ سنة الطبع ١٣٦٤ش، الناشر دار الكتب الإسلامية – طهران.

التوحيد: أبو جعفر محمد بن علي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تعليق السيد هاشم الحسيني الطهراني، الناشر منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٣٠هـ).

جامع بيان العلم وفضله: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، سنة الطبع ١٣٩٨هـ، مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الناشر دار الكتب العلمية.

الجامع في تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، ط٣ سنة الطبع ١٤٢٧هـ، مطبعة سليمان زاده، منشورات ذوي القربى.

جريدة الهاتف: العدد الصادر بتاريخ ٢٧/حزيران/١٩٤٧م، عنوان المقال: كيف عرفت الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء، بقلم جعفر الخليلي.

جمهرة الأمثال: الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – عبد المجيد قطامش، ط٢ سنة الطبع ١٩٨٨م، الناشر دار الفكر – بيروت.

جواهر الكلام: محمد حسن الجواهري النجفي (ت ١٢٩٩هـ)، تحقيق الشيخ عباس القوجاني، ط٢ سنة الطبع ١٣٦٥ش، المطبعة خورشيد، الناشر دار الكتب الإسلامية – طهران.

حلية الأبرار: السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي، ط١ سنة الطبع ١٤١١هـ، مطبعة بهمن، الناشر مؤسسة المعارف الإسلامية – قم – إيران.

الخرائج والجرائح: أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (ع)، ط١ سنة الطبع ١٤٠٩هـ، المطبعة العلمية قم، الناشر مؤسسة الإمام المهدي – قم المقدسة.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق محمد نبيل طريفي – إميل بديع اليعقوب، ط١ سنة الطبع ١٩٩٨م، مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الناشر دار الكتب العلمية.

خلاصة الأقوال في معرفة الرجال: أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق الشيخ جواد القيومي، ط١ سنة الطبع ١٤١٧هـ، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر مؤسسة الفقاهة.

خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار: علي الحسيني الميلاني، سنة الطبع ١٤٠٥هـ، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام –قم، الناشر مؤسسة البعثة قسم الدراسات الإسلامية.

الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: صدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي الحسيني (ت ١١٢٠هـ)، ط٢ سنة الطبع ١٣٩٧هـ، الناشر منشورات مكتبة بصيرتي – قم.

دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم: القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة (ت ٤٥٤هـ)، الناشر مكتبة المفيد – قم.

ديوان محمد سعيد الحبوبي:

الذريعة إلى تصانيف الشيعة: العلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، ط٣ سنة الطبع ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الناشر دار الأضواء بيروت – لبنان.

ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: أبو القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

رجال ابن داود: تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي (ت ٧٤٠هـ)، تحقيق وتقديم السيد محمد صادق آل بحر العلوم، سنة الطبع ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، منشورات المطبعة الحيدرية – النجف الاشرف.

رجال النجاشي: أبو العباس احمد بن علي بن احمد ابن العباس النجاشي الاسدي الكوفي (ت ٤٥٠هـ) ط١سنة الطبع ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

روضة الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تعليق علي اكبر الغفاري، ط٥ المطبعة حيدري، الناشر الكتب الإسلامية – طهران.

زهر الآداب وثمر الألباب: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣هـ).

سحر بابل وسجع البلابل: السيد جعفر كمال الدين الحلي

(ت ١٣٥١هـ)، تحقيق الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، ط١ سنة الطبع ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، مطبعة دار الأضواء بيروت، الناشر دار الأضواء للطباعة والنشر.

سير أعلام النبلاء: الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، ط٩ سنة الطبع ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

السيرة الحلبية: الحلبي (ت ١٠٤٤)، سنة الطبع ١٤٠٠هـ، المطبعة دار المعرفة – بيروت، الناشر دار المعرفة.

السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،سنة الطبع ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، مطبعة المدني – القاهرة، الناشر مكتبة محمد علي صبيح وأولاده – مصر.

السنن الكبرى: ابو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٨٥)، الناشر دار الفكر.

شرح أصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ)، تحقيق مع تعليقات الميرزا أبو الحسن الشعراني، ط١ سنة الطبع ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مطبعة دار إحياء التراث العربي، الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن ألبرقوقي، ط١ سنة الطبع ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ألمعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ سنة الطبع ١٣٧٨- ١٩٥٩م، الناشر دار إحياء الكتب العربية- عيسى ألبابي الحلبي وشركاه.

شرح نهج البلاغة: للشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ).

شرح نهج البلاغة: الشيخ محمد عبده، ط١سنة الطبع ١٤١٢هـ، مطبعة النهضة –قم، الناشر دار الذخائر-قم – إيران.

شعراء الغري: علي الخاقاني، سنة الطبع ١٣٧٢هـ - ١٩٥٤م، المطبعة الحيدرية – النجف الاشرف، منشورات دار البيان.

الصحاح (تاج اللغة وصاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق احمد عبد الغفور العطار، ط٤ سنة الطبع ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الناشر دار العلم للملايين بيروت – لبنان.

صحيفة الرضا (ع): مؤسسة الإمام المهدي (ع)، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (ع)، سنة الطبع ١٤٠٨هـ، المطبعة أمير – قم، الناشر مؤسسة الإمام المهدي (ع)- قم.

صفوة شروح نهج البلاغة: إعداد وتحقيق أركان التميمي، ط٢سنة الطبع ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، الناشر مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت – لبنان.

الصواعق المحرقة: أبو العباس احمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحقيق عبد الرحمن بن عبد التركي- كامل محمد الخراط، ط١ سنة الطبع ١٩٩٧م، الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت.

العدد القوية لدفع المخاوف اليومية: أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق السيد مهدي ألرجائي، ط١ سنة الطبع ١٤٠٨هـ، مطبعة سيد الشهداء (ع)، الناشر مكتبة آية الله المرعشي العامة.

العقد الفريد: احمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ).

علل الشرائع: أبو جعفر محمد بن علي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، سنة الطبع ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، الناشر المكتبة الحيدرية ومطبعتها – النجف الاشرف.

عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ).

عيون الحكم والمواعظ: أبو الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي (ت ق٦)، تحقيق حسين الحسيني البيرجندي، ط١، مطبعة دار الحديث، الناشر دار الحديث.

الغدير في الكتاب والسنة والأدب: الشيخ عبد الحسين الاميني النجفي (ت ١٣٩٢هـ)، ط٤ سنة الطبع ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، الناشر دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

غرر الخصائص الواضحة: جمال الدين محمد بن يحيى الوطواط (ت ٧١٨هـ).

فجر الإسلام: احمد أمين، ط١ سنة الطبع ١٩٧٩م، الناشر دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

الفصول المختارة من العيون والمحاسن: السيد الشريف المرتضي أبي القاسم علي بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق السيد نور جعفريان الاصبهاني- الشيخ يعقوب الجعفري- الشيخ محسن الأحمدي، ط٢ سنة الطبع ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، الناشر دار المفيد – بيروت – لبنان.

فهرس التراث:

الفهرست: شيخ الطائفة الإمام أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق الشيخ جواد القيومي، ط١ سنة الطبع ١٤١٧هـ، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر مؤسسة نشر الفقاهة.

القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط: للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي (ت ٨١٧هـ).

الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تعليق علي اكبر الغفاري، ط٥ المطبعة حيدري، الناشر الكتب الإسلامية – طهران.

الكامل في اللغة والأدب: أبو عباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر – القاهرة، الناشر مكتبة نهضة مصر – القاهرة.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، الناشر دار إحياء الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي (ت ٦٩٣هـ)، ط٢ سنة الطبع ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الناشر دار الأضواء – بيروت – لبنان.

كشف المحجة لثمرة المهجة: رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، سنة الطبع ١٣٧٠هـ ١٩٥٠م، الناشر المطبعة الحيدرية – النجف الاشرف.

كمال الدين وإتمام النعمة: أبو جعفر محمد بن علي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تعليق علي اكبر الغفاري، سنة الطبع ١٤٠٥هـ، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

كنز العمال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي

(ت ٩٧٥هـ)، سنة الطبع ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت – لبنان.

كنز الفوائد: أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، ط٢ سنة الطبع ١٣٦٩ش، المطبعة غدير، الناشر مكتبة المصطفوي – قم.

لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، مراجعة وتدقيق د. يوسف ألبقاعي- إبراهيم شمس الدين- نضال علي، ط١ سنة الطبع ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

ماضي النجف وحاضرها: جعفر بن باقر محبوبة.

المجازات النبوية: للسيد الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق طه محمد الزيني، منشورات مكتبة بصيرتي – قم.

مجلة الغري: العدد٩، النجف الاشرف،١٧/آذار / ١٩٤٣م السنة الثالثة ص١٨٥-١٨٦.

مجمع الأمثال: أبو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر دار المعرفة بيروت.

مجمع البحرين: فخر الدين ألطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق السيد احمد الحسيني، ط٢ سنة الطبع ١٤٠٨هـ، النشر مكتب النشر الثقافة الإسلامية.

المحاسن والأضداد: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ).

مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٩٥٧هـ)، ط٢ سنة الطبع ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت ‹ لإحياء التراث، ط١ سنة الطبع ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، الناشر مؤسسة آل البيت ‹ لإحياء التراث – بيروت – لبنان.

المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ‡: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق الشيخ احمد المحمودي، ط١ سنة الطبع ١٤١٥هـ، مطبعة سلمان الفارسي – قم، الناشر مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور.

مصباح المتهجد: شيخ الطائفة الإمام أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، ط١ سنة الطبع ١٤١١هـ - ١٩٩١م، الناشر مؤسسة فقه الشيعة – بيروت – لبنان.

مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ)، تحقيق ماجد احمد العطية.

معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء: محمد حرز الدين، تعليق محمد حسين حرز الدين، سنة الطبع ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، مطبعة الآداب في النجف الاشرف، الناشر محمد حسين حرز الدين.

معالم العلماء: الحافظ أبو عبد الله محمد علي بن شهر آشوب

(ت ٥٨٨هـ)، قم.

معاني الأخبار: أبو جعفر محمد بن علي الشيخ الصدوق

(ت ٣٨١هـ)، تعليق علي اكبر الغفاري، سنة الطبع ١٣٧٩هـ، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

معجم البلدان: للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، سنة الطبع ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

معجم المطبوعات العربية والمعربة: اليان سركيس (ت ١٣٥١هـ)، سنة الطبع ١٤١٠هـ، المطبعة بهمن – قم، الناشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي – قم المقدسة.

معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، الناشر مكتبة المثنى و دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون، ط٢، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر.

المقبولة الحسينية: الشيخ هادي بن الشيخ عباس كاشف الغطاء.

المقنعة: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد

(ت ٤١٣هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢ سنة الطبع ١٤١٠هـ، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي قم – إيران.

الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني

(ت ٥٤٩هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة دار المعرفة، الناشر دار المعرفة - بيروت – لبنان.

من لا يحضره الفقيه: أبو جعفر محمد بن علي الشيخ الصدوق

(ت ٣٨١هـ)، تحقيق وتعليق علي اكبر الغفاري، ط٢، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

الموازنة بين أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي البصري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢ سنة الطبع ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، مطبعة السعادة بمصر.

المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الإيجي (ت ٧٥٦)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط١ سنة الطبع ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، مطبعة دار الجيل – بيروت – لبنان، الناشر دار الجيل.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق علي محمد البلجاوي، ط١ سنة الطبع ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م، الناشر دار المعرفة للطباعة بيروت – لبنان.

نثر الدر: منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١هـ).

نظم الزهر من نثر القطر (مخطوطة).

نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٢هـ).

النهاية في غريب الحديث: (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر احمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، ط٤ سنة الطبع ١٣٦٤ش، الناشر مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع – قم – إيران.

نهج البلاغة: السيد الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي (ت ٤٠٦هـ)، الناشر دار الهجرة للنشر- قم.

نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ محمد باقر المحمودي، الناشر مؤسسة الاعلمي – بيروت – لبنان.

الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

(ت ٧٦٤هـ)، تحقيق احمد الارناؤوط؛ تركي مصطفى، سنة الطبع ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، دار إحياء التراث، بيروت، الناشر دار إحياء التراث.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، المطبعة لبنان- دار الثقافة، الناشر دار الثقافة.

وقعة صفين: نصر بن مزاحم ألمنقري (ت ٢١٢هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٢ سنة الطبع ١٣٨٢هـ، مطبعة المدني - مصر، الناشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر – القاهرة.

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ)، شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة، ط١ سنة الطبع ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المطبعة دار الكتب العلمية، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

منهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الخطابة الخطبة الأولى أنموذجاً

المدرس المساعد: عبد الحسين أحمد الخفاجي
السيد صادق جعفر الحسيني (جامعة ديالى ـ كلية التربية الأساسية

المقدمة

إنَّ كتاب نهج البلاغة هو مجموع ما انتخبه السيد الشريف الرضي ، أبو الحسن ، محمد بن الحسن بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر (ع) من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وليس كل ما صدر عن هذا الرجل الذي زان الكمال به ، ويعجز اللسان والقلم عن وصفه والغور في أعماق فراقده مما صدر عن لسانه من علمٍ ومعارف شتى ، فضلاً عن باقي خصاله التي يضيق بها الحصر ، وتسمر العلماء ، والأدباء والبلغاء منذ زمان انتخابه وحتى اليوم على شاطئه، تواقين بالقراءة ، والإقراء ، والدرس ، والتدريس ، والشرح ، والتحقيق ، والتعليق للوقوف على وجوه بلاغته ، ومواطن روعته ، كيف لا ؟! وهو كما قال عبد الله بن عباس : (كلام عليٍّ دون كلام الخالق وفوق كلام الخلق ماعدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[١] .

وقد أجاد الشريف الرضي بتسميته لما انتخبه من خطب الإمام وحكمه وأقواله بـ (نهج البلاغة) ، فلم يسمّه نهج الفصاحة مثلاً ؛ لأنَّ (الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلاّ وصفاً للألفاظ مع المعاني) [٢] . فالمتأمل لكلام الإمام(ع) في هذا السفر الخالد يلحظ أنّه ينتقل من معنىً إلى آخر برابطةٍ محكمةٍ لتكون رقابُ المعاني آخذة بعضها ببعض كالعقد المتلألئ.

ولأهمية هذا السفر الخالد لدى الفقيه ، والأديب ، والمؤرخ ، والحاكم ، والسياسي ، لما له من أثرٍ ؛ إنساني ، وأخلاقي ، غطت موضوعاته جوانب الحياة ، ورقي الإنسان نحو التكامل . (لقد تصدى لشرح نهج البلاغة كثيرٌ من العلماء والفضلاء ، ذكر العلامة حسين جمعة العاملي أنها بلغت ـ ٢١٠ـ شرحاً ، ذكرها مفصلاً في كتابٍ له سماه ـ شروح نهج البلاغة ـ) [٣] .

بيد أن هذه الشروح (لم تشر إلى النسخ الخطية التي أُعْتُمِدَ عليها في ضبط المتن ، مع وجود نسخ نفيسة كثيرة لهذا السفر الخالد ، وقد ظهرت أخيراً طبعات أدعي فيها أنها اعتمدت على بعض النسخ الخطية القديمة إلاّ أننا رأيناها عند التدقيق لم تعط ولم تؤدّ لتلك النسخ حقها من الدقة والضبط) [٤] .

واخترنا الخطبة الأولى في بحثنا التي وردت بتحقيق العطار ، لأنها وقفت على (النص الأبلغ والأدق والمطابق أو الأقرب للغة قريش)[٥]

الخطبة :

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ. فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ.

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ

---

(١) جواهر المطالب : ج١ ، ص ٢٩٨ .
(٢) سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، ص ٨١ .
(٣) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، ج١ ، ص١٠ .
(٤) نهج البلاغة ، تحقيق وضبط الشيخ قيس بهجت العطار : ص٥ .
(٥) المصدر نفسه : ص١٠ .

تَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدَ جَهِلَهُ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدَ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدَ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ:(فِيمَ) فَقَدَ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ :(عَلَامَ ؟)فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ.

كائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا، وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا.

أَجَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا، وَلَائَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَزَ غَرَائِزَهَا، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا ، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا .

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَالزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ، الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ، وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ .

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا، وَأَدَامَ مَرَبَّهَا، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَلَا دِسَارٍ يَنْتَظِمُهَا.

ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَراً مُنِيراً، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ .

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لا يَتَزَايَلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ، لا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ .

وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ.وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ .

وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَاسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَا طَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزِبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ، وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ:أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ .ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يُفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالْمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ.وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَه، وَالْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فقال عز من قائل:﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ [٦]وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسَّخْطَةِ، وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [٧].

---

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٣٤ .

(٧) سورة ص ، الآيتان : ٨٠ ، ٨١ .

ثُمَّ أَسْكَنَ اللهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً، وَبِالاغْتِرَارِ نَدَماً.

ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ.

وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهُ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدُرَةِ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ:مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ .عَلَى ذلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ.

إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لإِنْجَازِ عِدَتِهِ، وَإِتمامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلادُهُ، وَأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ .

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَاعِنْدَهُ، فَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا ــ إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلا عَلَمٍ قَائِمٍ ــ.

كِتَابَ رَبِّكُمْ، مُبَيَّناً حَلالُهُ وَحَرَامُهُ، وَفَرَائِضُهُ وَفَضَائِلُهُ، وَنَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ، وَرُخَصُهُ وَعَزَائِمُهُ، وَخَاصُّهُ وَعَامُّهُ، وَعِبَرُهُ وَأَمْثَالُهُ، وَمُرْسَلُهُ، وَمَحْدُودُهُ، وَمُحْكَمُهُ وَمُتَشَابِهُهُ، مُفَسِّراً جُمَلُهُ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ.

بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، مُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايَنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، وَمُوسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ .

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ.

وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ.

جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالى لِلإِسْلامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ ، فقال سبحانه:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

تعد هذه الخطبة من الخطب الطوال من خطب الإمام (ع) التي ضمها كتاب نهج البلاغة ، إذ بلغت كلماتها (٩٦٥) كلمة توزعت في مواضيع متنوعة وعلى النحو الآتي : -

- ☐ حمد الله سبحانه وتعالى والإشارة إلى نعمه وصفاته .
- ☐ التوحيد الذي يمثل أول الأصول .
- ☐ نشأة الخلائق وما فيها من صفات .

---

(٨) سورة آل عمران ، الآية : ٩٧ .

- خلق الملائكة والإشارة إلى أنواعهم وصفاتهم .
- خلق آدم (ع) وقصته مع الملائكة معززة بالآيات (٣٤) من سورة البقرة والآيتين (٣٧ ــ ٣٨) من سورة الحجر .
- اختيار الأنبياء (ع) وحاجة الإنسانية لهم .
- مبعث النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والإشارة إلى حال أهل الأرض قبل مبعثه الشريف حتى اصطفائه .
- الإشارة إلى أوصياء النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم).
- القرآن الكريم والإشارة إلى ما حواه هذا الكتاب الكريم .
- فريضة الحج معززة بالآية (٩٧) من سورة آل عمران .

فهذه عشر موضوعات تزينت بها هذه الخطبة ، ابتدأ الإمام (ع) من العام إلى الخاص ، فأول ما ابتدأ فيه هو حمد الله سبحانه وتعالى ماراً ببعض نعمه ، ومشيراً لبعض أوصافه ، ينهل من معينه القرآن الكريم الأقرب فالأقرب كما في الجدول (١) .

الجدول (١)

ت	الفقرة	الآية القرآنية
١	حمد الله	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١]
٢	إحصاء النعم	﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [٢]
٣	تعذر أداء حق الله	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ٠٠ ﴾ [٣]
٤	تعذر إدراك الله	﴿ (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [٤]

ثم يتناول أهم موضوع في العقائد وأول أصل من أصولها ، الذي ابتلى فيه خلقه أشد ابتلاءً ، والذي ماز سورة التوحيد (السورة المكونة من سطرٍ واحدٍ . هذا السطر تعادل قيمته الفكرية ثلث الكتب المنزلة حسب الروايات) [٥] مؤكداً أوليته بقوله (أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ) رابطاً تأسيسه هرمياً هرمياً بقوله (وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ)، ثم يغور عمقاً في بيان هذا الأصل قائلاً : (وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلاصُ لَهُ ، وَكَمَالُ الْإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ) ، ثم ينهج استقرائياً في بيان تبعات وصف الله سبحانه وتعالى التي تهوي قائلها إلى وادٍ سحيق من التسافل الفكري قائلاً : (فَمَنْ وَصَفَ اللهَ فَقَدْ قَرَنَهُ ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ قَالَ : (فِيمَ) فَقَدْ ضَمَّنَهُ ، وَمَنْ قَالَ : (عَلامَ ؟) فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ ، كائِنٌ لا عَنْ حَدَثٍ ، مَوْجُودٌ لا عَنْ عَدَمٍ ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُقَارَنَةٍ ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُزَايَلَةٍ ، فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ ، بَصِيرٌ ، إِذْ لا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ ، مُتَوَحِّدٌ ، إِذْ لا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ ، وَلا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ) ، والشكل (١) يبين مخروط الرقي الفكري ونقيضه مخروط التسافل الفكري ، وبينهما سلمٌ استقرائيٌ تقريبيٌ لأذهان السامعين والقارئين .

الشكل (١)

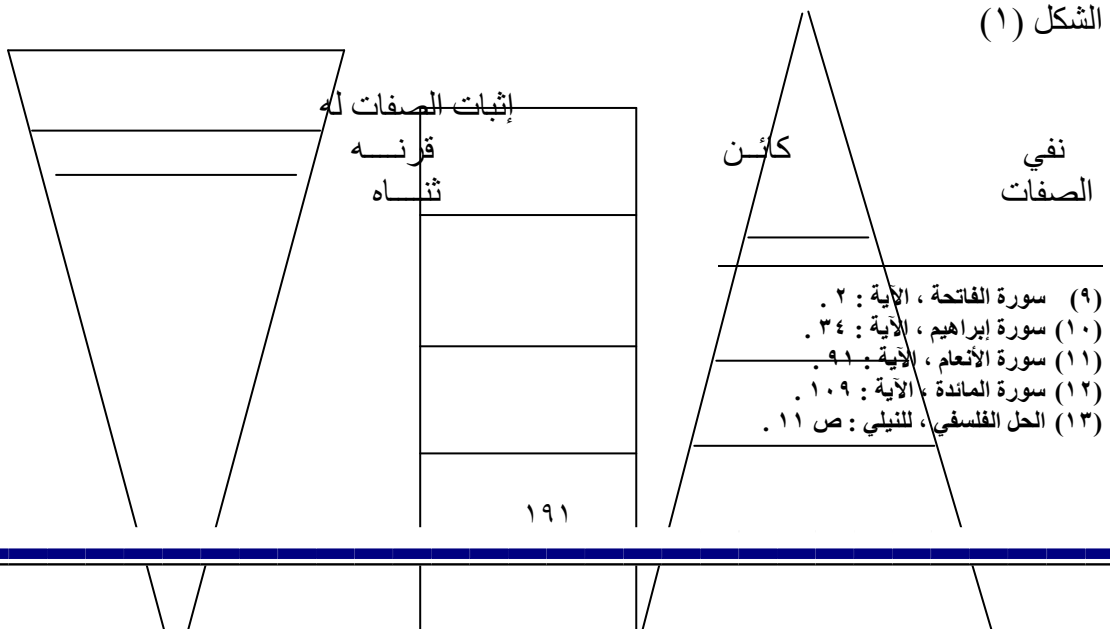

(٩) سورة الفاتحة ، الآية : ٢ .
(١٠) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٤ .
(١١) سورة الأنعام ، الآية : ٩١ .
(١٢) سورة المائدة ، الآية : ١٠٩ .
(١٣) الحل الفلسفي ، للنيلي : ص ١١ .

الإخلاص موجـود جـزأه جهلـه

التوحيـــــد فـــــاعل حده التصـــــديق عدَّه متوحـد المعرفة مخـــــروط الرقي الفكري

ت	الفقرة	الآية القرآنية
١	معرفة الله	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ۞اللَّهُ الصَّمَدُ۞لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾(١) يُولَدْ﴾(١)
٢	التصديق به	﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى﴾ (٢)
٣	توحيده	﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٣)
٤	نفي الصفات عنه	﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٤)
٥	وجوده وقربه	﴿... وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٥)﴿.. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (٦)

السلم الاستقرائي مخروط التسافل الفكري

مستمداً ذلك التصنيف من آيات القرآن الكريم ، وكما موضح في الجدول(٢).

الجدول (٢)

ثم ينتقل إلى نشأة الخلق واصفاً إياها بالابتداء من غير رويةٍ أو تجربةٍ مفصلاً هندسة خلق الله العجيب ، وما يكمن فيها من أسرارٍ حيرت عقول العلماء المتخصصين في مختلف العلوم الخاصة بالإنسان والحيوان والنبات وما له صلة بهم ، متوسعاً للكون الفسيح بأرضه وسمواته ، والجدول (٣) يوضح استعارة الإمام (ع) لدبج فراقد بيانه بما تزخر به آيات القرآن الكريم لتوظيفها في مقاصده الشريفة في الخطبة .

الجدول (٣)

ت	الفقرة	الآية
١	نشأة الخلق	﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٧)
٢	أجله	﴿... لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٨)
٣	ملائمة مختلفات مخلوقاته وغرز غرائزها	﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٩)
٤	علمه وإحاطته ومعرفته بها	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (١٠)

ويشير (ع) إلى خلق السماوات السبع وتزيينها بالكواكب ، والثواقب ، وجريان السراج المستطير ، والقمر المنير فيها ، بين سماءٍ كسقفٍ محفوظ وسماءٍ كموجٍ مكفوف بغير عمدٍ ولا دسارٍ في فلكٍ دائرٍ ، وسقفٍ سائرٍ ، ورقيمٍ مائرٍ ، كما في الشكل (٢) .

(١٤) سورة الإخلاص ، الآيات : ١-٣ .
(١٥) سورة القيامة ، الآية : ٣١ .
(١٦) سورة التوبة ، الآية : ١٢٩ .
(١٧) سورة الشورى ، الآية : ١١ .
(١٨) سورة الحديد ، الآية : ٤ .
(١٩) سورة ق ، الآية : ١٦ .
(٢٠) سورة الملك ، الآية : ٢٣ .
(٢١) سورة يونس ، الآية : ٤٩ .
(٢٢) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .
(٢٣) سورة الطلاق ، الآية : ١٢ .

مشيراً إلى دور الماء ، والهواء ، والريح العاصفة ، والزعزع القاصفة في ذلك .
الشكل (٢)

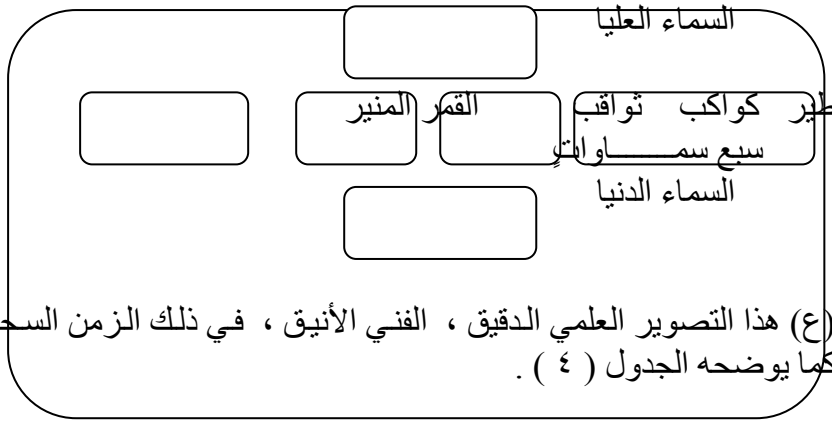

استنبط الإمام (ع) هذا التصوير العلمي الدقيق ، الفني الأنيق ، في ذلك الزمن السحيق ، من القرآن الكريم كما يوضحه الجدول (٤) .
الجدول (٤)

ت	الفقرة	الآية الكريمة
١	الهواء	﴿ ... وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [١]
٢	الماء	﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [٢]
٣	الريح	﴿..الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ ..﴾ [٣]
٤	السماوات السبع	﴿.. فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ [٤]
٥	لا عمد ولا دسار	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ...﴾ [٥]
٦	زينة الكواكب	﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [٦]
٧	الثواقب	﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [٧]
٨	السراج والقمر	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾ [٨]

وينتقل إلى ذكر الملائكة وكيف جعل الله منها أطواراً كما في الجدول(٥)الآتي :-
الجدول (٥)

ت	أطوار الملائكة	ت	أطوار الملائكة
١	سجود لا يركعون	٦	الحفظة للعباد
٢	ركوع لا ينتصبون	٧	سدنة الجنان وخزنتها
٣	صافون لا يتزايلون	٨	حملة العرش الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم ، والمارقة من السماء العليا أعناقهم
٤	مسبحون لا يسأمون		
٥	أمناء على الوحي		

مسترشداً بالآيات التي ورد فيها ذكر الملائكة وأدوارها وما أنيط بها من المهام لتدبير وتنظيم الحياة ... كل الحياة ، بأمر الله سبحانه وتعالى والجدول (٦) يوضح ذلك .
الجدول (٦)

ت	أصناف الملائكة	الآية الكريمة
١	السجود	﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [١]

(٢٤) سورة إبراهيم ، الآية : ٤٣ .
(٢٥) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠ .
(٢٦) سورة الأنبياء ، الآية : ٨١ .
(٢٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٩ .
(٢٨) سورة لقمان ، الآية : ١٠ .
(٢٩) سورة الصافات ، الآية : ٦ .
(٣٠) سورة الطارق ، الآية : ٣ .
(٣١) سورة الفرقان ، الآية : ٦١ .

٢	المسبحون	﴿. الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ.﴾ (٢)
٣	الغلاظ الشداد	﴿... مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٣)
٤	المقربون	﴿... الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ .. ﴾ (٤)
٥	المقاتلون	﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (٥)
٦	الرسل	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ..﴾(٦)
٧	الحفظة للعباد	﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ .. ﴾(٧)
٨	سدنة الجنان وخزنتها	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا..﴾ (٨)
٩	خزنة النار	﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾(٩)
١٠	الذين يتوفون الخلائق	﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ..﴾ (١٠)
١١	حملة العرش	﴿.. وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾(١١)

هذه أبرز أنواع الملائكة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وقد وظف الإمام (ع) جلها في خطبته بسطرين من الكلمات (*) .

ينتقل بعد ذلك إلى ذكر الإنسان وكيفية خلقه والمراحل التي مر بها قبل أن ينفخ الله فيه من روحه وما تميز به بعد النفخ ، وتكريمه بالإيعاز للملائكة بالسجود إلى هذا المخلوق ، وامتناع إبليس وقبيله عن الامتثال لهذا الأمر والذي جلب سخطه سبحانه وتعالى وإعطائه النظرة ليميز الله الخبيث من الطيب بقانون الابتلاء ، ثم إسكان آدم (ع) داراً أرغد فيها عيشه ، ورغم تحذيره من إبليس وعداوته له إلاّ أنه غُرِّرَ من عدوه إبليس بالحصول على دار المقام ، ومرافقة الأبرار ، ورغم هذا بسط الله له في توبته ، ووعده المرد إلى جنته ، فأهبطه إلى دار الدنيا ليتناسل وتكثر ذريته ، والجدول (٧) يبين لنا الآيات التي وظفها الإمام (ع) في ذلك .

الجدول (٧)

ت	الفقرة	الآية الكريمة
١	مراحل خلق الإنسان	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾(١٢) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾(١٣) ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ (١٤) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (١٥)

---

(٣٢) سورة ص ، الآية : ٧٣ .
(٣٣) سورة الزمر ، الآية : ٧٥ .
(٣٤) سورة التحريم ، الآية : ٦ .
(٣٥) سورة النساء ، الآية : ١٧٢ .
(٣٦) سورة الأنفال ، الآية : ٩ .
(٣٧) سورة فاطر ، الآية : ١ .
(٣٨) سورة الرعد ، الآية : ١١ .
(٣٩) سورة الزمر ، الآية : ٧٣ .
(٤٠) سورة الملك ، الآية : ٨ .
(٤١) سورة النحل ، الآية : ٢٨ .
(٤٢) سورة الحاقة ، الآية : ١٧ .

(*) إذا استثنينا وصف الإمام للملائكة واكتفينا بما ذكره من أطوارها .

(٤٣) سورة السجدة ، الآية : ٧ .
(٤٤) سورة الرحمن ، الآية : ١٤ .
(٤٥) سورة الطارق ، الآية : ٦ .
(٤٦) سورة العلق ، الآية : ٢ .

٢	تكريمه	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١)
٣	إنظار إبليس	﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٢) ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٣)
٤	إسكان آدم (ع)	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٤)
٥	تغرير إبليس	﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (٥)
٦	خطيئة آدم (ع)	﴿فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (٦)
٧	توبته (ع)	﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٧)
٨	اهباطه (ع) إلى دار البلاء	﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ (٨)

والإنسان في مسيرة حياته يرتكب الأخطاء مع نفسه ، ومع الآخرين نتيجةً لضعفه أمام غرائزه ، وجهله ، ولابد له من مرشدٍ وهادٍ لينير له الطريق ، ويأخذ بيده إلى دار السعادة ، ويعيش في جنة الدنيا والآخرة ، فتحليه بالفضائل والابتعاد عن الرذائل هو جنة الدنيا فضلاً عن الثواب الأخروي المكلل بالفوز بالجنة والحياة الأبدية .

ويوظف الإمام (ع) قصة آدم (ع) ليعتبر بها الناس ولا يغتروا ولا ينخدعوا لوسوسة الشيطان التي تهلك مخدوعها لا محالة ، فقد يقوم الإنسان بحرق الحرث والنسل ويعتقد أنه يطيع الله ناسياً أن طاعة الله لا تجتمع مع ظلم الرعية والإنسانية وهذا حال أغلب الحكام (إنَّ الطيارين الأمريكان الثلاثة الذين ألقوا القنبلة الذرية على هيروشيما في اليابان ، ومات وتشوه بسببها مئات الألوف ، كان كل واحد منهم يحمل معه نسخة من ((الكتاب المقدس)) إلى جانب قنبلة الفناء والدمار!!) (٩).

وينتقل بعد ذلك ليبين العلة من إرسال الرسل الذين اصطفاهم من ولد آدم (ع) واتخاذهم أنبياء بعد أن بدل أكثر الخلق الفضائل بالرذائل ووقوعهم أسرى للشرك بالله سبحانه وتعالى والشكل (٣) يوضح مهمة الأنبياء (ع) .

الشكل (٣)

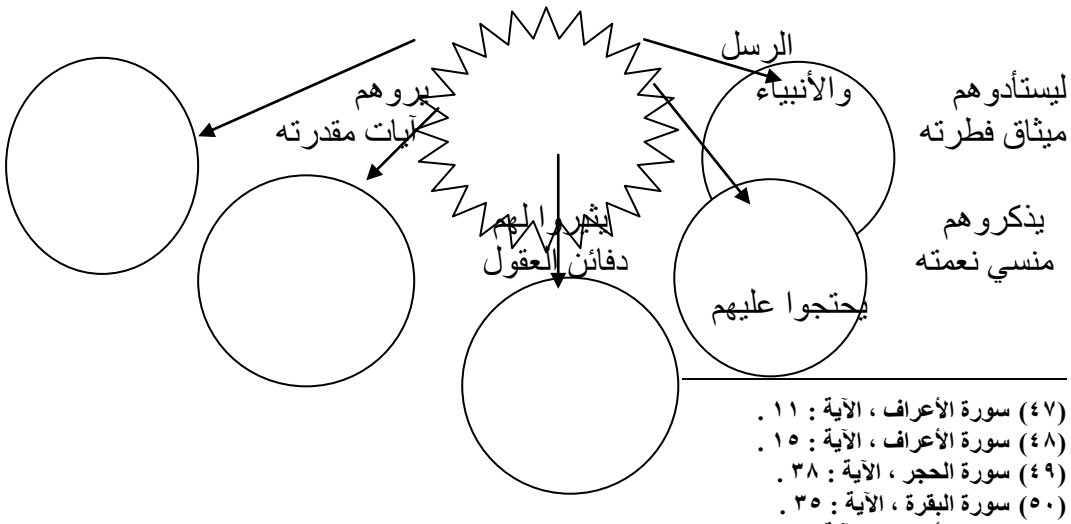

(٤٧) سورة الأعراف ، الآية : ١١ .
(٤٨) سورة الأعراف ، الآية : ١٥ .
(٤٩) سورة الحجر ، الآية : ٣٨ .
(٥٠) سورة البقرة ، الآية : ٣٥ .
(٥١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠ .
(٥٢) سورة طه ، الآية : ١٢١ .
(٥٣) سورة البقرة ، الآية : ٣٧ .
(٥٤) سورة طه ، الآية : ١٢٣ .
(٥٥) التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ج٧ ، ص : ٦٠٦ .

بالتبليغ

وقد برع الأنبياء (ع) في تغيير سلوك مجتمعاتهم من خلال التأثير عليهم بالمثيرات المبينة في الشكل (٤) .

الشكل (٤)

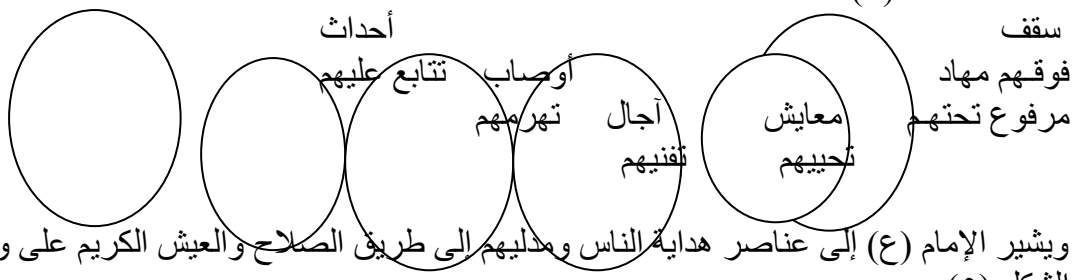

ويشير الإمام (ع) إلى عناصر هداية الناس ومدليهم إلى طريق الصلاح والعيش الكريم على وفق الشكل (٥) .

الشكل (٥)

نبي مرسل (١)	كتابٍ منزل (٢)
حجة لازمة (٣)	محجة قائمة (٤)

وهذه العناصر هي السمة التي نسلت عليها القرون ، ومضت الدهور ، وسلف الآباء ، وخلفت الأبناء كما يعبر الإمام (ع) .

وهي التي تعضد فطرة الله التي فطرها للناس ، قال تعالى :﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّـهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[١] التي تزود الإنسان عن طريقها بالمعرفة التي تنير له الطريق وكما عبر عنها بالنبي الداخلي ، وإنَّ (المعرفة تحدث وتحصل عندما يبني المرء على معرفته الموجودة ، أي ؛ أنَّ الإنسان يولد المعرفة بنفسه عن طريق التأمل والجدل والحكم وتقويم الأسباب ما لها وما عليها ووزن الأدلة والشواهد ، واللجوء إلى المبادئ ، واتخاذ القرارات) [٢]

وفي الجدول (٨) نرى توظيف الإمام (ع) لآيات القرآن الكريم في رحلة الأنبياء والرسل في معترك الحياة الإنسانية وتأرجحها بين النعيم والجحيم ، بين من آمن واهتدى وتبع حجة الله على خلقه ، وجاحد ومعاند آثر الانصياع تبعاً لنزواته وأسيراً لرغباته ، ومطيعاً لأناه ، خارجاً من معسكر (قل هو) إلى معسكر (قل أنا) .

الجدول (٨)

ت	الفقرة	الآية الكريمة
١	الرسل والأنبياء(ع) ودورهم	﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّـهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [٣]
٢	الاعتراف بالرسل	﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى.. ﴾ [٤]

(٥٦) سورة الروم ، الآية : ٣٠ .
(٥٧) طرائق التدريس العامة ، للمرعي والحيلة ، ص : ٥٦ .
(٥٨) سورة النساء ، الآية : ١٦٥ .
(٥٩) سورة غافر ، الآية : ٥٠ .

٣	إتباع الشيطان	﴿.. لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.. ﴾ (١)
٤	إتباع الرحمن	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢)
٥	صبر وصمود الأنبياء والرسل (ع)	﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣)
٦	سنة الله في خلقه	﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (٤)

وينتقل الإمام (ع) إلى ذكر بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ودوره الكبير في إتمام الحجة على الخلق أجمعين ، مشيراً إلى شهرة سماته ، وكرم ميلاده في زمنٍ نجد فيه أهل الأرض متفرقين متشتتين فاسدةً عقائدهم كما يوضحه الشكل (٦) .

الشكل (٦)

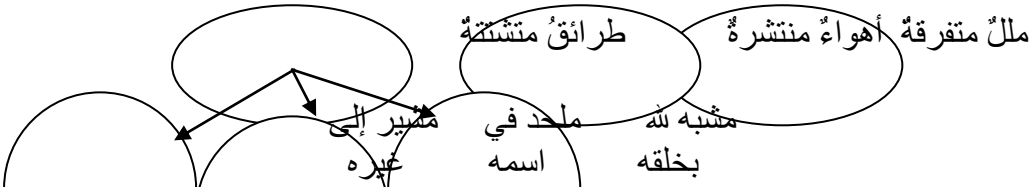

وفي الجدول (٩) يوظف الإمام (ع) الآيات القرآنية في الإشارة إلى النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وصفته ، وحال أهل الأرض في زمانه ، وهدايته لهم ، وإنقاذهم من الجاهلية التي كانوا يعيشونها.

الجدول (٩)

ت	الفقرة	الآية الكريمة
١	بعثة النبي	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (٥)
٢	بعض صفاته	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٦)﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٧)﴿.. رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ.. ﴾ (٨)
٣	حال أهل الأرض	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٩)﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ

---

(٦٠) سورة النور ، الآية : ٢١ .
(٦١) سورة الزمر ، الآية : ١٨ .
(٦٢) سورة الأنعام ، الآية : ٣٤ .
(٦٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٦٢ .
(٦٤) سورة الفتح ، الآية : ٨ .
(٦٥) سورة القلم ، الآية : ٤ .
(٦٦) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .
(٦٧) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٠ .
(٦٨) سورة الجاثية ، الآية : ١٨ .

		كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [١]﴿..وَاذْكُرُوهُ كَمَا كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [٢]
٤	إنقاذهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم	﴿ .. وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا .. ﴾ [٣]

وبعد أن يتطرق لرحيل النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) من دار الدنيا ليلقى ربه كريماً ، يبين لهم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خلّف في هذه الأئمة ما خلّفت الأنبياء(ع) في أممها من كتبٍ وأوصياءٍ كي لا تبقى الناس هملاً بغير طريقٍ واضحٍ وقائدٍ ناصحٍ هو العلم القائم ، الذي يستضاء به ، ويفصل كتاب الله تفصيلاً تصاعدياً حلزونياً كما يوضحه الشكل (٧) .

الشكل (٧)

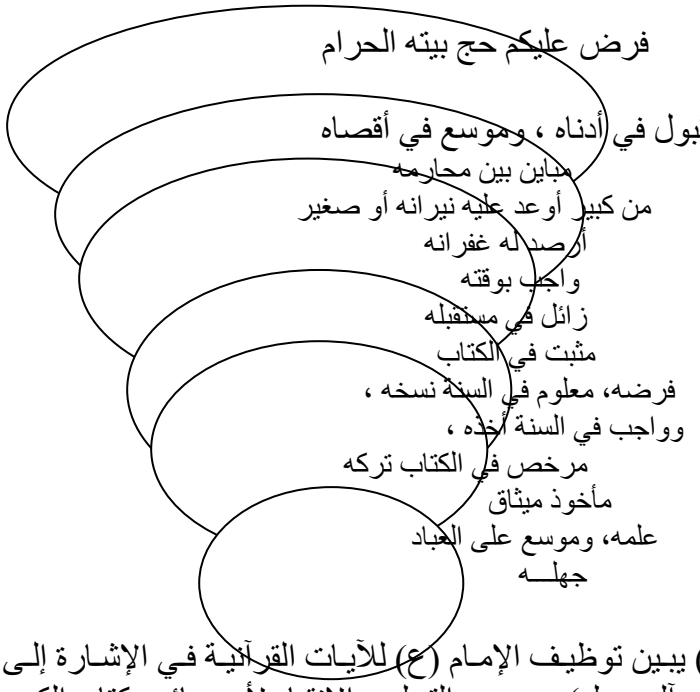

والجدول (١٠) يبين توظيف الإمام (ع) للآيات القرآنية في الإشارة إلى رحيل النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) ووجوب التسليم والانقياد لأوصيائه وكتابه الكريم .

الجدول (١٠)

ت	الفقرة	الآية القرآنية
١	رحيل الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ .. ﴾ [٤]﴿.. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً .. ﴾ [٥]
٢	إتباع أوصيائه	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ .. ﴾ [١]﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ

(٦٩) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥ .
(٧٠) سورة البقرة ، الآية : ١٩٨ .
(٧١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .
(٧٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .
(٧٣) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

		وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [٢]
٣	التمسك بكتابه	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٣]﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [٤]﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ..﴾ [٥] ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ .. هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ..﴾ [٦]

ويختم خطبته بذكر فريضة الحج وفضائله ووجوبه مستشهداً عليه بالآية السابعة والتسعين من سورة آل عمران .

إنَّ الإمام (ع) يثري الفكر والروح معاً من خلال المثيرات ، والتعزيزات ، والاستجابات ؛ المادية المجردة ، والمعنوية كما في الجداول (١ و ١٢ و ١٣) ، لا كما ينهجه الفلاسفة من إثراءٍ للفكر دون الروح فأنتجوا وليداً أعرجاً تتضح صورته يوماً بعد يوم ، فضلاً عن الكثير من الهنات في حقائقهم المسلمة كما يزعمون .

الجدول (١١)

المثيرات المادية المجردة والمعنوية

مثير مادي مجرد	مثير معنوي
فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ.	أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ.
فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَلَا دِسَارٍ يَنْتَظِمُهَا.	كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ، بَصِيرٌ.
وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ.	أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءاً، وَابْتَدَأَهُ إِبْتِدَاءاً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا، وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا، أَجَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا، وَلَاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَزَ غَرَائِزَهَا، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا .ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ.
رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ:مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ .	ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا، وَأَدَامَ مَرَبَّهَا، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا.
ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَاعِنْدَهُ، فَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي	ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا.

(٧٤) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .
(٧٥) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .
(٧٦) سورة البقرة ، الآية : ٢ .
(٧٧) سورة الزمر ، الآية : ٢٧ .
(٧٨) سورة الإسراء ، الآية : ٩ .
(٧٩) سورة الكهف ، الآية : ٤٩ .

أُمَمِهَا ـــ إِذْ لَـمْ يَتْرُكُـوهُمْ هَمَـلاً بِغَيْـرِ طَرِيـقٍ وَاضِحٍ، وَلا عَلَمٍ قَائِمٍ ـــ.	
وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْـهِ وُلُـوهَ الْحَمَامِ.	أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ.
وَاخْتَـارَ مِـنْ خَلْقِـهِ سُمَّاعاً أَجَـابُوا إِلَيْـهِ دَعْوَتَـهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ.	وَجَعَلَـهُ سُـبْحَانَهُ عَلَامَـةً لِتَوَاضُـعِهِمْ لِعَظَمَتِـهِ، وإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ.
	جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالى لِلْإِسْلامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَـرَضَ حَجَّـهُ ، وَأَوْجَـبَ حَقَّـهُ ، وَكَتَـبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ.

الجدول (١٢)
الاستجابات المادية والمعنوية

الاستجابات المادية	الاستجابات المعنوية
فَـأَجْرَى فِيهَـا مَـاءً مُتَلاطِمـاً تَيَّـارُهُ، مُتَرَاكِمـاً زَخَّارُهُ.	فَمَنْ وَصَفَ الله فَقَدْ قَرَنَـهُ، وَمَنْ قَرَنَـهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدَ جَهِلَهُ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْـهِ فَقَدَ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدَ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ:(فِيمَ) فَقَدَ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ:(عَلَامَ) فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ .
فَأَمْرَهَا بِرَدِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ، الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ، وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ.	إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ، إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.
فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ.	وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ .
فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ.	فَمَلَـأَهُنَّ أَطْـوَاراً مِـنْ مَلَائِكَتِـهِ، مِـنْهُمْ سُـجُودٌ لَـا يَرْكَعُـونَ، وَرُكُـوعٌ لَـا يَنْتَصِـبُونَ، وَصَـافُّونَ لا يَتَزَايَلُـونَ، وَمُسَـبِّحُونَ لا يَسْـأَمُونَ، لا يَغْشَـاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ .
ثُـمَّ زَيَّنَهَـا بِزِينَـةِ الْكَوَاكِـبِ، وَضِـيَاءِ الثَّوَاقِـبِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَراً مُنِيراً، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ.	لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ .
ثُـمَّ جَمَـعَ سُبْحَانَهُ مِـنْ حَـزْنِ الْـأَرْضِ وَسَـهْلِهَا، وَعَـذْبِهَا وَسَـبَخِهَا، تُرْبَـةً سَـنَّهَا بِالْمَـاءِ حَتَّـى خَلَصَتْ، وَلَا طَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُـورَةً ذَاتَ أَحْنَـاءٍ، وَوُصُـولٍ وَأَعْضَـاءٍ، وَفُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّـى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ .	ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ.

فَمَثَّلتْ إنْسَاناً.	ذَا أَدْهَانٍ يُحِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا .
وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا.	وَمَعْرِفَةٍ يُفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ، وَالْأَلْوَانِ وَالأَجْنَاسِ.
مَعْجُونـاً بِطِينَـةِ الْـأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَـةِ، وَالْأَشْـبَاهِ الْمُؤْتَلِفَـةِ، وَالْأَضْـدَادِ الْمُتَعَادِيَـةِ، وَالْـأَخْلاطِ الْمُتَبَايِنَةِ.	مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ.
وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ.	وَالْمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ .
ثُمَّ أَسْكَنَ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً، وَبِالْاغْتِرَارِ نَدَماً .	وَاسْـتَأْدَى اللهُ سُـبْحَانَهُ الْمَلَائِكَـةَ وَدِيعَتَـهُ لَـدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَـهُ، وَالْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ.
ثُـمَّ بَسَطَ اللهُ سُـبْحَانَهُ لَـهُ فِـي تَوْبَتِـهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَـةَ رَحْمَتِهِ وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ .	وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ، وَتَعَـزَّزُوا بِخِلْقَـةِ النَّـارِ، وَاسْـتَوْهَنُوا خَلْـقَ الصَّلْصَـالِ، فَأَعْطَـاهُ اللهُ النَّظِـرَةَ اسْـتِحْقَاقاً لِلسَّخْطَةِ، وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ.
فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ.	وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهُ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ.
مِـنْ سَـقْفٍ فَـوْقَهُمْ مَرْفُـوعٍ، وَمِهَـادٍ تَحْـتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ.	لِيَسْـتَأْدُوهُمْ مِيثَـاقَ فِطْرَتِـهِ، وَيُـذَكِّرُوهُمْ مَنْسِـيَّ نِعْمَتِـهِ، وَيَحْتَجُّـوا عَلَـيْهِمْ بِـالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيـرُوا لَهُـمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدُرَةِ، ... وَآجَالٍ تُفْنِـيهِمْ، وَأَوْصَـابٍ تُهْـرِمُهُمْ، وَأَحْـدَاثٍ تَتَتَـابَعُ عَلَيْهِمْ .
وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَـاءُ، إِلَـى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُـبْحَانَهُ مُحَمَّـداً صَـلَى اللهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ لِإِنْجَـازِ عِدَتِهِ، وَإِتمامِ نُبُوَّتِهِ .	عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ.
كَرِيماً مِيلَادُهُ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ.	مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ.
	فَهَدَاهُمْ بِـهِ مِـنَ الضَّـلَالَةِ، وَأَنْقَـذَهُمْ بِمَكَانِـهِ مِـنَ الْجَهَالَةِ .
كِتَـابَ رَبِّكُـمْ، مُبَيَّنـاً حَلَالُـهُ وَحَرَامُـهُ، وَفَرَائِضُـهُ وَفَضَـائِلُهُ، وَنَاسِـخُهُ وَمَنْسُـوخُهُ، وَرُخَصُـهُ وَعَزَائِمُـهُ، وَخَاصُّـهُ وَعَامُـهُ، وَعِبَـرُهُ وَأَمْثَالُـهُ، وَمُرْسَلُهُ، وَمَحْدُودُهُ، وَمُحْكَمُهُ وَمُتَشَابِهُهُ، مُفَسِّراً جُمْلَـهُ، وَمُبَيِّنـاً غَوَامِضَـهُ .بَـيْنَ مَـأْخُوذٍ مِيثَـاقُ عِلْمِـهِ، وَمُوَسَّـعٍ عَلَـى الْعِبَـادِ فِـي جَهْلِـهِ، وَبَـيْنَ مُثْبَتٍ فِـي الْكِتَـابِ فَرْضُـهُ، وَمَعْلُـومٍ فِـي السُّـنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، مُرَخَّصٍ فِي الْكِتَـابِ تَرْكُـهُ، وَبَـيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِـهِ، وَزَائِلٍ فِـي	مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَـهُ، وَبَـيْنَ مَقْبُـولٍ فِـي أَدْنَـاهُ، وَمُوسَّـعٍ فِـي أَقْصَاهُ .
	وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ.

مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايَنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ.	

الجدول (١٣)

التعزيز المادي والمعنوي

التعزيز المادي	التعزيز المعنوي
وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ.	الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ، فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ.
وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ.وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ. وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَاسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.	وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ.وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ. وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَاسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.(١)

الخاتمة

بعد أن رفع القلم ليعلن انتهاء رحلة علمية نفيسة قضيناها في رحاب خطبةٍ من خطب الإمام (ع) ، نود التنويه إلى أنَّ ما قدمناه هو محاولة منا ليس غير للولوج في بحرٍ لجيّ يزخر بالجواهر الدفينة فإن استطعنا أن نكشف عن بصيص نور منها بجهدنا المتواضع هذا عن منهج الإمام (ع) الذي اخترناه موضوعاً لبحثنا فذلك فضل الله تعالى علينا ، وإن لم نوفق لبلوغ المراد فحسبنا أنّ النقص والنسيان مما اتصف به الإنسان .... ولابد لهذا الإنسان أن يقف متأملاً إزاء كلامٍ هو فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق ما عدا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما جاء في وصف كلام أمير المؤمنين من ابن عمه عبد الله بن عباس في صفحات البحث المتقدمة .

---

(٨٠) هنا التعزيز متكرر ؛ لأنه متداخل مادياً ومعنوياً .

****

والله تعالى يوفق للصواب

الباحثان
ديالى الخضراء
حماها الله ببركات أهل البيت (ع)
٢٠١١/١/١٣